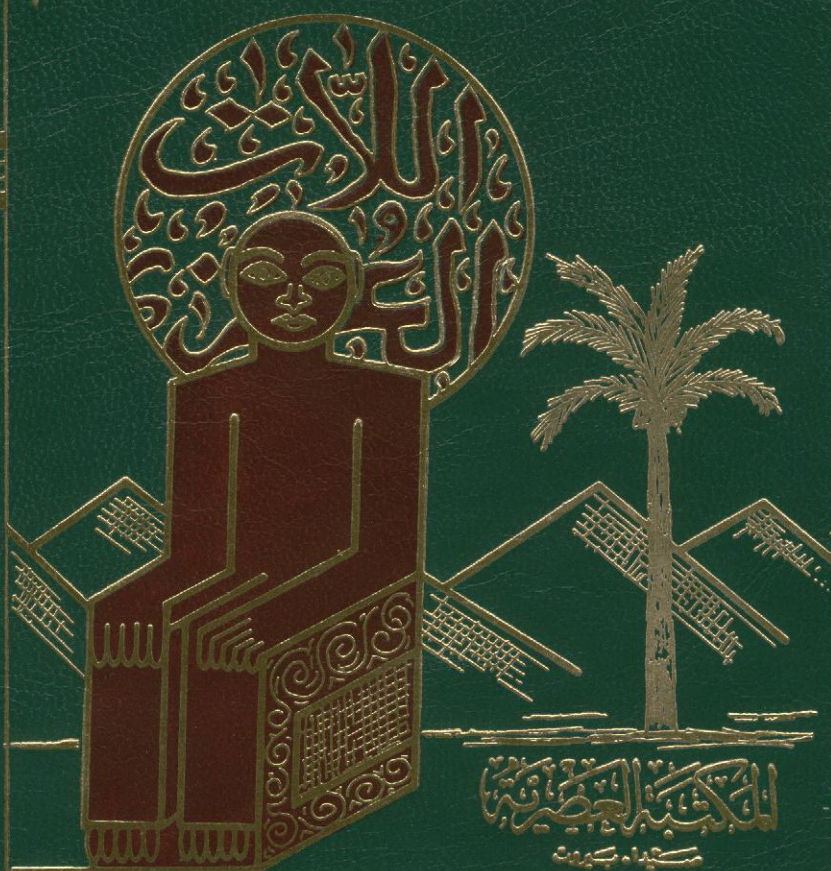


المشهم
عفا الله عنه

أبي بكر الصديق في الجاهلية

تأليف

محمد عبد الوكيل بك
علي محمد الجاوي
محمّد الفضل إبراهيم



أَسَائِمُ الْعَرَبِ بِهَوْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

تأليف

محمد أحمد عبد المولى بك علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم

منشورات المكتبة العصرية
طيدا - بيروت

مراجعة الكتاب

الأغاني	: لأبي الفرج الأسفهاني
بلوغ الأرب في أحوال العرب	: للأتومي
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
تاريخ العرب قبل الإسلام	: لجورجي زيدان
تاريخ العرب القدامى	: للشيخ محمد فخر الدين
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد محمد بن الخطاط القرشي
خزانة الأدب	: للبندادي
ديوان امرئ القيس	:
ديوان الحماسة	:
ديوان علقمة الفحل	:
دغية الأمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح الميرون	: لابن نباتة المصري
شرح ديوان الحماسة	: للتبريزي
شرح المفصليات	: لابن الأنباري
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
شعراء النصرانية	: للويس شيخو
شواعر العرب	:
المقد الفريد	: لابن عبد ربه
الممددة	: لابن رشيق
قصص العرب	: للدوافين
الكامل (في الأدب)	: للمبرد

الكامل (في التاريخ)	: لابن الأثير
لسان العرب	: لابن منظور
مجمع الأمثال	: للميداني
المختار من نوادر الأخبار	: لـحمد بن أحمد الأنباري
الزهر	: للسيوطي
المضاف والمنسوب	: للنعالي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
معجم ما استمع	: لأبي عبيد البكري
قائض جرير والفرزدق	: لأبي عبيدة ممر بن النخعي

—————

الفهرس

١ - أيام العرب والفرس

الرقم	الصفحة	العنوان
١	١	يوم الصفقة .
٢	٦	يوم ذى قار

٢ - أيام القحطانية فيما بينهم

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٤٢	يوم البردان
٢	٤٦	» الكلاب الأول
٣	٥١	» عين أبغ
٤	٥٤	» حليلة
٥	٦٠	» اليعاميم
٦	٦٢	حروب الأوس والخزرج
—	٦٢	١ - حرب سمير
—	٦٩	٢ - حرب كعب بن عمرو
—	٧٢	٣ - حرب حاطب
—	٧٣	٤ - يوم بُعاث
٧	٨٥	يوم سحبل

٣- أيام القحطانيين والمدنانيين

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٩٤	يوم طخفة
٢	٩٩	» أواره الأول
٣	١٠٠	» أواره الثاني
٤	١٠٧	» السلان
٥	١٠٩	» خزاز
٦	١١٢	» حُجْر
٧	١٢٤	» السكّاب الثاني
٨	١٣٢	» فَيْف الريح
٩	١٣٧	» ظَهْر الدماء

٤- أيام ريعة فيما بينها

الرقم	الصفحة	المنوان
١	١٤٢	حرب البسوس وتشتمل على : يوم النهى » الدنائب » واردات » عنيزة » القصيبات » محلاق اللهم

٥ - أيام ربيعة ونعيم

الرقم	الصفحة	العنوان
١	١٧٠	يوم الوقيط
٢	١٧٥	» ثَبِتَل
٣	١٧٨	» جَدُود
٤	١٨٢	» زَرُود
٥	١٨٤	» ذِي طُلُوح
٦	١٩١	» الإِيَاد
٧	١٩٧	» النَّبِيط
٨	٢٠١	» قَشَاوَة
٩	٢٠٦	» زَبَالَة
١٠	٢٠٨	» مُبَايَض
١١	٢١٢	» الزُّورِبَن
١٢	٢١٥	» عَاقِل
١٣	٢١٧	» الشَّيْطِين
١٤	٢٢٠	» الْوَقْبِي
١٥	٢٢٦	» الشَّيَّاك

٦ - أيام قيس فيما بينها

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٢٣٠	يوم منيع
٢	٢٣٥	» النَّفْرَاوَت
٣	٢٤٢	» بَطْن عَاقِل

الرقم	الصفحة	المنوان
٤	٢٤٦	يوم داجس والفبراء
٥	٢٧٨	» الرقم
٦	٢٨١	» النشاءة
٧	٢٨٣	» حوزة الأول
٨	٢٨٩	» حوزة الثاني
٩	٢٩٣	» اللوى
١٠	٣٠٠	حديث ابن ضبا
١١	٣٠٤	يوم هراميت

٧ - أيام قيس وكنانة

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٣١٢	يوم الكديد
٢	٣١٩	» بوزة
٣	٣٢٢	حروب الفجار
	٣٢٢	أيام الفجار الأول :
	٣٢٢	اليوم الأول
	٣٢٤	» الثاني
	٣٢٥	» الثالث
٤	٣٢٦	أيام الفجار الثاني :
	٣٢٦	يوم نخلة
	٣٣١	» شملة
	٣٣٣	» المبلأ
	٣٣٤	» عكاظ
	٣٣٧	» الحريرة

٨ - أيام قيس ونعيم

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٣٤٤	يوم رخرحان
٢	٣٤٩	» شعب جبلة
٣	٣٦٥	» ذى نجب
٤	٣٦٨	» الصرايم
٥	٣٧٠	» الرغام
٦	٣٧٣	» جزع ظلال
٧	٣٧٥	» المروت

٩ - أيام ضبة وغيرهم

الرقم	الصفحة	المنوان
١	٣٧٨	يوم النّسار
٢	٣٨٢	» الشقيقة
٣	٣٨٨	» بزّاحة
٤	٣٩٠	» دارة مأسل
٥	٣٩١	» النقيمة

- ج -

١٠ - أيام متفرقة

الرقم	الصفحة	العنوان
١	٣٩٦	يوم جديس
٢	٣٩٩	ذات الأمل
٣	٤٠١	ذ صومر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدراً خصيباً من مصادر التاريخ ، وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب ، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص ؛ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى في أثنائها من نثر وشعر ، وما تنمى خلالها من مآثور الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام .

فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم ، وتروى كثيراً مما كان يقع بين العرب القحطانيين والمدنانيين من خلاف ، وبين المدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع ؛ بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر .

نم هي في أسلوبها القصصي ، وبيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب وماداتهم وأسلوب الحياة الماثورة بينهم ، وشأنهم في الحرب والسلم ، والاجتماع والفرقة ، والفداء والأسر ، والنجمة والاستقرار ؛ وهي أيضاً مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم ؛ كالنفاع عن الحرم ، والوفاء بالعهد ، والانتصار للمشيئة ، وحماية الجار ، والصبر في القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير هذا مما تراه واضحاً في تلك الأيام .

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جلته وتفصيله ، وبخاصة ما كان في الفخر والحاسة والثناء والهجاء ، فإنك تجده قد ارتبط بهذه الأيام ارتباطاً تاماً ، فبينما كان

الفوارس يناضلون بسيوفهم ورماحهم ، ويجودون بنفوسهم رخيصة في سبيل أقوامهم كان الشعراء من ورانهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم ، ويطلقون ألسنتهم في خصومهم وأعدائهم ؛ ويندبون بقوافيهم صرعاًم والقتلى من أشرفهم وزعمائهم ؛ ترى ذلك ممثلاً في شعر الأعمش ، وعنترة ، وابن حنظلة ، وعامر بن الطفيل ، وأبي قيس بن الأسلت ، وقيس بن الحطيم ، وعبد ينفث بن صلاة ، والمهلهل بن ربيعة ، والخنساء ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ممن ظهر أثر الأيام في شعره من قريب أو بعيد .

وما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب ، وما امتلأت به الكتب من ذكر المناوير من أبطال الوقائع ؛ هذه الأيام هي مورد أقاصيصهم ، وساحة بطولتهم ، ومسردُ حوادثهم ؛ فبسطام بن قيس سيد شيبان ، وربيعة بن مكدم فارس كنانة ، ودريد بن الصمة قائد جثم ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، وهاشم بن حرمة صاحب النماء . . . هؤلاء وغيرهم من قروم الحرب وأحلاس الخيل ، قد سجلوا في هذه الأيام مواقف ومناورات تملأ القلوب دهشة وإعجاباً .

ولم تخل هذه الحروب من زعماء قبائل ، ورؤساء عشائر ، كانوا في زعامتهم ورياستهم مثلاً علياً في نصيحة الرأي ، وإصابة الحزم ، والتهدي إلى مواطن الصواب ؛ وفيما أُرثر عن أكرم بن صفي ، وقيس بن عاصم النخري ، والحارث بن عباد البكري ، وعبد الله بن جُدعان القرشي ما هو جديد على الزمن ، باقٍ على مر العصور .



يبدأ أن هذه الأيام على خطرهما وجليل شأنها ليس بأيدي الناس كتاب خاص بها يهتفم هتفهما ، ويجمع شتاتها ، ويسهل الانتفاع منها ؛ نعم قد روى صاحب كشف

الظنون وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فيها كتاباً صغيراً حوى خمسة وسبعين يوماً ، وآخر كبيراً جمع فيه ألفاً ومائتي يوم ، وأن أبا الفرج الأصفهاني ألف كتاباً جمع فيه ألفاً وسبعمائة يوم ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يقع إلينا ، وكل ما عرفناه روايات منتشرة في كتب الأدب والتاريخ ؛ ككتاب الأغاني والنقائض والمقد الفريد ومعجم البلدان وابن الأثير والسمودي ومعجم ما استعجم ، وهي متفرقة لا يحدها نظام ، ولا تجتمع في باب ؛ هذا إلى اختلاف الرواية ، واضطراب الشعر ، وتحريف الأعلام .

ومحيماً أخرجنا كتابنا « قصص العرب » قطعنا على أنفسنا للقراء عهداً أن نفرد للأيام كتاباً خاصاً يجمع شقيتها ، ويؤلف بين رواياتها ، ويرسم ممالها وحدودها ؛ وهانحن أولاء نخرجه اليوم كتاباً قد اجتهدنا في تنسيقه وتهذيبه ، وتأقنا في جمعه وتبويبه ، وجعلنا أساس تقسيمه الفروق الجنسية ، أو المصيبة القبلية ؛ إذ كان مثار الحفائظ ومبعت الحروب الخلاف في الجنس أحياناً ، وفي أصول القبائل أحياناً ؛ وأتبعنا كل يوم ما ورد فيه من شعر ؛ وبذلنا الجهد في ضبطه وشرحه ، واخترتا الروايات الصحيحة يكمل بعضها بعضاً ، مشيرين إلى غيرها من الروايات .

وهذا الكتاب وإن كان معقوداً للأيام التي وقعت في العصر الجاهلي - قد تضمن قليلاً من الأيام التي حدثت في الإسلام كيوم الوقى ويوم الشيطان ويوم سحبل ؛ إذ أنها في أسبابها لم تخرج عن أسباب الأيام الجاهلية من خلاف حول الآبار ومواقع السحاب ؛ أو اعتداء على جار ، أو انتهاك لحريم . أما الأيام التي وقعت في الإسلام وكانت وليدة الخلافات السياسية والدينية والذهبية فقد أفردنا لها كتاباً خاصاً نرجو أن يكون قريباً في أيدي القراء .

هنا ، وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التي وصل إلينا تفصيل حوادثها
وذكر أسبابها ورواية أعمارها وقصائدها ؛ أما الأيام التي لم يقع في الكتب إلا
ذكر عناواناتها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب ، فقد جاوزها اختيارنا ، إذ كان
النرضُ من هذا الكتاب خيراً يروى ، أو قصة تحكى ، أو مثلاً يؤثر ، أو شعراً
يذكر . .

والله نسأل أن يجعله عملاً نافعا مقبولا .

{ رمضان ١٩٦١
سبتمبر ١٩٤٢ }

المترجم

—

تَنبِيهَات

١ — وضع « يوم سجل » في الباب الثاني صفحة ٨٥ ، والصواب أن يوضع في الباب الثالث .

٢ — ذكرت قصيدة للخنساء في رثاء صخر في يوم حوزة الثاني صفحة ٢٩١ ، والصواب ذكرها بعد يوم الأثل صفحة ٤٠٠

٣ — وقع اضطراب في شرح البيت الثاني صفحة ٣٤٠ والصواب هكذا :
قال التبريزي في شرح هذا البيت : أى أقول : واسوء صباحاه . ونصب
شجناً ؛ لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملها على الدماء ؛ هذا إذا جملت
الشجن الحزن والحاجة ، وإن جملته الحبيب نصبته لأنه مفعول به .

٤ — سقط من قصيدة ابن القائف في يوم بزاحة صفحة ٣٨٨ البيت الرابع وهو :
ولممرُ جدك ما الرقاد بطائش رضى بديته ولا هوأر
ولإيه يرجع شرح رقم ١ صفحة ٣٨٩

المشام
عفا الله عنه

١- أَيَّامُ الْعَرَبِ وَالْفَرَسِ

وَيُشْتَمَلُ عَلَى مَا يَأْتِي

١- يَوْمُ الصَّفْقَةِ

٢- يَوْمُ ذِي قَارِ

١- يهود الصَّفَقَة

قال ابنُ الكلبي :

بَثَّ كسرى أنو شروان^(١) إلى عامله^(٢) باليمن بغيرِ تحملِ نَبْعًا^(٣) ، وكانت غير كسرى تُبَذَّرَقُ^(٤) من الدَّاشِ حتى تُدْفَع إلى النعمان بن المنذر بالحيرة ، والنعمان يُبَذِّرُهَا بِمُخْرَافٍ من بني ربيعة حتى تُدْفَع إلى هَوْذَةَ بن علي الحنفي باليمامة فيُبَذِّرُهَا حتى يُخْرِجَهَا من أرض بني حنيفة ثم تُدْفَع إلى تميم ، وتُجَمَلُ لَهُمْ جَمَالَةً^(٥) فتُسِيرُ بِهَا إلى أن تبلغ اليمن ، وتسَلِّم إلى عمَّال كسرى باليمن .

ولما بَثَّ كسرى بهذه العِير ووصلت إلى اليمامة قال هَوْذَةُ بن علي للأَسَاوِرَةِ^(٦) الذين يرافقونها : انظروا الذي تجملونه لبني تميم فأعطونه ، وأنا أكفيكم أسرم ، وأسير بها معكم حتى تبلغوا ما مَنَعَكُمْ .

وخرج هَوْذَةُ والأَسَاوِرَةُ والعِير معهم من هَجَرَ^(٧) ، حتى إذا كانوا يَنْطَلِعُ^(٨)

* لكسرى على تميم ، وسمى الصَّفَقَة ، لأن كسرى أصفى الباب على بني تميم في حصن المشقر ، وسمى أيضاً يوم المشقر ، والمشقر حصن بالبحرين .

الأغاني ص ٧٥ ج ١٦ ، معجم البلدان ص ٣٦٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٢٢٥ ج ١ ، تاريخ الطبري ص ١٣٣ ج ٢ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٢٥

(١) هو كسرى أنو شروان بن قباذ ، من أشهر ملوك الفرس وأعظمهم ذكراً ، وكانت نبيلاً طاهراً ، هلك ثمان وأربعين سنة من دولته (٢) هو وهز القائد الشجاع الذي أرسله كسرى مع سيف بن ذي يزن لتطهير اليمن من الجيش (٣) النبع : شجر للقي وللسهام ينبت في قلة الجبل (٤) البَذَّرَقَة : الحفارة (٥) الجمالة (مثلة) : ما يجعل على العمل (٦) الأساورة : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس (٧) هجر : اسم لأرض البحرين (٨) نطاع : اسم لواد باليمامة .

بلغ بنى تميم ما صنع هوزة ؛ فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه ؛ وقتلوا
عامة الأساورة وسلبوهم ، وأسروا هوزة بن علي ، فاشتري هوزة نفسه بثلاثمائة بعير ،
فساروا معه إلى هجر ، وأخذوا منه فداءه^(١) .

وعند ذلك عمد هوزة إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو تميم - وكانوا قد سلبوا -
فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى - وكان هوزة رجلاً جليلاً شجاعاً
ليبياً - فدخل عليه وقص عليه أمر بن تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من
ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها ، وكساه قباء^(٢) ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ،
وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم ، ودعا بمقدّر من درّ قمقد على رأسه^(٣) .

ثم إنه سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد ، وأنه نفزو المفازي
فيصيب ؛ فقال له كسرى : كم ولدك ؟ قال : عشرة . قال : فأيتهم أحب إليك ؟ قال :
غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ، ومريضهم حتى يبرأ .

قال كسرى : الذي أخرج منك هذا القمل حملك على أن طلبت منى الوسيلة .
ثم قال : ياهوزة ؛ رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ؟ أيتنك وبينهم
صلح ؟ قال هوزة : أيها الملك ؛ بيني وبينهم حساء^(٤) الموت ، وهم قتلوا أبي ، فقال
كسرى : قد أدركت نارك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوزة : إن أرضهم لا تطيقها

(١) في ذلك يقول الشاعر :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا بهوزة مقرون اليدين الى النحر

وردنا به نخل اليمامة غانياً عليه وثاق القد والحلق السر

(٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٣) سمى لذلك هوزة ذا التاج (٤) حساء الموت :
تجرع الموت .

أساورتك ، وهم يمتنعون بها ؛ ولكن احبس عنهم الميرة ، فاذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جنداً من أساورتك ، فأقيم لهم السوق ، فإنهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك .

فعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الميرة في سنة مجدية ، ثم أرسل إلى هوزة فأتاه ، فقال : إيت هؤلاء فاشفي منهم واشتف . وأرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة رجل يقال له المكمبر^(١) ؛ فساروا حتى نزلوا المشقر^(٢) من أرض البحرين ، وبث هوزة إلى بني حنيقة فأتوه فدَنَوْا من حيطان المشقر ؛ ثم نودي : إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فتمالوا فامتاروا .

فانصب عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاها بنو سعد^(٣) ؛ فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً ، حتى يذهب به إلى المكمبر فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل ، فإذا مر رجل من بني تميم بينه وبين هوزة إياه أو رجل يرجوه ، قال للمكمبر : هذا من قومي فيخايمه له ، فنظر خيرى بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، فقال : ويلكم ! أين عقولكم ؟ فوالله ما بمد السلب إلا القتل ، وتناول سيفاً ، وضرب سلسلة كانت على باب المشقر ، فقطعها

(١) كان المكمبر عامل كسرى على البحرين ، واسمه بالفارسية آزاد فردز بن جنس ، وسمته العرب المكمبر : لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل ، وآل ألا يدع من بني تميم عيناً تطرف فقل .
(٢) المشقر : حصن حياه حصن يقال له الصفا ، وبينهما نهر يقال له : محلم (بتشديد اللام) ، بناء رجل من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ (٣) بنو سعد : بطن من تميم .

وقطع يد رجل كان واقفاً بجانبها ، فانفتح الباب ؛ فإذا الناس يُقَتَّلون ، فثارت بنو تميم^(١) .

فلمّا علم هودّة أن القوم قد نذروا به كلم المكعير في مائة من خيارهم ، فوجههم له يوم الفصح^(٢) .

(١) هذه رواية المقد القريد ، وفي الطبري : إن الذي قطع السلسلة هو رجل من بني تميم اسمه عبيد بن وهب أقدم على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال :

تذكرت هندياً لاني حين تذكر	تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها	مصاب الحريف بين زور ومنور
ألا هل آتى قومي على النأي أني	حيث ذماري يوم باب المشفر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة	تفرج منها كل باب مضبر

(٢) وفي ذلك يقول الأعشى يمدح هودّة :

سائل تيمياً به أيام صفقتهم	لما رآهم أسارى كلهم ضمرها
وسط المشفر في غبراء مظلمة	لا يستطيعون بعد الضر منتفعا
فقال للملك أطلق منهم مائة	رسلا من القول مخفوضاً ومارضا
فك عن مائة منهم إسام	وأصبحوا كلهم من غلة خلها
بهم تحرب يوم الفصح ضاحية	يرجو الإله بما أسدى وما صنفا
فلا يرون بناكم لعمرة سبت	إن قال قاتلها خطأ بها وسفا

٢- يَوْمُ ذِي قَار

كان منزل أيوب^(١) بن مَعْرُوف في اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصابَ دماً في قومه ، فهرَّب ، ولحق بأوس بن قلام^(٢) الحارثي بالحيرة ، وكان بينهما نَسَبٌ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ ، فلما قدم عليه أكرمه ، وأنزله في داره ، فكث معه ما شاء الله أن يمكث .

ثم إن أوساً قال له : يا بنَ خال ؛ أتريد المقامَ عندي وفي داري ؟ فقال له : نعم ، فقد علمتُ أني إن أتيت قومي ، وقد أصبْتُ فيهم دماً ، لم أسلم ، ومالي دارٌ إلا دارُك آخر الدهر . قال أوس : إني قد كبرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يعرفَ ولدي لك من الحقِّ مثل ما أعرف ، وأخشى أن يقعَ بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكان في الحيرة إليك فأعلمني به لا تُطعِكَه أو أبتاعه لك . فاختار موضعاً في الجانب الشرقي من الحيرة ، فابتاعه له بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليه مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل ببرعائها وفساً وقينته^(٣) . فكث في منزل أوس حتى هلك ؛ ثم تحوَّل إلى داره بعد مماتِ أوس ،

* لبكر على المعجم . ووقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : اليوم أول يوم اتصفت فيه العرب من المعجم وبني نصر . وذو قار ماء لبكر قريب من الكوفة . وبعد هذا اليوم من مفاخر بكر .

المقد الفريد ص ٣٧٤ ج ٣ ، تاريخ الطبري ص ١٤٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٢٨٩ ج ١ ، الأغاني ص ٩٧ ج ٢ (طبعة دار الكتب) ص ١٣٢ ج ٢٠ طبعة الساسي ، خزنة الأدب ص ٣٤٣ ج ١ ، النفاثي ص ٦٣٨ (طبع أوروبا) ، معجم البلدان ص ٣٥٢ ج ٣ ، ص ٨ ج ٧ .
(١) روى عن ابن الأعرابي أنه أول من سمى أيوب من العرب .
(٢) هكذا ضبط في الأغاني والطبري . (٣) القينة : الأمة .

وَاتَّبَعُوا بِالْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحَيِرةِ ؛ وَعَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ وَحَقَّ ابْنِهِ زَيْدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ
مَلِكٌ يَمْلِكُ إِلَّا وَلِيُّكَ أَيُّوبُ مِنْهُ جَوَائِزُ وَحُلَلَانٌ ^(١) .

ثم إن زَيْدَ بْنَ أَيُّوبٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ آلِ قَلَّامٍ ، فَوَلَدَتْ حَمَادًا ، ثُمَّ خَرَجَ
زَيْدٌ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ يَرِيدُ الصَّيْدَ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْحَيِرةِ ، وَهُوَ مُتَنَدُّونَ ^(٢) بِحَفِيرٍ ،
فَانْفَرَدَ فِي الصَّيْدِ ، وَتَبَاعَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي امْرِئِ الْقَيْسِ الَّذِينَ
كَانَ لَهُمُ الثَّأْرُ قَبْلَ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ — وَقَدْ عَرَفَ فِيهِ شَبَهَ أَيُّوبَ — يَمْنُ الرُّجُلُ ؟
قَالَ : مَنْ بَنِي تَيْمٍ قَالَ : مَنْ أَيُّهُمْ ؟ قَالَ : مَرَّتِي ^(٣) . قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : وَأَيْنَ مَنْزِلُكَ ؟
قَالَ : الْحَيِرةُ قَالَ : أَمِنْ بَنِي أَيُّوبِ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ بَنِي أَيُّوبِ ؟
وَأَسْتَوْحِشُ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ ، وَذَكَرَ الثَّأْرَ الَّذِي هَرَبَ أَبُوهُ مِنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : سَمِعْتُ بِهِمْ ،
وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ . فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : فَنَ أَيْ الْعَرَبِ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا امْرَأُ مِنْ
طَيْيٍّ ، فَأَمِنَهُ زَيْدٌ وَسَكَتَ عَنْهُ . ثُمَّ إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ تَفَقَّلَ زَيْدًا ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ
بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَفَلَقَ قَلْبَهُ ، فَلَمْ يَرَمْ ^(٤) حَافِرُ دَابَّتِهِ حَتَّى مَاتَ .

ولبت أصحابُ زَيْدٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ طَلَبُوهُ ؛ وَقَدْ افْتَقَدُوهُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ
أَمَنَّ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، فَبَاتُوا يَطْلُبُونَهُ حَتَّى يَبْسُوهُ مِنْهُ ، ثُمَّ غَدَوْا فِي طَلَبِهِ ، فَاقْتَمَوْا
أَثَرَهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ، وَرَأَوْا مَعَهُ أَثَرَ رَاكِبٍ يُسَآيِرُهُ ، فَاتَّبَعُوا الْأَثَرَ حَتَّى وَجَدُوهُ قَتِيلًا ؛
فَعَرَفُوا أَنَّ صَاحِبَ الرَّاحِلَةِ قَتَلَهُ ، فَاتَّبَعُوهُ ، وَأَغْدَوْا السَّيْرَ ؛ فَأَدْرَكُوهُ مَسَاءَ اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ ،
فَصَاحُوا بِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَرْمَى النَّاسِ ؛ فَامْتَنَعَ مِنْهُمْ بِالنَّبْلِ ، حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛

(١) الحُلَلَانُ : مَا يُعْمَلُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَابِّ فِي الْهَبَةِ خَاصَّةً (٢) اتَّسَدَى الْقَوْمُ : اجْتَمَعُوا ؛ وَحَفِيرٌ :
مَوْضِعٌ بِالْحَيِرةِ ، ذَكَرَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي شِعْرِهِ ، قَالَ :

قَدْ أَرَانَا وَأَهْلَنَا بِحَفِيرٍ نَحْمِبُ الدَّمْرَ وَالسِّنِينَ شُهُورًا

(٣) مَرَّتِي : نِسْبَةٌ إِلَى امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ (مِنْ قِبَائِلِ تَيْمٍ) . (٤) لَمْ يَرَمْ : لَمْ يَدْرَحْ .

وقد أصاب رجلاً منهم في مَرَجٍ (١) كتفيه بسهم ، فلما أجنَّ الليلُ مات وأفلت الرّامي ، فرجموا وقد قُتلَ زيدٌ ورجلٌ آخر معه .

فكث حماد بن زيد في أخواله حتى أَيْفَعَ (٢) ، ولحق بالوصفاء (٣) ، ثم نَحَوَلَ إلى دار أبيه ؛ وتعلَّم الكتابة فيها ، فكان أولَ من كتب من بني أيوب ، وخرج من أكتبَ الناس ؛ وطُلبَ حتى صار كاتب النعمان الأكبر (٤) ؛ فلبث كاتباً له ؛ حتى وُلِدَ له ابنه زيد ؛ وكان لحَمَادُ صديق من الدّهَاقين (٥) ، ولما حضرته الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدّهَقَانِ ، فأخذه إليه فكان مع ولده ، وكان زيد قد حَدَقَ الكتابة والرماية قبل أن يأخذه الدّهَقَانُ ، فلما أخذه علَّمه الفارسية فَلَقِنَهَا .

ثمَّ إنَّ الدّهَقَانِ أشار على كسرى أن يجعلَ زيداً على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعلُ ذلك إلا بأولاد المَرَّازِيَةِ (٦) ، فكث يتولَّى ذلك لكسرى زماناً . ثم إن النعمان هلك ، فاختلف أهلُ الحيرة فيمن يملُكونه إلى أن يَمَقِدَ كسرى الأمرَ لرجل يُنصِّبُه ، فأشار عليهم الدّهَقَانُ بزيد بن حماد ؛ فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء (٧) .

ثم إن زيداً تزوَّجَ نعمة بنت ثعلبة المدوية ، فولدت له عدياً ، وولد للدّهَقَانِ ابن سماء شاهان مرْد ، فلما تحرَّك عدي بن زيد وأَيْفَعَ طَرَحَه أبوه في الكتَّاب ،

(١) مرجع كتفيه : أسفلهما (٢) أَيْفَعَ : يقال : أَيْفَعَ الغلام إذا شارف الاحتلام .

(٣) الوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق (٤) هو النعمان بن امرئ القيس حكم ثمانية وعشرين عاماً ، وترك الملك سنة ٤٣١ م (٥) الدهاقين : جمع دهقان وهو التاجر (٦) المرزبان : أحد مرابذة الفرس ، وهو الفارس الشجاع القدم على القوم (٧) هو المنذر بن امرئ القيس ، وماء السماء اسم أمه ، وكان أشهر ملوك الحيرة ، وهو صاحب يومى النعم والبؤس توفي سنة ٥٦٣ م .

حتى إذا حَدَقَ أرسله الدّهقان مع ابنه إلى كُتّاب الفارسية ، فكان يختلف إليه مع ابنه ،
ويتعلّم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية ؛
وقال الشعر ، وتعلّم الرّمي بالنّشاب ، نخرج من الأساورة^(١) الرّثامة ، وتعلّم لعب
المعجم على الخيل بالصّوّالجة^(٢) وغيرها .

ثم إن الدّهقان وفّد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرّده ، فأثبّته كسرى مع
سائر أولاد الدّهقان في صحابته ؛ فقال الدّهقان لكسرى : إن عندي غلاماً^(٣)
من العرب خلّفه أبوه في حِجْرى فربّيته ؛ فهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربية
والفارسية ، والمكّ مُحتاجٌ إلى مثله ؛ فإن رأى أن يُثبّته مع ولدي فعمل ، فقال :
اذعّه ، فأرسل إلى عدى ، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحسّن ، وكانت الفُرسُ تتبرّك
بالوجه الجميل ؛ فلما كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغب فيه ، وأثبّته
مع ولد الدّهقان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى .

فرغب أهلُ الحيرة إلى عدى ورهبوه ، ولم يزل بديوان كسرى في المدائن
يؤذّن له عليه في الخاصّة ، وهو مُعجب به قريب منه ؛ وأبوه زيد يومئذٍ حيّ ، إلا أن
ذكر عدى قد ارتفع ونخل ذكر أبيه ، فكان عدى إذا أراد المقام بالحيرة استأذن
كسرى ، فأقام في أهله الشهرَ والشهرين ، وأكثّر وأقلّ ، ثم يعود .

ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهديّة من طُرف ما عنده ، فلما أتاه عدى
بها أكرمه ، وحمله إلى عمّاله على البريد ليريه سعة أرضه ، وعظيم مُلكه ؛ وكذلك
كانوا يصنعون ؛ فنّ ثم وقع عدى بدمشق ، وقال فيها الشعر . وكان مما قال :

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الجيد الرمي بالسهم (٢) الصوالجة : جمع صولجان ،
وهو عصا يطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (٣) يريد عدى بن زيد .

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزْعِ مِنْ دُو مَةَ^(١) أَشْهَى إِلَى مِنْ جَبْرُونَ^(٢)
 وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَا لُوا وَلَا يَرْهَبُونَ صَرْفَ النَّوْنِ
 قَدْ سَقِيتُ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشَرٍ قَهْوَةً مُزَّةً^(٣) بِمَاءِ سَخِينٍ
 وَفَسَدَ أَمْرُ الْحَيْرَةِ ، وَعَدَى بِدَمَشَقَ ؛ حَتَّى أَصْلَحَ أَبُوهُ زَيْدٌ بَيْنَهُمْ ؛ إِذْ أَنْ أَهْلَ
 الْحَيْرَةِ حِينَ كَانَ عَلَيْهِمُ النَّذْرُ أَرَادُوا قَتْلَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَمْدِلُ فِيهِمْ ؛ وَكَانَ يَأْخُذُ مِنْ
 أَمْوَالِهِمْ مَا يُعْجِبُهُ ؛ فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ الْحَيْرَةِ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ بَعَثَ إِلَى زَيْدٍ ،
 فَقَالَ لَهُ : يَا زَيْدُ ؛ أَنْتَ خَلِيفَةُ أَبِي ، وَقَدْ بَلَّغَنِي مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَيْرَةِ ، فَلَا حَاجَةَ
 لِي فِي مُلْكِكُمْ ، دُونَكُمْ ، مَلِكُوهُ مِنْ شَيْئٍ . فَقَالَ زَيْدٌ : إِنْ الْأَمْرَ لَيْسَ إِلَيَّ ،
 وَلَكِنِّي أَسْبِرُ لَكَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَلَا آلُوكَ نَصْحًا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى النَّاسِ خَيَّوَهُ تَحِيَّةَ الْمَلِكِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَلَا تَبْعَثُ إِلَى عَبْدِكَ
 الظَّالِمِ (يَعْنُونَ النَّذْرَ) فَتُرْجِعَ مِنْهُ رَعِيَّتَكَ ؟ فَقَالَ لَهُمْ : أَوْ لَا خَيْرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا :
 أَيْشَرُ عَلَيْنَا ؛ قَالَ : تَدْعُونَهُ عَلَى حَالِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُلْكٍ ، وَأَنَا آتِيهِ فَأُخْبِرُهُ
 أَنَّ أَهْلَ الْحَيْرَةِ قَدْ اخْتَارُوا رَجُلًا يَكُونُ أَمْرُ الْحَيْرَةِ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ غَزَوًا وَقِتَالًا ،
 فَلَكَ اسْمُ الْمَلِكِ ، وَلَيْسَ إِلَيْكَ سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ . قَالُوا : رَأَيْتُكَ أَفْضَلَ .

فَأَتَى النَّذْرَ فَأُخْبِرَهُ بِمَا قَالُوا ، فَقَبِلَ ذَلِكَ وَفَرَحَ ، وَقَالَ : إِنْ لَكَ يَا زَيْدُ عَلَى
 نِعْمَةٍ لَا أَكْفُرُهَا مَا عَرَفْتُ حَقَّ سَبْدٍ^(٤) . فَوَلَّى أَهْلَ الْحَيْرَةِ زَيْدًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِوَى
 اسْمِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُمْ أَقْرَبُوهُ لِلنَّذْرِ .

ثُمَّ هَلَكَ زَيْدٌ ، وَعَدَى بِالشَّامِ ، وَكَانَ لَزِيدٍ أَلْفُ نَاقَةٍ لِلْحِمَالَاتِ^(٥) ، كَانَ

(١) دومة : من منازل جذيمة الأبرش (٢) جبزون : بناء عند باب دمشق (٣) المزة :
 الحمر اللذيذة الطعم (٤) سبد : صنم كان لأهل السكوفة (٥) الحمالات : جمع حمالة (بالفتح)
 وهي الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولّوه ما ولّوه ؛ فلما هلك أرادوا أخذها ، فبلغ ذلك النذر ، فقال : لا ، واللّاتِ والمزّى لا يؤخذ ممّا كان في يد زيد تُفروق^(١) ، وأنا أسمع الصوت .

ثم إن عدياً قدم المدائن على كسرى بهديّة قيصر ، فصادف أباه والدّهقان الذي ربّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الإلام بالحيرة ، فأذن له ، فتوجّه إليها ، وبلغ النذر خبره ، فخرج فلتقاه في الناس ، ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يملكوه للمكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللّهو واللّعب على الملك ، فكث سنين يَبْدُو^(٢) في فصلى السنة ، فيقيم في جَفير^(٣) ويشتو بالحيرة ، ويأتى المدائن في خلال ذلك ، فيخذه كسرى ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هنداً بنت النعمان بن النذر ، وهى يومئذ جارية حين بَلَغَتْ أو كادت .

٢

كان للنذر ابنان : أحدهما النعمان ، وكان في حجر آل عدى بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربّوه ، وكان له ابن آخر في حجر بنى مَرينا^(٤) ، وكان له سواهما من الولد عشرة ، وكان يقال لولده الأشاهب^(٥) لجلالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش^(٦) قصيراً ، فلما احتضر النذر أوصى بأولاده إلى إياس بن قبيصة

(١) قال الأسعى : التفروق : قمع التمرة والبصرة ، يكنى به من القلة ، فيقال : ماله تفروق ، أى ماله شيء . (٢) يبدو : يخرج إلى البادية . (٣) جفير : موضع بنجد . (٤) بنو مَرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد . (٥) الصهباء في الأصل تطلق على البيضاء التى يظف على السواد ، وقد يطلق على مطلق البيضاء ، قال الأعشى في بنى النذر :

وبنى النذر الأشاهب في الحسيرة يمشون غداة كالسيوف

(٦) الأبرش : الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

الطائي ، وملّكه على الحبرة إلى أن يرى كسرى رأيه ، فكث مملّكا عليها أشهراً ، وكسرى بن هرمز في طلب رجل يملّكه عليهم ، فقال لعدى : مَنْ بقى من آل النذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خير ؟ فقال : نعم ، أيها الملك السعيد ، إن في ولد النذر لبقيةً ، وفيهم كلُّهم خير ، فقال : ابث إليهم فأحضّرهم .

فبث عدى إليهم فأنزلهم جميعاً عنده ، ثم قال للنمان : لست أملك غيرك ، فلا يُوحِشَنَّك ما أفضّل به إخوانك عليك من الكرامة ، فإنّ إنّا أغترّهم بذلك ، ثم كان يفضل إخوانه جميعاً في النزّل والإكرام والملازمة ، ويُريهم تنقّصاً للنعمان ، وإنّه غير طامع في تمام أمره على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً ، فيقول : إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أغرّ ثيابكم وأجلّها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فنباطثوا في الأكل وصنّفوا اللّقم ، ونزّروا ما تأكلون ، فإذا قال لكم : أنكفوني العرب ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد أنكفوننيهِ ؟ فقولوا : لا ، إن بعضنا لا يقدرُ على بعض ؛ ليهابكم ولا يطمع في تفرّقكم ، ويعلم أن للعرب منّةً وبأساً ، فقبّلوا منه ؛ وخلا بالنمان ، وقال له : ألبس ثياب السفر ، وادخل متقلداً سيفك ، وإذا جلست للأكل فمظّم اللّقم ، وأسرع المضغ والبكع ، وزد في الأكل ، وتجوّع قبل ذلك ، فإن كسرى يعجبه الأكل من العرب خاصّة ، ويرى أنه لا خير في العربي إذا لم يكن أكولاً شرّها ، ولا سيباً إذا رأى غير طعامه ، وما لا عهد له به ، وإذا سألك : هل تكفيني العرب ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك : فن لي بإخوانك ؟ فقل له : إن هجرتُ عنهم فإنّ عن غيرهم لأعجز .

وخلا ابن مَرّينا بالأسود أخيه فسأله عمّا أوصاه به عدى فأخبره . فقال : غشّك والصليب والممودية ، وما نصّحك ، ولئن أطمعتني لفتخالفنّ كلّ ما أمرك به ،

وَلْتَمَلَّكَنَّ ، وَلَيْنُ عَصِيَّتِي لِيَمَلَّكَنَّ النِّمَانُ ! وَلَا يَفْرَنْكَ مَا أَرَاكَ مِنَ الْإِكْرَامِ
وَالْتَفْضِيلِ عَلَى النِّمَانِ ، فَإِنْ ذَلِكَ دَهَاءٌ مِنْهُ وَمَكْرٌ ؛ وَإِنْ هَذِهِ الْمَدِيَّةُ لَا تَخْلُو مِنْ
مَكْرٍ وَحِيلَةٍ . فَقَالَ : إِنْ عَدِيًّا لَمْ يَأْلَنِ نُصْحًا ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِكَسْرِ مِنْكَ ، وَإِنْ
خَالَفْتُهُ أَوْ حَشْتُهُ وَأَفْسَدَ عَلَيَّ ، وَهُوَ جَاءُ بِنَا وَوَصَفْنَا ، وَإِلَى قَوْلِهِ يَرْجِعُ كَسْرِي .
فَلَمَّا أَيْسَ ابْنُ مَرْينَا مِنْ قَبُولِهِ مِنْهُ قَالَ : سَتَعْلَمُ .

وَدَعَا بِهِمْ كَسْرِي ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ أُعْجِبَهُ بَجَائِلُهُمْ وَكَلَامُهُمْ ، وَرَأَى رَجُلًا
قَلَمًا رَأَى مِثْلَهُمْ ، فَدَعَا لَهُمُ بِالطَّعَامِ فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ عَدِيٌّ ، فَجَمَلُ يَنْظُرُ إِلَى النِّمَانِ
مِنْ بَيْنِهِمْ وَيَتَأَمَّلُ أَكْلَهُ ، فَقَالَ لِمَدَى بِالْفَارِسِيَّةِ : إِنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ مِنْ
هَذَا . فَلَمَّا غَسَلُوا أَيْدِيَهُمْ جَمَلُ يَدْعُو بِهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَيَقُولُ : أَنْكَفِيَنِ الْعَرَبُ ؟
فَيَقُولُ : نَعَمْ ، إِلَّا إِخْوَتِي ، حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى النِّمَانِ آخِرُهُمْ ، فَقَالَ : أَنْكَفِيَنِ الْعَرَبُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَلَّمَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ لِي بِإِخْوَتِكَ ؟ قَالَ : إِنْ عَجَزْتُ
عَنْهُمْ فَإِنِّي مِنْ غَيْرِهِمْ أَعْجَزُ . فَلَمَّا خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَالتَّبَسَّهُ تَابَجًا قِيَمْتُهُ سِتُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ فِيهِ اللَّوْلُؤُ وَالذَّهَبُ .

فَلَمَّا خَرَجَ - وَقَدْ مَلَكَ - قَالَ ابْنُ مَرْينَا لِلْأَسْوَدِ : فَوْنِكَ عُقْبِي خِلَافِكَ لِي .
ثُمَّ صَنَعَ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ طَعَامًا ، وَدَعَا عَدِيَّ بْنَ مَرْينَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ
صَاحِبَكَ الْأَسْوَدَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ يُمَلِّكَ مِنْ صَاحِبِي النِّمَانِ ، فَلَا تَكُنْ عَلَى شَيْءٍ
كَنْتُ عَلَى مِثْلِهِ ، وَإِنِّي أَحِبُّ أَلَّا تَحْقِدَ عَلَيَّ شَيْئًا لَوْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ رَكْبَتَهُ ، وَإِنْ نَصَبِي
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِأَوْفَرٍ مِنْ نَصِيكِ ، وَحَلْفُ ابْنِ مَرْينَا أَلَّا يَهْجُوهُ ، وَلَا يَفِيهِ
خَائِلَةٌ أَبَدًا . فَقَامَ ابْنُ مَرْينَا وَحَلْفَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَهْجُوهُ وَيَبْغِيهِ الْفَوَائِلَ مَا بَقِيَ ، وَقَالَ :

ألا أبلغ عدياً عن عدى فلا تجزع وإن رئت^(١) قواكا
فإن تظفر فلم تظفر جيداً وإن تمطب^(٢) فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكسبي^(٣) لا رأيت عيناك ما صنعت يداكا

ثم قال عدى بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تمجزن أن تطلب بشارك من هذا الممدى الذى فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرتك أن ممدداً لا ينم كيدوها ومكرها ، وأمرتك أن تمصيه فخالفتنى . قال : فأتريد ؟ قال : أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على ، ففعل .

وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة ، فلم يكن فى الدهر يوم يأتي إلا على باب النمان هدية من ابن مرينا ، وكان إذا ذكر عدى بن زيد عند النمان أحسن الثناء عليه ، وشيخ ذلك بأن يقول : إن عدى بن زيد فيه مكر وخديعة ، والممدى لا يصلح إلا هكذا .

فلما رأى من يطيف بالنمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يشق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا له : إنه لكذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النمان - طامله ، وإنه هو ولآه ما ولآه ؟ فلم يزالوا به حتى أضغنوه عليه ؛ فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قهرمان^(٤) له ، ثم دسوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه ؛ وأتوا به النمان فقراء ؛ فاشتد غضبه ، فأرسل إلى عدى بن زيد : عزمت عليك إلا زرتنى ،

(١) رئت : ضمنت (٢) عطب كفرح : هلك (٣) الكسبي منسوب إلى كسح ، وهو حى من قبس عيلان ، والكسبي رجل رام ، رى بمد ما أظلم الليل عيراً فأصابه وطن أنه أخطأه ، فكسر قوسه ثم ندم من الفدحين نظر إلى الغير مقتولا وسبه فيه ، فصار مثلاً لكل تادم على ضله (٤) القهرمان هنا : أمين الملك وخاصته عند القرس .

فأني قد اشتقتُ إلى رؤيتك - وعدى يومئذ عند كسرى - فاستأذن كسرى فأذن له؛
فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في مخبئ لا يدخل عليه فيه أحد؛ فجعل عدى
يقول الشعر، وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس:

ليت شعري عن الهام ويأتي لك بخبر الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا المسال والآذ فُسْ إذ ناهدوا ليوم الحال^(١)
ونضالي في جنبك الناس يرمو ن وأرني وكلنا غير آلي^(٢)
فأصيب الذي تريد بلا غش ن وأرني عليهم وأوالي
ليت أني أخذت حثفي بكفة و ولم ألق ميتة الأقتال^(٣)
محلوا محلهم^(٤) لصرعتنا العا م فقد أوقموا الرحا بالثقال^(٥)

وقال:

سمى الأعداء لا يألون شرًا على ورب مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدى ليسجن أو يدفده في القلب^(٦)
وكنتم لراز^(٧) خصمكم لم أعرد^(٨) وقد سلكوك في يوم عصب
أعاليهم وأبطن كل سر كما بين اللحاء إلى المسيب^(٩)
ففزت عليهم لما التقينا بتاجك فوزه القدر الأريب

(١) إخطار المال والأنفس: بنهما . والناهضة: المناهضة في الحرب، والحال: الكيد والمكر
(٢) غير آلي: غير مقصر (٣) الأقتال: جمع قتل وهو العدو (٤) يقال: محل فلان
بصاحبه إذا سعى به إلى السلطان (٥) الثفال: الجلد الذي يسط تحت رجا اليد ليق الطحين من
التراب (٦) دمهده الشيء: حذره من علو إلى سفلى، والقلب: البئر (٧) أى لا أذع
خصمك يخالف ويماند (٨) عرد: هرب وفر (٩) المسيب: جريئة من النخل مستقيمة
دقيقة يكشط خوصها . واللحاء: قعر الشجر . والمراد: أن السريتي عنده مكتوماً .

وما دَهْرِي^(١) بَأَنْ كُدِّرَتْ فُضْلًا ولكن ما لقيتُ من العجيب
ألا من مُبْلَغِ النعمانِ هني وقد تُهْدَى النصيحة بالغب
أحطى كَان سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغُلًّا وَالْبَيَانُ لَدَى الطَّيِّبِ
أَتَاكَ بِأَنْتَى قَدْ طَالَ حَبْسِي ولم تَسَامُ بِمَسْجُونِ حَرِيبِ^(٢)
وَبِنَى مُقْفِرٍ إِلَّا نَسَاءً أَرَامِلٌ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَحِيبِ
يَادِرُنِ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ كَشَنَ خَانَهُ خَرَزَ الرَّيِّبِ^(٣)
يُحَاذِرُنِ الْوِشَاءَ عَلَى عَدِيٍّ وما اقْتَرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ
فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمْرًا قَدْ يَهِيمُ الْمُصَافِي بِالْحَبِيبِ
وَإِنْ أَظْلِمُ فَقَدْ عَاقَبْتُمُونِي وَإِنْ أَظْلَمُ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي
وَإِنْ أَهْلِكُ تَجِدُ قَعْدِي وَتُخْذَلُ إِذَا أَلْتَقَتِ الْعَوَالِي فِي الْحُرُوبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَذَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُفَلِّبُ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَأْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ

وَلَمَّا طَالَ سَجْنُ عَدِيٍّ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي - وَهُوَ مَعَ كَسْرِي - بِهَذَا الشَّعْرِ :
أَبْلَغُ أَيْيَا عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ
بَأَنْ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفَوَا دِ كُنْتَ بِهِ وَاتِّقَا مَا سَلِمَ
لَدَى مَلِكٍ مُوْتَقٍّ فِي الْحَدِيدِ إِمَّا بِحَقٍّ وَإِمَّا ظَلِمَ

(١) ما دَهْرِي بكنا أو كذا ، أى ما لمرادى وظائق كذا (٢) الحرب : الذى سلب ماله
(٣) الشن : الخلق من كل آنية صعت من الجلد ، والمراد بالرييب هنا المصلح .

فلا أعرفنك كذاتِ النَّعْلَا م ما لم نجد عارِماً تَقْتَرِمُ^(١)
 فأرضك أرضك إن تاتنا تَم نومة ليس فيها حلم
 فكتب إليه أخوه أبي :

إن بك خانك الزمانُ فلا ما جزُ باع ولا ألف^(٢) ضعيفُ
 وبين الإله لو أن جأوا ، طحوناً تضي فيها السيوف^(٣)
 ذات رزٍ محتابة غمرة المو ت صحيح مير بالها مكفوف^(٤)
 كنت في حمها لجنتك أسمى فاعلمن لو سمعت إذ تستضيف^(٥)
 أو بمالٍ سألت دونك لم نجد نع تلاءد لحاجة أو طريفُ
 أو بأرض أسطيع آتيك فيها لم يهلني بعد بها أو مخوفُ
 ولمعري لن جزيفت عليه لجزوع على الصديق أسوفُ
 ولمعري لن ملكك عزائي لقليل شر وال^(٦) فيها أطوفُ

وذهب أبي أخوه إلى كسرى ، فكلّمه في أمره وعرفه خبره ؛ فكتب إلى
 النعمان يأمره بإطلاقه ؛ وبث معه رجلاً - وكان للنعمان خليفة عند كسرى - فلما
 علم بأمر كسرى في عدى كتب إليه : إنه قد كتب إليك في أمر عدى .
 ولما جاء الرسول دخل على عدى قبل أن يذهب إلى النعمان وقال له : يا عدى ،

(١) أراد بذات الغلام : الأم المرضع ، والعارم الراضع ، ويقال : اعترمت المرأة : تبعت من يعمرها
 أو يعس ثديها . قال في اللسان : المراد إن لم تجد من ترضعه دوت هي خلعت ثديها ، وقال ابن
 الأعرابي : يقال هذا لمن يتكلف ما ليس من شأنه (٢) الألف : الثقل البطيء (٣) الجأواء :
 الكتيبة التي يملأونها السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت .
 (٤) الرز : الصوت ، السربال : القميص ، والمكفوف من كفت الثوب إذا خلت حاشيته .
 ولعله يريد أنها كتيبة سالمة (٥) تستضيف : تستجير (٦) شرواك . مثلك .

إلى قد جئت بإرسالك ؟ فما عندك ؟ فقال : عندي الذي تُحبُّ ، ووعده بعدة سنيّة ؛ وقال له : لا تخرجن من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسله إليه ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلنَّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي النعمان بالكتاب ، فأوصله إليه ، فانطلق بعض من كان هناك من أعدائه ، وأخبر النعمان أن رسول كسرى دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فصل والله لم يستيق منا أحداً أنت ولا غيرك . فبمَث من قتله .

ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ، فقال : نعم وكرامة ، وبمَث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل إليه فخذنه . فلما أصبح الرسول غدا إلى السجن ، فلم يرَ عدياً ، وقال له الحرس . إنه مات منذ أيام ولم نجري على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع الرسول إلى النعمان وأخبره أنه رآه بالأمس ، ولم يره اليوم ، فقال : أيبعث بك الملكُ إلى فتدخل إليه قبلي ! ثم تهدده ورشاه وتوثق منه ألا يُخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله إلى النعمان .

٣

ندم النعمان على قتل عدى ، وعرف أنه قد احتيل عليه في أمره ؛ واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبةً شديدة . ثم إنه خرج للصيد فرأى ابناً لعدى يقال له زيد ، فلما رآه عرف شبهه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدى بن زيد ، فكلّمه فإذا غلام ظريف ؛ ففرح به فرحاً شديداً ، واعتذر إليه من أمر أبيه ، وقرّبه وأعطاه ووصله وجهزه ، وسيره إلى كسرى ووصفه له ، وقال : إن عدياً كان ممن أُعين به الملك في نصحه ولُبه ، فأصابه ما لا بُدَّ منه ، وانقطعت مدّته ، وانقضى أجله ،

ولم يُصَبِّ به أحدٌ أشد من مصيقتي ، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جمل الله له منه خلفاً ، لما عظم الله من مُلكه وشأنه ، وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه ، رأيتُه يصلحُ لخدمة الملك ، فسرَّحتُه إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليُفعلْ ، وليصرفْ عمه^(١) إلى عمل آخر .

فلما وقع زيد بن عدى عند الملك هذا الموقع سألَه عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، وأقامَ عند الملك سنواتٍ بمنزلة أبيه ، وأعجب به كسرى ؛ فكان يكثرُ الدخولَ عليه والخدمة له .

وكانت للملك الأعاجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يَبْتَثُونَ في طلب مَنْ يكون على هذه الصِّفة من النساء ، فإذا وُجِدَتْ مُحِلَّتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ؛ ولا يظنُّونها عندهم ؛ ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصِّفة ، وأمر فكتبَ بها إلى النواحي ؛ ودخل إليه زيدٌ بن عدى ، وهو في ذلك القول ؛ فخاطبه فيما دَخَلَ إليه فيه ، ثم قال : إني رأيتُ الملكَ قد كتبَ في نسوة يُطلَبْنَ له ، وقرأتُ الصِّفة ، وقد كنتُ بآل النذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصِّفة .

قال : فاكتبْ فيهن . قال : أيها الملك ؛ إنَّ شراً شئاً في العرب وفي النعمان خاصةً أنهم يتكبرُمون - زَعَمُوا في أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكرهُ أن يُفَيِّهَنَّ هَمَنٌ تَبعثُ إليه ؛ أو يمرضَ عليه غيرهن ، وإن قَدِمْتُ أنا عليه لم يَقْدِرْ على ذلك ؛ فابثني وابث معي رجلاً من رِقَاتِكَ يفهم العربية ، حتى أبلغَ ما تحبُّه .

(١) كان عمه الذي يلى المسكنية عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواص أمور الملك ، وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة .

فبثّ معه رجلاً جلدًا فهِمَا ، وخرج به زيد ، وجلس بكرم الرجل وَ يُلِطُّهُ
حتى بلغ الحيرة ، ودخلا على النعمان ، فأعظمه زيد وقال له : إن كسرى احتاج إلى
نساءِ لِنَفْسِهِ وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبثّ إليك ؟ قال :
ما هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صِفَتُهُنَّ قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن النذر الأكبر أهدى إلى أنوشر وآن جارية كان أصابها
إذ أغار على الحارث الأكبر أبي شمر الفسّاني ؛ وكتب إليه بصفتها ، وبقيت
هذه الصفة إلى أيام كسرى بن هرمز حتى أرسل بها إلى النعمان مع زيد
ورفيقه ، وهى :

« إني قد وجهتُ إلى الملك جارية معتدلة الخلق ، هَيَّة اللون والثَّمر ، بيضاء
قَمَرَاء ، وَطَفَاءً ^(١) ، كَحَلَاءَ ، دَعَجَاء ^(٢) ، حَوْرَاءَ ^(٣) ، عَيْنَاءَ ^(٤) ، قَنَوَاءَ ^(٥) ،
شَمَاءَ ^(٦) ، بَرَجَاءَ ^(٧) ، زَجَاءَ ^(٨) ، أَسِيلَةَ ^(٩) الخَدَّ ، شَمِيَّةَ الْقُبْل ، جَنَلَةَ ^(١٠) الشعر ،
عظيمة الهامة ، بعيدة مَهْوَى القُرْط ، عَيْطَاءَ ^(١١) ، هريضة الصدر ، كاعب الثَدْي ،
ضَخْمَةً مُشَاشٍ ^(١٢) النَّسِيبِ والمضدِّ ، حسنة المِصَمِّ ، لطيفة الكفِّ ، سَبْطَةً
الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، نَحِيصَةَ الْخَصْرِ ، غَرَّتِي ^(١٣) الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ ^(١٤) الْأَقْبَالِ ،

(١) الوطفاء : فرزة الأهداب وشعر الحاجبين (٢) الدمعج : شدة سواد العين وشدة
ياض ياضها (٣) الحور : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستعارة
(٤) العين : سمة العين (٥) القنا : ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديباب في وسطه ، وسبوغ
في أعلاه (٦) الشم في الأنف : ارتفاع القصة (٧) البرجاء : الجميلة الحسنة (٨) الزجاء :
دقيقة الحاجبين في طول (٩) الحد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس (١٠) الجنل من
الشعر : للكتيف الأسود (١١) البطاء : الطويلة العنق (١٢) للشاشة : رأس العظم
الممكن المضغ (١٣) غرث الوشاح : دقيقة الخصر (١٤) الروداح : العجزاء الغليظة الأوراك
التامة الخلق . والأقبال : ما استبقت من مصرف .

راية الكفل ، لقاء^(١) الفخذين ، ربا الروادف ، ضخمة الماكمتين^(٢) ،
مفعمة^(٣) الساق ، مشبمة^(٤) الخخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف^(٥) المشي ،
مكسال الضحا^(٦) ، بضة^(٧) التجرد ، سموع السيد ، ليست بمجنساء^(٨) ولا سقماء^(٩) ،
رقية الأنف ، عزيزة النفر ، لم تُفد في بؤس ، حبيبة رزينة ، حليلة ركنية ،
كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون ججاج
قبيلتها ، قد أحكمها الأمور في الأدب ، فرأيتها رأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل
الحاجة ، صناع الكفين ، قطيعة^(١٠) اللسان ، رهوة^(١١) الصوت ساكنته ،
تزين الولي ، وتشين العدو (١٢) .

ولما قرأ زيد هذه الصفة على النعمان شق عليه ، وقال لزيد ، والرسول يسمع :
أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد
بالفارسية : ما لها والعين ؟ فقال له بالفارسية : « كاوان » أى البقر ؛ فأمسك الرسول ،
وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم
يكتب إليك به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك
ليس عندي ، وقال لزيد : اغدري عند الملك .

فمادا إلى كسرى ، فقال زيد للرسول الذى قدم معه : اصدق الملك عما سمعت ،
فانى سأحدثه بمثل حديثك ، ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى قال زيد :

-
- (١) لقاء : ضخمة الفخذين مكتنزة (٢) الماكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين
(٣) مفعمة الساق : ممتلئها (٤) كناية عن السمس (٥) وصف من القطاف ، وهو تقارب
الخطو (٦) المكسال : المرأة التى لا تكاد تخرج مجلسها ، وهو مدح عندم (٧) البضة :
الناعمة (٨) الخنس : قرب من القطس (٩) النفع : السواد (١٠) ليست سليطة
(١١) رهوة : رقيقة (١٢) حذفت بعض المبارات السهجة .

هذا كتاب النعمان إليك ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنت
خبرتني به ؟ قال : كنتُ خبرْتُكَ بضِئْتِهِمْ بنسائهم على غيرهم ، وإنَّ ذلك من
شَقائهم واختِيارهم الجوعَ والمُرَى على الشَّيع والرياش ، وإِشارهم السَّوم والرياح
على طيبِ أرضِكَ هذه ، حتى إنهم ليسمونها السَّجن ، فسل هذا الرَّسول الذى كان
معي عمَّا قال ، فإني أُكْرِمُ الملكَ عن مُشافهته بما قال ، وأُجاب به . فقال للرسول :
وما قال ؟ فقال الرسول : أيها الملك ؛ إنه قال : أما في بَقَرِ السَّواد وفارسٍ ما يكفيه
حتى يطلب ما عندنا ؟ فُغِرَفَ الغضبُ في وجهه ، ووقع في قلبه ما وَقَعَ ، ولكنه
لم يزد على أن قال : رَبِّ عَبْدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ، ثم صار أمرُه
إلى التَّيَباب .

وشاع هذا الكلامُ حتى بَلَغَ النُّعمان ، وسكت كِسرى أشهراً على ذلك ،
وجعل النعمانُ يستعدُّ ويتوقَّع ، حتى أتاه كتاب كِسرى : أن أقبل ، فإن للملك
حاجةً إليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه ، فحمل سلاحه ، وما قَوَّى عليه ، ثم لحق
بجَبَلَى طَبِيِّ ، وكان متزوَّجاً إليهم^(١) ، فأراد النعمانُ طيِّباً على أن يُدْخِلوه الجَبَلَيْنِ
وَيَمْنَعُوهُ ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، وقالوا له : لولا صَهْرُكَ لقتلناكَ ، فإنه
لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقةَ لنا به .

٤

فأقبل يطوفُ على قبائل العرب ليس أحداً منهم يقبله ، غيرَ أن بني رَوَاحَةَ

· (١) كانت عنده فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وكذلك كانت عنده زينب بنت أوس
ابن حارثة .

ابن قُطَيْمَةَ بن عَبْس قالوا : إن شئت قاتلنا مَعَكَ - لِنَتَّكَ كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُمْ . قَالَ :
مَا أَحَبُّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِكَسْرِي .

ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ فِي ذِي قَارٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ^(١) سِرًّا ، فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودٍ^(٢)
الشَّيْبَانِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا - فَاسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ لَزِمَنِي ذِمَّتُكَ ، وَأَنَا
مَانِعُكَ مِمَّا أَمْنَعُ نَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي مِنْهُ ، مَا بَقِيَ مِنْ عَشِيرَتِي الْأَذْنَيْنِ رَجُلٌ ، وَإِنْ
ذَلِكَ غَيْرُ نَافِعٍ لَكَ ، لِأَنَّهُ مُهْلِكِي وَمُهْلِكُكَ ، وَعِنْدِي رَأْيٌ لَكَ ، لَسْتُ أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ
لَأَدْفَعَكَ عَمَّا تَرِيدُهُ مِنْ مُجَاوَرَتِي ، وَلَكِنَّهُ الصَّوَابُ . فَقَالَ : هَاتِنَا ، فَقَالَ : إِنْ كُلُّ
أَمْرٍ يَجْمَلُ بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمُلْكِ سُوقَةً ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ
بِكُلِّ أَحَدٍ ، وَلَئِنْ تَمَوْتَ كَرِيمًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَجَرَّعَ الدُّلَّ أَوْ تَبْقَى سُوقَةً بَعْدَ الْمُلْكِ ،
هَذَا إِنْ بَقِيتَ ؟ فَاغْضُ إِلَى صَاحِبِكَ ، وَاحْمِلْ إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالَ ، وَأَلْقِ بِنَفْسِكَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، فَإِنَّمَا أَنْ صَفَّحَ عَنْكَ فَعُدْتَ مَلِكًا عَزِيزًا ، وَإِنَّمَا أَنْ أَصَابَكَ فَالَوْتُ خَيْرٌ مِنْ
أَنْ يَتَلَبَّ بِكَ صَعَالِيكُ الْعَرَبِ وَيَتَخَطَّفَكَ ذُنَابُهَا ، وَتَأْكُلَ مَالَكَ وَتَعِيشَ فَقِيرًا
مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلَ مَقْهُورًا . فَقَالَ : كَيْفَ بِمَجْرَعِي ؟ قَالَ : هُنَّ فِي ذِمَّتِي لَا يُخْلَصُ
إِلَيْهِنَّ حَتَّى يُخْلَصَ إِلَى بَنَاتِي . فَقَالَ : هَذَا وَأَيُّكَ الرَّأْيُ الصَّحِيحُ وَلَنْ أَجَاوِزَهُ .

ثُمَّ اخْتَارَ النِّعْمَانَ خِيَلًا وَحُلَلًا مِنْ عَصَبِ^(٣) الْيَمِينِ ، وَجَوْهَرًا وَطُرْقًا كَانَتْ عِنْدَهُ ،
وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى كَسْرِي ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَعْتَذِرُ ، وَيُغْلِمُهُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ ، وَوَجَّهَ بِهَا

(١) شَيْبَانَ : بَطْنٌ فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ (٢) وَفِي رِوَايَةٍ : إِنَّ هَانِيَّ بْنَ مَسْعُودٍ لَمْ يَدْرِكْ هَذَا
الْأَمْرَ ، وَإِنَّمَا هُوَ هَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ هَانِيٍّ بْنِ مَسْعُودٍ (٣) الْعَصَبُ : نَوْعٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمِينِ يَعْصِبُ
غَزْلَهُ ، أَيْ يَشَدُّ وَيَجْمَعُ ثُمَّ يَصْبِغُ وَيَنْسِجُ .

مع رسوله ، فقبلها كسرى ، وأمره بالقدوم عليه ، فماد إليه الرسولُ فأخبره بذلك ، وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءاً .

فضى إليه بعد أن استودع هاني بن مسمود خلّفته وأهله وولده وألف شِكة^(١) ، حتى إذا وصل إلى المدائن^(٢) لقيه زيدُ بن عديّ على قنطرة سَابَاط^(٣) ، فقال له : انجُ نعيمَ إن استطلعت النجاء . فقال له : أفصلتها يا زيدُ ؟ أما والله لئن عشتُ لك لأقتلك قِتلة لم يُقتلها عربي قطّ ؛ ولألحقنك بأبيك . فقال له زيد : امضِ لشأنك نعيمَ ، فقد أخيتُ لك أخية^(٤) لا يقطعها المهر الأرن^(٥) .

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعثَ إليه فقيده وبعث به إلى سِجْن^(٦) كان له . فلم يزل به حتى وقع الطاعون هناك ، فات فيه^(٧) .

(١) الشِكة : السلاح (٢) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وسماها باسمه ، فسيت المدائن (٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز (٤) الأخية : عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها النابذة (٥) الأرن النشط (٦) وفي رواية لابن الكلبي : ألفاه تحت أرجل القيلة فوطسته حتى مات (٧) ولما لمي إلى النابذة وحدث بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ، ثم تمثّل :

من يطلب الدهر تتركه مغالبه	والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى نجد ومكرمة	إلا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على محمد سراتهم	بالتافذات من النبل المصاييب
لاني وجدت سهام الموت معرضة	بكل حتف من الآجال مكتوب

ورثاه زهير بن أم سلمى فقال :

ألم تر للثمنان كان بنجدة	من العر لو أن أمراً كان باقياً
فلم أر مخذولا له مثل ملكه	أقل صديقاً أو خليلاً موافياً
خلا أن حيا من راحة حافظوا	وكانوا أناساً يقفون الخازيا
قال لهم خيراً وأثنى عليهم	وودعهم توديع ألا تلاقيا

فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان ، وبث إليه : أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه . فبث إياس إلى هاني ابن مسعود يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمان من الدروع وغيرها ، وقال له : لا تكلفني أن أبث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة ، وتسبي الذرية . فبث إليه هاني يقول : إن الذي بلفك باطل ، وما عندي قليل ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أجد رجلين : إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه إياها ، ولن يسلم الحر أمانة . أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدو أو حاسد .

فلما منها هاني غضب كسرى ؛ ثم أخذت بكر بن وائل تغير في السواد^(١) ، فوفد قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أكلًا وطعمة على أن يضمن له بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه ، فأقطعه الأبل^(٢) وما والآها ، وقال : هي تكفيك وتكفي أعراب قومك ، فكانت له حجرة^(٣) فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نجرت ناقة أقيدت أخرى .

فكان يأتيه من أناه من بكر فيعطيه جلة^(٤) تمر وكر باسة^(٥) ، حتى إذا قدم الحارث بن ولة والمكسر بن حنظلة أعطاهما جلتى تمر وكر باستين ، ففضبا وأيا أن يقبلا ذلك منه ، وخرجا واستنويا ناساً من بكر بن وائل ، ثم أغارا على السواد .

(١) السواد : ما حوالى القصب من القرى (٢) الأبل : بلد على شاطئ دجلة البصرة
(٣) الحجرة : حظيرة للإبل (٤) الجلة : واء من خموص يكز فيه التمر (٥) الكرباسة : ثوب من قطن .

فلما بلغ ذلك كسرى اشتدَّ حَنَقُهُ عليهم، وأرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالابلَّة وقال له : لقد غَرَرْتُني من قَوْمِكَ ، وزعمتَ أنك تكفينهم ، وأمر به فحُبِسَ في سِباط .

ثم أرسل إلى إياس بن قبيصة ، واستشاره في الفأرة على بَكْرِ فقال له : ماذا ترى ؟ وكَمْ ترى أن تُغْزِيهم من الناس ؟ فقال له إياس : إن المَلِك لا يصلح أن يَمْسِيه أحدٌ من رعيَّته ، وإن تُطْمِئني لم تُعَلِّم أحداً لَأَيِّ شَيْءٍ عَبَرْتَ وقطعت الفرات ، فيروا أن شيئاً من العرب قد كَرَبَكَ ، ولكن ترجع وتضرب عنهم ، وتبعث عليهم العيون حتى ترى غِرَّةً منهم ، ثم ترسل حَلْبَةً^(١) من المعجم فيها بعضُ القبائل التي تليهم ، فيؤقِّمون بهم وقعة الدهر ، ويأتونك بطَلَيْتِكَ .

فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكر بن وائل أخوالك ؛ فأنت متمصِّبٌ لهم ، ولا تألوهم نُصْحًا . فقال إياس : رأى الملك أفضل .

فقام إليه عمرو بن عدى بن زيد العبادي - وكان كاتبه وترجمانه بالمرية وفي أمور العرب - فقال له : أقم أيها الملك ، وابعث إليهم بالجنود يكفوك .

وكان عنده النعمان بن زرعة التنجاني - وهو يحبُّ هلاكَ بَكْرٍ ؛ فقال لكسرى : يا خيرَ الملوك، أدلك على عدوٍ يطلبهم، وعلى غِرَّةٍ بكر ؟ قال : نعم . قال : أمهلنا حتى نَقِيطَ ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء ، يقال له ذوقار تَسْقُطُ الفراش في النار؛ فأخذتهم كيف شئت، وأنا عندك إلى أن أ كفيكمهم ، ومع ذلك فإن مُطالبتهم في ذلك الوقت كثير ، وذلك مما يؤمن كيدهم ويكون أيسر على الملك هلاكهم .

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل تهجم للسباق أو الفأرة .

فواقفه كسرى وأقرهم، حتى إذا قاطلوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو^(١)
حنو ذي قار.

٦

ولما بلغ كسرى، نزولهم عقد للنعمان بن زُرعة على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن
يزيد البهراني على قُصاعة وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة على العرب، ومعه كتيبته
الشهباء والدوسر^(٢). فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامرز^(٣) على ألف من
الأساورة، وعقد لخنابز بن علي ألف، وبمث معهم باللطيمة. وقد كانت تخرج من
المراق فيها البر والبطر والأطاف توصل إلى بأذان عامل كسرى باليمن - وأمر عمرو
ابن عدى أن يسير بها، وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة
اليمن، وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر ودنوا منها أن يبعثوا النعمان بن
زُرعة يُخبرهم بين ثلاث خصال: إما أن يمطوا بأيديهم فيحكم فيهم الملك بما شاء،
وإما أن يمرؤا الديار، وإما أن يأذنوا بحرب.

وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك بيني تميم يوم الصفقة^(٤)، فالعرب وجلة خائفة
منه، وكانت هند بنت النعمان في بني سنان، فلما علمت بمسير جُموع كسرى قالت
مُنذِر العرب:

ألا أبلغ بني بكر رسولا فقد جد النفير بمنفقير^(٥)
فليت الجيش كلهم فداكم ونفسي والسرير وذا السرير

(١) هو من ذي قار على مسيرة ليلة (٢) الشهباء ودوسر: كتيبتان حربيتان، كان قد
جلهما يزدرجد ملك الفرس تحت تصرف النعمان بن المنذر ومن بعده، وكان رجال الشهباء من
الفرس؛ ورجال دوسر من عرب تنوخ (٣) كان الهامرز على سلحة كسرى بالسواد
(٤) انظر يوم الصفقة ص ٢ (٥) المنفقير: الداهية.

كَأَنِّي حِينَ جَدَّةَ بِهِمْ إِلَيْكُمْ مَمْلُوءَةٌ الذَّوَائِبُ بِالْمَبُورِ^(١)
فَلَوْ أَنِّي أَطَقْتُ لَذَاكَ دَفْعًا إِذَا لَدَفَعْتُهُ بَدَمِي وَزِيرِي^(٢)

فلما بلغ الخبر بَكْر بن وائل سَارَ هَانِي^٤ بن مسمود حتى انتهى إلى ذِي قَار، فنزل به ، وأَقْبَلَ النَّمَان بن زُرْعَةَ حتى نزل على ابن أُخْتِهِ مَرَّةَ بن عمرو ، فحمد الله النَّمَان وأثنى عليه ثم قال : إنكم أخوالى وأحد طرفي ، وإن الرائد لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وقد أنا كم ما لا قِبَلَ لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب ، والكيتبتان : الشهباء والدَّوْسَر ؛ وإن في الشرِّ خياراً ، ولأن يَفْتَدِي بعضكم بعضاً خيراً من أن تصطلموا^(٣) ؟ انظروا هذه الحلقة فادفعوها ! وادفعوا رهنًا من أبنائكم بما أخذت سفهاؤكم . فقال له القوم : ننظر في أمرنا .

٧

ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ بَكْر . وَبَرَزُوا يَبْطَحَاءَ ذِي قَارَ بَيْنَ الْجَلْهَمَتَيْنِ^(٤) :
وَأَخَذُوا يَرَقِيْبُونَ^(٥) مِنْ يَأْتِي مِنْ قِبَائِلِ بَكْر ؛ لَا تَرْفَعُ جَمَاعَةً إِلَّا قَالُوا سِيدُنَا فِي

(١) العبور : نعيم في السماء يلي الجوزاء . (٢) الزير : ما استحكمت فتلته من الأوتار .
(٣) تصطلموا : تتأصلوا ويتبدوا . (٤) جلهة الوادي : مقدمه وما استقبلت منه
وانسم له . (٥) روى في الأغاني : أن مرداساً السلمي كان مجاوراً في بكر يومئذ ، فلما رأى
الجيوش قد أقبلت إليهم حمل عياله وخرج عنهم وأنشأ يحرضهم :

بلغ سراة بني بكر مفلسة
لأنى أخاف عليكم سرية الواري
السرية : الجماعة يغيرون . والواري : المطلب .

لأنى أرى الملك الهامرز منصلتاً
يرجى جياداً وركباً غير أعيار
المنصلت : المسرع ، والأعيار . جمع غير وهو الحمار .
لا تلتفت البعر الحولى نسوتهم
للجائزين على أعطان ذى قار
الأعطان : مبارك الإبل .

فإن أيتم فإني رافع ظمئى
اللوب : هم النوب ، وهم جيل في السودان .
ومنتب في جبال اللوب أظفارى
وجاعل بيننا ورداً غواربه
ترى إذا مارا الوادى بتيار
ربا : ارفع ، و « ورداً غواربه » أراد البحر .

هذه ؟ فرُفِعت لهم جماعة، فقالوا: سيدنا في هذه ، فلما دَنَوْا إذا هم بمبد عمرو بن بشر ابن مَرثد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعت لهم أخرى، فقالوا: سيدنا في هذه ، فإذا هو جبلة ابن باعث بن صريم اليَشْكُري ، فقالوا : لا . فرُفِعت أخرى، فقالوا : في هذه سيدنا ، فإذا هو الحارث بن وعلة بن المجالد الذَّهلي ، فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أخرى، فقالوا: في هذه سيدنا ؟ فإذا فيها الحارثُ بن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله ، فقالوا : لا ، ثم رفعت لهم أخرى أكبرُ مما كان يجيُ فقالوا : لقد جاء سيدنا ، وإذا رجل أصْلَعُ الشَّعر ، عَظِيمُ البطن ، مُشْرَبٌ حمرة ، هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار المِجْلِي ؛ فقالوا : يا أبا مَعْدَانَ قد طال انتِظارنا ، وقد كرهنا أن نقطع أمراً دونك ، وهذا ابنُ أختك قد جاءنا ، والرَّائد لا يَكْذِبُ أهله ، وهذا هانيُ بن قبيصة يهيمُ بركوب الفَلَاة ، ويقول لنا : لا طاقةَ لكم بمُجموع الملك^(١) . قال حنظلة : فما الذي أجمعَ عليه رأيكم واتفقَ عليه مَلؤكم^(٢) ؟ قالوا : إن اللّٰه^(٣) أهون من الوهي ؛ وإن في الشرِّ خياراً ، ولأنَّ يفتدَى بعضناَ بعضاً خيراً من أن نصطَلَمَ جميعاً .

فقال حنظلة : فَبَحَّ الله هذا رأياً ! لا تَجِرْ أحرارُ فارس أرجلها بِيَطْحَاءِ ذِي قار وأنا أَسْمَعُ هذا الصَّوْت ، ثم أمر بِلُجْبَتِهِ فُضِرَتْ بوادي ذِي قار ، ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال : لا أرى غيرَ القتال ؛ فإنَّا إن ركبنا الفَلَاةَ مِتْنَا عطشاً ، وإن أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتُسَبِّي ذرارينا . ثم قال لهانيُ بن مسعود : يا أبا أمامة ؛ إن ذمتكم ذِمَّتُنَا عامَّة ، وإنه لن يُوصَلَ إليك حتى تَفْسِي أرواحنا ، فأخرج هذه الحلقة ففرَّقها بين قومك ؛ فإن تَطَفَّرَ فتردُّ عليك ، وإن تَهَلِكَ فاهوَنُ مَفْقُود .

(١) قال في المقد الفريد : لم تر من هانيُ سقطة قبلها (٢) اللّٰه : جماعة القوم

(٣) اللّٰه : إعطاء المال ، يريدون أن فقد المال خير من الهلاك

فَأَمَرَ بِهَا هَانِيٌ فَأُخْرِجَتْ وَفُرِّقَتْ فِي الْقَوْمِ . ثُمَّ التَفَتْ حَنْظَلَةُ إِلَى النِّعْمَانِ وَقَالَ : لَوْلَا أَنْتَ رَسُولُ لِمَا أَتَيْتَ إِلَى قَوْمِكَ سَالِمًا ، فَرَجَعَ النِّعْمَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَدَّ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلْقِتَالِ ، وَبَكَرَ يَتَأَهَّبُونَ لِلْحَرْبِ ^(١) .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَقْبَلَتِ الْأَعَاجِمُ نَحْوَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى تَمِيمَةٍ ^(٢) ، وَمَعَهُمُ الْجُنُودُ وَالْأَفْيَالُ عَلَيْهَا الْأَسَاوِرَةُ ؛ وَكَانَ نَازِلًا فِي بَنِي شَيْبَانَ رَيْمَةَ بِنْتُ غَزَالَةَ السَّكُونِي ثُمَّ التَّجِيبِي هُوَ وَقَوْمُهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي شَيْبَانَ ؛ أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ مِنْكُمْ لَأَثَرْتُ عَلَيْكُمْ بِرَأْيٍ مِثْلِ عُرْوَةِ الْعِلْمِ ^(٣) ، فَقَالُوا : أَنْتَ وَاللَّهِ مِنْ أَوْسَطِنَا فَأَثِرْ عَلَيْنَا ؛ فَقَالَ : لَا تَسْتَهْدِفُوا لَهُذِهِ الْأَعَاجِمَ ، فَهَلَكُمْ بِنَشَابِهَا ^(٤) ؛ وَلَكِنْ تَكْرَدُّوْا كِرَادِيْسَ ^(٥) ، فَإِذَا أَقْبَلُوا عَلَى كِرَدُّوسٍ شَدَّ الْآخِرَ ، فَقَالُوا : قَدْ رَأَيْتَ رَأْيًا .

٨

وَلَمَّا تَقَارَبَ الزَّخْفَانُ قَامَ حَنْظَلَةُ بْنُ ثَمَلَةَ فَقَالَ : إِنَّ النَّشَابَ الَّذِي مَعَ الْأَعَاجِمِ يُفَرِّقُكُمْ ، فَإِذَا أُرْسِلُوهُ لَمْ يَخْطِطْكُمْ ؛ فَمَا جُلُومُ اللَّقَاءِ ، وَابْدِءُوهُمُ بِالشَّدَةِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى وَصِينَ ^(٦) رَاحِلَةً أَمْرَأَتُهُ فَقَطَعَهُ ، ثُمَّ تَلَبَّعَ الظَّنَّ يَقْطَعُ وَضُنْهِنَّ ^(٧) ، فَسَقَطْنَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ : لِيُقَاتِلْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ حَلِيلَتِهِ . ثُمَّ ضَرَبَ قَبَةَ عَلَى نَفْسِهِ بِيَطْلَحَاءِ ذِي قَارَ ، وَآلَى لَا يَفِرُّ حَتَّى تَفِرَّ الْقَبَةُ . وَقَطَعَ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ شَيْبَانَ أَيْدَى أَقْبِيَّتِهِمْ مِنْ مَنَاكِبِهَا لِتُخَفَّ أَيْدِيهِمْ لَضَرْبِ السِّیُوفِ . وَقَامَ هَانِيٌ ^(٨) بِنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : « يَا قَوْمُ مَهْلِكٌ مَقْدُورٌ خَيْرٌ مِنْ نَجَاءٍ مَعْرُورٍ ^(٩) وَإِنْ الْحَذَرُ لَا يَدْفَعُ الْقَدَرَ ، وَإِنْ

(١) شهدت بكر جميعا هذه الحرب عدا حنيفة (٢) عبي الجيش تميمية : أصله وهما (٣) أي العلم الذي يوق به ، وهو يريد ، الرأي السديد (٤) النشاب : النبل (٥) الكر دوس : قطعة من الخيل (٦) الوضين : بطن عريض منسوج من سبور أو شعر ، وقيل لا يكون إلا من الجلد (٧) سمى حنظلة بعد ذلك مقطع الوض (٨) في الأمالي : هي هاني بن قبيصة الشيباني ، ورواية الأمالي فيها اختلاف عما هنا (٩) معرور : مغاب .

الصَّبْرُ من أسباب الغفر ، النِّيَّةُ ولا الدَّيَّةُ ، واستقبال الموت خيرٌ من استِئْبارِه ،
والطَّمَنُ في الثَّغَرِ ، أكرمُ من الطَّمَنِ في الدَّبرِ ، ياقوم جدُّوا فإِذَا مِنَ الموتِ بَدَأَ ، فَتَحَّ
لو كان له رجال ، أسمع صوتًا ولا أرى قومًا ، ويا آلَ بكرٍ شدُّوا واستمِدُّوا ، وإِلا
تَشَدُّوا تُرَدُّوا .

وقام شريك بن عمرو بن سراحيل فقال : ياقوم ، إِنما تهابونهم أَنكم ترونهم عند
الحفاظ أَكثرَ منكم ، وكذلك أَنتم في أعينهم ؛ فعليكم بالصبر ، فَإِن الأَسِنَّةَ تُرْدِي
الأَعِنَّةَ ، يا آلَ بكرٍ ، قُدِّمًا ^(١) قُدِّمًا !

وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ؛ فقالت امرأة من عجل ^(٢) :

إِن تَهْزِمُوا نَمَاتِقَ وَتَفْرِشُ النَّمَارِقَ ^(٣)

أَوْ تُهْزِمُوا فِجَارَ فِرَاقَ غَيْرِ وَاثِقِ

وقال حنظلة بن ثعلبة :

قد جدتُ أَشْياعَكُمْ فِجْدُوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا مُؤَدِّ ^(٤) جَلْدُ

والقوس فيها وترٌ عُرْدٌ ^(٥) مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

قد جعلتُ أَجْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو إِن النِّايَا لَيْسَ مِنْهَا بُدُّ

هَذَا مُعَمِّرٌ حَيَّه أَلَدُّ يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرَدُّ

حَتَّى يَمُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلَوْا بَنِي شَيْبَانَ فَاسْتَبَدُّوا

نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

(١) أَي تَقْدِمُوا (٢) مَجَل : بَطْنٌ فِي شَيْبَانَ (٣) النَّمَارِقُ : جَمْعُ نَمْرَةٍ ، وَالنَّمْرَةُ الْوَسَادَةُ
الصَّغِيرَةُ ، أَوْ الْمِثْرَةُ ، أَوْ الطَّنْفَةُ فَوْقَ الرَّحْلِ (٤) مُؤَدِّ : ذُو أَدَاةٍ مِنَ السِّلَاحِ تَامَةٌ ، أَي
لَا عِزْلَى (٥) عُرْدٌ : شَدِيدٌ .

من فر منكم فر عن حربيه وجاريه وفر عن نديمه
أنا ابن سيار على شكيمه إن الشراك قد من أدبعه^(١)
وكاهم يجرى على قديمه من قارح الهجته أوصيميه^(٢)
وقال عمرو بن جبلة اليشكري :

يا قوم لا تفرركم هذى الخرق ولا وميض البيض في الشمس برق
من لم يقاتل منكم هذا المنق^(٣) فجنبوه الراح واستقوه المرق
ووقف الجيشان متقايكين ، فكانت بنو حجل في الميمنة بإزاء خنازين وعليهم
حنظلة بن ثعلبة ، وبنو شيان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامز ، وعليهم بكر بن يزيد
ابن مسهر ، وأفناء بكر في القلب وعليهم هاني بن مسمود ، فخرج أسوار من الأعاجم
في أذنيه درتان من كتيبة الهامز يتحدى الناس للبراز ، فنأدى في بني شيان فلم
يبرز إليه أحد ، حتى إذا دنا من بني يشكر برز له يزيد بن حرثة ، فشد عليه بالرمح
فعاثنه ودق صلبه ، وأخذ حليته وسلاحه^(٤) .

وخرج الهامز يدعو إلى البراز فخرج إليه الحوفزان^(٥) فقتله . وفي ذلك الحين
أرسلت إباد - وكانت في جيوش كسرى - سرا إلى بكر ، وقال رسولهم : أي الأمرين

(١) الفراك : سير النعل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ (٢) القارح : الحصان ،
والهجين : عربي ولد من غير عربي (٣) المنق : الجماعة وهو مذكر (٤) وذلك قول سود بن
أبي كاهل يفتخر :

ومنا يزيد إذ تحرى جوعكم ظم هزبوه الرزبات المعهر
تحرى : تازع الطلبة

وبارزه منا غلام بمارم حاسم إذا لاق الضريبة يتر
الضريبة : ما ضربته بالسيف
(٥) اسمه الحارث بن شريك .

أعجب إليكم ؛ أن فطيرَ تحتَ لَيْلَتِنَا فنذهب ، أو نقيم ونفرّ حين تُلَاقون القوم قالوا : بل تقيمون ؛ فإذا التقى الناسُ انهزمتمُ بهم .

وقال يزيد بن حمار السَّكُونِي - وكان حليفاً لَشَيْبَانَ - أطيعوني واكْمُنُوا لهم كَمِينًا ، ففعلوا ، وجملوا يزيد رأسهم ، وكمُنُوا في مكان يقال له الخبيء واجتَلَدُوا ، وحملت مَيْسِرَةُ بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وحملت مَيْمَنَةُ بكر وعليها يزيد ابن مسهر على مَيْسِرَةِ الجيش ، وخرج عليهم الكمينُ من الخبيء وعليهم يزيد بن حمار ، فشدُّوا على قَالبِ الجيش ، وولَّتْ إِيَادُ مُنْهَزِمَةٍ كما وَعَدَتْهم ؛ وانهزمت الفرس ، وتبعتهم بكر .

ولحق مرثد بن الحارث النعمان بن زُرْعَةَ فَأَهْوَى له طَعْنًا ، فسبقه النعمان بصدرِ فرسه فَأَقْلَعَتْهُ^(١) ، ولكن أسود بن بجير المجلى وضع يده في يده ، ثم جَزَّ ناصيته ، وخرَّ سبيله .

ثم اتبعت بكر الفُرسَ وأخْلَافَهُم من العرب يقتلونهم بقيَّةَ يومهم وليتهم حتى أَصْبَحُوا من الفد وقد شارفوا السَّوَادَ ، ودخلوه في طلب القوم .

أما إِيَّاس بن قبيصة فكان أَوَّلَ مَنْ انصرفَ إلى كسرى بالهزيمة ، وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزعَ كَتِفِيهِ ؛ فلما أتاه إِيَّاسُ سَأَلَهُ عن الخبر فقال : هَزَمْنَا بكر بن وائل ، فَأَتَيْنَاكَ بنسائهم ، فَأَعْجَبَ ذلك كسرى وأمر له بكسوة . ثم استأذنه إِيَّاسُ فقال : إن أخي قيس بن قبيصة مريض ببيت النمر فأردت أن آتيه^(٢) ، فأذن له

(١) وذلك قول مرثد :

وخيل تبارى لطمان شهدتها فأغرقت ليها الرمح والجمع محجم
وأقْلَعَتْنِي النعمان فوت رماحنا وفوق فطاة المهر أزرقت لهنم
القطاة : موضع الدف من العابة ، والهنم : كل شيء من سنان أو سيف قاطع .
(٢) قال ذلك ليتنمى عنه .

كسرى، فركب فرسه الحَمَامَةَ^(١) ولحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخوَرَنَق فسأل : هل دخلَ على الملك أحد ؟ فقيل : نعم، إياس، فقال: نكلت إياساً أمّه ، وظن أنه قد حدثته الخبر ، فدخل عليه وحدثه بهزيمة القوم وقتلهم ، فأمرَ به فَنَزَعَت كَتَفَاهُ .

١ — وفي ذلك اليوم^(٢) يقولُ أَعَشَى قَيْسٌ مُفْتَخِرًا :

أَمَّا تَيْمٌ فَقَدْ ذَاقَتْ عِدَاوَتَنَا وقيسُ عيلانُ مسَّ الْخِزْيُ وَالْأَسَفُ
وجندُ كسرى غَدَاةَ الْحَنُو صَبَّحَهُمْ منا غَطَارِيفُ تَرْجُو الْمَوْتَ وَانصَرَفُوا
لَقُوا مُلْكَمَةَ^(٣) شَهْبَاءَ يَاقِدُهَا للموت لا عَاجِزٌ فِيهَا وَلَا خَرَفُ^(٤)
فَرَعُ نَمَتِهِ فُرُوعٌ غَيْرُ نَاقِصَةٍ مَوْفَقٌ حَازِمٌ فِي أَمْرِهِ أَرْفُ^(٥)
فِيهَا فَوَارِسُ مَحْمُودٍ لِقَاؤُهُمْ مِثْلُ الْأَسْنَةِ لَا مِيلٌ وَلَا كُشْفُ^(٦)
بَيْضُ الْوَجُوهِ غَدَاةَ الرُّوعِ تَحْسِبُهُمْ جَنَّانٌ عَيْنُهَا الْبَيْضُ وَالزَّغَفُ^(٧)

(١) لهذه الفرس خبر ذكره صاحب الأغاني ؛ وهو أن هذه الفرس كانت لا يأس ثم أودعها عند رجل من تيم الله يقال له أبو ثور ، ولما أراد إياس أن يفزو قومه أرسل إليه أبو ثور بها ، فنهاه أصحابه أن يفعل ، فقال : والله ما في فرس إياس ما يميز رجلاً أو يذله ، وما كنت لأقطع رحمه فيها ، فقال إياس :

غزاها أبو ثور فلما رأيتها دخيس دواء لا أضيع غزاها
دخيس : صينة ، والدواء : تسمين الفرس

فأعدتها كفتاً لكل كريمة إذا أقبلت بكر تحرر شاها

(٢) رأينا أن نعرض هنا بعض ما قيل في هذا اليوم من الشعر (٣) كناية مملومة وململة : مجتمعة مفسوم بعضها إلى بعض (٤) خرف الرجل : فسد عقله من الكبر ، فهو خرف ، والأنتى خرفة (٥) الجمل الأنثى التلول المؤاني الذي يألف من الزجر ومن الضرب ويعطى من السير عفواً سهلاً ، قال في اللسان : وكذلك المؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا عتاب وما لزمه من حق صبر عليه وقام به (٦) الكشف : جمع أ كشف وهو الذي لا ترس معه ، كأنه متكشف هير مستور (٧) جنان جمع جان ، وهو من الجن ، والزغف : الدروع .

لما رأونا كشفنا عن جاجنا ليعلموا أننا بكرٌ فينصرفوا
قالوا: البقية^(١)، والهنديُّ يَحْصُدُهُمْ ولا بقية إلا السيف فانكشفوا
لو أن كلَّ مَعْدٍ كان شاركننا في يوم ذى قار ما أخطأهمُ الشرفُ
لما أتونا كأنَّ الليلَ يقدمهم مُطَبِّقُ الأرض تَفْشَاهَا^(٢) بهم سُدفُ
بطارق وبنو ملكٍ مَرَاذِيهٍ من الأعاجم في آذانها النطفُ^(٣)
من كل مَرَجَانَةٍ في البحر أحرزها تيارُها ووقاها طينها الصدفُ
وظعننا خلفنا تَجْرِي مَدَامُهَا أ كبادُها وَجَلَّأَ مَا تَرَى تَجْفُ^(٤)
كأنما الآلُ في حافاتِ جَمِيعِهِمْ والبيض بَرَقَ بَدَأُ في عَارِضٍ يَكِفُ
يَحْسِرُنَ عن أوجه قد عاينتُ عِبراً ولاحها عِبرَةُ ألوانها كِسْفُ^(٥)
ما في الخدود صدورٌ عن وجوههم ولا عن الطمن في اللبَّات مُنَحَرَفُ
لما آمَلُوا إلى النَّشَابِ أَيْدِيهِمْ مِلْنَا بِيضَ فِظْلٍ الهام يُقْتَطِفُ^(٦)
وخيل بكرٍ فماتنفاكَ تَطْحَنُهُمْ حتى تولُّوا وكاد اليوم يَنْتَصِفُ

٢ — وقال يمدح بنى شيبان :

فَدَى لَبْنِي ذُهْلَ بَنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وراكبُها يوم اللِّقَاءِ وَقَاتِ
كَفُّوا إِذْ أَتَى الْهَامِرُ زُخْمُفُ^(٧) فَوْقَهُ كَظْلُ الْعِقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ
أَذَاقُومٍ كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَدَخَتْ^(٨) فِرْسَانُهُمْ وَأَذَلَّتِ

(١) العرب تحول للعدو إذا غلب : البقية : أى اجبوا علينا ولا تستأصلونا ، وفي اللسان : قالوا
البقية والخطي يأخذهم (٢) في الديوان: تَفْشَاهَا لهم (٣) النطف : الأفرط وفي رواية: النصف
(٤) تجف : تضطرب (٥) قطعاً ، أى أن ألوانها مختلفة (٦) رواية القيد : ملنا ببيض لمل
الهام تحتطف (٧) في الديوان : تحنف ، والحنف : الليل (٨) بدخ : تطاول وتكبر ،
وفخر ، وعلا ، وبدخ البعير : اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء .

فصَبَّحَهُم بِالْحِنُوِّ حِنُوِّ قُرَاقِرٍ وَذَى قَارَهَا مِنْهَا الْجَنُودُ فَقَلَّتْ ^(١)
 عَلَى كُلِّ مَحْبُوكٍ ^(٢) السَّرَاةِ كَأَنَّهُ عَقَابُ سَرَتٍ مِنْ مَرَقَبٍ إِذْ تَدَلَّتْ ^(٣)
 فَجَاءَتْ عَلَى الْهَامَرِزِ وَسَطَ بَيُوتِهِمْ شَأْيِبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ فَاسْتَهَاتْ
 تَنَاهَتْ بَنُو الْأَحْزَابِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانٍ غُلِبَ فَوَلَّتْ

٣ — وقال أبو عبيدة : سئل أبو عمرو بن العلاء ، وقد تنافر إليه مجلى ويشكرى ؛
 فزعم المجلى أنه لم يشهد يوم ذى قار غير شيبانى ومجلى ، وقال يشكرى : بل
 شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم ، فقال أبو عمر : قد فصلَ بينكما التغلبي حيث يقول :
 وَلَقَدْ رَأَيْتَ أَخَاكَ عَمَرًا مَرَّةً يَقْضَى وَضِيعَتُهُ بِذَاتِ الْمُجْرِمِ ^(١)
 فِي غَمَرَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمَرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَقَعُّمُ
 وَكَأَنَّمَا أَقْدَامُهُمْ وَأُكْفَهُمْ سَرَبٌ ^(٢) تَسَاقُطُ فِي خَلِيجٍ مُفْعَمٍ
 لَمَّا سَمِعَتْ دَعَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا وَاتَى رَيْعَةً فِي الْمَجَاجِ الْأَقْصَمِ
 وَعَلِمَ يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِمُ وَالْمَوْتُ تَحْتَ لَوَاءِ آلِ عِلْمٍ
 لَا يُصِرُّونَ عَنِ الْوَعَى بِوُجُوهِهِمْ فِي كُلِّ سَابِقَةٍ كُلُّونَ الْعِظَمِ ^(٣)

(١) روى هذا البيت في اللسان :

وَمَضَرُوا بِالْحِنُوِّ حِنُوِّ قُرَاقِرٍ مَقْدَمَةُ الْهَامَرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ

قال : وصواب انشاده : مَضَرُوا ، وهذه هي رواية الديوان ؛ ورواية النفاذ أيضاً .

(٢) في الديوان : مجبول ، والتصحيح عن اللسان (٣) في اللسان : عَقَابُ سَرَتٍ مِنْ مَرَقَبٍ
 وتملت (٤) يَغَابُ وَضَعْتُ هُنْدَ فُلَانٍ وَضِيعَةً ، وفي التهذيب وضِيعاً ، أى استودعته وديعة ،
 ويقال للوديعة وضِيع . والمجرمة شجرة من النضاة غليظة عظيمة لها عقد كعقد الكمام تتخذ
 منها القسي ، والجمع مجرم يضم الدين والرء وكسرهما ، قال المجاج يصف المطايا :

نَوَاحِلًا مِثْلَ قَسَى الْمَجْرِمِ *

(٥) السرب بالتحريك : الماء السائل (٦) العظم : عصارة شجر لونه كالنيل أخضر إلى الكدرة ،
 والعظم أيضاً : صبيغ أحر .

ودعت بنو أمّ الرقاع فأقبلوا عند اللقاء بكل شاكٍ مُنمَلَم
وسمعت يشكرُ تُدعى بِحُبَيْبٍ^(١) تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون في حلق الحديد كما مشَتْ أسدُ العرين يوم نحسٍ مُظلم
والجمعُ من ذهل كأن زهاءم^(٢) جُرب الجمال يقودها ابننا قشعم
والخيلُ من تحت العجاج عوابساً وعلى مناسيجها^(٣) سعائبُ من دم

٤ - وقال العديل بن الفرّج المجلي :

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لكرُمةٍ إلا اضطلبنا وكُنّا مُوقدى النار
وما يمدُّون من يوم سمعتُ به للناس أفضل من يوم بنى قار
جئنا بأسلابهم والخيْلُ عابسةٌ لما استلبنا لِكسرى كل إسوار^(٤)

٥ - وقال أبو كلبة التيمي :

لولا فوارسُ لا ميلٌ ولا عُزْلُ^(٥) من اللهازم^(٦) ما فظنم^(٧) بنى قار
إن الفوارسَ من عجلهم أنفوا من أن يُخَلَّوْا لِكسرى عرصة^(٨) الدار

(١) الحبيب : الصاحب ، والحباب : الشيطان ، ويصح أن يكون تصغيراً لواحد منهما

(٢) زهاء الفء : شخصه ، واحده كجمه ، وأنشد ابن الأعرابي :

* دهماً كأن الليل في زهاها *

زهائها : شخصها ، يصف نخلًا يعني أن اجتماعها يرى شخصها سواداً كالليل

(٣) المنسج بكسر الميم بمنزلة الكاهل من الإنسان (٤) الاسوار بكسر الهمزة وضمها : قائد القرس ، وقيل : هو الجيد الرمي بالسهم ، وقيل : هو الجيد اثبات على ظهر القرس ، والجمع أساور وأساور (٥) الأمليل : الذي لا سيف معه ، وقيل الذي لا رمح معه ، وقيل هو الذي لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، أو هو الذي لا يثبت على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والعزل : الذي لا سلاح معه (٦) اللهازم : بنو تميم الله بن ثعلبة (٧) في بعض الروايات : قطم ، وفاظ الرجل : مات ، وفي مذهب الأغاني : قطم (٨) الرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع الراس والرمسات .

لَا قَوْا فَوَارِسَ مِنْ عَجَلٍ شَكَّيْهَا^(١) لَيْسُوا إِذَا قَلَّصْتَ حَرْبُ بَأْغَمَارِ^(٢)
 قَدْ أَحْسَنْتَ ذَهْلَ بَنِ شَيْبَانَ وَمَاعِدَكَ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ فُرْسَانَ ابْنِ سَيَّارِ
 هُمُ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ عَنْ شَمَائِلِهِمْ كَمَا تَلْبَسُ وَرَادَ بِصُدَّارِ^(٣)

٦ - وقال الأعشى يبيحه^(٤) :

أُبْلَغَ أَبَا كَلْبَةَ التَّمِيمِ مَأْلَكَةً فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرِ وَاللَّهِ أَشْرَارِ
 شَيْبَانَ تَدْفَعُ عَنْكَ الْحَرْبَ آوَنَةً وَأَنْتَ تَنْبِجُ نَبْجَ الْكَلْبِ فِي الْغَارِ

٧ - وقال الأعشى يلوم قيس بن مسعود :

أَقِيسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَارِئُ
 أَطُورَيْنِ فِي عَامِ غَزَاةٍ وَرَحْلَةٍ أَلَا لَيْتَ قَيْسًا عَرَفْتَهُ الْقَوَاتِلَ
 لَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ - لَوْ كُنْتُ عَالِمًا - قَبَابُ وَفِيهِمْ رَحْلَةٌ وَقَبَائِلُ
 رَحَلْتُ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدُهُمْ فَلَا يَبْلُغْنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
 فَمَرَّيْتُ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ كَمَا عَرِيتُ مِمَّا تُنِيرُ الْمَغَازِلُ
 لَمَلِكٍ يَوْمَ الْحِنُوِّ إِذْ صَبَّحْتَهُمْ كَتَائِبُ مَوْتٍ لَمَّا تِعْظُكَ الْمَوَازِلُ

(١) الشكة : السلاح (٢) رجل غمر : لا تجربة له بحرب ولا أمر ، ولم تحسكه التجارب ،
 وجمه أغمار (٣) رواية النقائض :

نحن أنينام من عند أشملهم كما تلبس وراذ بصدار

(٤) وفي النقائض : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة قال : صدق ، ثم قال معتنراً :

مَنْ تَهْرَنَ أَصَمَ بِجِلِّ أَعْمَى يَنْبِهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الْحَسَارِ
 فَلَسْتُ بِبَصَرٍ مَا قَدْ يَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حَوَارَى

٨ - وكتب لقيط اليبادي إلى بني شيان في يوم ذي قار شعراً يقول فيه :

قوموا قياماً على أمشاط أَرْجُلِكُمْ ثم افزعُوا ، قد ينالُ الأمن من فزعنا
وقلدوا أَمْرَكُمْ ، لله دَرْكُكُمْ رَحْبَ الدراع بأمرِ الحرب مُضْطَلَعاً
لا مُتَرَفّاً إن رَحَاهُ العيش ساعده ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَمًا
ما زال يَحْلِبُ هذا الدهرُ أَشْطَرَهُ (١) يكونُ متبّعاً طورا ومُتَبِّعاً
حتى استمرَّ على شِزر مريرته مستحْكماً الرأى لافحماً (٢) ولا ضراً

٩ - وقال بُكَيْرُ أُمِّ بَنِي الْحَارِثِ بن عباد يمدح شيان :

إن كنت ساقية الدَّامَةِ أَهْلَهَا فاستقي على كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
وأبا ربيعةَ كلها ومُحَلِّمًا سبقاً بفايةِ أَمْجَدِ الأَيَّامِ (٣)
ضربوا بني الأحرار يوم لقوهمُ بالشرقى على مَقِيلِ الهامِ
شدَّ ابن قيسٍ شدَّةً ذهبت لها ذِكْرًا له في مُعْرِقٍ (٤) وشَامِ
عَمْرُو وماعِزٌ وبِقَحْمٍ (٥) دَالِفٍ (٦) فيها ولا غَيْرٍ ولا بُفْلَامِ

(١) حلب فلان الدهر أشطره : أى خبر ضروبه ، يعنى أنه مر به خيره وشره وشدته ورخاؤه تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ، ما كان منها حفلاً وغير حفل وداراً وغير دار (٢) القعم : الكبير من الإبل ، قال في اللسان : ولو شبه به الرجل كان حائراً (٣) في مذهب الأغاني : بفاية أفضل الأقسام (٤) في رواية : مغرب (٥) القعم : الكبير من الإبل ، ولو شبه به الرجل كان جائزاً ، وقال الجوهري : شيخ قعم : أى م كبير (٦) في الكامل : ولا داله .

٢- أيام القحطانيين فيما بينهم

وتشتمل على ما يأتي:

١- يوم البكرادان

٢- الكلاب الأول

٣- عين أبلاغ

٤- حليمة

٥- اليحاميم

٦- حروب الأوس والخزرج

”١“ حرب سَمِير

”٢“ = كعب

”٣“ = حاطب

”٤“ = يوم بعاث

٧- = = سحبل

المشاع
عفا الله عنه

١- يوم البرادان

كان حُجْر^(١) بن عمرو بن معاوية الكندي قد أغار في كِنْدَةَ وريبعة على البَحْرَيْنِ فبلغ زياد بن الهُبُولَةِ^(٢) خبرهم ، فسار إلى كِنْدَةَ وريبعة وأموالهم ، وهم خُوف^(٣) ، ورجالهم في غزاتهم المذكورة ، فأخذ الحرير والأموال ، وسبى منهم هند بنت ظالم زوج حُجْر ؛ وسمع حجر بنارة زياد فطلبه ، وصحبته من أشراف ربيعة : عَوْف بن عَلم بن ذهل بن شَيْبَانَ ، وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شَيْبَانَ وغيرها ، فأدركوا عمراً بالبرَدَان ، وقد أَمِنَ الطَّلَب .

فنزل حُجْر في سَفْح جَبَل ، ونزلت بكر وتغلب وكِنْدَةَ مع حُجْر دون الجبل . فتمجَّل عوف بن عَلم وعمرو بن أبي ربيعة وقالوا لحُجْر : إنا مُتَمَجِّلَان إلى زياد لملنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا ؛ فسارا إليه ، وكان بينه وبين عَوْف إِخَاء فدخل عليه وقال له : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ^(٤) : ارْدُدْ عَلَيَّ امرأتى أمانة ، فردّها عليه ، وهي حامل^(٥) . ثم إن عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد : يا خَيْرَ الْفِتْيَانِ ؛ ارْدُدْ عَلَيَّ ما أخذت من

* لحجر آكل المرار (من كندة) : على زياد بن الهبولة (من قضاة) ، والبردان : علم على مواضع كثيرة ذكرها ياقوت في معجم البلدان ، ولم يبين الموضع الذي وقع فيه ذلك اليوم .

ابن الأثير ص ٣٠١ ج ١ ، والأغاني ص ٨٢ ج ١٥

(١) حجر بن عمرو : يعرف بآكل المرار ، وهو جد امرئ القيس ، استعمله نبيج ملك اليمن ، ولم يزل ملكاً حتى خرف (٢) كان زياد بن الهبولة ملكاً على الشام ، وكان من قضاة (٣) الخوف : الذين ذهبوا من الحى . ويقال أيضاً لمن حضر منهم ، وهو من الأندلس ، والمراد الأول (٤) تلك كانت تحية ملوك الشام عند العرب (٥) ولدت له بنتاً ، فأراد عوف أن يئدها فاستوهمها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال : لعلها تلد أناساً ، فتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، فولدت عمراً ، فرف بابن أم أناس .

لإبلى فردّها عليه ، وفيها فَحَلُّهَا ، فَنَازَعَهُ الْإِبِلَ فَصَرَعهُ عمرو ، فقال له زياد : ياعمرو ؛ لو صَرَغْتُمْ يَا بَنِي شَيْبَانَ الرَّجَالَ كَمَا تَصْرَعُونَ الْإِبِلَ لَكُنْتُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ . فقال له عمرو : لَقَدْ أُعْطِيتَ قَلِيلًا ، وَسَمِيتَ جَلِيلًا ، وَجَرَزْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَيَلًا طَوِيلًا ، وَلَتَجِدَنَّ مِنْهُ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أُرْوِيَ سِنَانِي مِنْ دَمِكَ ، ثُمَّ رَكَضَ فَرَسَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ .

فَأَقْبَلَ حَجَرَ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْحَفِيرُ ، أَرْسَلَ سَدُوسَ بْنِ شَيْبَانَ وَصَلِيحَ بْنَ عَبْدِ غَنَمٍ يَتَجَسَّسَانِ لَهُ الْخَبَرَ ، وَيَطْلِمَانِ عِلْمَ الْعَسْكَرِ ؛ فَخَرَجَا حَتَّى هَجَمَا عَلَى عَسْكَرِهِ لَيْلًا ، وَقَدْ قَسَمَ الْقَنْيِمَةُ ، وَأَطْعَمَ النَّاسَ تَمْرًا وَسَمْنًا ، فَلَمَّا أَكَلَ نَادَى : مَنْ جَاءَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ فَلَهُ فِدْرَةٌ ^(١) تَمْرٌ ؛ فَجَاءَ سَدُوسُ وَصَلِيحُ بِحَطَبٍ ، فَنَاولَهُمَا تَمْرًا ، وَجَلَسَا قَرِيبًا مِنْ قُبَيْتِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ صَلِيحُ إِلَى حُجْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِعَسْكَرِ زِيَادٍ ، وَأَرَاهُ التَّمْرَ .

وَأَمَّا سَدُوسُ فَقَالَ : لَا أَبْرَحُ حَتَّى آتِيَهُ بِأَمْرِ جَلِيلٍ ، وَجَلَسَ مَعَ الْقَوْمِ يَتَسَمَّعُ مَا يَقُولُونَ . وَهَذَا امْرَأَةٌ حُجْرٌ خَلْفَ زِيَادٍ ؛ فَقَالَتْ لَزِيَادٍ : إِنْ هَذَا التَّمْرُ أَهْدَى إِلَيَّ حُجْرٍ مِنْ هَجَرَ ، وَالسَّمْنُ مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ .

ثُمَّ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَنْهُ ، فَضَرَبَ سَدُوسُ يَدَهُ إِلَى جَلِيسٍ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ مَخَافَةٌ أَنْ يَسْتَنْكِرَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَدَنَا سَدُوسُ مِنْ قُبَّةِ زِيَادٍ بِمَحِيطٍ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، وَدَنَا زِيَادٌ مِنْ هَذِهِ امْرَأَةِ حَجَرَ فَقَالَ لَهَا : مَا ظَنُّكَ الْآنَ بِحَجَرَ ؟ فَقَالَتْ : مَا هُوَ ظَنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَقِينٌ ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَنْ يَدَعَ طَلَبَكَ حَتَّى يُطَالِيَ الْقُصُورَ الْحُمْرَ - تَعْنِي قُصُورَ الشَّامِ - وَكَأَنِّي بِهِ فِي فُؤَادٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ

(١) فِدْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ : قَدْرٌ مِنْ تَمْرٍ . وَكَانَ ابْنُ الْمُبَوَّلَةِ قَدْ أَصَابَ فِي عَسْكَرِ حَجَرَ مَا لَا كَثِيرًا .

يذمرهم^(١) ويذمرونه ، وهو شديد الكلب تُزبد شفتاه ، وكأنه بصير آكل مراراً^(٢) ؛ فالنجاء النجاء ! فإن وراءك طالباً حديثاً ، وجمعاً كشيئاً ، وكيداً متيناً ، ورأيًا صلياً .

فرفع يده فلطمها ، ثم قال لها : ما قلتِ هذا إلا من عجبك به ، وحُبك له . فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمَةٍ قط بُغْضِي له ، ولا رأيتُ رجلاً أحزم منه نائمًا ومستيقظًا ، إن كان لتنامُ عيناه فبمضُ أعضائه مستيقظ ، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسًا^(٣) من لبن ، فبينما هو ذات ليلة نائم وأنا قريب^(٤) منه أنظر إليه إذ أقبل أسودُ سألح^(٥) إلى رأسه فنحى رأسه ، فقال إلى يده فقبضها ، قال إلى رجله فقبضها ، قال إلى المس فشربه ثم عجه . فقلت : يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه ، فأنبته من نومه ، فقال : على بالإناء . فأنبته به ؛ فشمه ثم ألقاه فهريق^(٦) ، فقال : أين ذهب الأسود ؟ فقلت : مارأيتُه . فقال : كذبتِ والله ! وذلك كله بأذن سدوس ، فلما نامت الأخراس خرج يسرى ليلته حتى صبح حجرا ، فقال :
أناك المرُجفونَ برجم^(٧) غيب على دهش وجشك باليقين

(١) ذمره : لومه وحضه وحته (٢) المرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشاغلها قيل : سمى حجر آكل المرار من يومئذ . وقد وردت هذه العبارة في اللسان : إن ابنة كانت له سبأها ملك من ملوك سليح يقال له ابن مبوله ، فقالت له ابنة حجر : لآنك بأبي قد جاء كآته جل آكل المرار - يعني كاشراً عن أنيابه ، نسى بفلك . ثم أورد سبياً آخر لهذه التسمية (لسان - مادة مرر) (٣) المس : إناء كبير (٤) هنا اللفظ يستوي فيه الواحد والثني والجمع ، وفي الصباح : للقريب في اللغة معنيان أحدهما قريب قرب ، فيستوي فيه المذكر والمؤنث ، يقال زيد قريب منك ، وهند قريب منك ، لأنه من قرب السكان والمسافة فكأنه قيل هند موضعها قريب ، ومنه لأن رحمة الله قريب من المحسنين . والثاني قريب قرابة فيطابق ، يقال هند قرية ، وهما قريبتان (الصباح واللسان - مادة قرب) (٥) أسود سألح : الشديد السواد من الحيات ؛ ويقال له : سألح لأنه يسلم جلده كل عام (٦) هريق : أريق (٧) المرجفون : الذين يولدون الأخبار الكاذبة ، والرجم : التكلم بالظن .

فَن يَكْ قَدْ أَتَاكَ بِأَمْرِ لَبَسٍ قَدْ آتَى بِأَمْرِ مُسْتَبِينٍ
ثم قص عليه ما سمع به ، فأَسِيفَ ونادى بالرحيل ، فساروا حتى انتهوا إلى عسكر
ابن الهَبُولَةَ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحابُ ابنِ الهَبُولَةَ ، وقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيبًا ،
واستنفذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي ، وعَرَفَ سدوس زياداً
فَحَمَلَ عليه فَاعْتَنَقَهُ وصرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حَتَمَهُ
فَطَمَنَ زياداً فقتله ، فغَضِبَ سدوس وقال : قَتَلْتَ أُسِيرِي ، وَدَيْتَهُ دِيَّةُ مَلِكٍ ، فتحاكما
إلى حُجْرٍ ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بِدِيَّةِ مَلِكٍ ، وأعطاهم من ماله ، وأخذ حَجْرًا
زوجته هنداً فربطها في فرسين ، ثم ركضهما حتى قطعاهما ، وقال فيها :
إِنْ مَنَ غَرَّةَ النِّسَاءِ شَيْءٌ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَّاهِلٌ مَفْرُودٌ
حُلُوةَ الْعَيْنِ وَالْحَدِيثِ وَمَرْءٍ كُلُّ شَيْءٍ أَجَنٌّ مِنْهَا الضَّمِيرُ
كُلُّ أَشْيٍ - وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحَبِّ - حُبُّهَا خَيْتَمُورٌ ^(١)

(١) خينمور : كل شيء يخلون ، ولا يدوم على حال .
قال ابن الأثير بعد إمراده لهذا اليوم : ليس زياد بن هبولة ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليج
كانوا بأطراف الشام مما على البر من قسطنطين إلى قنسرين والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه
البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالاً لملوك القرس ، ولم تكن سليج ولا
غسان مستقلين على الشام ولا يشتر واحد على سبيل التفرّد والاستقلال . وزياد بن هبولة السليجي
ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو
ابن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أتوشروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة
وثلاثين سنة ، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستمائة سنة ، وقبل خمسمائة ، وأقل
ما سمعت فيه ثلاثمائة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليج ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليج فتريد
اللدّة زيادة أخرى ، وحيث أطبقت رواية العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها ، وأصلح
ما قيل فيه : لأن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام
حتى يستقيم هذا القول . على أن أبا عبيدة ذكر هنا اليوم ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج بل
قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان

٢- يوم الكلاب الأول

كان الحارث بن عمرو المقصور^(١) بن حُجْر آكل الرار قد ملك الحيرة في أيام قُبَاز بن قَيْرُوز ملك الفرس لدُخوله في دين المزدكية^(٢) الذي دعاه إليه ، بعد أن نفي المنذر بن ماء السماء^(٣) عنها . واشتمل بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، فتفاسدت^(٤) القبائل من نزار ؛ فأتاه أشرافهم ، وشكّوا إليه ما حلّ بهم من غلبة السفهاء ، وحُكْم الأقوياء ، وطلبوا إليه أن يملك أبناءه عليهم . فملك ابنه حُجْر آ على بني أسد وغطفان ، وابنه شُرَحْبِيل على بكر بن وائل بأمرها وعلى بني حنظلة ، وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمير بن قاسط وسعد بن زيد ، وملك ابنه سلمة على قيس عيلان .

ثم إن الحارث خرج يتصيد فرأى جماعة من حمر الوحش فشده عليها ، وانفرد منها حماراً فتتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كَبده ، فطلبت الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوى على النار وأطعم من كَبده وهي حارّة ، فمات .

* لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور آكل الرار على أخيه شرحبيل . والكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

الأغاني ص ٦٠ ج ١١ ، معجم البلدان (كلاب) . ابن الأثير ص ٣٣١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٣ ج ٣ ، شرح ديوان امرئ القيس ١٨٩

(١) سمى المقصور ؛ لأنه قصر على ملك أبيه حُجْر بعد موته (٢) المزدكية : أتباع مزدك ، وهو فيلسوف إباضي ظهر في فارس على عهد قُبَاز ، ودعا الناس إلى الرندقة وإباحة الحرم ، وأيده قُبَاز وصادف رواجاً عند الكثيرين من الفرس (٣) وكان سبب نفي المنذر عن الحيرة أن قُبَاز دعاه إلى أن يدخل في دين المزدكية ، فأبى حمية وأثقة ؛ ففاه وقرب الحارث وملكه بعد أن أجاب دعوته إلى الذهاب المزدكي (٤) تفاسدت القبائل : قطعت الأرحام .

ولما هلك الحارثُ تَشَتَّتْ أُمُرُ أولاده وتفرقت كلمتهم ، ومشى بينهم الرجال ، وتَفَاقَمَ أمرُهم حتى جمع كلُّ واحد منهم لصاحبه الجموع ، وزحف إليه بالجيوش .
وبلغت المداوة أشدها بين شُرَحْبِيل وسَلَمَةَ ، بِفَضْلِ المنذر الذي مَدَّ إلى الحيرة
بعد هلاك قُبَاذ ، وأخذ يُغْرِى بين الأخوين .

وسار شرحبيل ومن معه حتى نزلوا « الكَلَّاب »^(١) ، وأقبل سَلَمَةُ فيمن معه ،
وكان نُصحاء شُرَحْبِيل وسَلَمَةَ نَهَوْها عن الفساد والتحاسد ، وحذروها عَتَرَاتِ
الحرب ، وسوء مَغْبِتْها ، فلم يَقْبَلَا ولم يَبْرَحَا ، وأقاما على التنايع^(٢) واللعجاجة في أمرهما ،
واقْتَتَلَ القوم قتالا شديداً ، وثبت بعضهم لبعض . فلما كان آخر النهار نادى منادى
شُرَحْبِيل : مَنْ أَنَا بَرَأْسُ سَلَمَةَ فله مائةٌ من الإبل ؛ ونادى منادى سَلَمَةَ : مَنْ أَنَا بَرَأْسُ
شُرَحْبِيل فله مائةٌ من الإبل .

واشتدَّ القتال حينئذ ، كلٌّ يطلب أن يظْفَرَ لِمَلِّهِ يصلُ إلى قتل أحد الرّجلين
ليأخذ مائةً من الإبل ؛ وكانت الغلبةُ لسَلَمَةَ وأتباعه ، ومضى شُرَحْبِيل منهزماً ،
فقبضه من بني تغلب ذو السُّنَيْنَةِ^(٣) ، فالتفت إليه شرحبيل ، وضربه على ركبته
فأطن^(٤) رِجْلَهُ .

وكان لدى السُّنَيْنَةِ أَخٌ لأمه اسمه عَصِيم بن مالك الجُشَمِيُّ ، ويكنى أبا حنشل فقال
له إذ رآه : قتلني الرجل ، ثم هلك ، فقال أبو حنشل لشُرَحْبِيل : قتلني الله إن لم أقتلك ،
وحمل عليه حتى أدركه . فقال : يَا أَبَا حَنْشِل ! اللَّيْنُ اللَّيْنُ^(٥) ! فقال : قَدَمَرَقَتْ لَبَنًا كَثِيرًا .

(١) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشعماء على سبع ليل من
اليمامة (ياقوت) (٢) التنايع : يقال يتنايع في الأمور أي يرى بنفسه فيها من غير تثبت .
(٣) اسمه حبيب بن عتيبة من جهم بن بكر ، وكانت له سن زائدة (٤) أطن رِجْلَهُ : قطبها .
(٥) يريد الدية .

قال شرحبيل: يا أبا حنشل، أملكنا بسوفة! فقال: إن أخي كان مليكاً، ثم طعنناه وألقاه من فرسه، ونزل إليه، فأخذ رأسه^(١)، وبعت به إلى سلمة مع ابن عمه له اسمه أبو أجاب بن كعب، فأثاه وألقى الرأس بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقىته إلقاء رقيقاً! فقال: ما صنع بي وهو حيّ شر من هذا. فقال سلمة: وقد دمت عيناه! أنت قتلتَه؟ فقال: لا؛ ولكن قتله أبو حنشل. وعرف أبو أجاب الندامة في وجه سلمة، وظهر عليه الجزع لموت أخيه، فهرب وهرب أبو حنشل، ثم نظر سلمة إلى رأس أخيه وبكى وقال^(٢):

ألا أبلغ أبا حنشل رسولاً فما لك لا تجي^٤ إلى الثواب
تلم^(٣) أن خير الناس طراً قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جماسيس^(٤) الرباب^(٥)
قتيل ما قتيلك يا بن سلمي^(٦) نضر به صديقك أو تُعجبي
وبلغت الأيات أبا حنشل فقال عجيباً:

أحاذر أن أجيئك ثم نجو رجباء أيك يوم صنيعات^(٧)

(١) ويقول امرؤ القيس في مقتل شرحبيل وهلاك آيائه:

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنمة بالأياب
أبعد الحارث الملك ابن عمرو وبعد الحبر حجر دى القباب
واعلم أنني محمداً فليل سأنشب في شبا ظفرو ناب
كما لاقى أبي حجر وجدى ولا أنسى قتيلاً بالكلاب

(٢) قيل إن هذا الشعر لم يذكره أخي شرحبيل، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن حربهما
(٣) تلم: أعلم (٤) الجماسيس: جمع جمسوس، وهو القصير الدميم (٥) الرباب: أحياء
ضبة، وقد كانت هي وجشم بن بكر مع شرحبيل (٦) سلمى: أم أبي حنشل، وهي بنت عدى
ابن ريمة، بنت أخي كليب (٧) صنيعات: موضع ذكره ياقوت، وارجع أيضاً إلى التفاضل
وبجم الأمثال، قبيها: قوله يوم صنيعات: إن ابناً للحارث كان مسترضاً بين حين من العرب تميم
وبكر، فأتى يمال لدغته حبة فأخذ خمسين رجلاً من بكر فقتلهم بذلك.

فَكَانَتْ قَدْرَةَ شِمْاءَ تَهْفُو تَقْلِدُهَا أَبُوكَ إِلَى الْمَلَأِ (١)
وَسَمِعَ بِقَتْلِ شُرَحْبِيلَ أَخُوهُ مَعْدُ يَكْرِبُ - وَكَانَ صَاحِبَ سَلَامَةٍ ، مَعْرُولاً عَنْ جَمِيعِ
الْحُرُوبِ - فَقَالَ يَرْنِيهِ :

إِنْ جَنَّبِي عَنِ الْفَرَّاشِ لَنَكَابِ كَتَجَافِي الْأَسْرَ فَوْقَ الْغُرَابِ (٢)
مَنْ حَدِيثٍ نَمَّا إِلَى فَمَا تَرَى قَا عَيْنِي وَلَا أُسْبِغُ شَرَابِي
مُرَّةٌ كَالذُّعَافِ أَكْتُمُهَا النَّاسُ مَنْ عَلَى حَرٍّ مَلَّةٌ (٣) كَالشَّهَابِ
مِنْ شُرَحْبِيلَ إِذْ تَمَازَرَهُ الْأَرْضُ مَا حَ فِي حَالٍ لَذَّةٌ (٤) وَشَبَابِ
يَا بَنَ أُمِّي وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدُ عَو تَيْمًا وَأَنْتَ عَيْرٌ مُجَابِ
يَوْمَ ثَارَتْ بَنُو تَيْمِمْ وَوَلَّتْ خِيْلُهُمْ يَتَّقِينَ بِالْأَذْنَابِ
وَيَحْكُمُ يَا بَنِي أَسِيدِ إِنْ وَيَحْكُمُ رَبِّكُمْ رَبُّ الرِّبَابِ
أَنْ مَعْطَيْكُمْ الْجَزِيلَ وَحَاسِيَكُمْ عَلَى الْفَقْرِ بِالْمِثْنِ اللَّبَابِ (٥)
فَارِسٌ يَطْمُنُ السَّكَاةَ جَرَى تَحْتَهُ قَارِحٌ (٦) كَلَوْنُ الْغُرَابِ

وَلَمَّا قُتِلَ شُرَحْبِيلُ قَامَ عَوْفُ بْنُ شَجْنَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَمْدٍ دُونَ عِيَالِهِ فَمَنْعُوهُمْ ،
وَحَلَّوْا بَيْنَ النَّاسِ وَيُنِيهِمْ ، وَدَفَعُوا عَنْهُمْ حَتَّى أَلْحَقُوهُمْ بِقَوْمِهِمْ وَمَأْمِنِهِمْ ، وَبَلَغَ امْرَأُ الْقَيْسِ
ابْنَ أَخِي شُرَحْبِيلَ أَمْرُهُمْ مَعَ عَمِّهِ فَقَالَ يَمْدَحُهُمْ ؛ وَيَمْرُضُ بَيْنِي حَنْظَلَةُ الَّذِينَ خَنَلُوهُ :

(١) قَالَ مَطْلُقُ الْأَغَانِي (ص ٦٢ ج ١١ سَاسِي) قَالَ مَنَامٌ : قَتَلَ الْأَبَى : أَيُّ شَيْءٍ كَانَ حَبَاءَ
أَيُّهُ يَوْمَ صَنِيعَاتٍ ؟ قَالَ : كَانَ لِحَارِثِ بْنِ عَمْرِو غَلَامٍ مَسْرُوعٍ فِي بَنِي تَيْمِمْ وَبَكْرٍ ، وَكَانُوا يَقْبِضُونَ
فِي صَنِيعَاتٍ ، فَهَشَّتْ حَبَاةُ الْغَلَامِ ، فَاتَّهَمُوا بِهِ الْحَيْنَ جَيْبًا ، فَجَاءُوا يَمْتَنِرُونَ إِلَيْهِ ، فَأَتَهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ ،
قَالَ : اتَّبَعُونِي بِأَمَانٍ حَتَّى أَسْأَلَ عَنْ ابْنِي وَمَا حَالُهُ ، فَأَتَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ خَرَّ قَتَلْتُهُمْ جَيْبًا .
(٢) يُقَالُ بَعِيرٌ أَسْرٌ : إِذَا كَانَ فِي سِرْتِهِ دَاءٌ فَيَتَجَافَى إِذَا بَرَكَ ، وَالْغُرَابُ : جَمْعُ ظَرْبٍ ، وَهُوَ
مَا تَأْتِي مِنَ الْمَجْلُورَةِ (٣) لِلْسَّلَةِ : الْجَمْرُ (٤) فِي الْفَتَانِ : فِي حَالِ صَبَاةٍ (٥) الْبَابُ : خِيَارُ
الْأَيْلِ (٦) الْقَارِحُ : الْقَرْصُ .

أَحْظَلَّ لَوْ حَامِيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لَأَتْنَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَا رُضَانِي
 أَلَا إِنْ قَوْمًا كُنْتُمْ أَمْسَ دُونَهُمْ هُمْ مَتَمَّوْا جَارًا لَكُمْ آلْ غُدْرَانٍ^(١)
 ثِيَابَ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةً وَأَوَجَّهُمُ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانُ^(٢)
 عُوَيْرٌ^(٣) وَمِنْ مِثْلِ الْعُوَيْرِ وَرَهْطُهُ وَأَسْعَدُ^(٤) فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانُ
 هُمْ أَبْلَغُوا حَيَّ الْمَضَلِّ أَهْلَهُمْ وَسَارُوا بِهِمْ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَنَجْرَانَ
 فَقَدْ أَصْبَحُوا - وَاللَّهُ أَصْفَاهُمْ بِهِ - أَيْرٌ بِمِثَاقٍ وَأَوْفَى بِجِيرَانٍ

(١) قال الوزير أبو بكر شارح ديوان امرئ القيس : يقول : ألا إن قوماً نزلت عليهم وتحرمت بهم هم متموا جاراً لكم بالأمس دونهم ، أى كنت بالأمس جاراً لكم دونهم ، فأردتم أن تفتدوا بي وأضمرتم ذلك ، فأتم أهل غدر (٢) قال فى اللسان : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه من قوم غر وغران ، ثم أشد هذا البيت . وفيه إقواء (٣) عوير : هو عوف بن شجنة ، وصفوان من سادات بني سعد ، والمضلل : يريد شرحبيل ، وقال شارح الديوان : المضلل : المخير الذى لا يدري أين يتوجه ، ولا حيث يأخذ ، يريد أن قبائل العرب كانت تتحاماه ولا تحببه ، خوفاً من الملك الذى كان يطلبه (٤) أسعد : أعان ، فى ليل البلابل : فى الهجوم والافسكار ، كأنه خفف بعضها .

٣- يَوْمَ عَيْنِ أَبَاغ

صار المنذر^(١) بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في ممدّ كلّها حتى نزل بعين أبّاغ ، فأرسل إلى الحارث^(٢) الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام وقال له : إما أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودى ، وإما أن تأذن بحرب .

فأرسل إليه الحارث : أنظرونا ننظر فى أمرنا ، فجمع عساكره ، وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان ، فلا تهلك جنودى وجنودك ، ولكن يخرج رجل من ولى ، ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عونه آخر ، وإذا فنى أولادنا خرجت أنا إليك ، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك ، وتماهدا على ذلك .

فعمد المنذر إلى رجل من شُجَمان أصحابه ، وأمره أن يخرج فيقف بين الصّمين ، ويُظهر أنه ابنُ المنذر ، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب ، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبده ، أو بعض شُجَمان أصحابه .

* للحارث الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة . وعين أبّاغ : واد وراء الأنبار على طريق القرات إلى الشام .

ابن الأثير ص ٣٢٦ ج ١ ، العقد القريد ص ٣٧٤ جزء ٣ ، ديوان الحماسة ص ٣٤٦ ج ٢ ، شواعر العرب ص ٥٦ ، لسان العرب ص ٢٩٨ ج ١٠ ، معجم البلدان ص ٦٨ ج ١ ، تاريخ العرب القدي (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٣٨ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجى زيدان) .

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وقصماً ، عاصر من ملوك الفرس قباذ وابنه آوشروان ، ومن قياصرة الروم الامبراطور جستنيان ، ومن الفساسنة الحارث الأكبر المذكور . فى هذا اليوم ، وفى بعض الروايات إنه صاحب يومى النيم والبؤس (٢) الحارث بن جبلة : أشهر ملوك غسان وأعلام همة وأبعدم موتاً ، وهو القتي سهل لامرئ القيس طريق الوصول إلى قيصر توفى سنة ٥٥٦ م .

قال : يا بني ، أجزعت من اللوت ؟ ما كان الشيخُ ليغدير ! فناد إليه وقاله ،
 قتلته الفارس وألقى رأسه بين يدي النضر وطد ؛ فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله ،
 والطلب بثار أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه رجع إلى أبيه ، وقال : يا أبت ؛ هنا
 والله عبدُ النضر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخُ ليغدير ! فناد إليه ، وشدّ عليه
 الرجل وقتله .

فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي ، وكان مع النضر - وكانت أمه غسانية -
 قال له : أيها الملك ؛ إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت يا بني
 عمك دفتين .

فغضب النضرُ وأمر بإخراجه ، فلحق بمسكر الحارث وأخبره ، فقال له : سل
 حاجتك ، فقال له : 'حُلَّتْكَ وَخُلَّتْكَ' ^(١) . فلما كان الند حرض الحارث أصحابه -
 وكان في أربم بن ألقأ - واصطفوا للقتال ، فاقبلوا قتالاً شديداً ، فقتل النضر ،
 وهُزمت جيوشه .

فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُمِلَا على بعير بمنزلة المدلين ^(٢) ، وجعل
 النضر فوقهما فرداً ، وقال : بالدلاوة بين المدلين ، وسار إلى الحيرة فنهبا وأحرقها ،
 ودفن ابنيه بها ، وبني النزيين ^(٣) عليهما .

وفي ذلك يقول ابنُ الرِّعَاء الضَّبَّابِي :

كَمْ تَرَكْنَا بِالْمَدِينِ عَيْنُ أَبَاغٍ مِنْ مُلُوكٍ وَسُوقَةٍ أَكْغَاءُ

(١) الخلة : الصداقة (٢) المدل : التل ، وقال : طاله في الحمل ركب معه (٣) الريان :
 بناءً بالكوفة ، وفي بعض الروايات : إن أباغ بن النزيين هو النعمان بن النضر على قبي
 نديمه .

أَمْطَرْتَهُمْ سَحَابَ الْوَيْحِ إِنَّ فِي الْوَيْحِ رَاحَةَ الْأَشْقِيَاءِ
 لَيْسَ مِنْ مَلِكٍ فَاسْتَرَحَّ بِمَيْتٍ إِنَّمَا لِلْبَيْتِ مِيتَ الْأَحْيَاءِ
 وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قُتِلَ فِرْعَوْنُ وَبَنُوهُ قَالَتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ (١)
 تَرَى أَبَاهَا :

بَيْنَ أَبْنَاءِ قَوْمِنَا لِلنَّيَابِ فَكُلَّ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ (٢)
 وَقَالُوا مَا جَدْنَا مِنْكُمْ قَتَلْنَا كَذَلِكَ الرَّمْحُ يَكْلَفُ بِالْكَرْمِ (٣)

(١) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : إِنَّ قَاتِلَهُ هَذِهِ الْآيَاتِ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ الْخَنَزِرِ فِي أَبِيهَا (٢) الْمَتَى : إِنَّ النَّبِيَّ
 لَمَّا قَاتَلْنَا أَخَذْتَ خَيْرَ قَسَمٍ ، وَمَا لِلرَّيْبَانِ (٣) مَا جَدْنَا انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَقُولٌ مُقَدَّمٌ وَالْمَتَى ؟
 تَعْلَمُوا : مَا جَدْنَا مِنْكُمْ قَتَلْنَا . فَأَجِيبُوا : الرَّمْحُ يَمْتَنِي الْكَرْمَ وَيُؤْلِجُ بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ . وَرَوَايَةُ الْإِسْلَامِ
 جَدِمَ الْبَيْتَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ، وَرَوَى الْبَيْتَ الثَّانِي :

وَقَالُوا لَوْ مَا مِنْكُمْ قَتَلْنَا قَتَلْنَا الرَّمْحَ يَكْلَفُ بِالْكَرْمِ

٤- يوم حليمة

لما تولى المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة^(١) ، واستقر في ملكه سار إلى الحارث النسائي^(٢) طالباً بثأر أبيه عنده ، وبعث إليه : إني قد أعددت لك الكحول على الفحول^(٣) ، فأجابه الحارث : قد أعددت لك الرد على الجرذ^(٤) . وسار المنذر حتى نزل بمَج حليمة ، وسار إليه الحارث أيضاً ، ثم اشتبكوا في القتال ، ومكنت الحرب أياماً ينتصف بعضهم من بعض .

فلما رأى ذلك الحارث قعد في قصره ، ودعا ابنته حليمة ، وكانت من أجل النساء ، فأعطاهما طيباً وأمرها أن تطيب من مر بها من جُنده ، فجعلوا يمرّون بها وتطيّبهم^(٥) ، ثم نادى : يا فتیان غسان ؛ من قتل ملك الحيرة زوجة ابنتي . فقال لبيد بن عمرو النسائي^(٦) لأبيه : يا أبت؛ أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة ،

* للحارث الأعمرج بن جبلة ، ملك العرب بالشام على المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، ملك العرب بالحيرة ، وحليمة هي بنت الحارث ، وفي هذا اليوم ضرب الثل : ما يوم حليمة بسر .

ابن الأثير ص ٣٢٨ ج ١ ، المفضليات ص ١٨٧ ، معجم البلدان ص ٣٣٠ ج ٣ ، خزنة الأدب ص ٣٠٣ ج ٣ ، نمار القلوب ص ٢٤٨ ، رغبة الأمل من شرح الكامل (للمرصفي) ص ٣٣ ج ١ مجمع الأمثال ص ٢٠٢ ج ٢ ، تاريخ العرب القدامى (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٤٤ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجي زيدان) ص ١٩٣

(١) كان يلقب بالأسود ، ولم يمكث في الملك طويلاً مات سنة ٥٨٢ م (٢) في ابن الأثير: إن الحارث هذا هو صاحب يوم عين إبّاغ ، وري جورجي زيدان ، أنه غيره ، (ص ١٩٣) من تاريخ العرب قبل الإسلام (٣) الفحول : المذكور من كل حيوان ، والكحول : جمع كهل وهو من كانت سنة بين الرابعة والثلاثين والحادية والخمسين (٤) الرد جمع أصرد وهو الشاب طرشاربه ولم تنبت لحية ، والجرد : جمع أجرد وهو القرس السباق (٥) وفي خزنة الأدب : إنها أخرجت لهم مركناً من طيب وطيّبتهم (٦) قال الحارث بن أبي شمر عنه لابنته : هو أرحام عندي ذكاء فؤاد .

ولست أرضى فرسى فأعطيتى فرسك ، فأعطاه فرسه ، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على المنذر فصر به ضربة ، ثم ألقاه من فرسه ، وانهزم أصحاب المنذر من كل وجه ، ونزل لبيد فاحتر رأسه ؛ وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم ، فألقى الرأس بين يديه ، فقال له الحارث : شأنك بابنتي عمك ^(١) ، فقد زوجتكها . فقال : بل أنصرف فأوأسى أصحابي بنفسى ، فإذا انصرف الناس انصرفت .

ورجع فصادف أبا المنذر قد رجع إليه الناس وهو يُقاتل ، وقد اشتدت نكابته ، فتقدم لبيد فقاتل حتى قُتل ، ولكن لخمًا انهزمت ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرفت غسان بأحسن الظفر ، بعد أن أسروا كثيرًا ممن كانوا مع المنذر من العرب .

وكان من أبرهم الحارث مائة من بنى تميم ، فيهم شأس بن عبدة ، ولما سمع أخوه حلقة ^(٢) وفد إليه مُستشفعًا وأنشده هذه القصيدة :

طَحَابِكْ قَلْبُ فِي الْحِسانِ طَرُوبُ بُعِيدَ الشَّبابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ ^(٣)
 يُكَلِّفُنِي لَيْلَى. وَقَدْ شَطَّ وَلِيهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ ^(٤)
 مُنَاعِمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تَزَارَ رَقِيبُ ^(٥)
 إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تَقْشِرْ سَرَّهُ وَتُرْضَى إِيَّابَ الْبَعْلِ حِينَ يَتُوبُ
 فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سَقَنْتُكَ رَوَايَا الزَّنِّ حَيْثُ تَصُوبُ ^(٦)

(١) يريد حلقة (٢) هو حلقة بن عبدة البعل ، ولقب بالبعل لأنه غلب امرأة القيس . وكان معاصراً له . في الشعر ، وتزوج أمه ، وله ديوان مطبوع توفي سنة ٦٥١ م (٣) طحا : ذهب في مذهب بيد ، وطروب : كثير الطرب ، وحن : قرب (٤) شط : بعد ، وليها : قربها ، والوادى : حوادث الأيام (٥) الناعمة : المرأة الحسنة الفناء كالنعمة ، وروى في المفضليات : نعنة (٦) المغمر : القى لم يجرب ، والروايا : الإبل التي تحمل الماء ، شبه سحائب الزن بها .

سَقَاكَ يَمَانٍ ذُو حَيٍّ وَعَارِضٌ تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ الشَّيْءِ جَنْوَبٌ^(١)
وَمَا أَنْتَ؟ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَيبِيَّةٌ يُخَطُّ لَهَا مِنْ تَرَمَدَاءَ قَلْبٍ^(٢)
فَلَنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ^(٣) بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَلَبِيبُ
إِذَا شَلَبَ رَأْسُ الرِّءْ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْمَنْ نَصِيبُ
يُرْدَنْ نَرَاءَ السَّالِ حَيْثُ عَلِمْتَهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ
فَدَعْنَاهَا وَسَلِّ الْهَمِّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ كَهَمِّكَ فِيهَا بِالرَّدَاكَ خَيْبُ^(٤)
وَتَاجِيَةٌ أَفْنَى رَكِيبٍ ضُلُوعَهَا وَحَارِكَا تَهْجُرُ فِدْمُوبُ^(٥)
تَتَّبَعُ أَفْيَاءَ الظَّلَالِ عَشِيَّةً عَلَى طَرَقٍ كَأَنَّهَا سُبُوبُ^(٦)
بِهَا حَيْفُ الصَّرَى قَامَا عَظَامَهَا فَيَيْضُ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ^(٧)
فَأَوْرَدْتُهَا مَاءَ كَأَنَّ رِجَامَهُ مِنْ الْأَجْنِ حِنَاءَ مَا وَصِيبُ^(٨)
تُرَادَى عَلَى دِمْنِ الْحِيَاضِ فَلَنْ تَفَّ فَلَنْ لِلنَّدَى رِحْلَةً فَرُكُوبُ^(٩)

(١) المي: الحطب (٢) أم: حرف رد به الاستغناء قبله، وذكرها: تذكرها ورابية: منسوبة إلى ربيعة، ويخط فيها من الخط وهو الحفر. وترمدا: موضع معروف بالحصب. والقلب: البئر. يقول: ما شألك تبذل حلك من محو إلى سكرة، أم ما قد كرك ليلى وهي ربيعة ذات غنى وسعة. ورواه في اللان: أما ذكرها رابية (٣) في التفضيلات: بصير (٤) الجسرة: الناقة للاضحية، وكهمك: كزملك، والرداف: جمع رديف وهو من يركب خنك، والحبيب نوع من البير (٥) التاجية: الناقة تجوز ركابها، والركيب: ملوك على الضلوع من النعم، والمرك عظم مشرف من جانبي الكامل، والتجير: البير في المجرة، وبالهوب: للناقة في البير (٦) يريد بالسبوب: ما تنسج به البهائم الرياح الحارة (٧) الحسرى من الإبل التي كانت وتعت، والصليب: الصديد (٨) جملة: مياحه الكثيرة، والأجن: اختلاط الماء بغيره، والصيب: لهم، وصف الماء بالخير ليد الهد (٩) ترادى: تزلزل، والهمن: بجة الماء في الحوض، والتدية: أن تورد الإبل فتشرب قليلا، ثم ترعى، ثم ترد إلى الماء.

وَتَصْبِيحُ عَنْ غِبِّ الشَّرَى وَكَأَنَّمَا مَوْلَةٌ تَخْشَى الْقَنِيصَ شَبُوبُ^(١)
تَفَقَّقَ بِالْأَرْطَى لَهَا وَأَرَادَهَا رَجَالٌ فَبَذَتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبُ^(٢)
إِلَى الْحَرْثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقِي لِكَلِّهَا وَالْقَصْرَيْنِ وَحَيْبُ^(٣)
لِتُبَلِّغْنِي دَارَ امْرِئٍ كَانَ نَائِيًا فَقَدْ قَرَّبْتَنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ^(٤)
إِلَيْكَ أَيْتَ اللَّحْنِ كَانَ وَجِيفُهَا بِمُسْتَبَهَاتٍ هُوْلُهُنَّ مَهِيْبُ^(٥)
هَدَانِي إِلَيْكَ الْفَرَقْدَانِ وَلَاحِبُ لَهُ فَوْقَ أَصْوَاءِ اللَّتَانِ عُلُوبُ^(٦)
وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانِي وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِضْتُ رُبُوبُ^(٧)
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبَهَا وَغُودِرَ فِي بَعْضِ الْجُنُودِ رَيْبُ^(٨)
فَوَاللهِ لَوْلَا فَارَسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ لَأَبَوَا خَزَايَا وَالْإِيَابِ حَيْبُ^(٩)
تَهْدَمُهُ حَتَّى تَغِيْبَ حُجُولُهُ وَأَنْتَ لِيَيْضِ الدَّارَعَيْنِ ضُرُوبُ^(١٠)
مُظَاهِرُ سِرْبَالِي حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا عَقِيلَا سَيُوفٍ مِخْدَمٌ وَرَسُوبُ^(١١)

(١) غب كل شيء : آخره ، والمولدة : البقرة الوحشية ، والقنيس : الصائد ، والشبوب :
الثابة من البقر (٢) تفقق : لاذ ، والضمير للمائد ، والأرطى : شجر ، وبنت : سبت ،
والكلب : جماعة الكلاب : يشبه ناقته في شدة عدوها عقب سيرها بلا يقرة وحشية تحذر قبيحاً
تولرى بشجر الأرطى ليختلها ، وقد أعد لها نبلًا وكلاباً فرماها بهما فبقيتهما ولم يدركاها
(٣) أعمل الناقة : ساقها ، والكلكل : الصدر ، والقصران : ضلعان ، والوجب : الحققان
(٤) القروب : اسم الناقة (٥) الوجيف : نوع من سير الإبل ، وللمستبهات : الطرق النافضة ،
ومهيوب : يهاب الناس اقتحامه (٦) اللاحب : الطريق الواضح ، وأصواء اللتان : ما خلف على
مق الأرض ، واللوب : الآثار ؛ يصف وضوح الطريق بآثار السيلة (٧) أفضت : انتهت ،
وأمانتي : طاعتي ، والربوب كالأرباب (٨) ريبها : هو التندر (٩) فارس الجون : هو الحارث
الغساني ، والجون فرسه ، وضمير منهم راجع إلى الغسانيين ، يقول : لولا لثقلت كتاب التندر جنود
العلم (١٠) تهدمه : الضمير راجع إلى القرس (الجون) (١١) ظاهرين درعين ، أي لبس
لحمًا فوق الأخرى ، والسربال : الفرع ، وعقيل كل شيء : أكرمه ، ومخدم ورسوب : سيفان.

فجالدَنَّهُمْ حَتَّى أَتَوَّكَ بِكَذِّبَتِهِمْ وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانٍ أَهْلَ حِفَاطِهَا
وَهَنَّبُ وَفَأَسْ جَالَدَتْ وَشَيْبُ (١)
تَحْشِشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ تَحْشِشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
نَجُودٌ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا نَجُودٌ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا
كَأَنَّ رِجَالَ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ كَأَنَّ رِجَالَ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ
رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فِدَاحِضُ رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فِدَاحِضُ
كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ
فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً بِلِجَامِهَا فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً بِلِجَامِهَا
وَلَا كَمَى ذُو حِفَاطٍ كَأَنَّهُ وَلَا كَمَى ذُو حِفَاطٍ كَأَنَّهُ
وَأَنْتَ الَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ وَأَنْتَ الَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ
فَلَا يَحْرَمُنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ فَلَا يَحْرَمُنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ

(١) هنب وفأس وشيب: أحياء في العرب (٢) الحشخشة: صوت الثوب الجديد إذا تحرك ،
والأبدان: الدروع ، والجبوب: ريع (٣) خصب: كريم لا يرضن بنفسه (٤) لبانه: أى
لبان فرسه ، والأوس وجل وعتيب: قبائل (٥) رغا فوقهم سقب السماء: يعنى أنهم قد استوصلوا
وهلكوا كما هلكت نمود حين عقروا الناقة فرغا سقبا ، والسقب ولد الناقة ، والداحض الذى يحرك
رجليه عند الموت ، والشكة جملة السلاح ، كأن القتلى أكبر من أن يحاط بهم فنهزم من سلب ومنهم
من لم يسلب (٦) صابت: من الصوب وهو نزول المطر ، والصواعق: النار التى تسقط من السماء
مع الرعد ، والطيرهن: يريد لما تطاير منها (٧) الشطبة: القرس السبطة اللحم ، والطير:
القرس المستمد للوئب ، والجيب: الكريم من الحيل (٨) خصب: مخضوب بحمرة
(٩) الندوب: آثار الجرح (١٠) الذنوب: النصيب (١١) يريد بالنائل: إطلاق شأس ،
والجناية: البعد والغربة ، ومناه: لا تحرمنى بعد غربة وبعد عن ديارى .

ولما بلغ إلى قوله : « فحق لشأس من نذاك ذنوب » قال الملك : أى والله وأذنية ، ثم أطلق شأسا وقال له : إن شئت الحياء ، وإن شئت أسراء قومك . وقال جلسائه : إن اختار الحياء على قومه فلا خير فيه ، فقال : أيها الملك ، ما كنت لأختار على قومي شيئا ، فأطلق له الأسرى من نعيم وكساء وجبأه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زاداً كثيراً ، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا له : أنت كنت السبب فى إطلاقنا ، فاستمينا بهنا على دهرك ، فحصل له كثير من إبل وكسوة وغير ذلك .

٥- يوم الحامي

كان المارثُ بن جَبَلَة النَّسائي قد أسلح بين قبائل طيٍّ، فلما هلك طعت إلى حميرِها، فالتقتْ جَدِيْلَةُ والنَّوْثُ بموضع في حرب، قُتِلَ قائِدُ بني جَدِيْلَة وهو أسبع ابن عمرو بن لأم، وأخذ رجلٌ من سِنَيْس أذنيه فخصَفَ بهما نكبه. وفي ذلك قال أبو سروة السنيسي:

فَخَصِفَ بِالْأَذْنِ مِنْكُمْ نِمَالَنَا وَنَشْرِبُ كُرْهًا مِنْكُمْ فِي الْجَاهِمِ
وَتَنَاقِلُ الْحَيَّانَ فِي ذَلِكَ أَشْطَرًا كَثِيرَةً.

وعظم ما صنعت النَّوْثُ على أوس بن خالد بن لأم، وعزم على لقاء الحرب بنفسه، وكان لم يشهد الحروب للتقدمة، هو ولا أحد من رؤساء طيٍّ، كحاتم بن عبد الله، وزيد الخليل، وغيرهم من الرؤساء؛ فلما تجهز أوس للحرب، وأخذ في جمع جديلة ولقها قال أبو جابر:

أَقِيمُوا عَلَيْنَا الْقَصْدَ يَا آلَ طِيٍّ وَإِلَّا فَلَنْ أَلِمَّ عِنْدَ التَّحَايِبِ
فَنِمْثَلْنَا يَوْمًا إِذَا الْحَرْبُ شَعَرَتْ وَمِنْ مِثْلَنَا يَوْمًا إِذَا لَمْ نَكُتَابِ
وَبَلَغَ النَّوْثُ جَمْعُ أَوْسٍ لَهَا، وَأَوْقَعَتِ النَّارُ عَلَى ذِرْوَةِ أَجَا^(١) - وذلك أول يوم تَوَقَّدَ عليه النار - فأقبلت قبائلُ النَّوْثِ، كل قبيلة وعليها رئيسها؛ ومنهم زيد الخليل، وحاتم.

* نوت على جديلة (كلام من طي) ويرى أيضاً بطرات حوق. واليعليم ماء على طريق مكة.

ابن الأثير ص ٢٨٨ ج ١، مذهب الأغانى نسخة ٧٨ ج ١
(١) أجأ ولسى: جيلان للطي.

وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس ألا يرجع عن
طبي حتى ينزل معها جليلها أجا وسلمى ، وتُجبي له أهلها ، وتراحفوا ، فأتوا
قتالا شديداً .

قال عدى بن حاتم : إني لو اوقف يوم اليعاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى
زيد الخليل قد أحضر ابنه مكثفا وحُرِيْفاً في شُعب لا منفذ له وهو يقول : أى بنى ؟
أخيا على قومك ، فإن اليوم يوم التَّفاني ، فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال ؟
قلت : كأنك قد كرمت قتال أخوالك ؟ فاحمرت عيناه غضباً ، وتناول إلي ، حتى
نظرتُ إلى ما تحته من مَرَجِه فخطته ؛ فضربتُ فرسى ، وتنحيت عنه ، واشتغل
بنظره إلى عن ابنه ، فخرجا كالصَّقرين ، ثم انهزمت جديلة عند ذلك ، وقُتل فيها
قتلٌ ذريع .

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليعاميم ، فدخلوا بلاد كلب ، فحالفوهم
وأقاموا معهم .

٦ - ٦- حروب الأوس والخزرج رج*

”١“ حرب سمير

لما كان سيل العرم خرجت الأزد^(١) من اليمن مع رؤسائهم إلى تهامة ، ثم هاجروا إلى النواحي الشمالية منها ، ونزل الأوس والخزرج بضواحي المدينة ، ولم يكونوا حين نزلوا أهل نعم وشاء وخيل وأموال ، وإنما كان ذلك كله لليهود ، فماشوا بين اليهود بالضواحي والقرى في شطَف من العيش ، وهوان وإذلال من اليهود ؛ إذ حكموهم وتحكّموا فيهم ، وألزموهم أداء الخراج . وظلّوا على هذه الحال مدة حتى وفد وفد منهم ؛ هو مالك بن المجلان الخزرجي إلى النسائيين بالشام ، ونزل على أحد أشرافهم واسمه أبو جبيلة ، واستجاره على اليهود ؛ فأجاره ، وجاء إلى المدينة ، وقتل عطاء اليهود ، ثم عاد إلى الشام بعد أن مكّن للأوس والخزرج بالمدينة .

* الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو مزقيا بن طمر ماء الساء بن حارثة الطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقد نشبت بينهم تلك الحروب في الجاهلية ؛ وهذه أشهرها :

(١) حرب سمير : للأوس على الخزرج .

(٢) حرب كعب : للخزرج على الأوس .

(٣) حرب حاطب : للخزرج على الأوس .

(٤) يوم بسات : للأوس على الخزرج .

ابن الأثير ص ٤٠٢ ج ١ ، تاريخ العرب القدي ص ٢٥٠ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٥٠ ، الأغاني ص ١٨ ج ٣ (طبعة البار) ، ص ١١٨ ج ١٣ طبعة الساسي ، جبهة أشتار العرب ص ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، مذهب الأغاني ص ١٢٢ ج ١ ، للفضليات ص ١٣٥ ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ص ٢١٢ جزء ٢ .
(١) الأزد : شعب من كهلان .

وظل الحيّان على اتفاق ووثام، حتى وفد على المدينة وافدٌ من ذبيان اسمه كعب التملبي، ونزل على مالك بن المجلان الخزرجي وحالفه وأقام معه، ثم خرج كعب يوماً إلى سوق بني قينقاع^(١)، فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول: لِيَأْخُذْ هذا الفرس أعزُّ أهلِ يَثْرِبِ^(٢)، فقال رجل: فلان، وقال رجل آخر: أحيحة بن الجُلّاح الأوسي، وقال غيرها: فلان ابن فلان اليهودي أفضل أهلها.

وقال كعب التملبي: مالك بن مجلان أعزُّ أهل يَثْرِبِ، وكثُرَ الكلام، ثم قبل الرسول قول كعب التملبي، ودفع الفرس إلى مالك بن المجلان الخزرجي. فقال كعب: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ حَلِيقَ مَالِكَا أَفْضَلَكُمْ! فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له: مُسمِر بن يزيد، وشتمه واقتربا، وبقي كعب ما شاء الله.

ثم قصد سوقاً لهم بقباء، فقصده مُسمِر، ولازمه حتى قتله، وأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم منا قتيلاً، فأرسلوا إلينا بقاتله، فمجاهم رسول مالك تَرَامَوْا به: فقال بنو زيد: إنما قتلته بنو جَحْجَبِي وقالت بنو جَحْجَبِي: إنما قتلته بنو زيد^(٣)؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِلَ فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يُدرى أيهم قتله.

ولما تأكد عند مالك أن مُسمِرًا هو الذي قتله أرسل إلى قومه بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله مُسمِر، فأرسلوا به إلى أقاتله، فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل مُسمِرًا من غير يثقة. وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه مُسمِرًا ويأبؤون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو كرهوا أن يُنْشَبُوا بينهم وبين مالك حرباً،

(١) بنو قينقاع: شعب من اليهود (٢) قيل: إن الذي بعثه هو عبد ياليل الثقفي

(٣) بنو جحجي وبنو زيد: بطنان في الأوس.

فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حليف ، وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية . فنضب مالك وأبى إلا أن يأخذ الدية كاملة أو يقتل مُسميراً ، فأبى بنو عمرو بن عوف أن يسطوه إلا دية الحليف وهي نصف الدية ، فمهدعوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس^(١) ، أحد بني الحارث بن الخزرج ، فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن المجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك ، وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصره قبائل الخزرج ، فأبى بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس ، فقال مالك يذكر خذلان بن الحارث ، وحدث بني عمرو على مُسمير ، وبحرّض بني النجار على نصرته :

إن مُسميراً أرى عشيرته قد حَدَّيُوا دونه وقد أنفوا
 إن يكن الظن صادقاً بيني النجار لا يَطْمَعُوا الذي عُلِفُوا^(٢)
 لا يُسَلِمَرْنَا لمُشر أبداً مادام منا يَبْطِنُها شَرٌّ^(٣)
 لكن موالى قد بدا لهم رأى سوى مالهى أو ضَمَفُوا
 بين بني جَحْجَجِي وبين بني زيد فأنى لجارى التلّف
 يمشون في البَيْضِ والدُرُوعِ كما تمشى جبال مصاعب قُطِفُ^(٤)
 كما تمشى الأسود في رَهْجٍ^(٥) الموت إليه وكلهم لَهْفُ

(١) جد عبد الله بن رواحة الأنصاري (٢) قال صاحب الأغاني: يقال علقوا الضم إذا أقر وابهى أى ظنى بهم أنهم لا يقبلون الضم (٣) الشرف : الشريف (٤) البيض : جمع بيضة ، وهي ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية في الحرب ، والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الصل القى لم يركب ولم يمه جمل حتى صار صعباً ، والقطف : البطيئة الخطو (٥) الرهج : التلهل .

وقال درهم بن زيد أخو سمير في ذلك :

يا قوم لا تقتلوا مُسمِراً فإنَّ القتل فيه البوارُ والأسفُ
إن تَقْتُلُوهُ تَرِنُ نَسْوَتِكُمْ عَلَى كَرِيمٍ وَيَفْزَعُ السَّلَفُ^(١)
إِنِّي لَمَعْرُؤٌ الَّذِي يَحْجُجُ لَهُ النَّاسُ وَمِنْ دُونِ بَيْتِهِ سَرَفُ
يَمِينُ بَرٍّ بِاللَّهِ جَهْدُ يَحْلِفُ إِنْ كَانَ يَنْفَعُ الْحَلِفُ
لَا نَرْفَعُ الْعَبْدَ فَوْقَ سَنَّتِهِ مَا دَامَ مَنْهَا يَظْلِمُهَا شَرَفُ
إِنَّكَ لَأَقْرَبُ غَدَا غَوَاةِ بَنِي عَمِي فَأَنْظِرْ مَا أَنْتَ مُزْدَهِفُ^(٢)
فَأَبْدِرْ سِيَمَاكَ يَتَرَفُّوكَ كَمَا يُبْدُونَ سِيَاهِمَ فَتَمْتَرِفُ^(٣)

ثم أرسل مالك إلى بني عمرو يُؤذَنهم بالحرب ، ويمدُّهم يوماً يلتقون فيه ، وأمر
قومه فتهيئوا للحرب ، وتماشد الحيَّان ، وجمع بعضهم لبعض ، ثم زحف مالك بمن
معه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنضير ، والتقوا
بفضاء قريب من قُبَاء ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانصرفوا وهم منتصفون جيماً ، ثم
التقوا مرةً أخرى عند أطم بني قَيْنَعَا ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر
للاوس على الخزرج ، وفي ذلك قال أبو قيس بن الأسلت :

لقد رأيت بني عمرو فها وهنوا عند اللقاء وما هموا بتكذيب
أَلَا فَدَى لَهُمْ أُمِّي وَمَا وَلَسْتُ غَدَاةَ يَمْشُونَ إِرْقَالَ الْمَصَاعِبِ^(٤)

(١) ترن نوسنكم : يرضن أصواتهن بالبكاء (٢) مزدهف : مقتحم (٣) قال صاحب
الأغانى : معنى قوله : فأبد سياهك : أن مالك كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف
فيقصد (٤) الإرقال : الإسراع في السير .

بكل سَلْمَةٍ كَالْأَيْمِ ماضِيَةٍ وكل أبيض ماضى الحد مغشوب^(١)
ولبت الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر مُمَيَّر يتعاودون القتال في
ذلك السنين ، وكثرت أيامهم ومواطنهم .

ولما رأيت الأوس طول الشر ، وأن مالكا لا ينزع^(٢) ، قال لهم سويد بن صامت
الأوسى^(٣) : يا قوم ، أرضوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوانكم ؛
فيقتل بعضهم بعضاً ، ويطلع فيكم غيركم ، وإن حملتم على أنفسكم بعض الحمل .

فأرسلت الأوس إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم وبينه ثابت^(٤) بن النضر بن
حرام ، فأجابهم إلى ذلك ، وخرجوا حتى أتوا ثابت بن النضر ، فقالوا : إنا حكمناك
بيننا ؛ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردوا حكمي كما
وعدتم حكمهم وبن امرئ القيس فقالوا : فإنا لا نرد حكمك ، فاحكم بيننا ، قال : لا أحكم
بينكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً لترضون بحكمي وما قضيتُ به ، ولتسلمن له .
فأعطوه على ذلك عهودهم وموائيقهم ، فحكم بأن يُودى حليفُ مالك دية الصريح ،
ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على دية والحليف على دية ،
وأن تعد القتل الدين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ، ثم يكون بعض يعض ،
ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضل في القتل من الفريقين .

فرضي بذلك مالك ، وسلمت الأوس ، وتفرقوا ، على أن يكون على بني النجار
نصف دية جار مالك معونة لا لخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفها . فرأت بنو عمرو

(١) السلبة : الطويلة من الخيل ، والأيم : الحية ، والمغشوب : للصفول (٢) ينزع : يكف
(٣) كان يقال له في الجاهلية الكامل ، وكان الرجل ضد العرب إذا كان شامراً كاتباً رامياً
صموه الكامل (٤) أبو حسان بن ثابت .

أنهم لم يُخرجوا إلا الذي كان عليهم ، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووَدِيَ جاره دية الصّريح .

وفي تلك الحرب قال قيس^(١) بن الخطيم الأوسى ، ولم يدرك هذه الحرب ، ولكنه قال ذلك بعدها بزمان :

رَدَّ اخْلِيْطُ الْجَمَالَ فَانصَرَفُوا ماذا عليهم لو أنهم وَقَفُوا^(٢)
لو عَرَجُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثُ يُضْحَى جِالَهُ السَّلَفُ^(٣)
فِيهِمْ لَعُوبُ الْعِشَاءِ آنَسُ الدَّلِّ عَرُوبٌ يسوءها الخَلْفُ^(٤)
يَنْ شُكُولِ النِّسَاءِ خِلْقَتُهَا قَصْدٌ فَلَا جَبِلَةٌ وَلَا قَصَفُ^(٥)
تَنَامُ عَنْ كُبْرٍ شَأْنَهَا فَإِذَا قامت رويداً تَكَادُ تَنْفَرِفُ^(٦)
تَتَرَقُّ الطَّرْفُ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كأنما شَفَّ وجهها نَزْفُ^(٧)
حَوْرَاهُ جَيْدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كأنها خُوطُ بَانَةِ قَصِيفُ^(٨)
قَضَى اللَّهُ لَهَا حِينَ صَوَّرَهَا خَطَائِقُ إِلَّا يُكِنُّهَا سَدَفُ^(٩)

(١) قيس بن الخطيم : شاعر جاهلي أوسى ، جيد الشعر ، حسن الديباجة ، أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام ، وتلا عليه شيئاً من القرآن ، فقال : إني لأسمع كلاماً عجباً ، فدعنى أنظر في أمرى هذه السنة ، ثم أعود إليك ، فأتى قبل الحول سنة ٦١٢ م (٢) أى ردوا جالهم من الرعى ليرتحلوا (٣) الريث : مقدار المهلة من الزمان ، ويضحي : من الضحاء وهو أن يرعى الإبل ضحى ، والسلف : القوم الذين يتقدمون الظن في السير (٤) لعوب العشاء : تسر مع السمار وتلهو ، والعروب : الحسنة التحية إلى زوجها (٥) شكول : أنواع ، والجبلية : الغليظة ، والقصف : القليلة اللحم (٦) تنفر : تنقص من دقة خصرها (٧) يريد : من نظر إليها فرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر إلى غيرها وهى لاهية غير محتفلة وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دماها منزوف (٨) الحوراء : الواسمة العين ، والجيداء : الطويلة الجيد ، والحوط : الفصن ، والقصف : الناعم الثنى (٩) السدف : الظلمة ؛ أى أنها مضيئة لا تسترها ظلمة

خَوْذُ يَفْثُ الحديث ما صَمَتَتْ وهو يَفْثُ ذُو لَذَّةٍ طَرَفُ^(١)
تَخَزْنُهُ وهو مُشْتَهَى حَسَن وهو إِذَا مَا تَكَلَّمْتُ أَفْ^(٢)
أَبْلَغُ بَنِي جَجَجِي وَإِخْوَتَهُمْ زَيْدًا بَانًا وَرَاهِمُ أَفْ^(٣)
إِنَّا وَإِنْ قَلَّ نَصْرُنَا لَهُمْ أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَاهِمُ تَجِفُ^(٤)
لَا بَدْتَ نَحْوَنَا جِيَاهُمُ حَنْتُ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصُّحُفُ^(٥)
نَقَى بِحَدِّ الصَّفِيحِ هَامِهِمْ وَفَانَا هَامِهِمْ بِهَا جَنْفُ^(٦)
يَقْبِعُ آثَارَهَا إِذَا اخْتَلَجَتْ سُخْنُ عَيْبِطُ عُرُوقُهُ نَكِفُ^(٧)
إِنْ بَنِي عَمْنَا طَفَّوْا وَبَقَوْا وَلَجَّ مِنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ سَرَفُ^(٨)
فَرَدَ عَلَيْهِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ النَّجَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ^(٩) ، وَلَمْ يَدْرِكْ هَذِهِ الْحَرْبَ أَيْضًا :
مَا وَالْ عَيْنِيكَ دَمْعَهَا يَكِفُ مِنْ ذِكْرِ خَوْذٍ شَطَّتْ بِهَا قَدَفُ^(١٠)
بَانَتْ بِهَا غَرَبَةٌ تَوْمُ بِهَا أَرْضًا سَوَانًا وَالشَّكْلُ مُخْتَلِفُ^(١١)
مَا كُنْتُ أَدْرِي بَوَاشِكُ بَيْنَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحُدُوجَ تَنْقَدِفُ^(١٢)
يَعْنِي ذَا وَعْدَةِ الْقَرِيضِ فِي نَقِيرٍ يَرْجُونَ مَدْحِي وَمَدْحَى الشَّرَفِ^(١٣)
إِنْ تَدْعُ قَوْمِي لِلْمَجْدِ تُلْفُهُمْ أَهْلَ فَعَالٍ يَبْدُو إِذَا وَصِفُوا^(١٤)
إِنْ سَمِيرًا عَبْدٌ طَفَى سَفَهًا سَاعِدُهُ أَغْبَدَ لَهُمْ نَطَفُ^(١٥)

(١) الخوذ : الشابة الناعمة ، والطرف : المستطرف المحبوب (٢) الأنف : المتأنف الجديد
(٣) أف : ذو أنفة ، ندفع الضيم عنهم وتنصرم (٤) الصحف : المهود (٥) يقال فلاه
بالسيف ؛ إذا علاه ، والصفيح : جمع صفيحة ، وهي السيف العريض . والجنف : انحراف وميل
عما توجهه القربى والرحم . قال شارح ديوانه : يريد أن قتلنا لإيام عنف منا ؛ لأنهم قومنا وبنو
عمننا (٦) اختلجت : انتزعت . وسخن عيط : دم طرى ساخن (٧) حسان بن ثابت : فعل
من غول الشعراء ، وأحد الممرين المخضرمين ، كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي
صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر الين في الإسلام ، توفي سنة ٥٤ هـ (٨) فلف : بميدة
(٩) النطف : القرط .

«٢» حَرْبُ كَعْب

تَزَوَّجَ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمَازِي الْحَزْرَجِيُّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَالِمٍ^(١)، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا، فَقَعِدَ لَهُ رَهْطٌ مِنْ بَنِي جَحْجَجٍ مِنَ الْأَوْسِ بِمَرْصَدٍ، فَضَرَبُوهُ حَتَّى قَتَلُوهُ أَوْ كَادُوا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو خَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ بَنُو النَّجَّارِ^(٢) وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي جَحْجَجٍ يُؤْذِنُهُمْ بِحَرْبٍ، فَتَلَاقَوْا بِالرُّحَابَةِ^(٣)، وَاقْتَتَلُوا اقْتِتَالًا شَدِيدًا، وَانْهَزَمَتْ بَنُو جَحْجَجٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ أُحَيْحَةَ بْنُ الْجُلَّاحِ الْأَوْسِيُّ، فَطَلَبَهُ عَاصِمٌ فَأَذْرَكَهُ وَقَدْ دَخَلَ حِصْنَهُ، فَرَمَاهُ بِهِمْ فَوْقَ فِي بَابِ الْحِصْنِ، وَرَجَعَ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ، وَمَكَّنُوا أَيَّامًا. ثُمَّ إِنَّ عَاصِمًا طَلَبَ أُحَيْحَةَ لَيْلًا لِيَقْتُلَهُ فِي دَارِهِ، وَبَلَغَ أُحَيْحَةَ ذَلِكَ فَقَالَ:

نَبَيْتُ أَنَّكَ جِئْتَ تَسْرِى بَيْنَ دَارِي وَالْقُبَابَةِ^(٤)
فَلَقَدْ وَجَدْتُ بِجَانِبِ الضَّحْيَانِ^(٥) شَبَانًا مُهَابَةً
فَتَيَّانَ حَرْبٍ فِي الْحَدِيدِ وَشَامِرِينَ كَأَسَدٍ غَابَهُ
مَنْ نَكَبُوكَ عَنِ الطَّرِيقِ فَبِتَّ تَرْكَبُ كُلَّ لَابَةٍ^(٦)
أَعَصِمَ لَا تَجْزِعُ فَإِنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ بِاللُّدْءِ عَابَةٍ
فَأَنَا الَّذِي صَبَّحْتُكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ دَخَلُوا الرُّحَابَةَ
وَقَتَلْتُ كَعْبًا قَبْلَهَا وَعَلَوْتُ بِالسَّيْفِ الدُّوَابَةَ

(١) بنو سالم : قبيلة في الحزرج (٢) بنو النجار : قبيلة في الحزرج (الأنصار) (٣) الرحابة : حصن بالمدينة (٤) القبابة : حصن بالمدينة (٥) الضحيان : حصن بناه أحيحة في أرض القبابة (٦) اللابة : الحرة من الأرض .

وبلغ عاصم قوله فأجابه :

أَبْلِغْ أُحِيحَةَ إِنَّ عَرْضْتَ بداره عَنِّي جوابه
وَأَنَا الَّذِي أَعْجَزْتُه عَنْ مَقْعِدِ الْهَيْ كِلَابِهِ
وَرَمَيْتُهُ سَهْمًا فَأَخْطَاهُ وَأَغْلَقَ قَمَّ بَابَهُ

وكان أُحِيحَةُ إِذَا أَمْسَى جَلَسَ بِحِذَاءِ حِصْنِهِ الْفَحَّيَّانِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ كِلَابًا لَهُ تَنْبِيعُ
دُونَهُ عَلَى مَنْ يَأْتِيهِ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ ، حَذَرَ أَنْ يَأْتِيَهُ عَدُوٌّ يَصِيبُ مِنْهُ غِرَّةً ، فَأَقْبَلَ
عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو يَرِيدُهُ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ لِيَقْتُلَهُ بِأَخِيهِ ، وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ تَمْرًا ، فَلَمَّا نَبَحَتْهُ
الْكِلَابُ حَنَ دَنًا مِنْهُ أَلْتَمَسَ التَّمْرَ فَوَقَفَتْ ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا أُحِيحَةُ قَدْ سَكَتَ حَذِرُ ،
فَقَامَ فَدَخَلَ حِصْنَهُ ، وَرَمَاهُ عَاصِمٌ بِسَهْمٍ فَأَحْرَزَهُ^(١) الْبَابُ ؛ فَوَقَعَ السَّهْمُ بِالْبَابِ ،
فَلَمَّا سَمِعَ أُحِيحَةُ وَقَعَ السَّهْمِ صَرَخَ فِي قَوْمِهِ ، فَجَرَى عَاصِمٌ وَأَعْجَزَهُمْ حَتَّى
أَتَى قَوْمَهُ .

ثُمَّ إِنَّ أُحِيحَةَ جَمَعَ لِبَنِي النَّجَّارِ وَأَرَادَ أَنْ يَفْتَرَّهُمْ ، فَوَاعَدَهُ قَوْمُهُ لَذَلِكَ -
وَكَانَتْ عِنْدَ أُحِيحَةَ سُلْمَى^(٢) بِنْتُ عَمْرٍو إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي النَّجَّارِ - وَكَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنُهُ
عَمْرُ بْنُ أُحِيحَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فَطِيمٌ أَوْدُونَ الْفَطِيمِ ، فَلَمَّا رَأَتْ عَزَمَ أُحِيحَةُ عَلَى غَزْوِ
قَوْمِهَا عَمِدَتْ إِلَى ابْنِهَا فَرَبَطَتْهُ بِخَيْطٍ حَتَّى إِذَا أَوْجَعَتِ الصَّبِيَّ تَرَكَتْهُ فَبَاتَ يَبْكِي وَهِيَ
تَحْمِلُهُ ، وَبَاتَ أُحِيحَةُ مَعَهَا سَاهِرًا يَقُولُ : وَيْحَكَ ! مَا لِابْنِي ؟ فَتَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي
مَالَهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ اللَّيْلُ أَطْلَقْتَ الْخَيْطَ عَنِ الصَّبِيِّ فَنَامَ . وَلَمَّا هَذَا الصَّبِيُّ قَالَتْ :

(١) أَحْرَزَهُ الْمَكَانَ : أَلْجَأَهُ (٢) هِيَ أُمُّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، خَلْفَ عَلَيْهَا هِشَامٌ بَعْدَ أَنْ
طَلَقَهَا أُحِيحَةُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً شَرِيفَةً لَا تَتَزَوَّجُ الرِّجَالُ إِلَّا وَأَمْرُهَا يَبْدُو ، إِذَا كَرِهَتْ مِنْ رَجُلٍ
شَيْئًا تَرَكَتْهُ .

وارأساه ! فقال أحيحة : هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، وبات يمصب لها
رأسها ويقول : ليس بك بأُس ، حتى إذا لم يبق من الليل الا أقله قالت له : قم فإني
أجدني صالحة ، وقد ذهب عني ما كنت أجده - وإنما فملت ذلك ليثقل رأسه ،
وليشتد نومه على طول السهر - فلما نام قامت وأخذت حبلاً^(١) وأوثقته برأس الحصن
ثم تدلت منه ، وانطلقت إلى قومها فأندرتهم ، وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه
من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا ؛ فأقبل أحيحة فوجد القوم على حذر
قد استمدوا ، فلم يكن بينهم كبير قتال ، ثم رجع أحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن
لحذر القوم ، وعلم أن سلى قد خدعته .

(١) سميت المتدلية لذلك .

«٣» حَرْبُ حَاطِبٍ

كان حاطبُ بن قيس الأوسى رجلاً شريفاً سيّداً ، فأتاه رجل من ذُبْيَان ، ونزل عليه . ثم إنَّ الضيفَ غدا يوماً إلى سوق بني قَيْنَقَاعَ ، فرآه رجل من بني الحارث ابن الخزرج اسمه يزيد ، فقال لرجل يهودى : لك ردائي إن كَسَمْتُ (١) هذا الذُبْيَانِي . فأخذ رداءه وكَسَمَهُ كَسْمَةً سَمِعَهَا مَنْ بِالسوق ؛ فنَادَى الذَّبْيَانِي : يَا حَاطِبُ ؛ كَسِمَ ضَيْفُكَ وَفُضِحَ !

وأخبرَ حاطبٌ بذلك فجاء إليه ، فسأله مَنْ كَسَمَهُ ؟ فأشار إلى اليهودى ؛ فعدَا إليه وضربه بالسيف ضربةً فلقَ بها هامته ، وأخبر يزيد بذلك ، فأمرع خَلْفَ حاطبٍ وأدركه وقد دخل بيوتَ أهله ، فأدرك رجلاً من الأوس قَتَلَهُ .

وَنَارَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، واحتشدوا واجتمعوا على جسر بني الحارث ابن الخزرج ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البَيَّاضِي ، وعلى الأوس حُضَيْرُ بْنُ سَمَّاكٍ الْأَثَمَلِي . وعلم عُيَيْنَةُ بْنُ حَصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وخيارُ بْنُ مَالِكِ الْفَزَارِيَّانِ بِالْأَمْرِ فَقَدَمَا الْمَدِينَةَ ، وتحدَّتا مع الأوس والخزرج في الصلح ، وضمنا أن يتحملا كلَّ مَا يَدَّعَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأَبَوْا .

ووقعت الحرب عند الجسر وكانت الدائرةُ على الأوس .

(١) كَسَمَهُ : ضربه برجله في دبره .

«٤» حَرْبُ يَوْمِ بَعَاث

كانت الأوسُ قد استعانت ببني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ^(١) في حروبهم التي كانت بينهم ، وبلغ ذلك الْخَزْرَجَ ، فبعثت إليهم : إن الأوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ، ولن يُعْجِزَنَا أَنْ نَسْتَمِينَ بِأَعْدَادِكُمْ وَأَكْثَرِ مَنْكُمْ مِنَ الْعَرَبِ ؛ فَإِنْ ظَفَرْنَا بِكُمْ فَذَلِكَ مَا تَكْرَهُونَ ، وَإِنْ ظَفَرْتُمْ لَمْ تَنْمَ عَنْ الطَّلَبِ أَبَدًا ، فَتَصْبِرُوا إِلَى مَا تَكْرَهُونَ ، وَيَسْخَلُكُمْ مَنْ شَأْنُنَا مَا أَنْتُمْ الْآنَ مِنْهُ خَالُونَ ، وَأَسْلَمُ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَدْعُونَا وَتَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا .

فلما سمعوا ذلك علموا أَنَّهُ الْحَقُّ ؛ فَأَرْسَلُوا إِلَى الْخَزْرَجِ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ الَّذِي بَلَّغَكُمْ وَالتَّمَسَّتِ الْأَوْسُ نَصْرَنَا ، وَمَا كُنَّا لَنَنْصُرُكُمْ عَلَيْكُمْ أَبَدًا ؛ فَقَالَتْ لَهُمُ الْخَزْرَجُ : فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَابْشُوا إِلَيْنَا بِرَهَائِنَ تَكُونُ فِي أَيْدِينَا ؛ فَبِعَثُوا إِلَيْهِمْ بِأَرْبَعِينَ غَلَامًا مِنْهُمْ ؛ فَفَرَّقَهُمُ الْخَزْرَجُ فِي دُورِهِمْ ، وَكَثَرُوا بِذَلِكَ مَدَّةً .

ثم إن عمرو بن النعمان الْبَيَّاضِيَّ قَالَ لِقَوْمِهِ بَيَّاضَةً^(٢) : إِنْ أَبَاكُمْ أَنْزَلَكُمْ مَنْزِلَ سُوءٍ بَيْنَ سَبْخَةٍ^(٣) وَمَقَارَةٍ^(٤) ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَمَسُّ رَأْسِي غِسْلٌ حَتَّى أَنْزَلَكُمْ مَنَازِلَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ عَلَى عَذَابِ الْمَاءِ وَكَرِيمِ النَّخْلِ ؛ ثُمَّ رَاسَلَهُمْ إِمَّا أَنْ تَحْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِيَارِكُمْ نَسْكُنُهَا ، وَإِمَّا أَنْ نَقْتُلَ رُءُوسَكُمْ ؛ فَهَمُّوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ كَعْبُ ابْنِ أَسَدِ الْقُرَظِيِّ : يَا قَوْمُ ؛ ائْتَمُّوا دِيَارَكُمْ وَخَلُّوهُ يَقْتُلُ الرُّهُنَ ، وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ يُصِيبُ فِيهَا أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ حَتَّى يُوَلِّدَ لَهُ غَلَامًا مِثْلَ أَحَدِ الرُّهُنِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛

(١) قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ : حَيَّانٌ فِي الْيَهُودِ (٢) قَبِيلَةٌ فِي الْخَزْرَجِ (٣) السَّبْخَةُ : أَرْضٌ ذَاتُ تَرٍّ وَبَلْعٍ (٤) الْمَقَارَةُ : الْقَلَاةُ لَا مَاءَ بِهَا .

فأرسلوا إلى عمرو بالآ نَسَلَمَ لَكُمْ دُورَنَا ، وانظروا الذي طاهدتمونا عليه في رُهْنِنَا قَوْمُوا لَنَا بِهِ ؛ فعدّا عمرو بن النعمان البياضى على رُهْنِهِمْ هو ومن أطاعه من الخزرج قتلواهم ، وأبى عبد الله بن أبي - وكان سيِّداً حليماً - وقال : هذا عقوق ومآثم وبئى ، فليست مُعيناً عليه ، ولا أحد من قومي ^(١) أطاعنى ، وخلقى عمن عنده من الرُهْن .

فناوشت الأوس الخزرج يوم قتل الرُهْن شيئاً من قتال غير كبير ، واجتمعت قُرَيْظَةُ والنَّضِير إلى كعب بن أسد القرطى ، ثم تأمروا أن يُعِينُوا الأوس على الخزرج ، فبشت إلى الأوس بذلك ، ثم أَجْمَعُوا عليه ، على أن ينزل كلُّ أهل بيت من النَبِيت ^(٢) على بيت من بنى قُرَيْظَةَ ؛ فنزلوا معهم في دورهم . ثم أرسلوا إلى سائر الأوس في الحرب والقيام معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك .

فاجتمع اللائ منهم ، واستحكم أمرهم ، وجدّوا في حربهم ؛ فلما سمعت الخزرج اجتمعوا حتى جاءوا عبد الله بن أبي ، وقالوا له : قد كان الذى بكَفَكَ من أمر الأوس وأمر قُرَيْظَةَ والنَّضِير واجتماعهم على حربنا ، فلما نرى أن قاتلهم ، فإن هزمناهم لم يُحْرِزْ أَحَدٌ منهم مَقْلَهُ ولا مَلْجَأَ حتى لا يبق منهم أحد .

فلما فرغوا من مقاتلتهم قال لهم عبد الله : إن هذا بنى منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أحب أن رجلاً ^(٣) من جراد أَلْفَيْنَاهُمْ ، وقد بلغنى أنهم يقولون هؤلاء قومنا مَنَعُونَا الحَيَاةَ أُنَعِمْنُونَا الموت ؟ والله إنى أرى قوماً لا ينتهون أو يهلكوا عامتهم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن يُنْصَرُّوا عَلَيْكُمْ لَبَنِيكُمْ عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم

(١) م بنو سالم الحبلى (٢) البيت: حى فى الأوس ، أطلق عليهم لقب أيهم ، واسمه عمرو ابن مالك بن الأوس (٣) الرجل : جماعة الجراد .

تقاتلونهم ، فإذا ولّوا فخلّوا عنهم ، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلّوا عنكم . فقال له عمرو بن النعمان البياضي : انتفخ والله سحرُك^(١) يا أبا الحارث حين بلغت حلف الأوس وقرينة والنضير . فقال عبد الله : والله لاحضرتكم أبداً ، ولا أحد أطاعني أبداً ، ولكاني أنظر إليك قليلاً تحملك أربعة في عباء^(٢) .

وتابع عبد الله رجاله من الخزرج ، واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضي ، وولّوه أمر حربهم ، ولبت الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون^(٣) للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل العرب ، فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع ، وأرسلت الأوس إلى مزينة ، وذهب خضير الكتاب الأشهل إلى أبي قيس الأسدي^(٤) ، فأمره أن يجمع له أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام خضير ، فاعتمد على قوسه ، وعليه نمر^(٥) تشف عن عورته ، فحرتهم ، وأمرهم بالجدة في حربهم ، وذكر ما صنعت بهم الخزرج من إخراج النبيت ، وإذلال من تخلف من سائر الأوس في كلام كثير ؛ وجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخزرج يستشيط ويحى ، فأجابته أوس الله بالذي يحب من النصر والموازة والجدة في الحرب .

ثم اجتمعت الأوس مرة أخرى ، فأجالوا الرأي ؛ فقالوا : إن ظفرنا بالخروج لم نبق منهم أحداً ، ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم . فقال خضير : يا معشر الأوس ؛ ما مُمَيِّمُ الأوس إلا لأنكم تُؤسُون^(٦) الأمور الواسعة !

(١) أصل السحر : ما التزق بالحقوم والمرى ، ويقال للجبان : انتفخ سحره ، أي ملا الخوف قلبه (٢) الباء : كساء (٣) يتصنعون : يتجهزون ويتأهبون (٤) خضير وأبو الأسدي : كلاماً من الأوس (٥) النمر : بردة من صوف تلبسها الأعراب (٦) أي تعالجون الأمور .

يا قوم قد أصبحتم دواراً لمَسَرِّ قد قَتَلُوا الخِيَارَا

يوشِكُ أَنْ يَسْتَأْصِلُوا الدِّيَارَا

ثم طرحوا بين أيديهم تمرآ ، وجعلوا يَأْكُلُونَ وحُضِيرَ الكتائب جالسٌ وعليه
يُرْدَةُ له قد اشتمل بها الصَّمَاءُ^(١) ، وما يَأْكُل معهم ولا يَدْنُو إلى التمر غَصْبًا
وحَقًّا ، فقال : يا قوم ؛ اعقِدُوا لأبي قيس بن الأُسَلْت ، فقال لهم أبو قيس : لا أَقْبَلُ
ذلك ، فإني لم أَرَأْسَ على قوم في حرب قطَّ إلا هُزِمُوا وتشاءوا برياسق.

ثم جاءتهم أوس مناة ، وقَدِمَت مُزِينة ، فانطلق حُضِيرُ وأبو عامر الرَّاهِب إلى
أبي قيس ، فقالوا : قد جاءتنا مُزِينة واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قَبِل للخزرج
يه ، فما الرأى إن نحنُ ظَهَرْنَا عليهم : الإِنْجَاز أم البَقِيَّة ؟ فقال أبو قيس : اقتُلُوهم
حتى يقولوا : بزأب^(٢) . ثم اختلفوا في ذلك ؛ فأقسم حُضِيرُ ألا يشرب الخمر ، أو يظهر
ويهدم مُزَاحِمًا : أطمع عبد الله بن أبي . ثم لبثوا شهرين يمدُّون ويستعدون .

وكان اللقاء بُيُعات ، وحشد الحَيَّان فلم يتخلف عنهم إلا من لا ذِكْرَ^(٣) له ،
ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التَّقَوَّا فيه . فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم
وقالوا لحضير : يا أبا أسيد ؛ لو حاجزت القوم ، وبعت إلى من تخلف من حُلَفَائِكَ من
مزينة ؟ فطرح قوساً كانت في يده ثم قال : أنتظر مزينة وقد نظر إلى القوم ونظرت
إليهم الموت قبل ذلك . واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت الأوسُ حين وجدوا مسَّ

(١) اشتال الصماء : أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعلى عاتقه الأيسر ، ثم يرده
ثانية من خلقه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فينطيمها جيماً (٢) بزأب : كلمة كانوا يقولونها إذا
غلبوا (٣) تخلف عن الأوس بنو حارثة ، فبشوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ،
فبشوا إليهم أن ابشوا إلينا برهائن منكم يكونون في أيدينا ، فبشوا إليهم اثني عشر رجلاً .

السَّلاح ، فولّوا مصعدين في حرّة قَوْزَى^(١) ، فنزل حُضير ، وصاحت بهم الخزرج :
 أين الفرار ، فلما سمع حضير طعن بسنان رُمَحِه فَنَحَذِه ، ونزل وصاح وعَفَّراه^(٢) ،
 والله لا أريم حتى أقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسَلِّموني فافعلوا ؛ فتعلّقت
 عليه الأوس ، وقام وعلى رأسه غلامان من بني عبد الأشهل ، وهما يومئذ مُعْرِسان^(٣)
 ذوا بَطْنش ، فجعلا يرتجزان ويقولان :

أى غلامى ملك ترانا فى الحرب إذ دارت بنا رحانا
 وعدد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قُتِلَا ، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان البَيَاضى رأس
 الخزرج فقتله ، لا يدري من رمى^(٤) به . ثم انهزمت الخزرج ، ووضعت الأوس فيهم
 السلاح ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ؛ أسجِّحوا^(٥) ولا تُهلِكوا إخونكم ؛
 فتناهت الأوس ، وكفّت عن سلبهم بعد إِيْخَان فيهم^(٦) ، وسلبتهم قُرَيْظَة والنضير ،

(١) موضع في نواحي المدينة (٢) المقر : قطع قوائم البعير بالسيف لينحر (٣) يقال :
 أعرس فلان إذا اتخذ عرساً (٤) رووا : أنه بينما كان عبد الله بن أبي يردد على بطة له قريباً من
 بسات ، يتجسس أخبار القوم ؛ إذ طلع عليه بمرور بن النعمان ميتاً في عباء يحمله أريصة إلى داره ،
 فلما رآه قال : من هذا ؟ قالوا : عمرو بن النعمان فقال : ذق وبال العقوق (٥) أسجِّحوا :
 أحسنوا العفو (٦) روى في الأغاني أن يهودياً أعمى من بني قريظة كان يومئذ في أطعم من أطامهم
 فقال لابنة له : أشرفي على الأطعم فانظري ما فعل القوم ، فأشرفت فقالت : أسمع الصوت قد ارجع
 في أعلى قورى وأسمع قاتلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة إذاً على الأوس ، لا خير
 في البقاء . ثم قال : ما ذا تسمعين ؟ فقالت : أسمع رجالاً يقولون : يا آل الأوس ، ورجلاً يقولون :
 يا آل الخزرج ، فقال : الآن حمى القتال . ثم لبث ساعة ، وقال : أشرفي فاسمعي ، فأشرفت فقالت :
 أسمع قوماً يقولون : « نحن بنو صخرة أصحاب الرعل » . قال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت
 والله الأوس ، ثم جرى فرحاً نحو باب الأطعم ، وضرب رأسه بالباب ، وكان من حجارة ، فسقط
 ومات .

وحملت الأوس حضيراً من الجراح التي به ، وهم يرمزون حوله ويقولون :

كُتِبَتْ زَيْنُهَا مَوْلَاهَا لَا كَهْلُهَا هُدًى وَلَا فَتَاهَا

وجملت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . ثم خرج سعد بن معاذ الأشهلي^(١) ، حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم يوم الرغل^(٢) .

وأقسم كعب بن أسد القرظي^(٣) لِيُذَلَّنَّ عبد الله بن أبي ، وليحلقن رأسه تحت حصنه مُزَاحِم . فناداه كعب : انزل يا عدو الله ، فقال عبد الله : أنشدك الله ! ما خذلت^(٤) عنكم . فسأل عما قال ، فوجده حقاً ، فرجع عنه .

وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا القيس بن الأسلت بعد المزيمة ، فقال له حضير : يا أبا قيس ؛ إن رأيت أن تأتي الخزرج قصر آقصرآ ، وداراً داراً ، تقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال : ما سُمِّيت الأوس إلا لأنكم تؤسسون الأمر أوساً ؛ ولو ظفرت الخزرج بمثلها ما أقالونا . ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .
وقتل على حضير الجرح ، فذهب به كليب بن عبد الأشهل إلى منزله ، فلبث عنده أياماً ، ثم مات . فقال خُفَاف بن نُدْبَةَ^(٥) يرثيه :

(١) من بني عبد الأشهل ، وم قيلة في الأوس (٢) الرغل : مال لعبد الأشهل ، وبني سلمة قيلة في الخزرج ، وكانوا يوم الرغل أغاروا على مال لبني عبد الأشهل وقتلوه ، فخرج سعد بن معاذ الأشهلي جراحة شديدة ، فاحتمله بنو سلمة إلى عمرو بن الجوح الخزرجي فأجاره وأخاه وأجار الرغل من الحريق وقطع الأشجار ، فلما كان يوم بعث حازاه سعد (ابن الأثير ص ٤١٥ جزء ١) (٣) من بني قريظة حلفاء الأوس (٤) أى ما تركت نصرته ، وهو يشير إلى ما كان بينه وبين قومه من الخزرج ، من امتناعه عن محاربة بني قريظة والنضير (٥) كان خفاف نديمه وصديقه .

أَتَانِي حَدِيثُ فَكَّنَتْهُ وَقِيلَ خُلَيْكَ فِي الرَّمَسِ^(١)
 فَيَا عَيْنُ بَكِّي حُضِيرَ النَّدَى حُضِيرَ الْكَتَابِ وَالْمَجْلِسِ
 وَيَوْمَ شَدِيدِ أَوَارِ الْحَدِيدِ تَقَطَّعُ مِنْهُ عُرَى الْأَنْفُسِ
 صَلَّيْتُ بِهِ وَعَلَيْكَ الْحَدِيدِ دُ مَا يَنْ سَلَعُ^(٢) إِلَى الْأَعْرَسِ
 فَأَوْدَى بِنَفْسِكَ يَوْمَ الْوَعَى وَتَقَى ثِيَابَكَ لَمْ تَدْنَسْ

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيُّ^(٣) :
 أَتُنْفِرُ رَسْمًا كَالطَّرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةٍ وَحَشَاغِيرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ^(٤)
 دِيَارَ الَّتِي كَانَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنَى نَحَلَّ بِهَا لَوْلَا نَجَاءُ النَّجَائِبِ^(٥)
 تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ
 وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنَى وَعَمَدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتَ ذَوَائِبِ
 وَمِثْلِكَ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ بِكِنَّةٍ وَلَا جَارَةٍ وَلَا حَلِيلَةٍ سَاحِبِ

(١) يريد القبر (٢) موضع قرب المدينة (٣) في الأغانى : جلس النبي صلى الله عليه وسلم
 في مجلس ليس فيه إلا خزرجمي ، ثم انتشدهم قصيدة قيس بن الخطيم :
 أَتُنْفِرُ رَسْمًا كَالطَّرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةٍ وَحَشَاغِيرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ
 فَأَنْشَدَهُ بَعْضُهُمْ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

أَجَادِمُ يَوْمَ الْحَدِيدَةِ حَاسِرًا كَأَن يَدِي بِالسِّيفِ مَخْرَاقَ لَاعِبِ
 فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « هَلْ كَانَ كَمَا ذَكَرَ » ؟ فَفَهَدَاهُ ثَابِتُ بْنُ
 قَيْسٍ وَقَالَ لَهُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ خَرَجَ إِلَيْنَا يَوْمَ سَابِعِ عَرَسِهِ ، عَلَيْهِ غُلَاقَةٌ
 وَمَلْحَفَةٌ مَوْسُةٌ ، فَجَالَسَنَا كَمَا ذَكَرَ . هُنَا وَقَدْ أُورِدَ بِحَاجِبِ الْجُمُورَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ، وَعَمَدَا مِنْ
 الْمَذَاهِبِ (٤) الْأَطْرَادِ : التَّابِعِ . الْمَذَاهِبِ : جُلُودُ كَانَتْ تَذْهَبُ وَاحِدُهُمَا مَذْهَبٌ (بِضْمِ الْمِيمِ) :
 يَجْعَلُ فِيهَا خُطُوطَ مَذْهَبٍ بِبَعْضِهَا فِي إِثْرِ بَعْضٍ . وَوَحْشًا : قَرَأَ ، وَغَيْرُ مَوْقِفِ رَاكِبٍ : لَا يَصْلُحُ
 لِقَوْلِهِ . وَقَدْ رَوَى فِي الْفَضْلِيَّاتِ : كَالطَّرَازِ الْمَذْهَبِ (٥) النَّجَاءُ : السَّرْعَةُ ، وَالنَّجَائِبُ : الْأَيْلُ
 الْكَرِيمَةُ ، وَفِي مَهْذَبِ الْأَغَانِي : لَوْلَا نَجَاءُ الرَّاكِبِ

إِذَا قَصَرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالتَّقَارِبِ
 أَجَالُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا كَأَنَّ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ مَخْرَاقَ لُاعِبٍ (١)
 وَيَوْمَ بُعَاثَ أَسْلَمَتْنَا سَيُوفُنَا إِلَى حَسْبٍ فِي جَذَمِ غَسَّانٍ ثَاقِبٍ (٢)
 يُعْرَيْنَ بِيضًا حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا وَيُفْعِدْنَ حَمْرًا نَاحِلَاتِ الْمَضَارِبِ (٣)
 أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَمِيرًا نَهَاهُمْ عَنِ السَّلَمِ حَتَّى كَانَ أَوَّلُ وَاجِبٍ (٤)
 رَضِيْتُ لِعَوْفٍ أَنْتَ تَقُولُ نَسَاؤُهُمْ - وَيَهْزَأُنَ مِنْهُمْ - لَيْتَنَّا لَمْ نُحَارِبْ
 صَبَحْنَاكُمْ بِيضَاءَ يَبْرِقُ بَيْنَهُمَا تُبَيِّنُ خَلَائِلَ النِّسَاءِ الْهَوَارِبِ (٥)
 أَصَابَ صَرِيحَ الْقَوْمِ غَرْبُ سَيُوفِنَا وَغُودِرَ أَوْلَادُ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ (٦)
 وَمَنَا (٧) الَّذِي آلَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً عَنِ الْخَمْرِ حَتَّى زَارَكُمُ بِالْكَتَائِبِ
 رَضِيْتُ لَهُمْ إِذَا لَا يَرِيعُونَ قَمَرَهَا إِلَى عَازِبِ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِصَاحِبِ
 فَلَوْلَا ذَرَا الْأَطَامِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ وَتَرَكُوا الْفَضَا شُورَكُمْ فِي الْكَوَاعِبِ (٨)
 فَلَمْ تَمْنَعُوا مِنَّا مَكَانًا زَيْدُهُ لَكُمْ مُحَرَّزًا إِلَّا ظُهُورُ الْمَشَارِبِ (٩)

(١) الحديقة : قرية من أعراس المدينة ، والمخرق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان ، وفي الجمهرة :
 يوم الخنادق (٢) يريد أنهم حققوا نصر انتسابهم إلى غسان . وهذه رواية صاحب الجمهرة ،
 ورواية اللسان : إلى نسب في حزم غسان ثاقب (٣) روى صاحب الجمهرة البيت
 كما يأتي :

يجر دن ييضاً كل يوم كريمة ويفعدن حمراً خاضبات المضارب
 (٤) واجب : ميت (٥) صبحناكم : أى دهنناكم صباحاً ؛ ويريد بالبيضاء الحرب غلب عليها
 لون السيوف ، والحوارب : النساء الماربات من الذعر (٦) الصريح من القوم : السيد فيهم ،
 وغرب السيف : حده ، والإماء : الجواري ، وأبناء الحواطب : أبناء حملات الخطب من النساء
 (٧) أبو قيس بن الأسلت (٨) يريد : لأنكم لولا أنكم هربتم في أعلى المضارب لأنتم في
 عداد السبايا (٩) المشارب : الفرف .

فهلأ لدى الحرب المَوَاف صبرُكم لوقتتنا واليأسُ صعبُ الراكب
 ظأرناكم بالبيض حتى لأنتم أذلُّ من السُّقْبَانِ بين الحلائب^(١)
 ولما هبطنا الحرثَ قال أميرُنا حرامٌ علينا الخمرُ ما لم نُضارب
 فسامحه منا رجالٌ أعزُّ فابرحوا حتى أُحِلَّتْ لشارب
 فلبت سويداً راء من جرٍّ منكم ومن فرّاً إذ يحدُّونهم كالخلائب
 فأبنا إلى أبناثنا ونسائنا وما من تركنا في بُعَاثٍ بآئب
 وعُيبت عن يوم كَتَنَتْنِي عَشِيرَتِي ويوم بُعَاثٍ كان يومَ التَّغَالِبِ
 وعاد أبو قيس بن الأسَلْتِ^(٢) إلى امرأته ، بعد أن مكث في الحرب أشهراً آثرها
 على كل شيء ، حتى شَحِبَ لَوْنُهُ وتغيَّرَ ، فدق الباب ففتحت له ، فأهوى إليها يتيده
 فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت ،
 فقال^(٣) :

قالت - ولم تقصِدِ لِقِيلِ الخنا - مهلا فقد أبليت أَسْماي^(٤)
 أنكرته حين توسمته والحرب غُول^(٥) ذات أوجاع
 من يذق الحرب يجحد طعمها مُرّاً وتحمسه بَجَعَجَاع^(٦)
 قد حصت البيضة رأسي فما أطعمُ يوماً غيرَ تَهْجَاع^(٧)

(١) ظأرناكم : عطفناكم على ما نريد . السف : الذكر من أولاد الإبل (٢) قال صاحب :
 الأغاني : لم يقع لي اسمه ، والأسَلْتُ لقب أبيه ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس
 قد أسندت إليه حربها يوم بعاث ، وحطته رئيساً عليها ، فكفى وساد ، وأسلم ابنه عبة ، واستشهد
 يوم القادسية (٣) وقد ررى هذه القصيدة صاحب الجهرة ، وصاحب الفضليات ، والمرصني في
 رغبة الأمل (٤) الخنا : العار ، والمعنى آلمني خبرك حتى لا أريد سماعه (٥) غول : مقاتلة .
 (٦) الجصاع : المكان الغليظ (٧) حصت : أذهبت شعره ، والبيضة : ما تلبس في الرأس
 عند الحرب ، يريد أنه من طول لبسها أذهبت شعر رأسه ، والتهجاع : التومة الحقيقية .

أسمى على جُلٍّ (١) بنى مالك كلُّ امرئٍ في شأنه سَاعَ
أعدت لل أعداء مَوْضُونَةً فَضْفَاضَةً كالنَّهْيِ (٢) بالقاع
أَحْفَزُهَا عَنَى بَذَى رَوْتَقٍ مَهْتَدٍ كَالْمَلْحِ (٣) قَطَاعٍ
صَدَقِ حُسَامٍ وَادِقِ حَدُّهُ وَمُجَنَّلٍ أَسْمَرَ قَرَاعٍ (٤)
بَزُّ امرئٍ مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ لِلدَّهْرِ جَلَدٍ غَيْرِ مِجْزَاعٍ (٥)
الحزم والقوة خير من الـ إِدْهَانِ وَالْفَكَّةِ وَالْهَاعِ (٦)
ليس قَطَا مِثْلَ قُطَى وَلَا الـ مَرَعَى فِي الْأَقْوَامِ كَالرَّاعِي (٧)
لَا نَأْلُمُ الْقَتْلَ وَنَجْزِي بِهِ الْأَعْدَاءَ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ (٨)
نَدُّوهُمْ عَنَّا بِمُسْتَنَّةٍ ذَاتِ عَرَانِينَ وَدُقَّاعٍ (٩)
كَأَنَّا أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَتَنُ فِي غَيْلٍ وَأَجْزَاعٍ (١٠)
حَتَّى تَجَلَّتْ وَلَنَا غَايَةٌ مِنْ بَيْنِ جَمْعٍ غَيْرِ مُجَاعٍ (١١)

(١) الجُلُّ : ما يوضع على الدابة (٢) الموضونة : الدرع المنسوجة ، بعض حلقاتها مداخل في بعض ، والنهى : الفدير ، والقاع : المكان المستوى ؛ شبه نسجها بما تنسجه الريح فوق سطح الماء بذلك القاع (٣) الحفز في الأصل : دفك الشيء من خلقه ؛ يريد أدفع ثقلها بفم سيف ذي روتق والروتق : ماء السيف وصفائه . وشبه السيف بالملح لصفائه (٤) صدق : صادق الضربة ؛ وادق حذوه : ماض في ضربيته ؛ والمجنأ : الترس سمي به لانحنائه ، وقراع : صلب ؛ سمي به لصبره على القراع (٥) البز : السلاح ، والحاذر : التائب الشاكي السلاح (٦) الإدهان : اللين ، والفكة : ضعف الرأي ، والهاع : سوء الحرص مع الضعف (٧) ورد هذا البيت مورداً للثبوت وليس قطا مثل قطي : ليس الأمر الكبير كالصغير ؛ وليس المرعى كالراعي : ليس السائس كالملسوس (٨) يريد أنه لا يفوتنا أحد بوتر ، ولا ينقص من حقنا (٩) المستنة : الكنية تستن في عددها من استن القرس ؛ مضى على وجهه ، والعرائن : جمع عرين وهو الأف ، وأراد به رؤساءهم ، والدفاع : جمع دافع ؛ وهم الذين يدفعون الأعداء (١٠) النهيت : صوت الأسد ، والغيل : الأجمة والأجزاء : الوديان المنقطعة (١١) الغاية : الراية ، والجماع : أخلط الناس ؛ يريد لم نستعن بأحد من غيرنا .

هلا سألت الخيل إذ قلصت ما كان إبطائي وإسراي^(١)
هل أبذل المال على حُبِّه فيهم وآبى دعوة الداعي
وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصُر به باع^(٢)
وأقطع الخرق يُخاف الرد فيه على أدماء هِلْوَاع^(٣)
ذات أساهيجَ مُجَالِيَّة حششتها كوردى وأنساع^(٤)
تمطى على الأبن وتنجوس الضَّ رب أمونٍ غيرِ مِظْلَاع^(٥)
كأن أطرافَ وَلِيَّانِها في شمال حصاء زَعَزَاع^(٦)
أزَيْنُ الرَّحْلِ بِمَقْوَمَةٍ حارية أو ذات أقطاع^(٧)
أقضي بها الحاجات إن الفتى رهن بذى لوئيه خَدَاع^(٨)

هذا ، وقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة اقتصرنا منها على ما تقدم
منها يوم السراة ، ويوم الربيع ، ويوم فارح ، ويوم البقيع ، ويوم معبس ومضرس ،
وغيرها ، فارجع إلى ما أشرنا من مراجع إن أردت الزيادة .

(١) قلصت : شمرت ؟ من قلصت الإبل في سيرها ؟ إذا استمرت في مضيتها (٢) القونس :
مقدم يضة السلاح أو أعلاها (٣) الخرق : القفر ، ويريد بالأدماء الناقه ، من الأدمة وهي في الإبل
البياض الواضح ، والهلواع مثل الهلواة : الناقه الشمة التي تخاف من السوط . وهذه رواية صاحب
الفضليات والمرصني في رغبة الأمل ، ورواية صاحب الجهرة :

فذلك أفضال وقد أقطع الخرق على أدماء هلواع
(٤) الأساهيج : فنون في السير مختلفة ، لا واحد لها ، وجمالية : تشبه الجمل في خلقته ،
وحششتها : يريد أعطيتها ، والكور : الرجل ، والأنساع : جبال من جلد مضفورة تشد عليها
الرحال (٥) تمطى على الأبن : يريد تمطى سيراً سريعاً ، والأمون : المأمونة النار ، وغير
مِظْلَاع : من الظل ، وهو المِرج والقمز في المعى (٦) الوليات : جمع ولية ، وهي الكساء
يوضع تحت الرجل ، جعل كل جزء ولية فجمع ، وحصاء : شديدة الهبوب ، وزعزاع : ترزعزع
كل ما عر به ؟ يريد كأن أطراف ذلك الكساء على ربح الصال من شدة سرعتها في السير
(٧) المقومة : الموشية ، وحارية منسوبة إلى الحيرة : على غير قياس ، والأقطاع : الطنافس الموشاة
توضع تحت الرجل على كتف البعير (٨) أى بدهر ذى خير وشر .

٧ - حَرْبُ يَوْمِ سَجَبِل

كان جعفر^(١) بن عُلْبَةَ يزور نساء من بني عقيل^(٢) بن كعب ، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث^(٣) بن كعب ، فأخذته بنو عقيل ، وكشفوا عَوْرَتَهُ ، وربطوه إلى جُمْتِهِ ، وضربوه بالسَّيَاط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا ، على النَّسوة اللاتي كان يتحدَّث إليهن على تلك الحال ليفيظوهن ، وَيَفْضَحُوهُنَّ عِنْدَهُنَّ ، فقال لهم : يا قوم ؛ لا تَفْعَلُوا ؛ فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ مُثَلَّةٌ ، وَأَنَا أَحْلَفُ لَكُمْ بِمَا يُثْلِجُ صُدُورَكُمْ ؛ أَلَّا أَزُورَ بَيُوتَكُمْ أَبَدًا وَلَا أَلِجَهَا . فلم يقبلوا منه . قال : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ فَحَسْبُكُمْ مَا قَدْ مَضَى ، وَمُنَا عَلَى الْكَفِّ عَنِّي ؛ فَإِنِّي أَعِدُّ نِعْمَةً لَكُمْ ، وِيدَا لَا أَكْفُرُهَا أَبَدًا ؛ أَوْ فَاقْتُلُونِي وَأَرْيَحُونِي فَأَكُونَ رَجُلًا آذَى قَوْمًا فِي دَارِهِمْ فَقْتُلُوهُ .

فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عَوْرَتَهُ بَيْنَ أَيْدِي النِّسَاءِ وَيَضْرِبُونَهُ ، وَيَفْرُونَ بِهِ سَفَهَاءَهُمْ ، حَتَّى شَفَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ ، ثُمَّ خَلَّوْا سَبِيلَهُ .

وبلغ ذلك إِيَّاسَ بْنَ زَيْدٍ ، فَقَالَ يَتَوَجَّعُ الْجَعْفَرُ :

* لبني الحارث بن كعب (بطن في كهلان) على بني عقيل بن كعب (بطن في قيس) وسجبل موضع في ديار بني الحارث بن كعب . وهذا اليوم ، وإن اتصل بالإسلام ، إلا أننا وضعناه هنا ؛ لأنه لا يمت إلى الوقائع والحروب الإسلامية بصلة ، ولذلك وضع في مجمع الأمثال في الأيام الجاهلية . معجم البلدان ص ٤٣ ج ٥ ، الأغاني ص ١٤١ ج ١١ ، معاهد التنصيص ص ٤٣ ج ١ ، شرح الحماسة للبريزي ص ٥٦ ج ١

(١) جعفر بن علبه بن ربيعة من بني الحارث بن كعب ، انتهى نسبه إلى عبد يثوث الشاعر ، أسير يوم الكلاب الثاني ، كنيته أبو عارم ، وعارم ابنه . وهو من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، شاعر غزل فارس مذكور في قومه (٢) بنو عقيل : بطن من قيس (٣) بنو الحارث بن كعب : من كهلان .

أَبَا عَادِمٍ كَيْفَ اغْتَرَرْتَ وَلَمْ تَكُنْ تُقَرُّ إِذَا مَا كَانَ أَمْرٌ تُحَاذِرُهُ ^(١)
فَلَا صَلَحَ حَتَّى يَخْفِقَ السِّيفُ خَفَقَةً بَكَفٍّ فَيَجْرُتَ عَلَيْهِ جَرَارُهُ
نَمِ مَضَتْ أَيَّامٌ ، وَأَخَذَ جَعْفَرُ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَرَصَدَ الْمُقِيلِينَ حَتَّى ظَفَرَ
بِرَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ يَصْنَعُ بِهِ ذَلِكَ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، وَفَعَلُوا بِهِ شَرًّا مِمَّا فَعَلَ بِجَعْفَرٍ ، ثُمَّ
أَطْلَقُوهُ ، فَرَجَعَ إِلَى الْحَيِّ ، فَأَنْذَرَهُمْ ، فَتَمِيمُهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ فَارِسًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ حَتَّى
لَحِقُوا بِهِمْ بِوَادِي سَحْبَلٍ ، فَقَاتَلَهُمْ جَعْفَرُ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَقِيلِيِّينَ إِلَّا
ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ ، وَعَمِدَ إِلَى الْقَتْلِ فَشَدَّهُمْ عَلَى الْجَمَالِ وَأَنْفَذَهُمْ مَعَ الثَّلَاثَةِ إِلَى قَوْمِهِمْ . وَقَالَ
جَعْفَرُ فِي ذَلِكَ :

وَسَائِلِي عِنَا بَنِييَ وَسَائِلِ بِمَصْدَقِنَا فِي الْحَرْبِ كَيْفَ تُقَابِلُ
أَلْهَفِي بِقُرْمِي سَحْبَلٍ حِينَ أُحْلِبْتُ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعَدُوُّ الْمُبَاسِلُ ^(٢)
قَالُوا لَنَا نِيتَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا : صَدُورُ رِمَاحٍ أَشْرَعَتْ أَوْ سِلَاسِلُ ^(٣)
فَقَلْنَا لَهُمْ : تِلْكَمُ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ تُفَادِرُ صَرَعِي نَوْمَهَا مَتَخَاذِلُ ^(٤)
وَلَمْ نَذَرِ إِنْ جِئْنَا مِنَ الْمَوْتِ جَيْضَةً كَمِ الْعَمْرِ بَاقٍ وَالْمَدَى مُتَطَاوِلُ ^(٥)
إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَأْزِقًا فَرَجَّتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصَّيَالُ ^(٦)

(١) اغتررت: أتيت على غفلة (٢) ألهمي: أصله ألهمي ، والتلف: التوجع ، وقرى: موضع
بوادي سحبل ، وأحلبت: أغانت ، والولاي يريد بها العائثر والقبائل ، والمباسلة: المصاولة في
الحرب (٣) يقول: لأنهم قالوا لنا: إما أن تصبروا على القتال فلنقاتلكم بالرماح ، وإما أن تستأسروا
فتأخذكم في السلاسل (٤) الإشارة إلى التخيير ، والكرة: المرة من الكر ، وتفادر: تترك
والمفعول محذوف تقديره تفادركم ، والنوء التهوض ، يقول: فأجبنام بأن ذلك الجار بين هاتين
لا يكون إلا بعد كرة عليكم ترككم مصروعين عاجزين عن التهوض (٥). يقال: جاض أى
انغرف وعدل (٦) المأزق: مضيق الحرب ، يقول: إذا استبقنا إلى مضيق في الحرب وسسته
لنا سيوف مصولة بأيماننا .

لهم صدرُ سيفي يوم بطحاء سَحْبِلَ ولى منه ما ضُمَّتْ عليه الأنايل^(١)
 واستمدتْ بنو عُقيل عليهم السرى بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر
 النصور ، فأرسل إلى عُلْبَةَ بن ربيعة ، والد جعفر ، وأخذ بهم ثم حبسه ، حتى
 دفمهم وسائر من كان معهم إليه .

وكان ممن حبس مع جعفر في بني عُقيل على بن جُنْدب - وكان صديقه - والنضر
 ابن مضارب ؛ أما على فإنه أفلت من الحبس وهرب ، أما النضر فإنه استُقيِد منه
 بِجِرَاحَةٍ ، ولكن بقي جعفر في حبسه يقول الشعر ، وكان مما قال :

هَوَايَ مع الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدُ جَنِيبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتِقُ^(٢)
 عَجِيتُ لَمَسْرَاهَا وَأَنْتَى تَخَلَّصْتَ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُفَاقُ
 أَلَمْتُ^(٣) فَحَيْتُ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ
 فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ^(٤) بِمَدِّكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
 وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدْهِمُهَا وَعَيْدُهُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْنِيِّ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ^(٥)
 وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكَ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ
 ثُمَّ إِنْ جَعَفَرًا أَخْبِرَ بِأَنَّهُ مَقْتُولٌ ؛ فَقَالَ :

أَلَا لَا أَبَالِي بِمَدِّ يَوْمٍ بِسَحْبِلَ إِذَا لَمْ أَعْذِبْ أَنْ يَجِيءَ حَامِيَا
 تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحْبِلَ وَمَضِيْقِهِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

-
- (١) يريد : أن للأعداء صدر سيفه يعمل فيهم ، وفي يده مقبضه ، ورواية اللسان : يوم صحراء
 سحبل . قال : وصحراء سحبل : موضع (٢) هواي : مهوى ، والركب : ركبان الإبل خاصة ،
 واليمانون : جمع يمان ، وهو المنسوب إلى اليمن ، والمصعد : المجد من الإصعاد وهو الإبعاد ،
 وجنيب بمعنى محبوب : مستريح ، والجثمان : البدن (٣) أَلَمْتُ من الإلْهَام بمعنى الزيارة
 (٤) تَخَشَّعْتُ : تكلفت الخشوع (٥) يَزْدْهِمُهَا : يستغفها . والأخرق : القليل الرفق بالقى .

شفيتُ به غيظي وحرب مواطني وكان شفاء آخر الدهر باقيا
أرادوا ليثنوني فقلت تجنبوا طريق فسالى حاجة من ورأيا
فدى لبني عمي أجابوا لدعوتي شفووا من بني القذعاء عمي وخاليا
كان العقيلين يوم لقيتهم فراخ قطا لاقين صقرا يمانيا
تركناهم صرعى كأن ضجيجهم ضجيج دباري النيب لاقى مداويا
أقول - وقد أجلت من القوم عركه - لييك العقيلين من كان با كيا
فإن يقرى سحبل لأماره ونصح دماء منهم وعحاييا^(١)
ولم أترك لي ريسة غير أني وددت معاذاً كان فيمن أثنيا^(٢)
شفيت غليلى من خشينة بعدما كسوت الهذيل المشرق اليمانيا^(٣)
أحقاً عبادة الله أن لست ناظراً صحارى نجد والرياح الذواريا
ولا زائراً شم العرايين تنتمى إلى عامر يحلن رملا ماليا
إذا ما أتيت الحارثيات فأنسى لهن وخبرهن أن لا تلاقيا
وقود قلوصى ينهن فأنها ستبرد أكباداً وتبكي بواكيا
أوصيكم إن مت يوماً بعارم^(٤) لينفى شيئاً أو يكون مكانيا

ولما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد ؛
فقال له : اسكت ؛ لا أم لك ؛ إني إذا لمهيأ^(٥) ، وانقطع شسع نعله ، فوقف
فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

(١) الحجاب : آثار جيوم من الضعف (٢) أى وددت أن معاذاً كان أثنى معهم فأقتله
(٣) خشينة والهذيل : اثنان من بني عقيل قتلها جعفر (٤) عارم : ابنه (٥) رجل هيوف
ومهيأ : لا يصبر على العطش .

أشدَّ قَبالَ نملَى أَن يراني عَدُوِّي للحوادث مستكينا
ثم ضُرِبَتْ عنه .

ولما قُتِلَ قام نساء الحى يكيين عليه ، وقام أبوه^(١) إلى كل ناقة وشاة فنحروا
أولادها ، وألقاها بين يديها ، وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق تنفو ،
والنساء يصحن ويكيين ؛ وهو يبكي ممهنّ فسا رُئِيَ يوم كان أوجع ، ولا مائماً
أكثر حزناً في العرب من يومئذ^(٢) .

* * *

وهناك رواية أخرى أوردتها التبريزي في شرح الحاشية هذا نصها :
كانت بنو عقيل بن كعب وبنو الحارث بن كعب جالين بصيه^(٣) ، وفي عشية
جاء فتیانهم يلعبون ، وبرزت لهم فتيات ينظرن إليهم . فبصر رجل من بنى الحارث
برجل من بنى عقيل يُومِضُ بامرأة من قومه ؛ فأخذ رُمحاً وطمن به العقيلي في
فيه ، فدقّ نابه ، وشقّ لثته ، وحسب أن الرُمح قد بلغ منه فولّى . واستثار رجل
من العقيلين أخا العقيلي - واسمه عباس - ولكنه وثب وولّى هارباً^(٤) . ووثب رجل
من بنى عقيل فرمى الحارثي بسهم ؛ فجذّم^(٥) صُلْبَهُ ومات .

(١) كان مما قاله أبوه في حبس ابنه :

لمرك إن الليل يألم خالد	على وإن علقى لطويل
أحاذر أبناء من القوم قد دنت	وأوبة أهاض لمن دليـل
لمرك إن ابني هداة تهوده	عقيل لئاني الناصرين ذليل

(٢) هذه الرواية مأخوذة عن الأغاني ، ومعجم البلدان ، ومعاهد التنصيص (٣) صيه : فلاة
لا ينال ماؤها ، وموضع بين اليمن وخضرموت (٤) وفي حربه تقول امرأة من بنى الحارث :
أشهد أن وعد الله حق وأشهد أن عباساً جبان
(٥) جذم : قطر .

وعَقَلَ^(١) بنو عقيل لبني الحارث ، وبرى^{*} العقيل^{*} من طَعْنَتِهِ ، وَمَفَى زَمَان ، ونسى الناسُ ذلك .

ثم نشأ نَشْءٌ في بني الحارث غَيْرُوا بما فعلت بهم بنو عقيل ، وفي بني الحارث شابان مُتَرَفَّانِ متخالآن : علي بن جُنْدُب ، وجعفر بن عُلبَة . ثم لقي بنو الحارث نفرًا من بني عقيل ، فقتل جعفر وعلي رجلا من بني عقيل اسمه خشينة ، وضربا عُرْقُوبِي آخر ، وضربا ثالثًا بين الشارب والأنف .

ولما فعلوا ذلك أتيا عُلبَة أبا جعفر ، فأخبراه الخبر ، وقالاه : ما ترى لنا ؟ أَتَهْرَبُ ؟ فقالا : لا تهرُبا ، ولكن اتيا صهرى محمد بن هشام ، وأنا لكما جار من أن يَضِيرَ كما من هذا شيء .

وأُبرِدَ^(٢) إلى ابن هشام بالكتاب أن علي بن جندب وجعفر بن عُلبَة قد أحدثا حدثًا ؛ فما رأيك ؟ فكتب إليه : إني لهما جار فليأتياي .

وحذر بنو عقيل ابن هشام ، فاستمَدُوا الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب لهم إلى أمير نجران : أن خذ الحارثيين وإن قام بنو عقيل بينك ، فأقِدْهما من قتلاه ، وخذْ لَهم بِحَقِّهم .

فلما لقوا التقي قال : لقد لحقا بصِهرِهما ابن هشام بِمَكَّة ، ولا أقدر عليهما ، وقد لحقا بن هو علي ؟ فرجموا حتى أتوا هشاما ، فقالوا : حال محمد بن هشام بيننا وبين حقنا أن نأخذه من القوم وهم أصهاره ، فكتب هشام إلى محمد بن هشام : أن أعط القومَ حَقَّهم ، وأتق الله .

· (١) عقل القتل : وداه ، وعنه أدى جنايته ، وله دم فلان : ترك القود للدية (٢) أُبرده : أرسله يريدًا .

فلما جاء العقيليون طُلابُ الدم أخذ ابنُ هشام جعفرًا وعليًا وقيدَهما ، وقال للعقلين : ائتوني بالبيّنة ، فقالوا : قسامة^(١) ! كيف نأتى بالبيّنة ؟ وكيف نقيم من يشهد لنا ، وقد استودى^(٢) بدمائنا ، وتغنّى بها واعترف ؟ فقال : أمّا قتلاً فليست قاتلاً ، ولكنى عاقلٌ لكم وموفٍ نذر دمائكم وخيلكم .

فراجع القومُ الثلاثة هشامًا ، فكتب إليه : ألا تطيلُ دماء القوم ، وقد نطقت الأشمار واعترفوا على أنفسهم .

فكتب ابنُ هشام إلى هشام : أن ردّهم إليّ إذا أتوك ، فإن بنى الحارث أصهارى أفضلُ دماء منهم ؛ وإنى أخبّسهم ، أرجو أن يأخذوا العقْلَ^(٣) .

فرجع العقيليون الرابسة حتى أتوا هشامًا ، فلما أراد ردّهم إليه قالوا : ليس ينصفنا ابنُ هشام ، ولا نُجاوزك أبدًا ، فخذْ لنا أثمًا رثنا^(٤) ؛ فقال لهم هشام : اكتب إليّ يعطيكم العقْلَ ؛ ويرضيكُم فقد تحرّز به سيّره ، فقال العقيليون : لا ، إلّا أن يبرز لنا جعفر بنُ علبة فيرى الناس أننا قدرنا على حقّنا ، وأننا ترك عن قُدرة ؛ ثم نأخذ حينئذٍ منه العقْلَ .

فكتب لهم إلى ابنِ هشام بذلك ، وأخذ عليهم العهد أنكم تفونُ بذا ، وإنى أعطيكُم العهد ، ففعل .

وقال العقيليون لرجل منهم لم يكن يعرف ، يقال له رَحْمَة : سِرْ قريبًا منا ، وادخلْ إذا دخلنا ، ولا تنزل حيث تنزل ، ولا تنسب عقيليًا ، فإذا ما برز الرجل فاضربْ عنقه ، وانخسِ^(٥) بين الناس .

(١) القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء . ويأخذونه ، أو يشهدون (٢) استودى : أقر واعترف (٣) العقْل : الدية (٤) جمع ثأر (٥) انخس : تأخر .

وأبرز ابن هشام جعفر بن عُتبة، عليه حُلَّتْه أحسن الناس ، وقد وضع على العقيليين
حَرَسًا أن تبدر منهم بادرة، وخاف غَدَرَهُم .

فلما برز أهدى إليه رَحْمَةً فقتله . فأخذه ابن هشام فحبسه وأبسه^(١) وعذبه ،
وحبس العقيليين وقال : لأغيظنكم، وكان يمدُّ بَرَحَةً ولا يُطعمه . فأت يوم الجمعة ؛
ولم تأت الجمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك، وقام الوليد بن يزيد ؛ فبحث يوسف
ابن عمر الثقفي ؛ فأخذ ابني هشام ؛ وعذبَ بهما حتى ماتا في عذابه وسِجْنِهِ .

(١) أبس الرجل : خره وصنر به .

٣ - أيام القحطانيّين والعدنانيّين

- ١ - يوم طخفة
- ٢ - يوم أواره الأول
- ٣ - ، ، الثاني
- ٤ - ، السلان
- ٥ - ، خزاز
- ٦ - ، حجد
- ٧ - ، الكلاب الثاني
- ٨ - ، فيف الرّيح
- ٩ - ، ظهر الدهناء

١ - يَوْمُ طَخْفَةِ

كانت الرِّدَافَةُ بمنزلة الوزارة ، وكان الرِّدِيفُ يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردِّفُهُ ورائه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتُصرفُ إليه كأسُ الملك إذا شرب ، وله رُبْعُ غنيمة الملك من كل غَزْوَةٍ يغزو ، وله إتاوة على كل مَنْ في طاعة الملك .

وكانت رِدَافَةُ ملوك الحيرة في بني يربوع^(١) ، وفي عهد الملك المنذر^(٢) بن ماء السماء كانت الرِّدَافَةُ لعتَّاب بن هَرَمِي بن زَبَّاح بن يربوع ، ولما مات نشأ له ابنٌ يقال له عَوْف بن عتَّاب ، فقال حاجبُ بن زُرَّارة^(٣) للمنذر : إن الرِّدَافَةَ لا تصلحُ لهذا الغلام لحداثة سنِّه ، فأجعلها لرجل كهول ، قال : ومن هو ؟ قال : الحارث بن يَتْبَنَةَ الجُبَاشِي .

فدعا الملك بن يربوع ، وقال لهم : إن الردافة كانت لعتَّاب وقد هلك ، وابنه هذا لم يبلغ ؛ فأعقبوا إخوتكم من بني مجاشع^(٤) ؛ وإني أريد أن أجعلها للحارث بن يَتْبَنَةَ . فقالت بنو يربوع : إنه لا حاجة لإخوتنا فيها ؛ ولكن حسدونا مكاننا من الملك ؛ وعوف بن عتَّاب -

* لبي يربوع على المنذر بن ماء السماء . وطخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

معجم البلدان ص ٣٢ ج ٦ ، العقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، النقاظ ص ٤٤٨ ، ٩٢٤ ، ٢٨٥ ، ٦٦ ، الأغاني ص ١٧٦ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٦ ج ١

(١) يربوع : بطن في تميم ، وقيل : إن بني يربوع كانوا أكثر العرب إغارة على ملوك الحيرة ، فضالحوم على أن جعلوا لهم الردافة ، ويكنى الفارة عن أهل العراق (٢) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباد وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الإمبراطور جستنيان ، ومن الفاسنة الحارث الأكبر المذكور في هذا اليوم ، وفي بعض الروايات هو صاحب يوم النعم والبؤس ، مات سنة ٥٦٣ هـ (٣) حاجب بن زرارة بن عبد الله بن دارم التميمي ، أحد الذين أوفدتم النعمان على كسرى ، وهو الذي دهن قوسه عند كسرى ووفى برهته ، وبها ضرب الثل ، وسارت الأشعار (٤) مجاشع : بطن في تميم .

على حدائنه سنة - أخرى بالدافعة من الحارث بن يثبة ، ولن نفعل ولن ندعها . قال :
فإن لم تدعوها فأذنوا بحرب ؛ قالوا : دعنا نسير عنك ثلاثاً ، ثم آذناً بحرب
وسارت بنو يربوع ذاهبة عن الملك ، ومعها برجة من البراجم^(١) حتى نزلوا
شعباً بطخفة ؛ ودخلوا فيه هم وعيالهم ؛ فجعلوا العيال في أعلاه ؛ والمال في أسفله ،
وهو شعب حصين له مدخل كالباب ؛ ولما مضى ثلاث أرسل الملك قابوس ابنه وحسانا
أخاه ، في جيش كثير من أفناء^(٢) الناس ، واحتبس عنده شهاب بن عبد قيس
اليربوعي وحاجب بن زرارة ، فلما مضى للجيش ثلاث دعاها الملك - وكانت الملوك
تمطى العرب على حسن ظنونهم ، والكلام الحسن تستقبل به الملوك - فقال لحاجب :
يا حاجب ؛ قد سهرت الليلة فأرسلت إليك لتحدثني أنت وشهاب ، ثم قال له : ما ظنك
بالجيش يا حاجب ؟ فقال حاجب : ظني أنك قد أرسلت جيشاً لا طاقة لبني يربوع به ،
وسياتونك بهم وبأموالهم ظافرين .

ثم التفت المنذر إلى شهاب وقال : وما ظنك أنت يا شهاب ؟ فقال : أرسلت جيشاً مختلف
الأنواء - وإن كثروا - إلى قوم عند نساءهم وأموالهم ، يدُهم واحدة ، وهوام واحد ،
يقاتلون فيصدقون ، وظنني أن سوف يظفرون بجيشك ، ويأسرون ابنك وأخاك ؛
فقال حاجب : كذبت ؛ أنت قد أهرت^(٣) . فقال شهاب : أنت أكذب ،
ثم تراهن هو وحاجب على مائة مائة من الإبل ، وكان لشهاب رتي^(٤) من الجن ،
فقام مضطرباً وأتى مضجعه ، وانتبه من الليل وهو يقول :

(١) البراجم : خمسة رجال من بني تميم اجتمعوا وقالوا نحن براجم الكف ، فلب عليهم ، وهم
قيس وعمرو وغالب وكلفة والظلم بنو حنظلة بن مالك (٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، والواحد
فنو (٣) أهرت : خرف (٤) الرتي : الجنى في زعم العرب .

أنا بشير نفسيه نفرت حاجباً ميه^(١)

وردّدها مراراً ، فسمعها الملك فقال لحاجب : ما يقول هذا ؟ قال : يُهْجِرُ^(٢) ، قال : لا والله ما أهجر ، ولكن جيشك قد هُزم ، وأُسرَ ابنك وأخوك ، وآية ذلك أن يُصبّحك راكبُ بعير ، جاعلاً أعلى رُحمه أسفله يخبرك بذلك .

أما جيشُ قابوس فإنه كان قد انطلق حتى أتى الشَّعبَ فدخل الجيش فيه ، حتى إذا كانوا في مَصَافِهِ حملت عليهم بنو يَرْبُوع النِّعم ، وخرجت الفرسان من شِمَائِهِ ، فقمقموا بالسلح النَّعم فذعروها ذلك ، وحمل على الجيش فردّوا وجوههم ، وأنبتهم خيل بنو يربوع تقتل وتقطع . ثم انهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارقُ بن دِثْقُ فرسَ قابوس فمقره وأسرّه ، وأراد أن يجرّ ناصيته ، فقال : إن اللوك لا تُجرّ نواصيها ، فأرسله ؛ وأما حسان فأسرّه عمرو بن جوين ، وهُزم الجيش ، وأخذت الأنهاب .

ثم صبح الملك - تلك الغداة التي قال في ليلتها شهاب ما قال - رجلٌ انهزم من أول الجيش على بعير ، فأخبره ما قال شهاب له لم يَخْرم منه شيئاً .

فدعا المنذرُ شهاباً فقال له : يا شهاب ؛ أدرك ابني وأخي ، فإن أدركتهما حيَّين فلبنى يربوع حكمهم ، وأردُّ عليهم رِداقتهم ، وأهدِرُ عنهم ما قتلوا ، وأهنتهم ما غنموا ، وأحمل^(٣) لهم مَنْ قَتَلَ منهم فأعطيهم بها ألفى بعير .

فخرج شهاب فوجد الرجلين حيَّين ، فضمن لهم ما قال المنذر فرضوا ، وعادت الرِّدافة إلى ابن عتاب ، ولم تزل لهم حتى مات المنذر .

(١) يريد أنه قد استحق المائة من الإبل التي تراهنا عليها (٢) أهجر في منطقه : آى بالقيح من الكلام (٣) احتمل الدية .

وفي تلك الموقعة قال شريح بن حارث اليربوعي :

وكنْتُ إذا ما بابُ ملكٍ قرعَتْهُ قرعت بآبائه أولى شرفٍ ضخمٍ
بأبناء يربوعٍ وكان أبوم إلى الشرف الأعلى بآبائه بني
هم ملكوا أملاك آل مُحَرَّقٍ وزادوا أبا قابوسَ رغماً على رغمٍ
وقادوا بكرهٍ من شهابٍ وحاجبٍ رهوسَ معدٍ بالأزمةِ والخطمِ
علاً جدُّهم جدُّ الملوكِ فأطلقوا بطخفةِ أبناءِ الملوكِ على الحكمِ
وكنّا إذا قومٍ رمينا صفاتهمُ تركنا صدوعاً بالصفاةِ التي نرعى
وزعى حنى الأقوامِ غير محرمٍ علينا ولا يُرعى حمانا الذي نخشى

وقال متمم بن نويرة :

وبحن عقرنا مَهْرَ قابوس بعد ما رأى القوم منه الموت والحيل تلحب^(١)
عليه دِلاص^(٢) ذات نسجٍ وسيفه جُراز^(٣) من الهندي^(٤) أبيض مقضبُ

وقال عمرو بن حوط بن سلمى بن هرمى بن رباح :

قسطننا يوم طخفةَ غير شكٍّ على قابوسٍ إذ كرهَ الصباح
ممرُ أهلك والأبناء تنمى لنعم الحى فى الجلى رباح
أبوا دينَ الملوك فهم لقاح^(٥) إذا هيجوا إلى حربٍ أشاحوا
فا قوم كقومى حين يعلو شهاب الحرب تسمره الرماح

(١) تلحب : تلهث (٢) الدلاص : من الدروع : البينة (٣) الجراز من السيوف :

الماضى النافذ (٤) فى القناض : الجنى ، والجنى : بالكسر والضم : من أجود الحديد
(٥) يقال : قوم لقاح وحى لقاح ؛ وهم الذين لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية ساء .

فما قوم كفوى حين يُجَنَّى على الخود المخذرة الفصاح
أذب عن الحفاظ في معدر إذا ما جد بالقوم النطاح^(١)
كانهم لو قعر البيض بزل^(٢) تفض الطرف واردة قفاح^(٣)
صبرنا نكسر الأسلات^(٤) فيهم فرحنا قاهرين لهم وراحوا
ورحنا نحقق الآيات فينا وأبنا والملوك لهم أحاح^(٥)

(١) المراد الحرب (٢) بزل البعير : انشق ثابه فهو يازل ذكرأ كان أو أتى وذلك في السنة
الخامسة ، وربما في السنة الثامنة . والبزل أيضاً : العز (٣) القامح من الإبل : الذي اشتد عطشه
حتى قتر لثامه خوراً شديداً (٤) الأسلة : طرف السنان ، وأسلة النصل : مستدقه ، أو هي الرماح
تهد جمع الفرزدق الأسل (الرماح) أسلات فقال :

قد مات في أسلاتنا أو عضه غضب يروقه الملوك يهتل
أى في رماحنا (٥) في صدره أحاح وأحيحة من الضنن والفيظ .

٢- يوم أواراة الأول *

أخرجت تغلب سلمة بن الحارث^(١) من بينها بعد يوم السلاب الأول ، فالتجأ إلى بكر بن وائل ، ولحقت تغلب بالنذر بن ماء السماء ، فلما صار سلمة عند بكر أذعنت له وحشدت عليه ، وقالوا : لا يملكنا غيرك ؛ فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسير^٢ إليهم ، فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أواراة . حتى يبلغ الدّم الحضيض .

وسار إليهم في جموعه ، فالتقوا بأواراة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهمزت بكر ، وأسر يزيد بن شراحيل الكندي ، فأمر المنذر به فقتل ، وقتل في المعركة بشر^٣ كثير .

وأسر المنذر من بكر أنرى كثيرة ، فأمر بهم فذبحوا على جبل أواراة . فجعل الدم يجمد ؛ ف قيل له : أيت اللمن ! لو ذبحت كل بكرى على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض^(٢) ، ولكن لو صببت عليه الماء ! ففعل فسال الدّم إلى الحضيض ، وأمر بالنساء أن يُحرقن بالنار . وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر ، فحكاه في سبي بكر بن وائل ، فأطلقهن^٢ المنذر ؛ فقال الأعشى يفتخر بشفاعه القيسى إلى المنذر في بكر :

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربه على فاقة والملوك هباتها
سبايا بني شيبان يوم أواراة على النار إذ تجلى به فتياها

* المنذر بن ماء السماء على بكر . وأواراة : اسم جبل لبني تميم .

ابن الأثير ج ١ ص ٣٣٤ ، العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان ص ٢٠٦

(١) هوسلة بن الحارث بن عمرو ، وكان أبوه الحارث ملكاً من ملوك كندة ، ملك أربعين سنة ، ولما مات فرق بينه في قبائل معد ، فكان سلمة وهو أصغرهم على بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سمد ابن زيد مناة بن تميم (٢) الحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل : هو في أسفله .

٣- يومِ أَوارةِ الثاني

— ١ —

كان عمرو بن المنذر^(١) قد عاهد طَيْئاً ألاَّ يَنَازِعُوا ولا يَنْزُوا ولا يَفَاخِرُوا ، ثم غزا
هَمْرُو اليمامة ، فرجع مُنْقَضاً ؛ فَرَّ بِطَيْيٍّ ، فقال له زُرارة بن عُدُس : أَيْتَ اللعن ،
أَصَبَ من هذا الحَيِّ شَيْئاً . قال : ويحك ! إن لَهم عَقْدَا . قال : وإن كان ؛ فإنك لم
تَكُتِبِ العَقْدَ لَهم كُلَّهم . فلم يَزَلْ به حتى أَصاب نِسوةً وأذواداً . فقال في ذلك قيس
بن جِرْوَةَ الطائي :

أَلَا حَيَّ قَبْلَ الْبَيْنِ مِنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَقُّ إِلَيْهِ وَشَاتِقُهُ
وَمَنْ لَا تُؤَاتِي دَارَهُ غَيْرَ فَيَنْتَهَ (٢) وَمَنْ أَنْتَ تَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ تَفَارِقُهُ
وَتَمْدُو بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَّةِ (٣) نَاقِي كَمَدُو النَّحُوصِ قَدَامَتْ نَوَاهِقُهُ (٤)
إِلَى الْمَلِكِ الْخَيْرِ ابْنِ هَنْدٍ تَزُورُهُ وَلَيْسَ مِنَ الْفَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ (٥)
وَإِنْ نِسَاءً غَيْرَ مَا قَالَ قَائِلُهُ غَنِيمةٌ سَوَاهُ بَيْنَهُنَّ مَهَارِقُهُ (٦)

• لعمرو بن هند على بني تميم . وأَوارة : اسم جبل لبني تميم .

معجم البلدان ص ٣٦٤ ج ١ ، ابن الأثير ص ٣٣٤ ج ١ ، النقاظ ص ٦٥٢ ، ١٠٨١ ،
أمثال البدائي ص ٢٦٦ ج ١

(١) عمرو بن هند : هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، ويعرف باسم أمه هند بنت عمة
امرئ القيس الشاعر ، وكان شديد البأس وافر البطش عظيم الكبرياء ، مات مقتولاً بسيف عمرو
ابن كلثوم سنة ٥٧٨ م (٢) أي لا تأتي داره إلا ساعة (٣) الثوية : موضع قريب من
الكوفة (٤) النحوص : الأتان الوحشية ، وأَعْتَتْ : صَارَ لها مَخ ، والنواهيق : عَطَان في الساق
والمراد أنها صِيئة (٥) أي ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارفاً ويسبقه (٦) المهارق :
المصائف ، وهو حرير يسق صمغاً ، ويصقل ثم يكتب فيه .

ولو نِيلَ في عَهْدٍ لِبِالْحِمِّ أَرْنَبِ رَدَدْنَا وَهَذَا الْمَهْدُ أَنْتَ مُعَا لِقَهُ (١)
فَهَبَكَ ابْنَ هَنْدٍ لَمْ تَعْقِكَ مَلَامَةً وما المرء الا عهدُهُ ومواريثُهُ
وَكُنَّا أَنْاسًا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ يَسِيلُ بِنَا تَلْعُ اللَّلاَ وَأَبَارِقُهُ (٢)
فَأَقْسَمْتُ لَا أَحْتَلُّ إِلَّا بِصَهْوَةٍ حَرَامٌ عَلَيْنَا رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهُ (٣)
أَكَلْتُ خَمِيسٍ أَخْطَأُ النُّنْمَ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَانِنًا فَهُوَ سَائِقُهُ (٤)
فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى وَمَا خَبٌّ فِي بَطْحَائِيهِنِ دَرَادِقُهُ (٥)
لَنْ لَمْ تُغَيِّرَ بَعْضَ مَا قَدْ فَعَلْتُمْ لِأَنْتَجِينَ الْعَظَمَ ذُو أَنَا عَارِقُهُ (٦)
فبلغ عمرو بن هند هذا الشعر ، فقال له زُرارة بن عدس : أيت اللعن ! إنه
بتوعدُّك . فقال عمرو بن شُعَث الطائي : أيهجوني ابن عمك (٧) ويتوعدُّني ؟ قال :
لا ، والله ما هجاك ، ولكنه قال :

والله لو كان ابنُ جَفْنَةَ جارِكم ما انْ كَمَا كَمْ غُصَّةً وَهَوَانًا
وسلاسلاً يَبْرُقُنْ في أعناقكم وَإِذَا لَقِطْعَ تَلْكُمُ الْأَقْرَانَا (٨)
ولكان عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَبِطًا رَادِعًا (٩) وَجِفَانًا
وإنما أراد أن تذهبَ سَخِيمَتُهُ ، فقال : والله لأقتلنَّه ؛ فبلغ ذلك عارفا فقال :

(١) معالقه : متعلق به (٢) التلع : جمع تلة ، وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض (من
الأسناد) ، والأبارق : جمع أبرق وهي أرض مختلطة بحجارة ورمل (٣) صهوة كل شيء : أعلاه ،
والنقائق : قطع غلاظ بين جبال الرمل واحدها شقيقة (٤) دانتا : مطبعا ، والخميس : الجيش
(٥) الدراق : صغار الإبل ، ومعنى : موضع بمكة (٦) ذو بمعنى الذي وهي لفظة طيبة ، وعرق
العظم : انتزع منه اللحم ، وسمي الشاعر عارقاً لهذا البيت (٧) هو ابن عم قيس بن جروة
(٨) الأقران : الجبال (٩) يقال قيس رادع إذا كان مصبوغاً بالزعفران .

من مُبلغٌ عمرو بن هندٍ رسالةً إذا استحققتُها العيسُ تُنفِى من البُعْدِ^(١)
أبو عديّ والرمل بيني وبينه تأملُ رويداً ما أمانة من هند
ومن أجارٍ حولي رعانٌ كأنها قنابلُ خيلٍ من كُمَيْتٍ ومن وَرْدٍ^(٢)
فدُرتَ بأمرٍ كنتَ أنتَ دعوتنا إليه ، وبئسَ الشيعةُ القَدْرُ بالهَدِ^(٣)
فبلغ عمرو شعره ، ففزا طليئاً ، وأمر من بنى عديّ^(٤) سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن
جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتمٌ يومئذ بالحيرة ، فلما قدم جمعت المرأة تأتية
بالصبي ، فتقول : يا حاتمُ أسير أبو هذا ؛ فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى عمرو بن
هند - وكذلك كان يصنع - فوهبهم له إلا قيس بن جحدر ؛ لأنه كان من رهط
عارقٍ ؛ فقال حاتم :

فككت عدياً كلها من إسارها فأنعم وشفعني بقيس بن جحدر
أبوه أبي ، والأُمّهاتُ أمّهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومشرى
فقال : هولك يا حاتم .

- ٢ -

وقد كان المنذر بن ماء السماء - أبو عمرو بن هند - وضع ابناً^(٥) له يقال له مالك عند
زُرارة بن عُدس - وكان أصغر بني المنذر - فبلغ حتى صار رجلاً ؛ وإنه خرج ذات يوم
بتصيد ، فأخفق فرّاً بإبلٍ لسُوَيد بن ربيعة الدارمي - وهو زوج بنت زُرارة قد ولدت
له سبعة غِلْمَةٍ ، فأمر مالك ببيكرةٍ منها فنحرها ، ثم اشتوى ، وسُوَيد ناظم ،

(١) أي إذا حملها الإبل هزلت لبعده المسافة (٢) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل
والقنابل : الجماعات من الخيل ، وأجاً : جبل طيء (٣) يروي : كنت احتديتنا ، واحتدي من
الحِدو وهو السوق (٤) رهط حاتم الطائي (٥) في رواية : أخاه .

فلما انتبه سُوَيْدٌ شَدَّ عَلَى مَالِكٍ بِمِصْبَا - ولم يعرفه فَأَتَمَّهُ (١) ومات ؛ فخرج سُوَيْدٌ هَارِبًا
 حَتَّى لَحِقَ بِمَكَّةَ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ ، فَحَالَفَ بَنِي نُوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَاخْتَطَّ بِمَكَّةَ (٢) .
 ثُمَّ مَلَكَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ - وَعَلِمَ بِذَلِكَ - فَغَزَاهُمْ ، وَكَانَتْ طَبِئُ تَطْلُبُ عَثْرَاتَ زُرَّارَةَ
 وَبَنِي أُيَيْهَ ، حَتَّى بَلَغَهُمْ مَا صَنَعُوا بِأَخِي الْمَلِكِ (٣) ، فَأَنْشَأَ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطِ الطَّائِي يَقُولُ :

مَنْ مَبْلَغٌ عَمْرًا بَأْسَ الرِّءْ لَمْ يُخْلَقْ صُبَّارَةً (٤)
 وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ لَا يَبْقَى لَهَا إِلَّا الْحِجَارَةُ
 هَا إِنَّ عَجْزَةَ أُمِّهِ بِالسَّفْحِ أَسْفَلَ مِنْ أَوَارِهِ (٥)
 تَسْفِي الرِّيحُ خِلَالَ كَشِّهِ وَقَدْ سَلَبُوا إِزَارَهُ
 فَاقْتُلْ زُرَّارَةَ لَا أَرَى فِي الْقَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَّارَةِ (٦)

فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعر بكى وفاضت عيناه ؛ وبلغ زُرَّارَةُ الْخَبَرَ ، فَهَرَبَ ،
 وَرَكِبَ عَمْرُو فِي طَلْبِهِ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ امْرَأَتَهُ ، وَهِيَ حُبْلَى - فَقَالَ : أَذْكَرُ فِي
 بَطْنِكَ أَمْ أَنْتِي ؟ قَالَتْ : لَا عَلِمَ لِي بِذَلِكَ ، قَالَ : مَا فَعَلَ زُرَّارَةُ الْفَاجِرُ ؟ قَالَتْ :
 إِنْ كَانَ مَا عَمْتُ لَطِيبُ الْمَرْقِ ، سَمِعَ الْمَرْقَ ، لَا يَنَامُ لَيْلَةً يَخَافُ ، وَلَا يَشْبَعُ لَيْلَةً
 يُضَافُ ؛ فَيَقْرَ بَطْنَهَا وَانْصَرَفَ .

فَقَالَ قَوْمُ زُرَّارَةَ لَهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ قَتَلْتَ أَخَاهُ ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَاصْدُقْهُ ، فَإِنَّ الصَّدَقَ
 يَنْفَعُ عِنْدَهُ ؛ فَأَتَاهُ زُرَّارَةُ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : فَجِئْتَنِي بِسُوَيْدٍ . قَالَ : قَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ .
 قَالَ : فَعَلَيْكَ بِنْتِيهِ . فَأُتِيَ بِبَنِيهِ السَّبْعَةِ مِنْ ابْنَةِ زُرَّارَةَ ، وَهُمْ غِلْمَةٌ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ،

(١) أمه : قصده (٢) اختط بمكة : استملك فيها (٣) سبق أن ذكر أنه ابنه

(٤) الصبارة : الحجارة اللبس ، كأنه يقول : ليس الإنسان بحجر فيصبر على مثل هذا

(٥) أول ولد المرأة يقال له زكوة ، والآخر عجزة (٦) الأبيات في لسان العرب مادة صبر .

فَأَصْرَ بَقْتَلَهُمْ ، فَتَنَالُوا أَحَدَهُمْ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ ، فَتَمَلَّقَ الْآخَرُونَ بَزْرَارَةَ ، فَقَالَ زَرَارَةُ :
يَا بَعْضِي سَرِّحْ بَعْضًا ^(١) ، ثُمَّ قَتَلُوا ، وَآلَى عَمْرُو بِأَلْيَةِ لِيُجَرِّقَنَّ مِنْ بَنِي دَارِمٍ ^(٢)
مِائَةَ رَجُلٍ .

وَخَرَجَ يَرِيدُهُمْ ، وَبَعَثَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطِ الطَّائِي ، فَوَجَدَ الْقَوْمَ قَدْ
نَدَرُوا بِهِ ، فَأَخَذَ ثَمَانِيَةً وَتَسْمِينَ مِنْهُمْ بِأَسْفَلِ أُورَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ . وَلَحِقَهُ عَمْرُو
ابْنُ هَنْدٍ فِي النَّاسِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أُورَةِ ؛ فَضَرَبَ بِهِ قُبَّتَهُ ، وَأَصْرَ لَهُمْ بِأُخْدُودٍ ،
فَخُذَّ لَهُمْ ، ثُمَّ أَضْرَمَ نَارًا ؛ فَلَمَّا تَلَطَّتْ وَاحْتَدَمَتْ قَذَفَ بِهِمْ فِيهَا فَاحْتَرَقُوا ^(٣) .

وَأَقْبَلَ رَاكِبٌ عِنْدَ الْمَسَاءِ مِنْ بَنِي كُلْفَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ مِنَ الْبَرَاكِمِ ^(٤) ، لَا يَعْلَمُ
بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ ، يُوضِعُ ^(٥) بِمِيرِهِ ، فَأَنَاحَ ، وَأَقْبَلَ يَمْدُو ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : مَا جَاءَ بِكَ ؟
قَالَ : حُبُّ الطَّعَامِ ؛ قَدْ أَقْوَيْتُ ^(٦) ثَلَاثًا ، لَمْ أَذُقْ طَعَامًا ؛ فَلَمَّا سَطَعَ الدِّخَانُ ظَنَنْتُ
أَنَّهُ دِخَانُ طَعَامٍ . فَقَالَ عَمْرُو : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنَ الْبَرَاكِمِ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ
الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَاكِمِ ^(٧) ، وَرُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ ^(٨) .

(١) ذهب مثلاً (٢) دارم : بطن في تميم (٣) ومن هذا سميت العرب عمرو بن هند محرقاً
(٤) البراجم : خمسة رجال من بني تميم : قيس وعمرو وغالب وكلفة وظليم بنو حنظلة بن مالك
ابن زيد مناة بن تميم . اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الكف فقلب عليهم ، والبراجم : رهوس
السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفه برزت وارتفعت ؛ الواحدة : برجة
(٥) أوضع المرء بعيره : إذا جملة يسرع في سيره (٦) أقوى الرجل : شد طعمه
(٧) ذهبت مثلاً (٨) هجت العرب بذلك تيمناً فقال ابن الصق :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَأَيَّةِ مَا يُعْبُونَ الطَّعَامَا

وَقَالَ أَبُو مَهْشُوحٍ الْفَقْعِيُّ :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَبِيشَ فَجِيءَ بِزَادٍ
يُخْبِزُ أَوْ يُلْحَمُ ؛ أَوْ يَسِيرُ أَوْ الشَّيْءُ الْمُلَقَّبُ فِي الْبَجَادِ
تَرَاهُ يَنْقُبُ الْأَفَاقَ حَوْلَا لِأَكْلِ رَأْسِ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ

وأقام عمرو لا يرى أحداً ، ف قيل له : أبيت اللعن ! لو تحللتَ بامرأةٍ منهم ،
 فقد أحرقتَ سمعةً وتسمين ؛ فدعا بامرأةٍ من بني نهشل بن دارم ، قال : من أنتِ ؟
 قالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر . قال : إني لأظنك أعجمية . قالت : ما أنا
 بأعجمية ، ولا ولدني الأعاجم :

إني لبنتُ ضمرة بن جابرٍ ساد معداً كبيراً عن كبيرٍ
 إني لأختُ ضمرة بن ضمرة إذا البلادُ لقيمتُ بجمرة .

قال : فمن زوجك ؟ قالت : هوذة بن جروول . قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين
 مكانه ؟ قالت : هذه كلمةٌ أحق ، لو كنتُ أعرفُ مكانه حال بينك وبينى . قال :
 وأى رجل هو ؟ قالت : هذه أحق من الأولى ! أعن هوذة يسأل ! قال عمرو :
 أما والله لو لا مخافةُ أن تُلدى مثلك لصرفتُ النارَ عنك ، قالت : والذي أسألهُ أن
 يضع وسادك ، ويخفي عمامك ، ويصغر حصانك ، ويسلب بلادك ، ما قتلت إلا
 نُسباً^(١) أعلاها ثديي ، وأسفلها حُلِي . والله ما أدركت ثاراً ولا محوت عاراً ، وليس
 من فعلت هذا به بئافل عنك .

قال : اقذفوا بها في النار ، فالتفتت فقالت : ألا فتى مكان المجوز^(٢) ! فلما
 أبطلوا عليها قالت : كأن الفتیان حمماً^(٣) ، وقد قُذِفَ بها في النار فاحترقت ،
 فقال لقيط بن زُرارة يُمير بني مالك بن حنظلة بإحراق عمرو بإيم :

أَمِنْ دِمْنَةٍ أَقْفَرْتُ بِالْجِنَابِ إِلَى السَّفْحِ بَيْنَ الْمَلَا فَالْهَضَابِ^(٤)
 بكيت لِعِرْفَانٍ آيَاهَا وَهَاجَ لَكَ الشَّوْقَ نَعْبُ الْغُرَابِ

(١) تفسير لسوة : لسبة أو هي بالفتح وهو الذي لا يمد في القوم لأنه منسى (٢) في أمثال
 البدائي : مكان عجوز ، فذهبت مثلاً (٣) يروى : هيبات صارت الفتیان حمماً ، وقد ذهبت مثلاً
 (٤) الجناب والملا والهضاب : مواضع .

فأبلغْ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ مُنَافِلَةً^(١) وَسِرَاةَ الرَّبَابِ
فَإِنْ أَمْرًا أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَخْفُونَ قُبَيْتَهُ بِالْقِيَابِ
يُهَيِّئْ مَرَاتِكُمْ عَامِدًا وَيَقْتُلْكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
فَلَوْ كُنْتُمْ إِبِلًا أُمِلَّحَتْ^(٢) لَقَدْ نَزَعَتْ لِلْيَاءِ الْمِذَابِ
وَلَكِنَّكُمْ غَمٌّ تُصْطَفَى وَبُرْكٌ سَاوَرَهَا لِلذَّئَابِ
لَعَمْرُ أَيْكَ أَبِي الْخَيْرِ مَا أُرِدْتَ بِقَتْلِهِمْ مِنْ صَوَابِ
وَلَا نِعْمَةً إِنْ خَيْرَ الْمَوِ لَكَ أَفْضَلُهُمْ نِعْمَةً فِي الرَّقَابِ^(٣)
وَلَا ظَهَرَتْ بَرَاءَةُ زُرَّارَةٍ عِنْدَ ابْنِ النَّذْرِ ، وَجَنٌّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ اجْلُودُ^(٤) ، فَلَحِقَ
بِقَوْمِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَضَ .

وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : يَا حَاجِبُ ؛ إِلَيْكَ غِلْمَتِي فِي بَنِي نَهْشَلٍ ، وَيَا عَمْرُو بْنَ
عَمْرٍو ؛ إِلَيْكَ عَمْرُو بْنُ مِلْقَطِ الطَّائِي ؛ فَإِنَّهُ حَرَضَ عَلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ عَمْرُو : لَقَدْ
أَسْنَدْتَ إِلَيَّ يَا عَمَّاهُ أَمَدَهُمَا شَقَّةً وَأَشَدَّهُمَا شَوْكَةً .

فَلَمَّا مَاتَ زُرَّارَةُ تَهِيًّا عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو فِي جَمْعٍ ، ثُمَّ غَزَا طَيْبَتًا^(٥) فَاصَابَ الطَّرِيفَيْنِ
طَرِيفَ بَنِي مَالِكٍ ، وَطَرِيفَ بَنِي عَمْرٍو ، وَأَفْلَتَهُ الْمَلَّاقُطُ ، فَقَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِدَةَ فِي ذَلِكَ :
وَنَحْنُ جَلَبَتْنَا مِنْ ضَرِيَّةٍ خَيْلَنَا نَجْنِبُهَا حَدَّ الْإِكَامِ قَطَاً طَعَاً^(٦)
أَصْنَنَ الطَّرِيفَ وَالطَّرِيفَ بَنِي مَالِكٍ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ أَصْنَنَ الْمَلَّاقُطَا
إِذَا عَلِمُوا مَا قَدَّمُوا أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشَّرِّ ، وَإِنْ الشَّرُّ مَرُورٌ أَرَاهِطَا

(١) المعنطة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد (٢) أُمِلَّحَتْ : وردت ماءً ملحاً (٣) وإنما أراد
بذلك بني مالك بن حنظلة لأنهم كانوا يخيمون عمرو بن هند والمالك (٤) اجلود : أسرع
(٥) هذا هو يوم طيء ، راجع النقائض ص ٤٥ (٦) في اللسان : تكلفها حد الإكام . قال
أبو عمرو : أي تكلفها أن تقطع حد الإكام فتقطعها بموافرها ، قال : ووحد القطائط قطوط .
وقال غيره : قطاطاً : رعلا وجماعات في تفرقة .

٤- يوم السلان

كان بنو عامر بن صعصعة قوماً مُحَسَّناً^(١) لِقَاحاً^(٢) ، فلما ملك النعمان^(٣) بن المنذر كان يجهز كل عام لطيمة^(٤) لتباع بُمُكاظ ، فتعرض لها بنو عامر يوماً ؛ فغضب لذلك النعمان ، وبعث إلى وبرة الكلبى ، أخيه لأمه ، وبعث إلى صنائه^(٥) وَوَصَائِهِ^(٦) ، وأرسل إلى بنى ضَبَّة بن أد وغيرهم من الرّباب وتيم ، فأجابوه ، وأناه ضرار بن عمرو الضبى فى تسعة من بنيه كلهم فوارس ، ومعه حبش بن دلف - وكان فارساً شجاعاً - واجتمعوا فى جيش عظيم ، وجهز النعمان معهم عيراً ، وأمرهم بتسييرها ، وقال لهم : إذا فرغتم من عُكاظ ، وانسلخت الأشهر الحُرُم^(٧) ، فاقصِدوا بنى عامر؛ فإنهم قريبٌ مِنَوَاحِي السِّلَان .

فخرجوا وكنتموا أمرهم ، وقالوا : خرجنا لئلا يمرض أحدٌ للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عُكاظ علمت قريش بحالهم ، فأرسل عبد الله^(٨) بن جُدعان

* لى عامر على النعمان بن المنذر ، والسلان فى الأصل بطون من الأرض فامضة ذات شجر ، ثم سميت بها بعض المواطن .

ابن الأثير ص ٣٩١ ج ١ تاريخ العرب القدامى ص ٤٦ ، معجم البلدان ص ١٠٤ ج ٥

(١) المحس : المتشددون فى دينهم التحمسون (٢) اللقاح : الذين لا يدينون للهلك

(٣) هو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ، كان شهماً شجاعاً مبالاً الى المارة سرياً كريماً . قصده الشراء من بلاد بريدة فبالغ فى اكرامهم ، وبلغت الحيرة فى عهده درجة عظيمة من الرق . مات فى سجن كسرى لبروز بخاقين (٤) اللطيمة : غير تحمل المسك (٥) الصنائع : جماعة كانوا ينتخبون من بنى ثعلبة خاصة كالحرس لا يرحون باب الملك (٦) الوضائع : ألف رجل من القرس كانوا يستخدمون فى نصرة العرب ، ويستبدلون بثمن كل سنة (٧) الأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب (٨) عبد الله بن جُدعان التيمى ، كان من مشاهير الأجواد وكان يسمى بحاسى الذهب لأنه كان يشرب فى إناه من الذهب ، وهو ابن عم عائشة زوج الرسول وأخباره فى السكرم كثيرة .

فأصداً إلى بني عامر يُعَلِّمُهُمُ الخَبْرَ ، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيَّأوا للحرب ، وتحرَّزُوا ووضعوا العيونَ ، وجاءوا ، عليهم عامر بن مالك ملاعب الأَسنة ، وأقبل الجيش فالتقوا بالسَّلاَنَ ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وبيناهم يقتتلون إذ نظر يزيد ابن عمرو بن خويلد^(١) الصَّمِقَ إلى وبرة الكلبي أخى النعمان ، فأعجبته هَيْئَتُهُ ، فحمل عليه وأسرَّه ، فلما صار في أيديهم همَّ الجيشُ بالهزيمة ، فنهاهم ضرار بن عمرو الضُّبِّي ، وقام بأمر الناس ، فقاتل هو وبنوه قتالاً شديداً ؛ فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه - وكان أبو براء رجلاً شديداً السَّاعد - فلما حمل على ضرار اقتتلا ؛ فسقط ضرار إلى الأرض ، وقاتل عليه بنوه حتى خلَّصوه وركب ، وكان شيخاً ، فلما ركب قال : من سرَّه بنوه ساءت نفسُهُ^(٢) .

ثم جعل أبو براء يلحّ على ضرار طمعاً في فدائه ، وجعل بنوه يحمُّونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتنَّ أو لأموتنَّ دونك ، فأحِلَّنِي على رجل له فِدَاء ، فأوماً ضرار إلى حبيش بن دلف - وكان سيِّداً - فحملَ عليه أبو براء فأسرَّه ، وكان حبيش أسود نحيفاً دميماً ، فلما رآه كذلك ظنَّه عبداً ، وأن ضراراً خدعه ، فقال : إنا لله ، ألا في الشؤم وقَعْتُ ! فلما سمعها حبيش منه خاف أن يَقْتُلَهُ ، فقال : أيها الرجل ، إن كنت تريد اللِّينَ^(٣) فقد أَصَبَّتَهُ ، واقتدى نفسه بأربعمائة بغير . وهُزِمَ جيش النعمان ، ولما رجع الفَلَّ^(٤) إليه أخبروه بأسر أخيه وبقِيَامِ ضرار بأمر الناس ، وما جَرَى له مع أبي براء ، واقتدى وبرة الكلبي نفسه بألفٍ بغير وفرس من يزيد بن الصمق فاستغنى يزيد ، وكان قبله خفيف الحال .

(١) يزيد بن عمرو بن خويلد ، وخويلد يقال له الصمق ، قال ابن الكلبي : سمى بهذا الاسم ، لأنه حمل طعاماً لقومه بمكاظ ، فجاءت ريح فبشار فسيها ولغنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقتَه
(٢) ذهب مثلًا (٣) اللين : الإبل (٤) القل : القوم التهمزون .

٥- يَوْمَ خَزَازٍ

كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ كَانَ فِي يَدَيْهِ أَسَارَى مِنْ مُضَرَ وَرَيْعَةٍ وَقُضَاعَةٍ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ وَفَدَ مِنْ وَجْهِ بَنِي مُعَدَّةٍ ؛ وَمِنْهُمْ سَدُوسُ بْنُ شَيْبَانَ ، وَعَوْفُ ابْنِ عِلْمٍ ، وَعَوْفُ بْنُ عَمْرٍو ، وَجُشَمُ بْنُ ذَهْلٍ ، فَاحْتَبَسَ الْمَلِكُ عَنْدهُ بَعْضَ الْوَفْدِ رَهِينَةً ، وَقَالَ لِلْبَاقِينَ : ائْتُونِي بِرُؤَسَاءِ قَوْمِكُمْ لِأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْوَأَثِيقَ بِالطَّاعَةِ لِي ؛ وَإِلَّا قَتَلْتُ أَصْحَابَكُمْ .

فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَخْبَرُوهُمُ الْخَبَرَ ، فَاجْتَمَعَتْ مُعَدَّةٌ عَلَى كَلْبٍ وَائِلٍ ، وَسَارَ بِهِمْ - وَعَلَى مَقْدَمَتِهِ سُلَيْمَةُ بْنُ خَالِدٍ الْمُرُوفُ بِالسَّفَاحِ التَّنَلْبِي - وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَوقِدُوا عَلَى خَزَازٍ نَارًا لِيَهْتَدُوا بِهَا ، فَبَلَغَ مَذْحِجًا اجْتِمَاعُ رَيْعَةٍ وَمَسِيرُهَا ، فَأَقْبَلُوا بِجَمْعِهِمْ ، وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَكُونُ مِنْ قِبَائِلِ الْيَمَنِ ، وَسَارُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ تِهَامَةٍ بِمَسِيرِ مَذْحِجٍ انْفَضُّوا إِلَى رَيْعَةٍ ، وَوَصَلَتْ مَذْحِجٌ إِلَى خَزَازٍ لَيْلًا ، وَكَانَ كَلْبٌ قَالَ لِسُلَيْمَةَ : إِنَّ غَشِيكَ الْعَدُوَّ فَأَوْقَدِ نَارَيْنِ ؛ فَلَمَّا رَأَى جَمْعَ مَذْحِجٍ أَوْقَدَ نَارَيْنِ ، فَأَقْبَلَ كَلْبٌ بِالْجَمْعِ ، وَصَبَّحَ مَذْحِجًا بِخَزَازٍ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، أَكْثَرُوا فِيهِ الْقَتْلَ ، وَانْهَزَمَتْ مَذْحِجٌ .



هَذِهِ رَوَايَةُ ابْنِ الْأَثِيرِ ، وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ^(١) رَوَايَةٌ أُخْرَى هَذَا نَصُّهَا :
اجْتَمَعَتْ مُضَرَ وَرَيْعَةٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا مِنْهُمْ مَلِكًا يَقْضِي بَيْنَهُمْ ، فَكُلُّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَرَاضَوْا أَنْ يَكُونَ مِنْ رَيْعَةٍ مَلِكٌ ، وَمِنْ مُضَرَ مَلِكٌ ، ثُمَّ أَرَادَ كُلُّ

* لَمَدَ عَلَى مَذْحِجٍ ، وَخَزَازُ جَبَلٍ مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَ هَذَا الْيَوْمُ مِنْ أَكْثَرِ أَيَّامِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَتْ مُعَدَّةٌ لَا تَسْتَنْصِفُ مِنَ الْيَمَنِ ، وَلَمْ تَزَلْ الْيَمَنُ قَاهِرَةً لَهَا حَتَّى كَانَ هَذَا الْيَوْمُ فَانْتَصَرَتْ مُعَدَّةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ لَهَا الْمُنْعَةُ حَتَّى حَاءِ الْإِسْلَامِ .

ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣١٠ ج ١ ، الْمَقْدُودُ الْقَرِيدُ ص ٣٦٤ ج ٣

(١) ص ٤٢٨ ج ٣

يطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أن يتخذوا ملكا من اليمن ، فطلبوا ذلك إلى بني آكل المرار من كندة ، فملك بنو عامر شراحيل بن الحارث من بني آكل المرار ، وملك بنو تميم وضبة محرقي بن الحارث ، وملك وائل شرجيل بن الحارث ، وملك تغلب وبكر سلمة بن الحارث ، وملك بقية قيس معد يكرب بن الحارث ، وملك بنو أسد وكنانة حُجر بن الحارث ، أبا امرئ القيس ، فقتلت بنو أسد حُجرًا ، ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه ، وقتلت بنو تميم محرقيًا ، وقتلت وائل شرجيل ، فكان حديث يوم الكلاب ، ولم يبق من بني آكل المرار غير سلمة ، فجمع جموع اليمن ، وسار ليقول نزارًا ، وبلغ ذلك نزارًا ، فاجتمع منهم بنو عامر بن صعصعة ، وبنو وائل ، تغلب وبكر ، وبلغ الخبر كليب وائل ، فجمع ربيعة وقدم على مقدمته السفاح التغلبي ، وأمره أن يعلو خزازًا ، فيوقد بها ليهتدي الجيش بناره ، وقال : **إِنْ غَشِيكَ المدوُّ فأوقد نارين .**

وبلغ سلمة اجتمع ربيعة ومسيرها ، فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وكلا مرة بقبيلة استنفرها ، وهجمت مذحج على خزاز فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة إليهم فصبّحهم ، والتفوا بخزاز ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزمت جموع اليمن .



وفي ذلك اليوم قال السفاح التغلبي :

وليل بت أوقد في خزازي^(١) هديت كتابًا متحركات
ضلّكن من السّهاد وكنّ لولا سهادُ القوم أحسبُ هاديات
فكنّ مع الصباح على جذام ولغم بالسيوف مشهّرات

(١) خزازي : لغة في خزاز .



وقال ابن الحائك :

كانت لنا بحزّ أذى وقمة عجب لما التقينا وحادي الموت يحديها
ملنا على وائل في وسط بلدتها وذو الفخار كليبُ العزّ يحميها
قد فوضوه وساروا تحت رايته سارت إليه معدّة من أقاصيها
وحير قومنا صارت مقاولها ومذبح الفرّ صارت في تعانيتها

كان الحارث^(١) بن عمرو ملكاً على الحيرة ، ثم تفاسدت القبائل من نزار ، فأناه
أشراهم فقالوا : إنا في دينك ، ونخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا
بنك يزلون فينا ، فيكفون بمضنا عن بعض .

ففرق ولده في قبائل العرب ، فللك ابنه حُجْرًا على بنى أسد وغطفان ، وملك
ابنه شُرْحَيْبِيل على بكر بأسرها وبنى حنظلة بن مالك ، والرَّباب . وملك ابنه
معديكرب على بنى تغلب والتمر بن قاسط وسعد بن زيد مناه ، وطوائف من بنى دارم
والصَّنَّاع^(٢) ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه سلمة على قيس ،

* لبنى أسد على حجر . وحجر ملك من ملوك كندة .

الأغاني ص ٨١ ج ٩ ، ابن الأثير ص ٣٠٤ ج ١

(١) الحارث بن عمرو : أعظم ملوك كندة ، حكم الحيرة على عهد الملك قباذ ملك الفرس ، وعلا
صيته زماناً ، ولكنه لم يلبث أن ولى ملك الفرس كسرى آتوشروان ، فولى على الحيرة المنذر بن
ماء السماء ، فهرب الحارث وتبعه المنذر في حرب الحيرة ولكنه نجى وأقام بأرض كلب حتى مات
سنة ٥٤١ م ، وأخذ المنذر ثمانية وأربعين نقصاً من بنى آكل المرار ، قومه ، وفيهم عمرو ومالك
ابنا الحارث ، وأمر بضرب رقابهم في ديار بنى مرينا ، وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقونا المشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
ولم تفصل حجاجهم بفصل ولكن في السماء مرملينا

الفصل : ما ينسل به الرأس

تظل الطير ما كفة عليهم وتنزغ الخواحب والعيونا

(٢) الصنائع : قوم من شذاذ العرب ، يصحبون الملوك .

وكانت لحجر على بنى أسد إناوة في كل سنة مؤقته ، وغبر^(١) على ذلك دهرآ ،
ثم أرسل جأيه الذى كان يجيبهم ، فنعوه ذلك - وحُجِرَ يومئذٍ بهامة - وضربوا
رُسله وضَرَجُوهم^(٢) ضَرْجاً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حُجراً ، فسار إليهم بجُنْدٍ من
ربيعة ، وجندٍ من جند أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سرائهم ؛ وجعل
مقتلهم بالمصا^(٣) ، وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوم
في بلد أبداً ، وحبس جماعة من أشرافهم .

ثم سارت إليه بنو أسد ثلاثاً ، ودخلوا إليه يستعطفونه ، وفيهم عبيد بن الأبرص
فقام وقال : أيها الملك ؛ اسمع مقالتي :

يا عينُ فابكى ما بنى أسد فهم أهلُ الندامة
أهلَ القبابِ الحرِّ والنَّممِ المؤبِّلِ^(٤) والمُدَّامِ
وذوى الجيادِ الجُرْدِ والـ أسلِ المتَّقَةِ المُقامِ
حِلاً أيتَ اللمنِ حِلاً إنَّ فيما قلتَ آمه^(٥)
في كلِّ وادٍ بين يثربَ فالقُصُورِ إلى اليمامة
تطربُ عابِ أو صيا حُمرِّقى أو صوتُ هامه
ومنعمهم نجداً فقد حلُّوا على وجلِ بهامة
برمتَ بنو أسدِ كما برمتَ ببيضتها الحامه
جعلتَ لها عُودين من نَشَمِ وآخرَ من ثمامه^(٦)

(١) ضرب : لبث (٢) ضربه : أدامه (٣) ذلك مموا : عيد المصا
(٤) المؤبِّل : الفتى (٥) حلا : أى تحلل من عيئك ، والآمة السب (٦) النعم : شجر
جبلٍ تتخذ منه القسي ، والثامة : نبت بالبادية .

إِذَا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْوَاً أَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَةَ
أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
ذَلُّوا لَسَوْطِكَ مِثْلَهَا ذَلَّ الْأَشْيَقِرُ ذُو الْحِزَامَةِ (١)

فرقاً لهم جُحْرٌ حين سمع قوله ، وأرسل مَنْ يرُدُّهم .

ثم إن حجرًا وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسدٍ ، وكان يُقَدِّمُ بِمَضُ ثَقَلَهُ (٢) أمامه ، ويُهَيِّأُ نَزْلَهُ ثم يجيئُ وقد هَيَّأَ له من ذلك ما يُعْجِبُهُ فينزل ، ويُقَدِّمُ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَنَازِلِ فَيُضْرَبُ له فِي الْمَنَزَلَةِ الْآخَرَى ؛ فَلَمَّا دَنَا مِنْ بَنِي أُسْدٍ - وَقَدْ بَلَغَهُمْ مَوْتُ أَبِيهِ - طَمِعُوا فِيهِ ، فَلَمَّا أَظْلَمَ، وَضُرِبَتْ رِقَابُهُ اجْتَمَعَتْ بَنُو أُسْدٍ إِلَى نُوْفَلِ بْنِ رَبِيعَةَ فَقَالَ : يَا بَنِي أُسْدٍ ؛ مَنْ يَتَلَقَى هَذَا الرَّجُلَ مِنْكُمْ فَيَقْتُلْهُ ؟ فَإِنِّي قَدْ أَجَمْتُ عَلَى الْفَتْكِ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا لِذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ . فَخَرَجَ نُوْفَلٌ فِي خَيْلِهِ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الثَّقَلِ ، فَقَتَلَ مَنْ وَجَدَ فِيهِ ، وَسَاقَ الثَّقَلَ ، وَأَصَابَ جَارِيَتَيْنِ قَيْنَتَيْنِ لِحَجْرٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى قَوْمَهُ .

وَبَلَغَ حَجْرًا أَمْرَهُمْ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ . فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَاهَضُوهُ الْقِتَالَ ، وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ هَزَمُوا أَصْحَابَ حَجْرٍ وَأَمْرُوهُ فَجَسَوْهُ .

وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِي قَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ كَاهِنٌ مِنْ كَهَنَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ لَيَرَوْا فِيهِ رَأْيَهُمْ : أَيُّ قَوْمٍ لَا تَعْجَلُوا بِقَتْلِ الرَّجُلِ حَتَّى أَزْجُرَ لَكُمْ ؛ وَانصَرَفَ عَنِ الْقَوْمِ لِيَنْظُرَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ .

(١) الْأَشْيَقِرُ : تَصْغِيرُ الْأَشْفَرِ ، وَهُوَ الْأَخْرَجُ مِنَ الدُّوَابِّ . وَالْحِزَامَةُ : حَلَقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَجْمَلُ فِي وَتَرَةِ أَنْفِ الْعَبْرِ بِشَدِّهَا (٢) الثَّقَلُ : مَتَاعُ السَّافِرِ .

فلما رأى ذلك علباء خَشِيَ أَنْ يَتَوَاكَلُوا فِي قَتْلِهِ ، فَدَعَا غَلَامًا مِنْ بَنِي كَاهِل^(١) -
وَكَانَ حُجْرٌ قَتَلَ أَبَاهُ - وَقَالَ لَهُ : يَا بَنِي ؛ أَعِنْدَكَ خَيْرٌ فِتْنَارَ بَابِيكَ ، وَتَنَالَ شَرْفَ
الدَّهْرِ ، وَإِنْ قَوْمُكَ لَنْ يَقْتُلُوكَ ؟ وَلَمْ يَزَلْ بِالْغَلَامِ حَتَّى حَرَّبَهُ^(٢) ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ حَدِيدَةً
قَدْ شَحَذَهَا وَقَالَ : ادْخُلْ عَلَيْهِ مَعَ قَوْمِكَ ، ثُمَّ اطْمَئِنَّ فِي مَقْتَلِهِ . فَعَمِدَ الْغَلَامُ إِلَى
الْحَدِيدَةِ فَخَبَّأَهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حُجْرٍ فِي قُبَّتِهِ الَّتِي حُبِسَ فِيهَا . فَلَمَّا رَأَى الْغَلَامُ مِنْهُ
غَفْلَةً طَعَنَهُ طَعْنَةً أَصَابَتْ مَقْتَلًا .

وَلَمَّا عَلِمَ حُجْرٌ أَنَّهُ مَيِّتٌ أَوْصَى وَدَفَعَ كِتَابَهُ إِلَى رَجُلٍ ، وَقَالَ لَهُ : انْطَلِقْ إِلَى ابْنِي
نَافِعٍ - وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِهِ - فَإِنْ بَكَى وَجَزِعَ فَالْهُ عَنْهُ ، وَأَسْتَقْرِهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ،
حَتَّى تَأْتِيَ امْرَأَ الْقَيْسِ - وَكَانَ أَصْفَرَهُمْ - فَأَتَيْهِمْ لَمْ يَجْزِعْ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ سِلَاحِي وَخِطْلِي
وَقُدُورِي وَوَصِيَّتِي . وَكَانَ قَدْ بَيَّنَّ فِي وَصِيَّتِهِ مِنْ قَتْلِهِ ، وَكَيْفَ كَانَ خَبْرُهُ .
وَلَمْ يَلْبِثْ حُجْرٌ أَنْ مَاتَ ، فَوُثِبَ الْقَوْمُ عَلَى الْغَلَامِ قَاتِلَهُ ، فَقَالَ الْغَلَامُ : إِنَّمَا تَأْرَتْ
بَابِي ، فَخَلَّوْا عَنْهُ . وَأَقْبَلَ كَاهِنُهُمُ الْمَزْدَجَرُ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ! قَتَلْتُمُوهُ ! مُلْكُ شَهْرٍ ،
وَذَلَّ دَهْرٌ . أَمَا وَاللَّهِ لَا تَحْظَوْنَ عِنْدَ الْمُلُوكِ بَعْدَهُ أَبَدًا .

- ٢ -

وَانْطَلَقَ الرَّجُلُ بِوَصِيَّةِ حُجْرٍ إِلَى نَافِعِ ابْنِهِ ، وَأَخْبَرَهُ ؛ فَأَخَذَ التَّرَابَ فَوَضَعَهُ عَلَى
رَأْسِهِ ، ثُمَّ اسْتَقْرَاهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، فَكَلَّمَهُمْ فَعَمِلَ ذَلِكَ .
وَكَانَ حُجْرٌ فِي حَيَاتِهِ قَدْ طَرَدَ ابْنَهُ امْرَأَ الْقَيْسِ ، وَآلَى الْأَبْقِيَمِ مَعَهُ أُنْفَةً مِنْ
قَوْلِهِ الشَّعْرُ - وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَأْنِفُ مِنْ ذَلِكَ - فَكَانَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، وَمَعَهُ

(١) بنو كاهل : بطن في بني أسد (٢) حرب : حرشه .

أَخْلَاطٌ مِنْ شَذَازِ طَبِيعٍ وَكَلْبٍ وَبَكْرٍ ، فَإِذَا صَادَفَ غَدِيرًا أَوْ رَوْضَةً أَوْ مَوْضِعَ صَيْدٍ أَقَامَ فَذَبَحَ لِنَفْسِهِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ فَتَصِيدُ ، ثُمَّ عَادَ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا مَعَهُ ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَسَقَامَ ، وَغَنَّتْهُمْ قِيَانُهُ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْفَدَ مَا فِي ذَلِكَ الْغَدِيرِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ .

ثُمَّ جَاءَ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ مَنَعَ نَدِيمٍ لَهُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَلَاعِبُهُ بِالْتَّرَدِّ ، فَقَالَ لَهُ : قُتِلَ حَجْرٌ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمْسَكَ نَدِيمُهُ ، فَقَالَ لَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ : اضْرِبْ ، فَضْرَبَ حَتَّى إِذَا فَرَّخَ ، قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ لَأُفْسِدَ عَلَيْكَ دَسْتَكَ . ثُمَّ سَأَلَ الرَّسُولَ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ كُلِّهِ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : ضَيَعَنِي صَغِيرًا ، وَحَمَلَنِي دَمَهُ كَبِيرًا ، لَا صَحْوَةَ الْيَوْمِ ، وَلَا سُكْرَ غَدَاً ، الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَاً أَمْرٌ .

ثُمَّ شَرِبَ سَبْعًا ، فَلَمَّا صَحَا آلَى إِلَّا بِأَكْلِ لَحْمٍ ، وَلَا يَشْرَبُ خَمْرًا ، وَلَا يَدْهِنُ بَدْهْنٍ ، وَلَا يَصِيبُ امْرَأَةً ، وَلَا يَفْسِلُ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةٍ ، حَتَّى يُدْرِكَ ثَأْرَهُ .
وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرْقًا فَقَالَ :

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بَلِيلِ أَهْلٍ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَزَعَزَعُ مِنْهُ الْقُلَلُ
بَقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ إِلَّا كُلُّ نَفْسٍ سِوَاهُ جَلَلٍ^(١)
فَأَيْنَ رَيْعَةٌ عَنْ رَبِّهَا وَأَيْنَ نَعِيمٌ وَأَيْنَ الْخُلُولُ
إِلَّا بِمَحْضَرُونٍ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا أُكْلٌ

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ بِكَرَاءٍ وَتَغَلَّبَ ، وَسَلَّاهُمُ النَّصْرُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ ، وَلَمَّا عَلِمَ بَنُو أَسَدٍ

(١) جلال : حبيب ، وهو من الأضداد .

بما عَزَمَ عليه امرؤ القيس قدم عليه رجال منهم ، فيهم كهول وشبان ، وفيهم قبضة ابن نعيم ، وكان في بني أسد مقيما ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وصدرا ، ولما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم ، وتقدم بإكرامهم ، والإفضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثا . فسألوا مَنْ حضر من رجال كندة ، فقالوا : هو في شغل بإخراج ما في خزائن حُجر من السلاح والعدة . فقالوا : اللهم غفرا ، إنما قدِمْنَا في أمر نَنَاسِي به ذِكْر ما سلف ، ونستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا .

فخرج عليهم في قباء وخُفٍ وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تَعْمُ بالسوداء إلا في التَّرات . فلما نظروا إليه قاموا له ، وبدَرَ إليه قبيصة وقال : « إنك في المحلِّ والقَدْرِ والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدّثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ؛ بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكّر بحرب . ولك من سُوِّدُ مَنْصِبِكَ وشَرَفِ أَعْرَاقِكَ ، وكرمِ أَصْلِكَ في العرب مُحْتَمَلٌ مُحْتَمَلٌ ما مُحْمَلٌ عليه من إقالة التَّرة ورجوع عن الهَفوة . ولا تتجاوز المهم إلى غاية إلا رَجَمَتْ إليك ، فوجدت عندك من فضيلة الرأى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصَّفح ، في الذي كان من الخطبِ الجليل ، الذي عمت رَزِيَّتُهُ زاراً واليمن . ولم تُخْصُصْ به كِنْدَةٌ دوننا ، للشرفِ البارِع . كلن للحجر التاجُ والعِمة فوق الجبين الكريم ، وإعاء الحمد ، وطيب الشِّم ؛ ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأنفُسِ الباقية بعده ، لما بَخِلْتَ كرامَتنا على مثله ببذل ذلك ، ولقد بَنَاهُ منه ؛ ولكن مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أولاهُ على أخراه ، ولا يُلْحَقُ أَقْصَاهُ أَذْنَاهُ . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تَعْرِفَ الواجب عليك في إحدى خلال : إما أن اخترتَ من بني أسد أَشْرَفَهَا يَتًا ، وأَعْلَاهَا في بناء الكرامات صوتًا ، فَقَدْ نَاهُ إِلَيْكَ بِنِسْمَةٍ^(١)

(١) النسبة : سير مضمور يجعل زماناً للعبير .

تذهب مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ قَصَرَته^(١) ، فيقول : رجل أمتحن بهلك عزيز ، فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداء بما يروح من بني أسدٍ من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداء رجعت به القُضْبُ إلى أجفانها ، لم يرُدْده تسليط الإحن على البرءاء ؛ وإما أن توادعنا ، حتى تضع الحوامل فنسدل الأزر ونمقد ألحمر فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس ساعةً ثم رفع رأسه فقال : « لقد علمت العربُ أنه لا كُفْ ، لحجر في دم ، وإنى لن أعتاض به جلاً أو ناقة ، فاكسبَ بذلك سبة الأبد ، وفَتَ العَصْدُ . وأما النظرة^(٢) فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لَطَبِها سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدَةَ بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقا ، وفوق الأسنة علقا^(٣) .

إذا جالت الخيلُ في مَأْزِقٍ تصافحُ فيه المنايا النفوسا
أقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرفُ بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار
بمكروه وأذية ، وحرب وبلية ، ثم نهضوا عنه ، وقبيصةً يقول متمثلا :
لعلك أن تستوخمَ الموت إن غَدَتْ كَتَائِبُنَا في مَأْزِقِ الموتِ تُمْطِرُ
فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فرويدا ينكشف لك دجأها عن فُرْسَانِ
كِنْدَةَ وكتائبِ حَمِيرٍ ، ولقد كان ذكرُ غيرِ هذا أولى بي ؛ إذ كنتَ نازلا برَبْعِي ؛
ولسكنك قلتَ فَأَجَبْتُ . فقال قبيصة : ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال
امرؤ القيس : فهو ذاك .

(١) الفصرة : العنق (٢) النظرة : الإمهال (٣) العلق : الدم .

وعزم امرؤ القيس على أخذ الثار ، وسار يقصد بني أسد فنذروا به ، ولجئوا إلى بني كنانة^(١) ، فلما كان الليل قال علباء بن الحارث لبني أسد : والله إن عيون امرئ القيس قد أمتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فاحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة . ففعلوا ؛ وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة - وهو يحسبهم بني أسد - ووضع السلاح فيهم وقال : يا ثارات الملك ! يا ثارات الهمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت : أيت اللعن ! لسنا لك بشأراً ، نحن من كنانة ، فدونك تارك فاطلبهم ؛ فإن القوم قد ساروا بالأمس ، وتبع بني أسد ولكنهم فاتوه ليلتهم ، فقال فيهم :

أَلَا يَأْلَفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمْ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنِي أَيْبِهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٢)
وَأَفْلَتْنِ عِلْبَاءَ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَفِرَ الْوِطَابُ^(٣)

ثم أدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم المعطش ، وبني أسد جامون^(٤) على الماء ، فنهَد إليهم وقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم . وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم

(١) كنانة وأسد ابنا خزيمه : أخوان (٢) جدم : حظم ، والأشقين : جمع أشقى ، أى وقى بني أسد حظمه ، إذ وقع العقاب بكنانة بني أيهم (٣) علباء : قاتل حجر ، والضبير في أفلتن الخيل ، وجريضا ، أى بد جهد ، والمراد : أنهم لو أدركوا علباء لقتلوه فيكون جسده صفرأ من دمه كما يصفر الوطاب من اللبن (٤) جامون : مجتمعون .

وقالوا له : قد أَصَبْتَ ثَأْرَكَ . قال : والله ما فعلتُ ولا أَصَبْتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أُسدٍ أحدًا . فقالوا : بلى ؛ ولكنك رجل مشنوم ، وكريهوا قتال بني أُسدٍ وانصرفوا عنه .

ومضى لوجهه هاربًا حتى لحق باليمن ، واستنصر أَزْدَ شَنْوَةَ ، فأبوا أن ينصُرُوهُ ، وقالوا : إخواننا وجيراننا . فاستنصر مرثد الخير بن ذى جَدَنَ الحِمْيَرِيَّ - وكانت بينهما قرابة - فأمدّه بمخمّسة رجل من حمير . ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالملك بعده رجل يُقال له قَرَمَل بن الحميم ، فأنفذَ له الجيش ، وتبعه شَذَاذ من العرب ، واستأجر غيرهم ، وسار إلى بني أُسد .

ومرّ في طريقه ببَهْلَةَ^(١) ، وبها صنم^(٢) تمظّمه العرب ، فاستنصم^(٣) عنده بقِدَاحه ، وهى الآمر والناهى والمترّص ، فأجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، فجمعها وكسرها وضرب بها وَجَةَ الصنم ، وسبّه وقال له : لو أبوك قتل ما عُقَتْنِي ، ثم خرج فظفر ببني أُسد .

وعلم بمكانه المنذرُ بن ماء السماء ملك الحيرة ، فوجّه الجيوشَ في طلبه ، ففترقت عنه عُصبة حمير ، ونجا في جماعة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حَنْظَلَةَ ، ومعه أذرأعه الخمسة :

الفَضَافِضَةُ ، والَصَّافِيَةُ ، والمَحْصَنَةُ ، والخَرْبِقُ ، وأمّ الديول ؛ كُنَّ لبني مراد

(١) تبالة : موضع بين مكة واليمن (٢) اسمه ذو الخلصة : قالوا إنه كان مروءة يضاء منقوش عليها كهيئة الناج ، وكان سدنّها من بني أمّامة من باهلة ، وكانت تمظّمها وتهدى لها خنم وبجيلة وأزد المرأة ، ومن قاربهم من بطون العرب ، ويقال : إنه ما استنصم عند ذى الخلصة بعد امرئ القيس بحدح حتى جاء الإسلام ، وهدمه جرير من عبد الله البجلي (٣) الاستنصم : طلب معرفة ما لسم للرم .

يَتَوَارَثُونَهَا مِلْكًا عَنْ مَلِكٍ ، فَقَلَمًا لَيْشُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى يَمُوتَ إِلَيْهِ النَّذِيرُ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ بَنِي آكَلَ الرَّمَارَ فَأَسْلَمَهُمْ ، وَنَجَا امْرُؤُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ الْحَارِثِ^(١) وَبَنَتُهُ هُنْدُ ، وَالْأَدْرَعُ وَالسَّلَاحُ ، وَمَالٌ كَانَ بَقِيَ عِنْدَهُ ، وَمَضَى إِلَى أَرْضِ طَيْيٍّ ، وَنَزَلَ عِنْدَ الْمُعَلَّى بْنِ تَيْمٍ^(٢) ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ ، وَاتَّخَذَ إِبِلًا ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ خَرَجَ فَنَزَلَ بِعَامِرِ بْنِ جُوَيْنٍ ، وَاتَّخَذَ عِنْدَهُ إِبِلًا ، ثُمَّ هَمَّ عَامِرُ أَنْ يَغْلِبَ امْرَأَ الْقَيْسِ عَلَى مَالِهِ وَأَهْلِهِ ، فَفَطِنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ لِمَا أَرَادَ ، وَخَافَ مِنْهُ ، وَاتَّقَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَمَلٍ^(٣) ، وَاسْتَجَارَ بِهِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَامِرٍ وَبَنِي ثَمَلٍ مِنْ أَجْلِهِ ؛ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قَزَازَةَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَارِ حَتَّى يَرَى ذَاتَ عَيْيَبَةٍ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ الْفَزَارِيُّ : يَا بَنَى حُجْرٍ ؛ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلَلٍ مِنْ قَوْمِكَ ، وَأَنَا أَنْفَسُ^(٥) بِمَثَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، وَقَدْ كِدْتَ بِالْأَمْسِ تَوَكَّلُ فِي دَارِ طَيْيٍّ ، وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ أَهْلُ بَرٍّ لَا أَهْلُ حُصُونٍ تَمْنَعُهُمْ ، وَيِينُكَ وَيِينُ أَهْلِ الْيَمَنِ ذُؤَبَانٍ مِنْ قَيْسٍ ، أَفَلَا أَدْلَكَ عَلَى بِلَدٍ ! فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ ، وَجِئْتُ النَّمَانَ ، فَلَمْ أَرِ لَضَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِحِجْدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ .

فَقَالَ : مَنْ هُوَ ؟ وَأَيْنَ مَنَزَلُهُ ؟ فَقَالَ : السُّمُوْدُ بَنِي مَاءٍ ، وَسَوْفَ أُضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ ؛ هُوَ يَمْنَعُ ضَمْعَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ عَيْيَبِكَ ، وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ ، وَحَسَبٌ كَبِيرٌ .

(١) ابْنُ مَعَاوِيَةَ (٢) مَدَحَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ فَقَالَ :

كَأَنِّي إِذَا تَرَكْتُ عَلَى الْمَعْلَى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَاذِخِ مِنْ شِمَامٍ

شِمَامٌ : اسْمُ جَبَلٍ

فَمَا مَلِكُ الْأَرَاكِ عَلَى الْمَعْلَى بِمَقْتَدِرٍ وَلَا مَلِكُ الشَّامِ

أَفْرَحُ حَتَّى امْرُؤِ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَالِيحُ الظَّلَامِ

(٣) ثَمَلٌ : مِنْ طَيْيٍّ اشتهروا بالرماية (٤) يريد أن ينظر في أمره ويصلح من شأنه

(٥) أَنفَسُ : أَضْعَفُ .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ فقال : أوصلك إلى من يُوصلك إليه
فصاحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبيح الفزاريّ ممن يأتي السموءل فيجعله
ويعطيه ؛ فلما صار إليه قال له الفزاريّ : إن السموءل يعجبه الشعر ، فتمال ننأشده
له أشماراً ؛ ثم مضوا حتى قدموا على السموءل ، وأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛
وأُنزل المرأة في قُبّة آدم ، وأُنزل القوم في مجلس خاصّ ، فكان عنده ما شاء الله .
ثم إنه طَلَبَ إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الفسائي بالشأم ، ليوصله
إلى قيصر ، فاستنجد له رجلاً ، واستودع عنده المرأة والأدراع والمال ، وأقام معها
يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه ، ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقبله وأكرمه ،
وكانت له عنده منزلة .

ثم اندس رجل من بني أسد - يقال له الطمّاح - وكان امرؤ القيس قد قتل
أخاه من بني أسد ، حتى أتى بلاد الروم ، فأقام مُستخفياً - وبعد مدّة ضمّ
قيصرُ إليه جيشاً كثيفاً ، وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصل قال الطمّاح
لقيصر : إن امرأ القيس غَوَى عاهِر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه
كان يُرأسل ابنتك وبواصلها ، وأنه يقول فيها أشماراً يشهرها بها في العرب فيفضحها
ويفضّحك .

فبعث إليه بحلّة وثي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : إني أرسلت إليك
بجملتي التي كنت ألبسها تكرمّة لك ، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة ،
واكتب إلى بخبرك من منزل منزل .

فلما وصلت إليه ، لبسها واشتدّ سروره بها ؛ فأسرع إليه السمّ وسقط جلده ،
ففطن لما أريد به وقال :

لقد طمَحَ الطَّماحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِمَّا يَلْبَسُ أَبُو سَا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنِهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسَا
وَلَمَّا صَارَ إِلَى أَنْقَرَةِ اخْتَضَرَ بِهَا ، وَرَأَى قَبْرَ امْرَأَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مَاتَتْ هُنَاكَ ،
فَدُفِنَتْ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ عَسِيبُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا فَأَخْبَرَ بِقَصَّتِهَا ، فَقَالَ :
أَجَارَتْنَا إِنْ الزَّارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيانَ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

٧- يوم الكلاب الثاني

لما أوقع كسرى بيني تميم يوم الصفقة^(١) أداروا أمرهم، وقال ذوو الحِجَابِ منهم: إنكم قد أغضبتُم الملك، وقد أوقع بكم حتى وهنهم، وتسامعت بما لقيتم القبايل، فلا تأمنون دوران العرب

ثم اجتمعوا إلى سبعة منهم وشاورهم في أمرهم: أكنم بن صيفي الأسدي، والأعتمر بن يزيد المازني، وقيس بن عاصم المنقري، وأبير بن عصمة التيمي، والنعمان ابن الحسحاس التيمي، وأبين بن عمرو السعدي، والزيقان بن بدر السعدي؛ وقالوا لهم: ماذا ترون؟ فقال أكنم: «إن الناس قد بلغهم ما قد لقينا، ونحن نخاف أن يطعموا فينا». ثم مسح يده على قلبه وقال: «إني قد نيفتُ على التسعين، وإنما قلبي بضعة^(٢) من جسми، وقد تحل كما نحل جسми، وإني أخاف ألا يدرك ذهني الرأي لكم، وأنتم قوم قد شاع في الناس أمرُكم، وإنما كان قوامكم أسيفاً وعسيفاً^(٣)، وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم. فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره، فإني متى أسمع الحزم أعرفه».

فقال كل رجل منهم ما رأى، وأكنم ساكت لا يتكلم، حتى قام النعمان ابن الحسحاس فقال: «يا قوم؛ انظروا ماء يجمعكم، ولا يعلم الناس بأي ماء أنتم

(*) تميم على مذبح، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة.

العقد العريد من ٣٥٤ ج ٣، ابن الأثير من ٣٧٩ ج ١، النفاث من ١٣٧ ج ١ (طبع مصر)، خزانة الأدب من ٣٧٠ ج ١، من ١٧٠ ج ٢، شواعر العرب من ٩٥ شعراء النصرانية من ٧٥ ج ١، الأغاني من ٧٢ ج ١٥، مهذب الأغاني من ٥٠ ج ١، ذيل الأمالي صفحة ١٣٢.

(١) سبق يوم الصفقة من ٢ (٢) البضعة في الأصل (وتكسر): القطعة من اللحم. (٣) الأسيف: العبد، والعسيف: الأجير.

حتى يقوى ظهرُكم ، ويشتدَّ أزرُكم ، وقد حممْتُ^(١) وصلحت أحوالكم ، وانجبرَ كبيرُكم ، وقوى ضيفُكم ، ولا أعلم ماءً يجمعكم إلا قِدة^(٢) .

فلما سمِعَ أكنم بن صيفي كلامَ النعمان قال : هذا هو الرأي . وارتحلوا حتى نزلوا الكلاب ، ونزلت الرِّباب^(٣) وسعد بأعلى الوادي ، ونزلت حَنْظَلَة بأسفله^(٤)

وكانوا لا يخافون أن يُفَزَّوا في القيظ ، ولا يستطيع أحدٌ أن يقطع تلك الصحارى لُبْعِدِ مسافتها ، وشدة حرِّها ، وأقاموا بقيةَ القيظ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تهور^(٥) القيظ ، مرَّ بهم رجل من أهل مدينة هَجْر ، فرأى ما عندهم من النعم ، فانطلق إلى مدحج وقال : هل لكم في جارية عذراء ، ومهرة شوها^(٦) ، وبكرة^(٧) حراء ؟ فقالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : نلَّكم تميم ألقاء^(٨) مطروحوون بقِدة . فقالوا : إِي والله !

ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموا من بني تميم ، وبمئوا الرُّسل في قبائل اليمن وأجلافها من قِضاة ، واستشاروا كاهنهم الأمور^(٩) الحارثي ، فأشار عليهم بالكف .

ولكنهم عَصَوْه . وخرجوا لفَزْو تميم ، وجعلوا عليهم أربعة رؤساء كلُّ منهم اسمه يزيد : يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن الحرَّم ، ويزيد بن اليكُم ،

(١) التحميم : التعة ، وفي اللسان كان مسلمة بن عبد الملك عربياً ، وكان يقول في خطبته : لاذ أقل الناس في الدنيا مأأ أقلهم حمأ ، أي مالا ومتاعاً ، وهو من التحميم : التعة (٢) ماء بالكلاب (٣) الرباب : للنسائين أقوال كثيرة في تفسير الرباب ، ويقول صاحب القاموس : لأنهم أحياء ضبة ، لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (٤) سعد وحظلة : من تميم (٥) تهور : ذهب (٦) المهرة : الفرس ، والشوها : الطويلة الرائعة (٧) البكرة : الفتيحة (٨) ألقاء : جمع لقي ، وهو ما طرح على الأرض (٩) جمع بين القروسية والكهانة ، وكانت مدحج في أمره تتقدم وتتأخر .

وزيد بن هوير ، ومعهم عبد يغوث بن صلاء الحارثي ، وكان مع كل واحد منهم ألفان ، فاجتمع لهم ثمانية آلاف (١) .

ولما بلغ نعيم أن مذحجاً وأحلافهم عازمون على غزوهم فزِعوا إلى أكنم بن صيفي - وله يومئذ مائة وتسعون سنة - فقالوا له : حقق لنا هذا الأمر ، فإننا قد رضىناك رئيساً . فقال لهم : « لا حاجة لي في الرئاسة ، ولكني أشير عليكم : لتنزل حنظلة الدهناء ، وتنزل سعد والرباب بالكُلاب ، فأبى الطريقين أخذ القوم كفى أحدُهما صاحبه . ثم قال لهم : « احفظوا وصيتي ؛ أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الغسل ، والمرة يمجز لا محالة ؛ يا قوم تثبتوا فإن أحمز الفريقين الركين (٢) ، ورب عجلة تهب ريثاً ، وأتزرؤا للحرب ، وأدريعوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عز أخوك فهن ، البسوا جلود النمر ، والنبات أفضل من القوة ، وأهنا الظفر كثرة الأمرى ، وخير النعمة المال ، ولا ترهبوا الموت عند الحرب ؛ فإن الموت من وررائكم ، وحُب الحياة لدى الحرب زلل ، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن جساس »

فقبلوا مشورته ، ونزلت حنظلة الدهناء وسعد والرباب الكُلاب .

ولما وردت مذحج وأحلافها رآهم رجلٌ كان يرعى الإبل ، فذهب إلى سعد وأنذرهم ، فجاء وإذا مذحج قد انتهبت النعم وراجزهم يقول :

في كل عام نعم ننتأبه على الكُلاب غيب أصحابه

فسمعه غلامٌ من سعد فأجابه :

(١) قالوا : إنه لا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه ومن جيش كسرى يوم ذي قار ومن يوم شيب جيلة (٢) الركين : الرزين .

في كل عام نَمَّ يَحْوُونَهُ^(١) يُلْقِيهِ قَوْمٌ وَيَنْتَحُونَهُ^(٢)
أَرْبَابَهُ نَوَكِي فَلَا يَحْمُونَهُ^(٣) وَلَا يَلْقَوْنَ طَمَآنًا دُونَهُ
أَنعمَ الأبناء^(٤) تحسبونَه هيهات هيهات لما ترَجُونَهُ

ولما اقترب جَمَعُهُمَا قال ضمرة بن لبيد الحماسي لقومه من مَذْحِج : « انظروا ،
إنكم ستستاقون النعم ، فإن أتت الخيلُ عُصْبًا عُصْبًا ، وثبتت الأولى للأخرى حتى
تلتحق بها فإن أمرَ القوم هين ، وإن لحق بكم القومُ فلم ينظروا إليكم حتى يردوا
النعم ، ولا ينتظر بعضهم بعضاً فإن أمرَ القوم شديد . »

وتقدمت سعد والرباب ، فالتقوا في أوائل الناس ، ولم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا
النعم من قبل وجوهه ، وأخذوا يصرفونه بأرماحهم ، واقتتلوا قتالا شديداً يومهم ،
حتى إذا كان آخر النهار قُتِلَ النعمان بن جساس^(٥) ، وظنَّ أهلُ اليمن أن بني عيم

(١) « في كل عام نَمَّ يَحْوُونَهُ » استشهد به صاحب الكافية على أنه بتقدير (حواية نعم)
يلصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، واستشهد به سيويه على أن جملة تحوونه صفة لنعم ،
واستشهد به صاحب الكشاف على جواز تذكير الأنعام (٢) يقال : أُلْقِيَ الفحل الناقة إذا
أحبلها ، وتنج الناقة أهلها إذا استولدوها . وهو يريد : يحملون الفحولة على النوق فإذا حلت
أغرتم أتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندهم (٣) نوكي : جمع أنوك وهو الأحمق الضعيف
التدبير والعمل (٤) الأبناء كل بني سعد بن مزيد إلا بني كعب بن سعد (٥) رماه رجل من
أهل اليمن ، كانت أمه من بني حنظلة ، فقال حين رمى : خذها وأنا ابن الحنظلية ، فقال النعمان :
نكلتك أمك ! رب حنظلية قد غاظني (فذهبت مثلاً) .

وفي قتل النعمان قالت صفية بنت الحر (ولعلها زوجه) :

قد غاب عنه فلم تشهد فوارسه ولم يكونوا غداة الروح يحذونه

يقال : أشهد إذا قتل ، ويحذونه : يحذون حذوه فيموتون مثله

نطاقه هندوانى وجنته فضفاضة كأضائة التهى موضونه

النطاق : منطقة السيف ، والجنة الفضفاضة : الدرع السائفة ، والأضائة والنهى : الغدير ، ونسبه

بهما الدرع في الصفاء ، والموضونة : الدرع المنسوجة المتقاربة الحلقات

فقد قتلنا شفاء النفس لو قمتم وما قتلنا به إلا امرأ دونه

تريد بذلك قتل عبد يفتو سيد بن الحارث — من شواعر العرب ص ٩٥

سيهزمهم قتلُ النمان ، ولكن ذلك لم يزدحم إلا جرأة عليهم ، وما زالوا على قتالهم حتى حجزَ بينهم الليلُ ، وبات يحرس بعضهم بعضاً .

ولما أضحوا تولى قيس بن عاصم المنقري امرأةً بنى تميم ، وحملوا على أهل اليمن حملةً صادقة ، فانهزموا ، وكان أول من انهزم منهم وُغلة بن عبد الله الجرهمي صاحب اللواء ، ثم تتابعت عليهم الهزائم ، وقيس بن عاصم ينادى : يا تميم ! لا تقتلوا إلا فارساً ، فإن الرجالَ ^(١) لكم ، ثم يقول :

لما تولوا عُصباً شَوَازِباً ^(٢) أقسمت لا أطمئن إلا راكباً

إني وجدت الطمئنَ فيهم صائباً

وما زالوا في آثارهم يقتلون ويأسرون ^(٣) حتى أسير عبد ينفوث ^(٤) بن صلالة سيدُ بني الحارث ، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس ، وانطلق به إلى أهله ، وكان العَبْشِيُّ أَمْوَجَ ، فقالت له أمه - ورأت عبد ينفوث عظيماً جميلاً - من أنت ؟ قال : أنا سيدُ القوم ، فضحكت وقالت : قبّحك الله من سيد قومٍ حين أسرك هذا الأَمْوَجُ ^(٥) !

ثم قال لها : أيتها المرأة ؛ هل لكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطى ابنك مائة من الإبل ، وينطلق بي إلى الأَهم ^(٦) ، فإني أخاف أن تنزعني سعد والرباب منه ،

(١) جمع راجل ، وهو ما ليس له ظهر يركبه (٢) شواذب : ضواصر (٣) قالوا : كان قيس إذا أخذ أسيراً سأل : من أنت ؟ فيقول : من بني رعل (وم أنزال) يريدون بذلك خمس القداء ، فجعل إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بني تميم ويقول : أمسك حتى أصطاد لك رعبلة أخرى (فذهبت مثلاً) (٤) كان عبد ينفوث شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب (٥) ولهذا قال :

وفضحك مني شبيخة عبشمية

(٦) هو عمرو بن سنان والأهم لقبه ، كان من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام .

ثم ضمن لها مائة من الإبل ، وأرسل إلى بني الحارث^(١) فوجَّهوا بها إليه ، وقبضها
المبشَّيَ وانطلق به إلى الأهم ، وأنشأ عبد يفيث يقول :

أَأَهْمُ يَاحِيرَ الْبَرِيَّةِ وَالْدَّاءِ وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسُ عَدُّوا الْمَسَاعِيَا
تَدَارَكَ أُسِيرًا عَافِيَا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَّقَنِي التَّيْمَ أَلْقَى الدَّوَاهِيَا

فشت سعد والرباب فيه ، فقالت الرباب : يا بني سعد ؛ قُتِلَ فَارِسُنَا ، ولم يقتل
لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهم إليهم ، فأخذته عصمة بن أبيير التيمي ، وانطلق
به إلى منزله ، فقال عبد يفيث : يا بني تيم ؛ اقتلوني قِتْلَةً كَرِيمَةً ، فقال له عصمة :
وما تلك القِتْلَةُ ؟ فقال : اسقوني خمرًا ، ودعوني أُنْحَ على نفسي ، فقال عصمة : نعم ،
وسقاه الخمر ، ثم قطع له عِرْقًا يقال له الْأَكْحَلُ ، وتركه يَنْزِفُ ، ومضى عنه عصمة
وترك معه ابنين : فقالا له : جمعت أهل اليمن ، وجئت تَصْطَلِمُنَا ، فكيف رأيت
صَنَعَ اللَّهِ بِكَ ؟ فقال عبد يفيث :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا يَبِيَا فَالْكَمَا فِي اللُّومِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا^(٢)
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(٣)
فِيَارَا كَبَا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِي نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَلَا تَلَاقِيَا^(٤)
أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيُّهَمَيْنِ كُلَيْهِمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ^(٥) الْبِمَايَا

(١) يريد بني الحارث قومه (٢) الخطاب لاثنتين خفيقة ، واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل
مؤخر ، أي كفى ما أنا فيه فلا تحتاجان إلى لومي مع ما تريان من إيساري وجهدي
(٣) القيل : الخلق ، وهو يأتي جماعاً ومفرداً ، وهنا جمع (٤) الراكب : راكب
الإبل ، ولا تسمى العرب راكباً على الإطلاق إلا راكب البعير والناقة . وهرضت أي أتيت
العروض وهي مكة والدينة . والتدأى : جمع ندمان ، وهو الشارب . ونهمران مدينة بالحجاز
(٥) أبو كرب . والأيهمان : الأسود بن علفمة وعبد المسيح بن الأبيض وليس بن معدي كرب
هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحن إليهم . يروي أن قيساً لما بلغه هذا البيت
قال : « ليك وإن كنت قد أخرجني » .

جزى الله قومي بالكُلابِ مَلَامَةً صريحهمُ والآخِرِينَ المَوَالِيَا^(١)
لو شئتُ نَجَّيتُ من الخيلِ نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الحَوَّ الجِيَادَ^(٢) تَوَالِيَا
ولكنني أُمَيُّ ذِمَارٍ أَيْسَكُمُ^(٣) وَكَانَ الرَّمَّاحُ يَخْتِطِفُنَ المُحَامِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ^(٤) : أَمَشَرَ تَيْمَرٍ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا
أَمَشَرَ تَيْمَرٍ قَدَمَلَكُمُ فَاسْجِحُوا^(٥) فَإِنَّ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا
فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدَا وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي^(٦) بِمَالِيَا
أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعَا نَشِيدَ الرَّعَاءِ^(٧) الْمُزِينِ الْمَتَالِيَا
وتضحك مني شَيْخَةٌ عَبْشِيمِيَّةٌ كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرَا^(٨) بِمَانِيَا
وظِلٌّ نَسَاهُ الحَيُّ حَوْلَى رُكَّدَا يُرَاوِدُنِي مِنْ مَا تَرِيدُ نِسَائِيَا
وَقَدْ عَلِمْتُ عِرْصِي مُلْكِكَةُ أُنْفَى أَنَا اللَّيْتُ مَمْدِيًّا عَلَيْهِ وَعَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمَعْمَلَا مَطَى وَأَمْنِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا

- (١) الصريح : الخالص ، والمواليا : الحقاء النضين إليهم ، والكلاب : اسم موضع الوقفة
(٢) النهدة : للرهمة ، والحو من الخيل : التي تضرب للى خضرة ، وهي أصبر الخيل . وتواليا :
جمع تالية ، أى تابعة ؛ والمعنى : إن فرسى لحقتنا تسبق الحو ؛ فهي تتلو فرسى (٣) القمار :
ما يجب على الرجل حفظه (٤) النسعة : سير منسوج ، وفي شرح هذا البيت قولان : الأول
أن هنا مثل وذهب إليه القائل وابن الأنباري ؛ لأن اللسان لا يشد بنسعة ، وإنما أراد : افلوا به
خيراً ليطلق لسانى بشكركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ، لا أقدر على مدحكم ، والثانى
أنهم شدوه بنسعة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان والبيان والأمنهاتى فى الأغاني ؛ قبل لأنهم
ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوم ، وكانوا يسمونه يشد شعراً ، فقال : أطلقوا لى عن لسانى أذم أصحابى
وأنوح على نفسى ، فقالوا : إنك شاعر ، ونحن أن تهجوننا ، فهاهم ألا يهجوم ، فأطلقوا له عن
لسانه (٥) أسحبوا : سهلوا ويسروا ، والبواء : السواء ؛ أى لم يكن أخوك نظيراً لى
فأكون بواء له ، ويريد به النعمان (٦) تحربونى : تسلبونى وتقتلونى (٧) الرعاء :
جمع راع ، والمزبب : المتنى بإبله ، والمتالى : الذى تتج بعضها ويقى بعض ؛ جمع متلبه
(٨) قوله : كأن لم ترى ، رجوع لى من الإخبار لى الخطاب ، وكان مخففة واسمها مضمر فيها
وروى فى ذيل الأمالى : لم ترن بالنعمان ، وارجع لى ذيل الأمالى والمعنى فى مبحث (لم) .

وَأَمَحُّهُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ مَطِئَتِي وَأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ ^(١) رِدَائِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَصَهَا الْقَنَّا لَيْقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاءِ ^(٢) بَنَانِيَا
وَعَادِيَةِ سَوَمَ الْجَرَادِ وَزَعَتْهَا بِكَفِّيَّ وَقَدْ آمَحُوا إِلَى الْمَوَالِيَا ^(٣)
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلَ لَخْلِي كُرِّي نَفْسِي ^(٤) عَنْ رِجَالِيَا
وَلَمْ أَشْبِ الرُّقَّ الرُّوَّى وَلَمْ أَقْلَ لِأَيْسَارِ صَدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا ^(٥)
وَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدٌ يَفُوثُ أَنْ مَاتَ ^(٦).

-
- (١) الشرب : جمع : شارب ، وأصدع : أشق ، والقينة : الأمة مفضية كانت - كما هنا - أملاً
(٢) شمعها : نخسها لتحرك ، ويروي شمسها بالسين ، والليق من اللبابة .
(٣) العادية : القوم يعدون من العدو وهو الركض ، وسوم الجراد أي كسومه وهو انتشاره .
وزعتها : كفتها ، والوازع : الكاف والمائع ، وآمحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها من النحو
وهو القصد ، والعالية من الزمخ : أعلاه (٤) . نفسى : وسعى (٥) السباء : اشتراء
الحجر للشرب لا للبيع ، والأيسار : الذين يضربون القداح : جمع ياسر (٦) قال الجاحظ في
البيان والتبيين : ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يفوث ؛ فإن قسنا جودة أشعارهما
في وقت لحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية .

٨ - يوم فيف الرياح

كانت بنو عامر^(١) تطلبُ بنى الحارث بن كعب بأوثانٍ كثيرة ، فجمع لهم الحسين بن يزيد الحارثي - وكان ينزو بمن تبعه من قبائل مذحج - وأقبل في بنى الحارث وجمعني ، وزُبيد ، وقبائل سمد المشيرة ، ومرادٍ وصُداء ونَهْد ، واستعانوا بقبائل خثعم^(٢)؛ فخرج شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مُدرك ، وأقبلوا يريدون بنى عامر ، وهم مُنتجعون مكاناً يقال له «فَيْفُ الرِّيح» ، ومع مذحج النساء والذراري ، حتى لا يفرّوا ؛ إما ظفروا وإما ماتوا جميعاً .

فاجتمعت بنو عامر كلها إلى عامر^(٣) بن الطفيل ، فقال لهم عامر - حين بلغه مجيئهم : أغيروا بنا عليهم ، فإنّي أرجو أن نأخذ غنائمهم ، وسبي نساءهم ، ولا تدعواهم يدخلون عليكم داركم .

فتابعوه على ذلك ، وقد جعلت مذحجُ ولُفها^(٤) رُقباء ، فلما دنت بنو عامر من القوم صاح رُقباءوهم : أنا كم الجيش ؛ فلم يكن بأسرع من أن جاءتهم مَسالِحهم^(٥)

(*) لمذحج على عامر ، وفيف الرياح : موضع بأعلى نجد

التفائض ٤٦٩ ، ذيل الأمل ١٤٦ ، المقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، أمثال المبدائي ص ٣٠٨ ج ٢ ،

ابن الأثير ص ٣٨٧ ج ١ ، الأغاني ص ٢١ ج ٥ ، معجم البلدان ص ٤١٣ ج ٦

(١) بنو عامر في قيس عيلان ، وفيهم بطون كثيرة (٢) بنو الحارث وسمد المشيرة

وجمعي وزيد في مذحج ، ومراد بطن في كهلان . وصدا ونهد بطنان في قضاة وخثعم بطن

في كهلان (٣) كان عامر بن الطفيل فارس قيس وسيدم ، وكان شاعراً جيد الشعر ،

ومن شعره :

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها لهم ساحاتها سهلها وحزومها

وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الصمو من آفاقها وغيومها

(٤) لف القوم : من كان فيهم من الحلفاء وغيرهم (٥) المسالخ : جمع مسلحة ، وهم القوم ذو سلاح .

تَوَكَّضُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَخَرَجُوا إِلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مُدْرِكٍ لِقَوْمِهِ (١) : انصرفوا بنا ، وَدَعُوا هَؤُلَاءِ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَا أَظُنُّ عَامِرًا تَرِيدُنَا ؛ فَقَالَ لَهُمُ الْحَصِينُ بْنُ زَيْدٍ : افعلوا مَا شِئْتُمْ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرَادُّ دُونَكُمْ ، وَمَا نَحْنُ بِبَشَرٍ بِلَاءٍ عِنْدَ الْقَوْمِ ، فَانصرفوا إِن شِئْتُمْ ، فَإِنَّا نَرْجُو آلَا نَعِجَزَ عَنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَرُبَّ يَوْمٍ لَنَا وَلَهُمْ قَدْ غَابَتْ سُودُهُ ، وَظَهَرَتْ نَحْوُهُ .

فَقَالَتْ خَتَمٌ لِأَنَسٍ : إِنَّا كُنَّا وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى مِيَاوٍ وَاحِدَةٍ فِي مِرَاعٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَمُّ لَنَا سِلْمٌ وَهَذَا عَدُوٌّ لَنَا وَلَهُمْ ، فَتَرِيدُ أَنْ نَنْصَرِفَ عَنْهُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَلِمُوا وَغَنِمُوا لَنَنْدَمَنَّ إِلَّا نَكُونُ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ ظَفَرِ بِهِمْ لَتَقُولَنَّ الْعَرَبُ : خَذَلْتُمْ جِيرَانَكُمْ ؛ فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَقَاتِلُوا مَعَهُمْ .

وَجَمَلَ حُصَيْنٌ لَخَتَمَ ثَلَاثَ الْمِرْبَاعِ (٢) ، وَمَنَّا مِ الْزِيَادَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ بَثَ إِلَى بَنِي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ رُمْحًا مِ أَرْبَعِينَ سَكْرَةً فَقَسَمَهَا فِي أَفْدَاءِ بَنِي عَامِرٍ .

وَالْتَقَى الْقَوْمُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُقَادُّونَهُمُ الْقِتَالَ بِقَيْفٍ (٣) الرِّيحِ ؛ فَالْتَقَى الصَّمَيْلُ بْنُ الْأَعُورِ (٤) الْكَلَابِي ، وَعَمْرُو بْنُ صُبَيْحِ الْهَدْيِ (٥) ، فَطَلَمَنَهُ عَمْرُو ، فَجَبَّ الصَّمَيْلُ بِطَلْمَتِهِ مُعَانِقًا فَرَسَهُ ، حَتَّى أَلْقَاهُ فَرَسُهُ إِلَى جَانِبِ الْوَادِي ، فَاعْتَنَقَ صَخْرَةً وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ خَتَمٍ ، فَأَخَذَ دِرْعَهُ وَفَرَسَهُ ؛ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ .

وَشَهِدَتْ بَنُو نَعِيرٍ يَوْمَئِذٍ مَعَ عَامِرٍ ، فَسَمَوْا حُرَيْجَةَ (٦) الطَّلَعَانِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي عَامِرٍ

(١) أَيُّ قِبَالٍ خَتَمَ (٢) الْمِرْبَاعُ : مَا يَأْخُذُهُ الرَّيْسُ وَهُوَ رُبْعُ الْفَنِيَّةِ (٣) قَالَ أَبُو عَمِيَّةٍ : كَانَتْ وَقْعَةٌ فِيهِ الرِّيحُ وَقَدْ بَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ (٤) مِنْ بَنِي كَلَابٍ ، وَهَمُّ بَطْنٍ مِنْ عَامِرٍ (٥) مِنْ نَهْدٍ وَهَمُّ أَحْلَافِ بَنِي الْحَارِثِ (٦) أَيُّ اجْتَمَعُوا بِقَبَائِلِهِمْ ، فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ الْحَرْجَةِ ، وَهِيَ شَجَرٌ يَجْتَمِعُ ، وَسَمَوْا ذَلِكَ الْيَوْمَ حَزْبَ الْجَمْعِ .

جالوا جَوْلَةً إلى موضعٍ يقال له العُرْقُوبُ، فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نعيم، فوجدهم قد تخلفوا في قتال القوم، فرجع عامرٌ يصيح: يا صباحاه! يا نُمَيْرَاهُ! ولا نُمَيْرَ لي بعد اليوم، حتى أقحمَ فرسه وسطَ القوم، فطعن يومئذ بين ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إلى سُرْنِهِ عشرين طَمَعَةً.

وبرز يومئذ حُسَيْل بن عمرو الكلبي، فبرز له صَخْر بن أُعْيَى التَّهْدِي؛ فقال عامر بن الطفيل لحسيل: ويلك يا حُسَيْل! لا تَبْرُزْ له، فإن صَخْرًا صَخْرَةً^(١)، وإن أُعْيَى يمينا عليك، ولكن حسيلا لم يستمع لقوله، وبرز للقتال؛ فقتله صخر.

وقتل خُلَيْفُ بن عبدالمزى التَّهْدِي كعب الفوارس بن معاوية بن عباد بن البكاء؛ فبرز بعد ذلك خُلَيْفٌ على بني جَمْدَةَ^(٢)، فمرفوا بَزَّةَ كعبٍ وفرسه، فشدَّ عليه مالك بن عبد الله بن جَمْدَةَ فقتله، وأخذ الفرس والبَزَّةَ فردَّهما إلى بني البكاء^(٣).

وكان عامرُ بن الطفيل يتممُّ الناسَ فيقول: يا فلان؛ ما رأيتك فعلتَ شيئاً؛ فيقول الرجل الذي قد أبلى: انظرُ إلى سيفي وما فيه، وإلى رعي وسِنَانِي. فأقبل مُسَهْرُ بن يزيد الحارثي^(٤) في تلك الهَيْئَةِ - لما رأى عامراً يصنع بقومه الأفاعيل - فقال: يا أبا علي؛ انظر ما صنعتُ بالقوم، انظر إلى رعي! حتى إذا أقبل عليه عامرٌ وجاءه بالرمح في وَجْنَتِهِ، ففلقَ وَجْنَتَهُ، وأصاب عينه، وخرَّى الرمحَ فيها، وضرب فرسه، فلحق بقومه.

(١) كأنه تطير من اسمه (٢) جمدة: بطن في عامر (٣) هذه رواية النقائض في مقتل كعب الفوارس، وفي الأغاني: إن كعب الفوارس مر على بني نهد وعليه سلاحه، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدمر مر على بني جمدة، فرآه مالك بن عبد الله بن جمدة، وعليه جبة كعب، وفيها أثر الطمعة، وكان محرمًا فلم يقدر على قتله، قال: يا هذا، ألا رقت هذا الحرق الذي في جيتك! وجعل يترصده بعد ذلك؛ حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببني جمدة، فركب مالك بن عبد الله بن جمدة فرسا له وأدركه فقتله، ثم قال: يؤبكيب (٤) كان مسهر فارساً شريفاً، وكان قد جنى جنابة في قومه، فلحق ببني عامر، فمهد معهم فيف الربح.

وفي طمعة عامر يقول مسهر :

وَهَضْتُ بِخُرْصٍ^(١) الرمح مُقَلَّةَ عامرٍ
وغادر فينا رُمُوحَه وسِلَاحَه
فأَضْحَى بِخَيْصَا في الفوارس أعورا
وأذِيرَ يدعو في المَوَالِكِ جَعْفَرَا
وَكُنَّا إِذَا قَيْسِيَّةٌ بَرَقَتْ لَنَا
جَرَى دَمْعُهَا مِنْ عَيْنِهَا فَتَحَدَّرَا
مَخَافَةَ مَا لَاقَتْ حَلِيلَةَ^(٢) عامرٍ
من الشرِّ إِذْ سِرَّ بِهَا قَدْ تَعَفَّرَا

ويقول عامر :

لعمري ، وما عمري علىَّ بهيِّن
فبئس الفتى إِنْ كُنْتُ أعور عاقراً
لقد شَانَ حَرَّ الوجه طَمَعَةُ مُسَهْرٍ
جَبَانًا وَمَا أُغْنِي لَدَى كُلِّ مُحْضَرٍ
وقد علموا أَنِي أَكْرُؤُ عَلَيْهِمُ
عَشِيَّةً فَيَفِ الرِّيحُ كَرَّ الدَّوَرِ
فلو كَانَ جَمْعٌ مِثْلُنَا لَمْ نَبَالِهِمْ
ولكن أَتَنَّا أَسْرَةً ذَاتَ مَفْخَرٍ
فَجَاءُوا بِشَهْرَانِ^(٣) المريضة كُلَّهَا
وَأَكَلَبَ طَرَا فِي لِيَاسِ السَّنَوْرِ^(٤)

وقال في هذا اليوم أبو دؤاد الرُّؤَاسِي :

ونحن أَهْلُ بَضِيعٍ^(٥) يومَ وَاجَهَنَا
سَاقُوا شُعُوبًا وَعَنْسًا فِي دِيَارِهِمْ
جَيْشُ الحَصِينِ طِلَاحَ الخَائِفِ الكَرَمِ^(٦)
وَرَجُلٌ^(٧) خَنَعَمَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ عِلْمٍ^(٨)
مَنَّاهُمْ مُنِيَّةً كَانَتْ لَهُمْ كَذِبًا
إِنْ الْمُسَى لِنَمَّا يُوْجَدُنْ كَالْحُلُمِ
وَلَتْ رِجَالُ بَنِي شَهْرَانَ تَتَبَعُهَا
خَضْرَاءُ يَرْمُونَهَا بِالنَّبْلِ عَنْ شَعَمٍ
وَالزَّاعِيَّةُ تَكْفِيهِمْ وَقَدْ جَمَلَتْ
فِيهِمْ نَوَافِدَ لَا يُرَقِّنُ بِالدُّسَمِ^(٩)

(١) خرس الرمح : سنامه ، ويخس عنه : أغارها (٢) زعم أنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل
(٣) شهران وناهس وأكلب كان عليهم أنس بن مدرك الحنمى (٤) السنور : لبوس بلبس
في الحرب كالدرع ، أو هو جلة السلاح (٥) بضيع : جبل (٦) الكرم : كرم الرجل :
هاب التقدم على الشيء (٧) رجل الرجل : فهو راجل ورجل والرجل أيضاً اسم جمع هند
سيويه وجمع عند غيره (٨) العلم : الجبل (٩) الزاعية : رماح منسوبة إلى زاعب : رجل أو
بلد ، والدسم : ما سدوا به الجراحات .

ظَلَّتْ يُجَايِرُ تُدْعَى وَسَطَ أَرْحُلِنَا وَالسَّيِّمِيَّتُونَ مِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَكَمٍ^(١)
 حَتَّى تَوَلَّوْا وَقَدْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا عَرِيضًا غَيْرَ مُقْتَسَمٍ
 وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ^(٢) :

أَتَوْنَا بِشَهْرَاتِ الْعَرِيضَةِ كُلِّهَا وَأَكْلُبَهَا فِي مِثْلِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 فَبِتْنَا وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِثْلُ ضَيْفِنَا يَبْتَ عَنْ قَرَى أَضْيَافِهِ غَيْرَ غَافِلٍ
 أَعَاذِلُ لَوْ كَانَ الْبَدَادُ^(٣) لَقُوتِلُوا وَلَكِنْ أَتَانَا كُلُّ جَنٍّ وَخَائِلٍ^(٤)
 وَخَنَمٌ حَتَّى يُعْدَلُوفَ بِمَذْحَجٍ وَهَلْ نُحْنُ إِلَّا مِثْلُ إِحْدَى الْقِبَائِلِ
 وَأَسْرَعَ الْقَتْلُ فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فَافْتَرَقُوا ، وَلَمْ يَسْتَقِلَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ
 غَنِيمَةً ، وَكَانَ الصَّبْرُ وَالشَّرَفُ لِبَنِي عَامِرٍ .

(١) يجابر : مراد . وحاء : بطن من حكم
 جاءت الخيل بداد : متفرقة متبددة ، وقال حسان :
 كُنَّا ثَمَانِيَةً وَكَانُوا جُفْلًا
 أي متبددين (٤) الخليل : ضرب من الجن .
 (٢) في رواية لبيد بن ربيعة (٣) يقال :
 لجبا فشلوا بالرماح بداد

٩ - يوم ظهر الدهناء

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي سيِّداً مُطاعاً في قومه ، وجواداً مقدّاماً ، فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند ، فدعا عمرو أوساً ، فقال له : أنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن ؛ إن حاتمًا أوحدُها وأنا أحدُها ، ولو ملكني حاتم وولدي ولحمتي ^(١) لو هبنا في غداة واحدة ؛ ثم دعا عمرو حاتمًا ، فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن ! إنما ذكرت أوساً ، ولأحدُ ولده أفضل مني . فاستحسن ذلك منهما ، وحبَّاهما ، وأكرمهما .

ثم إن وفود العرب من كل حيٍّ اجتمعت بعد ذلك عند النعمان بن المنذر ، وفيهم أوس ، فدعا بحلّة من حُلل الملوك ، وقال للوفود : اخضروا في غدٍ فإني مُلبسٌ هذه الحلّة أكرمكم .

فلما كان الغدُ حضر القومُ جميعاً إلا أوساً ، فقبيل له : لمَ تتخلف ؟ فقال : إن كان المرادُ غيري فأجملُ الأشياءِ ألا أكونَ حاضراً ، وإن كنتُ المرادُ فسأُطلبُ .

فلما جلس النعمان ، ولم ير أوساً ، قال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له : احضر آمناً مما خفتَ ، فحضر فألبسَ الحلّة .

فحسده قومٌ من أهله ، فقالوا للحطيئة : اهجه ولك ثلاثمائة ناقة . فقال : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا منه ؟ ثم قال :

• لطفي على أسد . والدهناء : واد يشتمل على سبعة أجبل وعمر يلاذ بني أسد .

ابن الأثير ص ٣٨٢ ج ١ ، قصص العرب ص ١٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٨٣ ج ١
الشعر والشعراء ص ٨٦ ، المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)

(١) لحة النسب بالفتح : الشايك منه ، واللحمة بالضم : القرابة .

كَيْفَ الهِجَاءِ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحُهُ مِنْ أَهْلِ لَأْمٍ بَظَهَرِ النَّيْبِ تَأْتِينِي
 فَقَالَ لَهُمُ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ ^(١) : أَنَا أَهْجُوهُ لَكُمْ ، فَأَعْطَوْهُ النَّوْقَ ، وَهَجَاهُ
 فَأَنْحَشَ فِي هِجَائِهِ ، وَذَكَرَ أُمَّهُ سُمْدَى ، فَلَمَّا عَرَفَ أَوْسُ ذَلِكَ أَغَارَ عَلَى النَّوْقِ
 فَكَتَسَحَهَا ، وَطَلَبَهُ فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَالتَّجَأَ إِلَى بَنِي أَسَدٍ عَشِيرَتِهِ ، فَنَمَوْهُ مِنْهُ وَرَأَوْا
 تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِ عَارًا .

فَجَمَعَ أَوْسُ قَوْمَهُ مِنْ طَيْيَ ^(٢) ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى أَسَدٍ ^(٣) ، فَالتَقَوْا بَظَهَرِ الدَّهْنَاءِ ،
 فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَاهْزَمَتْ بَنُو أَسَدٍ وَقُتِلُوا قِتَالًا ذَرِيعًا ، وَهَرَبَ بَشْرُ ، فَجَمَلَ
 لَا يَأْتِي حَيًّا يَطْلُبُ جَوَارِمَ إِلَّا امْتَنَعَ مِنْ إِجَارَتِهِ عَلَى أَوْسٍ .

ثُمَّ نَزَلَ عَلَى جَنْدُبِ بْنِ حَصْنِ الْكِلَابِيِّ بِأَعْلَى الصَّمَّانِ ^(٤) ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَوْسُ
 يَطْلُبُ مِنْهُ بَشْرًا ، فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى أَوْسٍ أَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ
 سَمْدَى وَقَالَ : قَدْ أَتَيْتُكَ بِالشَّاعِرِ الَّذِي هَجَاكَ ، وَقَدْ آلَيْتُ لَأَقْتُلَنَّ قِتْلَةً تَحْيِيْنُ بِهَا !
 قَالَتْ : يَا بَنِيَّ ؟ أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ نَاصِرًا مِنْكَ ،
 وَلَا مُجِيرًا عَلَيْكَ ، وَإِنَّا قَوْمٌ لَا نَرَى فِي اسْطِنَاعِ الْمَرْوُوفِ مِنْ بَأْسٍ ؟ فَبَحَثْنِي عَلَيْكَ
 إِلَّا أَطْلَقْتَهُ ، وَرَدَدْتَهُ عَلَيْهِ إِبْلَهَ ، وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ مَالِكَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمِنْ مَالِي مِثْلَهُ ،
 وَأَرْجَمَهُ إِلَى أَهْلِهِ سَالِمًا ، فَابْهَمُوا أَيْسَوْا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَسُ هِجَاءَهُ إِلَّا مَدْحُهُ .
 فَقَبِلَ مَا أَشَارَتْ بِهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا بَشْرُ ؛ مَا تَقُولُ أَنِي فَاعِلٌ بِكَ ؟
 فَقَالَ :

إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ يَا أَوْسُ نِعْمَةً وَإِنِّي لِأُخْرِى مِنْكَ يَا أَوْسُ رَاهِبُ
 وَإِنِّي لَأُمَحُّو بِالَّذِي أَنَا صَادِقٌ بِهِ كُلُّ مَا قَدْ قُلْتُ إِذْ أَنَا كَاذِبٌ

(١) شاعر جاهلي من بني أسد (٢) طي: من كهلان (٣) أسد: بطن في كنانة
 (٤) الصمان: جبل في بلاد بني تميم .

فهل نأفي في اليوم عندك أننى سأشكر إن أنعمت والشكر واجب
فدى لابن سمدي اليوم كل عشرينى بنى أسد أقصام والأقارب
تداركنى أوس بن سمدي ينعم وقد أمكنته من يدى المواقب
فقال أوس : إن سمدي التى هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ، وأمر بحل
كتافه ، وحمله على فرس جواد ، ورد عليه ما كان أخذ منه ؛ وأعطاه من ماله مائة
من الإبل ، ورفع بشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على آلا أعود إلى
شعر إلا أن يكون مدحا في أوس بن حارثة^(١) .

(١) هذه رواية ابن الأثير . وفي بلوغ الأرب ص ٨٤ ج ١ ما خلاصته : إن بشراً غزا طيباً
ثم بنى نهبان لجرح وأخذ أسيراً في بنى نهبان ، فخبثوه كراهية أن يبلغ أوساً ، وسمع أوس أنه
عندهم فقال : والله لا يكون بيني وبينهم خير أبداً أو يدفعوه ، ثم أعطاهم مائتي بعير وأخذهم منهم ،
فجاء به وأدخله في جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه المصفور ، فبلغ ذلك أمه
سمدي بنت حصين الطائية فخرجت إلى أوس وقالت : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أحرق هذا
الذي شتمنا ، فقالت : قبح الله قوماً يسودونك ، أو يقتبسون من رأيك ! والله لكانما أخذت به ،
أما تعلم منزلته في قومه ! خل سبيله وأكرمه ، فإنه لا يسل عنك ما صنع غيره . فحبسه عنده ،
وداوى جرحه ، وكنتم ما يريد أن يصنع به ، وقال : اهت إلى قومك فدونك ، فإنه قد
اشترتك بمائتي بعير . فأرسل بعير إلى قومه ، فهبثوا له القداء ، وبادره أوس فأحسن كسوته ،
وحمله على نجييه الذي كان يركبه ، وسار معه حتى إذا بلغ غطفان ، جعل بعير يمدح أوساً بمكان
كل نصيدة هجاء بها نصيدة ، وكان قد هجاء بخمس .

المشام
عفا الله عنه

٤- أَيَّامَ رَبِيعَةٍ «فِي مَا بَيْنَهَا»
١- حَرْبِ لَبْسُوسٍ

حَرْبُ الْبُسُوسِ

- ١ -

لَمَّا فَضَّ كُليبٌ^(١) بن ربيعة جوع اليمن في خَزَازِي وهَزَمَهُم اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ مَعْدٌ^(٢) كُلُّهَا ، وَجَمَلُوا لَهُ قِسْمَ الْمَلِكِ وَنَاجَهَ وَنَجِيَّتَهُ وَطَاعَتَهُ ، وَغَبَرَ بِذَلِكَ حِينًا مِنْ دَهْرِهِ ، ثُمَّ دَخَلَهُ زَهْوٌ شَدِيدٌ ، وَبَنَى عَلَى قَوْمِهِ لَأَمْوَئِهِ مِنْ عِزَّةٍ وَاتْقِيَادٍ مَعْدٌ لَهُ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ بَنِيهِ ، أَنَّهُ كَانَ يَحْمِي مَوَاقِعَ السَّحَابِ فَلَا يُرْمَى حِمَاهُ ، وَإِذَا جَلَسَ

* وَهَذِهِ الْحَرْبُ بَيْنَ بَكْرِ وَتَغْلِبَ ابْنِي وَائِلَ ، وَقَدْ مَكَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَهِيَ فِيهَا هَذِهِ الْأَيَّامُ :

يَوْمَ التَّهِي (وَالتَّهِي : مَا لَبِيَ شِيَان) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرِ ،
يَوْمَ الدَّنَائِبِ (وَالدَّنَائِبُ : مَوْضِعٌ عَلَى طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرِ
يَوْمَ وَارِدَاتٍ (وَوَارِدَاتٌ : مَوْضِعٌ عَنْ يَسَارِ طَرِيقِ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرِ
يَوْمَ عَنِيزَةٍ (وَعَنِيزَةٌ : مَوْضِعٌ فِي الْبِلَادَةِ) تَكَاكُتًا .
يَوْمَ الْقَصِيْبَاتِ (وَالْقَصِيْبَاتُ : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَكْرِ وَتَغْلِبَ) لَتَغْلِبَ عَلَى بَكْرِ
يَوْمَ تَحْلَاقِ السَّمِّ : (سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ بَنَى بَكْرَ حَقَّقُوا فِيهِ جِيَاءَ رَهْ وَسَهْمٍ) لَبَكْرَ عَلَى تَغْلِبَ
النِّقَاطُصُ ص ٧٧٣ (طَبِيعُ أَوْرُبَا) ، الْأَغَانِي ص ٣٢ ج ٥ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ١٨٣ ج ١ ، مَجْمَعُ
الْأَمْثَالِ ص ٣٤٢ ج ١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٤٨ ج ٣ ، مَجْمَعُ الْبُلْدَانِ ص ١٣٩ ج ١ ، سِرْحَانُ
الْعَبِيدِ ص ٥٩ ، ٦١ ، ٩٩ ، شِعْرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ ص ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ، خَزَانَةُ
الْأَدَبِ ص ٤٢٥ ج ١

(١) كُليبُ بن ربيعة : اسْمُهُ وَائِلٌ وَكُليبُ لِقَبِّهِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٤٤٠ م وَنَشَأَ فِي حَجَرٍ أَيْهِ وَدَرَبَ عَلَى الْحَرْبِ ، ثُمَّ تَوَلَّى رِيسَةَ الْجَيْشِ : بَكْرَ وَتَغْلِبَ زَمَنًا حَتَّى قَتَلَهُ جَسَاسُ بْنُ مَرَّةٍ سَنَةَ ٤٩٤ (شِعْرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ) (٢) قَالَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ السَّبَّابِ : لَمْ تَجْتَمِعْ مَعْدُ كُلُّهَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةِ رُؤُوسٍ مِنْ رُؤُوسِ الْعَرَبِ ، وَهِيَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ يَوْمَ الْيَدَاءِ حِينَ تَمْدَحُجَّتْ مَنَحِجٌ وَسَارَتْ إِلَى تَهَامَةٍ وَوَيْعَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ السَّلَانِ ، وَكُليبُ حِينَ قَادَ جُوعٌ مَعْدُ يَوْمَ خَزَازِي .

لا يمر أحدٌ بين يديه إجلالاً له ، ولا يَحْتَسِبُ أحدٌ في مجلسه غيره ، ولا يُنْبِرُ إلا بإذنه ، ولا توردُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا توقدُ نارٌ مع ناره ، ولم يكن بكُرى ولا تغلبُ بجير رجلاً ولا بمرأ أو يحمي حمى إلا بأمره ، وكان يجير على الدهر فلا تُخَفَّرَ ذِمَّتُهُ ، وكان يقول : وخشُ أرض كذا في جوارى ، فلا يُهاج ! وكان هو الذي يُنزلُ القومَ منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره ، وقد بلغ من عزته وبغية أنه اتخذ جرّو كلب ، فكان إذا نزل منزلاً به كلاًّ قذف ذلك الجرّو فيه فيتموى ، فلا يرى أحدٌ ذلك الكلاًّ إلا بإذنه ، وكان يفعلُ هذا بجياض الماء فلا يردّها أحد إلا بإذنه أو من آذن بحرب ؛ فضرَبَ به المثلُ في المرءِ قليل : أعزّ من كليب وائل ، وكان يحمي الصيد فيقول : صيدُ ناحية كذا وكذا في جوارى فلا يصيدُ أحدٌ منه شيئاً^(١) .

— ٢ —

وزوّجَ كليبٌ جليلاً^(٢) بنتَ مُرّة بن ذهل بن شيان ، وكان لمرّة عشرة بنين :

(١) قيل : إنه مر يوماً بجرعى فيه قبرة وقد باضت ، فلما رأتها صرصرت وخلفت بمناحيها ، قال : من ردعك؟ أنت في ذمتي ، ثم أنشد :

ياك من قبرة بعمري لا ترمي خوفاً ولا تستكري
معر : اسم حمى كليب

قد ذهب الصياد عنك فأبصرى ورفق الفخ فإذا تمحدرى ؟
خلاك الجو فيضى واصفرى وعمرى ما شئت أنت تتقرى
فأنت جارى من صروف الحذر لل بلوغ يومك القدر

(٢) كانت جليلاً بنتَ مرّة من فضليات النساء في عصرها ، ولما قتل زوجها كليب بهم أخوها جساس ، كان خطبها حسياً ، وحبرتها عطيبة ، ولما أخرجت من بيت كليب بعد قتله أقامت في نزل أخوها جساس حتى قتل ، ثم تنقلت مع بني شيان قومها مدة حروبهم وتوفيت سنة ٥٢٨ م

جَسَّاس^(١) أصغرهم ، وكانت بنو جُشَم^(٢) وبنو شيبان تقيم في دار واحدة إرادة الجماعة وغفافة الفرقة .

وحدث أن كليباً دخل على امرأته جلييلة يوماً فقال لها : هل تعلمين على الأرض أَمْنَعُ مني ذمة ؟ فسكتت ، ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ، ثم أعاد عليها الثالثة فقالت : نعم ، أخي جَسَّاس ونَدَمَانَه^(٣) ابن عمه عمرو المزدلف^(٤) بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان .

فسكت كليباً ومضت مدة ، وبينما هي تفسل رأسه وتسرحه ذات يوم إذ قال لها : مَنْ أعزُّ وائل ؟ قالت : أخوأي جَسَّاس وهَمَّام^(٥) . ففزع رأسه من يدها وخرج . وكانت لجَسَّاس خالة اسمها البسوس بنت مُنْقِذ^(٦) ، جاءت وزلت على ابن أختها جَسَّاس ، فكانت جارة لبني مرة ، ولها ناقة^(٧) خَوَّارة^(٨) ، ومعها فصيل لها^(٩) ، فلما خرج كليب غاضباً من قول زوجته جلييلة رأى فصيل الناقة فرماه بقوسه فقتله . وعلمت بنو مرة بذلك ، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا ؛ ثم لقي كليب ابن البسوس فقال له : ما فعلت فصيل ناختكم ؟ فقال : قتلته وأخليت لنا لبن أمه ؛ وأغمضت بنو مرة على هذا أيضاً .

(١) كان جساس بن مرة فارساً شهماً أياً ، وكان يلقب الحامي الجار ، المانع الدمار ، وهو الذي قتل كليباً كما هو مفصل في تلك الحرب ، ولما نشبت الحرب سيره أبوه إلى الشام ، ولما علم به أعداؤه لحقوه في سفره فالتقى بهم في حرب أسفرت عن قتل أبي نورة زعيم القوم الذين لحقوه ، وجرح جساس جرحاً مات في إثره سنة ٥٣٤ م (٢) جشم : بطن في قليب وهم قوم كليب ، وشيبان بطن في بكر وهم قوم جساس (٣) الندمان : الذي يرافقك على الصراب وقد يكون جما (٤) لقب بالمزدلف لأنه ألقى يرمحه في حرب فقال : ازدلقوا إليه (٥) كان هام أكبر أخوات أولاد مرة (٦) كانت من بني تميم ، وضرب بها المثل فقالوا : « أشأم من البسوس » (٧) كانت اسمها سراب (٨) ناقة خوارة : رقيقة حسنة (٩) وفي بعض الروايات أن هذه الناقة كانت لرجل من بني جرم اسمه سعد بن شميم ، وأنه نزل بناقته على جساس .

ثم إن كليياً أعاد القول على امرأته فقال : مَنْ أَعَزُّ وائِل ؟ فقالت : أخوأي !
فأَضَمَّهَا في نفسه وأَسْرَهَا وسَكَت، حتى مرَّت به إِبِلُ جَسَّاس وفيها ناقة البسوس،
فأنكر الناقة، ثم قال : ما هذه الناقة ؟ قالوا: نَخَالَةٌ جَسَّاس . فقال : أَوْبَلَّغَ من أَمْرِ
ابن السَّعْدِيَّةِ ^(١) أن يُجِيرَ على بغير إذني ؟ أَرَمَ ضَرَعَهَا بِأَغْلَامٍ ، فأخذ القَوْسَ ورمى
ضَرَعَ الناقة، فاختلط دَمُهَا بلبنها .

وَرَأَتْ الرُّعَاةَ على جَسَّاس فأخبروه بالأمر ، ووَآتِ الناقة ولها عَجِيج حتى بَرَكَتْ
بِفَنَاءِ البسوس ؛ فلما رَأَتْهَا صاحت: وَاذُلَّاهُ ! فقال لها جساس : اسكتي فلك بناقتك
ناقةٌ أَعْظَمُ منها ، فأبَتْ أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر ؛ فلما كان الليل أنشأت
تقول - مخاطبةً سعداً أخا جساس وترفع صوتها تُسمع جساساً :

أَيَا سَعْدُ لَا تَقْرَرْ بِنَفْسِكَ وَارْتَحِلْ فَإِنِّي فِي قَوْمٍ عَنِ الْجَارِ أُمُوتِ
وَدُونَكَ أَذْوَادِي إِلَيْكَ فَإِنِّي مَحَاذِرَةٌ أُنْثَى يَنْدِرُوا بَيْنِيَايَ
لِعَمْرِكَ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي دَارٍ مُنْقِذٍ ^(٢) لِمَا ضَمَّ سَعْدٌ وَهُوَ جَارٌ لِأَيِّيَايَ
وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ فِي دَارٍ مَعْشَرٍ مَتَى يَمُوتُ فِيهَا الذُّبُّ يَمْدُوعِي شَانِي ^(٣)

فلما سمعها جساس قال لها : اسكتي لا تُرَاعِي : إِنِّي سَأَقْتُلُ جَمَلًا أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ
الناقة ، سَأَقْتُلُ غَلَّالًا ^(٤) !

— ٣ —

ثم طَعَنَ ابْنَا وائِلَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَمَرَّتْ بِكَرٍّ عَلَى يَهْنَى ^(٥) يُقَالُ لَهُ شُبَيْثٌ ، فَنَفَّاهِمَ

(١) يريد جساسا (٢) منقذ : أبر البسوس وهو من تميم (٣) تسمى العرب هذه
الآيات الموتيات ، لأن البسوس لما أنشدتها أوغرت الصدور (٤) كان غلال فحل إبل كليب ،
لم ير في زمانه مثله ، وإنما أراد جساس بمقاله كليياً ، وفي رواية كان اسمه : عليان ، وفي اللسان :
بشير عليان : ضخم (٥) الهوى : الغدير .

كَلَيْبُ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرَّوْا عَلَى نَهْشَى آخِرُ يَقَالُ لَهُ الْأَحْصَى ،
فَنَفَّاهُمْ عَنْهُ وَقَالَ : لَا يَذُوقُونَ مِنْهُ قَطْرَةً ، ثُمَّ مَرَّوْا عَلَى بَطْنِ الْجَرِيبِ ^(١) فَنَفَّاهُمْ إِيَّاهُ ،
فَمَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا الدَّنَائِبَ ^(٢) ، وَاتَّبَعَهُمْ كَلَيْبُ وَحَيْثُ حَتَّى نَزَلُوا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ جَسَّاسُ
وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ ذُهَلٍ ^(٣) ، وَهُوَ وَقَفُ عَلَى غَدِيرِ الدَّنَائِبِ ، فَقَالَ لَهُ :
طَرَدْتُ أَهْلَنَا عَنْ الْمَاءِ حَتَّى كَدَتَ تَقْتُلُهُمْ عَطْشًا ! فَقَالَ كَلَيْبُ : مَا مَنَعْنَاهُمْ مِنْ مَاءٍ إِلَّا
وَنَحْنُ لَهُ شَاغِلُونَ . فَقَالَ لَهُ : هَذَا كَيْفَعْلِكَ بِنَاقَةٍ خَالَتِي ، فَقَالَ لَهُ : أَوْقَدْ ذِكْرَهَا ! أَمَا إِنِّي
لَوْ وَجَدْتُهَا فِي غَيْرِ إِبِلٍ مُرَّةً ^(٤) لَأَسْتَحَلَلْتُ تِلْكَ الْإِبِلَ بِهَا ! أَنْتَ أَتَى أَنْ أُذَبَّ
عَنْ حِمَايَ ! فَمَطَفَ عَلَيْهِ جَسَّاسُ فَرَسَهُ فَطَمَنَهُ بِرُمُوحٍ فَأَنْفَذَ حِضْنَيْهِ ^(٥) .

فَلَمَّا تَدَاءَمَ ^(٦) الْمَوْتُ قَالَ : يَا جَسَّاسُ ، اسْقِنِي مِنَ الْمَاءِ . فَقَالَ : مَا عَقَلْتُ اسْتِسْقَاءَكَ
الْمَاءِ مِنْذُ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ إِلَّا سَاعَتَكَ هَذِهِ . فَالْتَفَتَ إِلَى عَمْرُو وَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ؛ أَغْنَى
بَشَرَبَةُ مَاءٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ ^(٧) .

وَأَمَّا جَسَّاسُ يَدَّ بِالْفَرَسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ عَلَى فَرَسِهِ يَرْكُضُهُ ، وَقَدْ بَدَتْ
رُكْبَتَاهُ ؛ وَلَمَّا رَأَتْهُ أُخْتُهُ قَالَتْ لِأَخِيهَا : إِنْ ذَا لَجَسَّاسُ أَتَى كَاشِفًا رُكْبَتَاهُ ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ رُكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمِيرٍ عَظِيمٍ .

فَلَمَّا جَاءَ جَسَّاسُ قَالَ لَهُ : مَا وَرَاءَكَ يَا بُنَيَّ ؟ قَالَ : وَرَأَى أَنِّي قَدْ طَمَعْتُ طَمَعَةً
لَتَشْفَلَنِي بِهَا شَيْوُخٌ وَأَثَلُ زَمَانٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ لِأَمَلِكِ الْوَيْلِ ! أَقْتَلْتَ كَلْبِيَا ؟ فَقَالَ :
نَعَمْ ! فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : إِذْنِ نُسَلِّمُكَ بِمَجْرِيرَتِكَ ، وَنَرِيقَ دَمَكِ فِي صِلَاحِ الْعَشِيرَةِ ! وَاللَّهِ

(١) الجريب : واد عظيم تحمي أعاليه من قبل اليمن (٢) الدنائب : موضع بنجد
(٣) في الأغاني صفحة ٣٧ جزء ٥ : قال أبو برزة : فطف عليه الزدلف عمرو بن أبي ريمة فاحتز
رأسه ، وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذي طمنه فقصم صلبه (٤) مرة بن
ذهل : أبو جساس (٥) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح (٦) تداءم : تراكم عليه
(٧) ضرب بهذا الثل قليل :

المتجبر يسمو عند كركته كالمتجبر من الرمضاء بالنار

لبئس ما فعلت ! فرقتَ جماعتك ، وأطلت حربها ، وقتلت سيدها في شأري^(١) من الإبل والله لا تجتمع وائل بعدها ، ولا يقوم لها عماد في العرب ، ولقد وددت أنك وإخوتك كنتم متم قبل هذا ، ما بي إلا أن تشاءم بي أبناء وائل ؛ فأقبل قومُ مرّة عليه وقالوا : لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوه وإياك ، فأمسك مرة ؛ فقال جساس :

تأهبّ مثل أهبة ذي كِفَاح فإنّ الأمرَ جلّ عن التّلاحي^(٢)
وإني قد جنيتُ عليك حرباً تُنصُّ الشّيخُ بالماء القراح
مذكّرة^(٣) متى ما يصح منها فتى نشبتَ بآخر غير صّاح



تمدّت تغلب ظلمنا علينا بلا جرمٍ يمدّ ولا جناح
فلما أن رأينا واستبنا عقابَ البنى رافعة الجناح
صرفت إليه نحساً يوم سوءه له كأسٌ من الموت المتّاح
فلما سمع أبوه قال يمجيه^(٤) :

فإن تكُ قد جنيتَ على حرباً تُنصُّ الشّيخَ بالماء القراح
جمعتُ بها يدبك على كليب فلا وكل^(٥) ولا رثُ السلاح
ونكنى إلى الملات^(٦) أجرى إلى الموت الحَيط مع الصّباح
وإني حين تشتجر^(٧) الموالى أعيد الرمح في إثر الجراح
شديد البأس ليس بنى عياء ولكنى أبوءُ إلى الفلاح

(١) العارف من النوق : السنة الهرمة (٢) التلاحي : الخاصة والمقاولة (٣) مذكرة : شديدة (٤) قبل أخوه فضلة هو الذي قال ذلك (٥) وكل : عاجز (٦) بنو الملات : بنو رجل واحد من أمهات شقي (٧) تشتجر : تتداخل ، والموالى : الرماح .

سألبس ثوبها وأدبُ عنها بأطرافِ المَوَالِ والصَّفَاحِ^(١)
 فما يبقِ لِمَزَنَتِه ذليلٌ فيمنعه من القَدَرِ المُتَاحِ
 فإني قد طربت وهاجَ شوقي طرادُ الخيلِ عارضةَ الرِّمَاحِ
 وأجلُّ من حياةِ الدَّلِّ موتٌ وبعضُ المارِ لا يحويه مَلاحِ

— ٤ —

ولما قتل كليب اجتمع نساء الحى للأنثى، فقلن لأخت كليب: رحلى جليلة عن
 مأتمك، فإن قيامها فيه شمانةٌ وعار علينا عند العرب، فقالت لها: يا هذه؛ اخرجى عن
 مأتمنا، فأنت أختُ وإِترنا وشقيقةُ قاتلنا، فخرجت وهي بجرأ أعطافها؛ فقالت لها
 أخت كليب: رحلةُ المتدى وِفراقُ الشامت، ويل غدأ لآل مرة، من الكرة بعد
 الكرة! فبلغ قولها جليلة فقالت: وكيف تَشمَتُ الحرةُ بهتكِ سترها، وترقب
 وترها! أسعد الله جدَّ أختي، أفلا قالت: نفرة الحياء وخوف الاعتداء؟ ثم
 أنشأت تقول:

يا بنةَ الأقوامِ إن شئتِ فلا تَعَجَّلِي باللَّوْمِ حتى تسألى
 فإذا أنت تبيَّنتِ الذى يوجبُ اللَّوْمَ فلورى واعدلى
 إن تكن أخت امرئٍ عليمٍ على شفقٍ منها عليه فافعل
 جلٌّ عندى فسلْ جَسَّاسِ فيا حَسْرَتِي عما انجَلَتْ أوْ تَنجَلِي
 فَعَلْ جَسَّاسٍ على وجدي به قاطعٌ ظهري ومُذْنِ أَجَلِي
 لو بمينٍ فقتت عيني سوى أخينا فانفقات لم أخفل

(١) الصفاح: السيوف العرض.

تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْعَيْنِ كَمَا تَحْمِلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَقْتُلُ (١)
 يَأْتِيهِ قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ سَقْفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلِّ
 هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَانْثَى فِي هَدَمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
 وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَثَبِ رَمِيَةِ الصُّبْحِيِّ (٢) بِهِ الْمُسْتَأْصِلِ
 يَأْنِسَانِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْهِ مُفْضِلِ
 خَصَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَطَى مِنْ وَرَأَى وَلَطَى مُسْتَقْبِلِ
 لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
 يَشْتَفِي الْمَدْرُكُ بِالنَّارِ وَفِي دَرَكِي نَارِي تُكَلُّ الشَّكِلَ (٣)
 لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا بَدَلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي (٤)
 إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَمَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتَحَّ لِي

ولما ذهبت إلى أبيها مرة قال لها : ما وراءك يا جلييلة ؟ فقالت : تُكَلُّ المدد ،
 وحُزْنُ الأبد ، وفقدُ حليل ، وقتلُ أخٍ عن قليل ، وبين ذين غَرَسُ الأحقاد ،
 وفتنتُ الأكبَاد ، فقال لها : أويكفُ ذلك كرمُ الصَّفْعِ وإغلاء الديات ؟ فقالت :
 أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٌ وَرَبُّ الكُمَيْةِ ! أبا لُبْدُنْ تَدْعُ لَكَ تَغْلِبَ دَمَ رَبِّهَا !

— ٥ —

وكان همام بن مرة يُنَادِمُ المهلهل أَخَا كُلَيْبٍ وَعَاقِدَهُ آتَا يَكْتُمُهُ شَيْئًا . فلما ظن
 مرةً بأهله أرسل إلى ابنه همام فرسه مع جارية ، وأمره أن يظنَّ ويلحق بقومه .
 وكافا جالسين ، فرَّ جَسَاسٌ يركض به فرسه مُخْرِجًا فَخْذِيه ، فقال همام : إنَّ له
 لَأَمْرًا ، والله ما رأيته كاشفًا فَخْذِيه قط في رَكْضٍ ؛ ولم يلبث إلا قليلا حتى انتهت

(١) تَقْتُلُ : تَرْبِي (٢) من كَثَب : من قرب ، وأصماه : قتله في مكانه (٣) الشَّكِل : القى
 لازمها الحزن (٤) الأَكْحَل : عرق في الفراع يفصد .

الجارية إليهما ، وهما مُعْتَزِلَانِ فِي جَانِبِ الْحَيِّ . فَوَثَبَ هَامُ إِلَيْهَا ، فَسَارَتْهُ أَنْ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ، وَأَنْ أَبَاهُ قَدْ ظَنَمَ مَعَ قَوْمِهِ ؛ فَأَخَذَ هَامُ الْفَرَسَ وَرَبَطَهُ إِلَى خِيَمَتِهِ وَرَجَعَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهْلِلُ : مَا شَأْنُ الْجَارِيَةِ وَالْفَرَسِ ؟ وَمَا بِأُلكَ ؟ فَقَالَ : اشْرَبْ وَدَعْ عَنْكَ الْبَاطِلَ ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ : زَعَمْتُ أَنْ جَسَّاسًا قَتَلَ كَلْبِيًّا ؛ فَضَحَكَ الْمُهْلِلُ وَقَالَ : هِمَّةُ أَخِيكَ أضعفُ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَكَتَ .

ثم أَقبلَا عَلَى شَرَابِهِمَا ، فَجَعَلَ الْمُهْلِلُ يَشْرَبُ شُرْبَ الْآمَنِ ، وَهُوَ يَقُولُ :
دَعْنِي فَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لِشَارِبٍ وَلَا فِي غَدٍ ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ
دَعْنِي ، فَإِنِّي فِي سَمَادِيرٍ^(١) سَكْرَةٍ بِهَا جُلٌّ هَمِي ، وَاسْتَبَانَ تَجَلْدِي
فَإِنِّي يَطْلُعُ الصَّبْحُ النَّيْرُ فَإِنِّي سَأَعْدُو الْهَوْبِيَّ غَيْرَ وَإِن ، مَفْرَدٍ
وَأَصْبَحُ بِكَرٍّ غَارَةً صِيلِيَّةً^(٢) يَنَالُ لَطَاها كُلُّ شَيْخٍ وَأَمْرَدٍ

وَهُمَا يَشْرَبُ شُرْبَ الْخَائِفِ ، وَلَمْ تَلْبَثِ الْخَمْرُ أَنْ صَرَعَتْ مَهْلِلًا ، فَاَنْسَلَّ هَامُ وَأَتَى قَوْمَهُ مِنْ بَنِي شَيْيَانَ ، وَقَدْ قَوَّضُوا الْخِيَامَ ، وَجَمَعُوا الْخَيْلَ وَالنَّمَمَ ، وَرَحَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ النَّهْيُ .

وَرَجَعَ الْمُهْلِلُ إِلَى الْحَيِّ سَكْرَانًا ، فَرَأَوْهُمْ يَمْقَرُونَ خِيُولَهُمْ ، وَيَكْسِرُونَ رِجْلَهُمْ وَسِيُوفَهُمْ ، فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! مَا الَّذِي دَهَاكُمْ ؟ فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ : لَقَدْ ذَهَبْتُمْ شَرًّا مَذْهَبًا ، أَنْتُمْ قَوْمٌ خِيُولُكُمْ حِينَ احْتَجَجْتُمْ إِلَيْهَا ؟ وَتَكْسِرُونَ سِلَاحَكُمْ حِينَ افْتَقَرْتُمْ إِلَيْهِ !

فَانْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى النِّسَاءِ فَنَهَايَهُنَّ عَنِ الْبُكَاءِ وَقَالَ : اسْتَبِقِينَ لِلْبُكَاءِ هَيُونًا تَبْكِي إِلَى آخِرِ الْأَبَدِ .

(١) السبادير : شيء يترأى للإنسان من ضعف جصره من السكر ، وغشى الدوار (٢) الصيلبية : نسبة إلى الصيلم وهو السيف ، أى غارة شديدة .

ولما أصبح غدا إلى أخيه فدفنه ، وقام على قبره يرثيه ويقول :

أهاجَ قِذَاءَ عَيْنِي الْإِدْكَارُ هَدُوءًا فَالْهِمُوعُ لَهَا انْحِدَارُ^(١)
 وصار اللَّيْلُ مُشْتَمَلًا عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ تَهَارُ
 وَبَتْ أَرَاقِبُ الْجُوزَاءِ حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا انْحِدَارُ^(٢)
 أَصْرَفَ مَقْلَى فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَفَارُوا^(٣)
 وَأَبْكَى وَالنَّجُومُ مَطْلَمَاتُ كَأَنَّ، لَمْ يَحْوِهَا عَنِّي^(٤) الْبُخَارُ
 عَلَى مَنْ لَوْ نُمِيتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادِ الْخَيْلِ يُحْجِبُهَا الْغُبَارُ
 دَعْوَتِكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تُجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبِلَادُ الْفَقَارُ
 أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَائِكَ ذَمُّ لَقَدْ فُجِئَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ
 سَفَاكَ النَّيْتُ إِنَّكَ كُنْتَ غِيثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ
 أَبَتْ عَيْنَايَ بِمَدِّكَ أَنْ تَكُفَّا كَأَنَّ غَضَا الْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ^(٥)
 وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْمِلُ عَنْ رِجَالٍ وَتَمْفُو عَنْهُمْ ، وَلَكَ اقْتِدَارُ
 وَتَمْنَعُ أَنْ يَمْسَهُمْ لِسَانُ خَافَةَ مِنْ يُجْبِرُ وَلَا يُجَارُ
 وَكُنْتُ أَعْدُ قُرْبَى مِنْكَ رِبْحًا إِذَا مَا عَدَّتِ الرِّيحُ التَّجَارُ
 فَلَا تَبْعُدْ ، فَكُلُّهُ سَوْفَ يَلْقَى شَمُوبًا يَسْتَدِيرُ بِهَا الْمَدَارُ^(٦)
 يَغْنِشُ الْمَرْءُ عِنْدَ بَنِي أَبِيهِ وَيُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ بِحَيْثُ صَارُوا
 أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَقَدْ تَوَلَّى كَمَا قَدْ يُسَلَّبُ الشَّيْءُ الْمَعَارُ

(١) الادِّكَارُ : التذكُّر ، وهدوءاً : هدأة من الليل (٢) الجوزاء : من نجوم السماء ، ولا يكون انحداره إلا في آخر الليل (٣) غاروا : غربوا عن العين واختفوا (٤) في رواية : * كَأَنَّ لَمْ يَحْوِهَا عَنِ الْبُخَارِ * (٥) غضا القتاد : شوكة ، والشفار : أصول (٦) شمت الأجناف (٦) شموه : النية ، ومدار الدهر : ما يجري عليه ، وهنا بمعنى الدهر التي يهوى بالشموه .

كأني إذ نعى الناعي كليباً تطاير بين جنبي الشرارُ
فدُرت وقد عشا^(١) بصرى عليه كما دارت بشاربها المقار^(٢)
سألتُ الحمى أين دفنتموه فقالوا لي بسفع الحمى دارُ
فسرتُ إليه من بلدى حثيثاً وطار النومُ وامتنع القرارُ
وحادث ناقتي عن ظل قبرٍ ثوى فيه الكرامُ والفخارُ
لدى أوطانِ أروع^(٣) لم يشنه ولم يحدث له في الناس عارُ
أَتَغْدُو يا كليبُ معي إذا ما جبانُ القوم أنجاهُ الفرارُ^(٤)
أَتَغْدُو يا كليبُ معي إذا ما خلوقُ القوم بشحذها الشفارُ^(٥)
أقول لتغلب والمرت فيها : أثيروها ! لذلکم انتصارُ
تتابع إخوتي ومضوا لأمرٍ عليه تتابع القوم الخيلار^(٦)
خذ العهد الأكيد على عمري بتركي كل ما حوت الديارُ
وهجزي الغانيات وشرب كأس ولبسى جبة لا تستعار
ولست بمخالع دِرْعِي وسيفي إلى أن يخلف الليلَ النهارُ
وإلا أن تبديد سراًة بكرٍ فلا يبقى لها أبداً أنارُ

وما زال المهلهل يبكي أخاه ويندبه ، ويرثيه بالأشعار ، وهو يجتري بالوعيد لبني
مرّة ، حتى يئس قومه ، وقالوا : إنه زير^(٧) نساء ، وسخرت منه بكر ، وهمت
بنو مرّة بالرجوع إلى الحمى ، وبلغ ذلك المهلهل فانتبّه للحرب ، وشمر ذراعيه

(١) عشا : من باب رضى ودعا (٢) المقار : الحر (٣) الأروع : الشجاع القوي
(٤) أى في الحرب (٥) الشفار : جمع شفرة وهى السكين والنصل (٦) فى رواية
الحار ، والحاسر : من لا مغفر له ولا درع ولا جنة (٧) زير نساء : يجب محادثة النساء
أو مجالسهن بغير شر أو به .

وجمع أطراف قومه ، ثم جزَّ شعره ، وقصَّر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يهتم بَلَهُو ، ولا يشتم طيباً ، ولا يشرب خمرأ ، ولا يدَّهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلا من بني بكر بن وائل .

— ٦ —

وحتّ بني تغلب على الأخذ بالكأر ؛ فقال له أكابر قومه : إنا نرى ألا تمجّل بالحرب حتى تُعذّر إلى إخواننا ، فبالله ما تجدعُ بحرب قومك إلا أنفك ، ولا تقطع إلا كفك ! فقال : جدعه الله أنفأ ، وقطعها كفأ ، والله لا تحدّثت نساء تغلب أنى أكلت لكليب نمتاً ، ولا أخذتُ له ديةً ، فقالوا : لا بد أن تنفضَ طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم ؛ فكره المهلهل أن يخالفهم فينفضوا من حوله ، فقال : دونكم ما أردتم .

وانطلق رَهْطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مُرّةً بن ذهل فمظمو ما بينهم وبينه ، وقالوا له : إنكم أتيتُمُ أمراً عظيماً بقتلكم كليباً بنأب من الإبل ، وقطعتم الرّحم ، ونحن نكره المَجَلّة عليكم دون الإغذار ، وإنا نعرض عليكم إحدى ثلاث ، لكم فيها مخرج ولنا مرّضاة :

إما أن تدفعوا إلينا جَسَاساً فنقتله بصاحبنا ؛ فلم يَظلم من قتل قَاتِلَه ؛ وإما أن تدفعوا إلينا هَماماً فإنه نَدّ لكليب ، وإما أن تقيّدنا من نفسك يامرّة ، فإن فيك رضا القوم .

فسكت - وقد حضّرتهُ وجوه بني بكر بن وائل - فقالوا : تكلم غير مغذول ، فقال : أمّا جَسَاس فنلامُ حديثُ السنّ ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فوالله ما أدرى أى البلاد انطوت عليه . وأمّا هَمام فأبُو عشرة وأخو عشرة ، ولو دفعته إليكم لصيَحَ^(١) بَنُوهُ في وجهي وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجزيرة غيره . وأمّا أنا

(١) صيغ الرجل : بالغ في الصياح .

فلا أتمجّل الموت، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل! ولكن هل لكم في غير ذلك؟ هؤلاء بنى فدونكم أحدهم فاقتلوه، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمّنها لكم بكر بن وائل.

ففضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لترذل^(١) لنا بنيك، ولا لتسومنا الأبن. ورجعوا فأخبروا المهلهل، فقال: والله ما كان كليب يجزورنا كل له نمنا

واعترلت قبائل من بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بني شيبان ومجامعتهم على قتال إخوانهم، وأعظموا قتل جساس كليباً بناب من الإبل، فظعنّت عجل عنهم، وكفّت يشكر عن نصرتهم، ودعت تغلب النمر^(٢) بين قاسط فانضمت إليها، وصاروا يداً معهم على بكر، ولحقت بهم عقيل بنت قاسط.

وكان الحارث^(٣) بن عباد بن ضبيعة من قيس بن ثعلبة من حكام بكر وفرسانها المدودين، فما علم بمقتل كليب أعظمه، واعتزل بأهله وولدي إخوانه وأقاربه، وحل وتر قوسه، وزرع سنان رُمحه، فقال سعد^(٤) بن مالك يمرّض به:

يأبؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا^(٥)
والحرب لا يبقى لها جميعها التخييل والمراح^(٦)
إلا الفتى الصبار في الله جدات والفرس الوقاح^(٧)

(١) ترذل: تعطينا رذال بنيك (٢) النمر من قاسط: بطن في ربيعة (٣) انتهت ليرة بني ضبيعة إلى الحارث وهو شاب ومات نحو سنة ٥٠ هـ (٤) هو سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وله شعر جيد سائر (٥) وضعت: حطت وأسقطت، وأراهم: جمع أراهم وهو جمع رهم، والرهط عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة (٦) جامعها: مثيرها، والتخييل: التكبر، والمراح: النشاط، أي أن الحرب تكف حدة البطر النشط، وهو تعريض بالحارث (٧) الصبار: مبالغة صابر، والتجدة: الشدة، والوقاح: الفرس الذي حافره صلب شديد.

بئس الخلائف بمدنا أولاد يشكر^(١) واللقاح^(٢)
من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح^(٣)
الموت غابتنا فلا قصر^(٤) ولا عنه رجاح^(٥)
وكأنما وزد النية عندنا ماء ورأح^(٦)

— V —

ووقعت الحرب بين الحيين ، وكانت وقعات مُراحفات يتخللها مُفاورات^(٧) ،
وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين وهكذا ، وأول وقعة كانت على ماء لهم
يُقال له التهي^(٨) كان بنو شيبان نازلين عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان
الحارث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة في شيبان ، واستحر^(٩)
القتال فيهم ، إلا أنه لم يقتل في ذلك اليوم أحد من بني مرة .

ثم التقوا بالذائب فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة ، ثم التقوا بواردات
فظفرت بنو تغلب ، وكان جسّاس بن مرة وغيره ملّائع قومهم وأبو نيرة التغلبي
طلّائع قومهم أيضاً ، فالتقوا بمض الليالي فقال له أبو نيرة : اختر إما الصراع أو
الطمان ، أو المسابقة^(١٠) ، فاختر جسّاس الصراع فاضطرّعا ، وأبطأ كل واحد منهما
على أصحاب حيّه ، وطلبوها فأصابوها وهما يصطرعان ، وقد كاد جسّاس يصرّعه ،
ففرّقا بينهما .

(١) أي إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة ، فبئس الخلائف م مدنا ، لا يحسون حرماً ، ولا بأبون
ضبا ، وكانت بنو حنيفة تلقب باللقاح ؛ لأنهم لم يدينوا ملك ، وهو يتم الحيين ما
(٢) لا براح : لا ريب (٣) القصر : الحبس (٤) الجاح : الحرب (٥) يقال
فاور القوم إذا أثار بعضهم على بعض (٦) في ترتيب هذه الأيام خلاف بين المؤرخين فاخترنا
رواية نرجحها (٧) استحر القتال : اشتد (٨) تسايّفا : تضاربوا بالسيف .

ثم التقوا بُمَنِيْزَةٍ فَسَكَفَا الْحَيَانَ ، ثم التقوا بالقُصَبِيَّاتِ وَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى بَكَرٍ
وُقِتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هَمَامٌ بِنَ مَرَّةٍ أَخُو جَسَاسٍ ، فَرَّ بِهِ مُهْلَهْلٌ مَقْتُولًا فَقَالَ لَهُ :
وَاللَّهِ مَا قُتِلَ بَعْدَ كَلِيبٍ قَتِيلٌ أَعَزُّ عَلَى فَقْدَاكَ مِنْكَ ^(١)

٨ -

ثم كانت بينهم مُعَاوَدَةٌ وَوَقَائِعٌ كَثِيرَةٌ . كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني تغلب ،
وفي ذلك يقول المهلهل - يصف الأيام وينعماها على بكر :

أَلَيْتَنَا بَذَى حُسْمٍ أَنْبَرَى إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي ^(٢)
فَإِنْ يَكُ بِاللَّهِ نَائِبٌ طَال لَيْلِي فَقَدْ أَبْكَيْتِ مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ ^(٣)
وَأَنْقَذَنِي بِيَاضُ الصَّبْحِ مِنْهَا لَقَدْ أَتَقَذْتُ مِنْ شَرِّهِ كَبِيرٍ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ عُوذُ مُعْطَفَةٌ عَلَى رُبْعٍ كَسِيرٍ ^(٤)
كَأَنَّ الْجَدْيَ فِي مِثْنَاءِ رَبْقٍ أَسِيرٌ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْأَسِيرِ ^(٥)
كَأَنَّ النِّجْمَ إِذْ وَلَّى سَحِيرًا فَصَالَ جُلْنَ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ ^(٦)

(١) قتله ناشرة ، وكان عند همام لفيطا ، فلما شب تبين أنه من بني تغلب ، فلما التقوا بالقصبيات
جعل همام يقاتل ، فإذا عطش رجع إلى قرية فضرب منها ثم وضع سلاحه ، فوجد ناشرة من
همام غفلة ، فشد عليه فأقصده فقتله ولحق بقومه وفي ذلك يقول باكي همام :
لقد عيل الأقوام طمعة ناشره أناشر زالت عينك آشره

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر (لسان مادة نصر) (٢) ذو حسم : موضع بالبادية ،
وتحورى : ترجعى (٣) الذنائب : الموضع الذي دفن فيه كليب ، قال أبو علي الغالي في شرح
هذا البيت : يقول : إن كان طال ليلى بهذا الموضع لقتل أخى ، فقد كنت أستقصر الليل وهو حى
(٤) العوذ : الحديثات التاج واحدتها عائد ، والربيع : ما تنبع في الربيع . يقول : كأن كواكب
الجوزاء نوق حديثات التاج عطف على ربع مكسور فهي لا تتركه (٥) الشاة : الجبل المثنى ،
والربق : الجبل ، والجدى : نجم في السماء ، يقول : كأن الجدوى قد شد بجبل مثنى فهو أحكم لشده
(٦) شبه النجم بالفصال في يوم مطير لبطئها ، وذلك أن الفصيل يخاف الزلزال فلا يسرع .

كواكبها زواحف لا غبات^(١) كأن سماءها يدي مدير^(٢)
 فلو نبش المقابر عن كليب^(٣) فيخبر بالدائب أي زير^(٤)
 بيوم الشمشمين لقر عينا^(٥) وكيف لقاء من تحت القبور^(٦)
 وإني قد تركت بواردات^(٧) بجيرا في دم مثل العير^(٨)
 متكت به بيوت بني عباد^(٩) وبمض القتل أشقى للصدور
 وهمام بن مرة قد تركنا^(١٠) عليه القشمنين من النور^(١١)
 قتيل ما قتيل المرء عمرو^(١٢) وجساس بن مرة ذو ضرير^(١٣)
 على أن ليس عدلا من كليب^(١٤) إذا رجف العضاء من الدبور^(١٥)
 على أن ليس عدلا من كليب^(١٦) إذا طرد اليتيم عن الجزور
 على أن ليس عدلا من كليب^(١٧) إذا ما ضيم جيران الحجير
 على أن ليس عدلا من كليب^(١٨) إذا خيف المخوف من الثغور
 على أن ليس عدلا من كليب^(١٩) غداة بلابل الأمر الكبير^(٢٠)
 على أن ليس عدلا من كليب^(٢١) إذا هبت رياح الزمهرير
 على أن ليس عدلا من كليب^(٢٢) إذا وثب الشار على المنير

(١) الزواحف : المليات ، وكذلك اللاغبات ، يقول : كأن سماءها أثقل من أن يديرها مدير
 (٢) الزير : تبع النساء ، وكذلك كان يعرف المهليل (٣) الشممان : موضع . وقال بعضهم :
 ما شعث وعبد شمس قلها مهليل يوم واردات (٤) بجير هو ابن أخي الحارث ، وهذا يدل
 على أن بجيرا قد قتل قبل ذلك ، وهو رأى صاحب الأغاني (٥) القشمن : الحرم من النور
 ويرى : عليه القشمان من النور ، فن رفع جملة حالا ، كأنه قال : وعليه القشمان من النور
 وجاز حذف الواو لأن الهاء التي في «عليه» تكتفي لربط الكلام بأوله (٦) عمرو : هو الذي عاون
 جساساً على قتل كليب ، وذو ضرير : صاحب مشقة على العدو (٧) رجف : تحرك ،
 والعضاء : كل شجر له شوك (٨) البلابل : الاضطراب .

على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مُخَبَّاتُ الخلدور
 على أن ليس عدلا من كليب إذا علنت نَجِيَّاتُ الأمور
 وتسألني بديلة عن أبيها ولم تعلم بديلة ما ضميري
 فلا وأبي بديلة ما أفأنا من النعم المؤبل من بيمير^(١)
 ولكننا طمنا القوم طمنا على الأنباك منهم والنحور^(٢)
 نكب القوم للأذقان صرعى وناخذ بالترائب والصدور
 فدنى لبني شقيقة يوم جاءوا كأسد القاب لجت في الزئير
 تركنا الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض في غدير^(٣)
 كأننا غدوة وبني أينا بجانب عُنيزة رَحِيًا مُدير
 ولولا الرّيح أسمع أهل حجر صليل البَيْض تُقرع بالذكور^(٤)

— ٩ —

ثم إن تغلب جعلت تغلب جساسا أشد الطلب، فقال له أبوه مرة : الحق
 بأخوالك بالشام ، فامتنع ، فألح عليه أبوه فسيّره سرا في خمسة نفر ، وبلغ الخبر
 مهلهل ، فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شُجْمان أصحابه ، فساروا مُجَدِّين ،
 فأدركوا جساسا فقاتلهم ، فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين ،
 وجرح جساس جرحا شديدا مات منه ، وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضا ،
 فعاد كل واحد من السالين إلى أصحابه .

(١) أفأنا : رجعتا : والنعم : الإبل ، والمؤيلة : الكثيرة ، وفي رواية : جلبة
 (٢) الأنباك : الأوساط (٣) عاكفة : مقيمة ، تدحض : تزلق (٤) حجر :
 قصة اليمامة ، وحروبهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت . قال أبو علي الغالي : هنا أول كذب
 سمع في الشعر .

فلما سمع مرّة يقتل ابنه جساس قال : إنما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحداً ،
فقل له : إنه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم ، وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شركه
أحد منّا في قتلهم ، وقتلنا نحن الباقيين ، فقال : ذلك مما يسكن قلبي عن جساس (١) .
فلما قُتل جساس أرسل أبوه مرّة إلى مهلهل : إنك قد أدركت ثأرك وقتلت
جساساً فاكف عن الحرب ، ودع اللجاج والإسراف ، فهو أصلح للحيين
وأنكأ لمدوهم ، فلم يجب إلى ذلك .

ثم إن بني بكر اجتمعوا إلى الحارث بن عبّاد ، وقالوا له : قد قَتَلَ قومك !
فأرسلُ بجيرا ابن أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إني قد اعتزلت قومي لأنهم
ظلموك ، وخليتُك وإياهم ، وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك . فأتاه بجير فهم

(١) وروى صاحب الأغاني وابن الأثير رواية أخرى في قتل جساس : « لما رجعت جليّة
أقامت عند أخيها جساس ، ثم ولدت غلاماً - من كليب - سمته الهجرس ، فرباه جساس وكان
لا يعرف أبا غيره وزوجه ابنته ، فوقع بين الهجرس ورجل من بكر كلام ، فقال البكرى :
ما أنت منته حتى نلحقك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل إلى أمه حزينا ، ولما أوى إلى فراشه ونام
إلى جنب امرأته وضع أنفه بين يديها ، فتنفس تنفسة تنفط ما بين يديها من حرارتها ، فقامت
الجارية فزعة حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس : ثأر ورب الكعبة !
وبات جساس قلقاً حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : إنما أنت ولدي ومني بالمكان
الذي علمت ، وقد زوجتك ابنتي ، وقد كانت الحرب في أيك زماناً طويلاً حتى كدنا تنفاز ، وقد
اصطلعنا وتماجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح ، وأن تتطلق حتى تأخذ
عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا
بلائته وفرسه ، فحمله جساس على فرس ، وأعطاه لائمة ودرعاً ، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما
فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أخي
قد جاء ليبدل فيما دخلتم ، ويعقد ما عقدتم ، فلما قربوا الدم وقاموا إلى المقعد أخذ الهجرس بوسط
رحمه ، ثم قال : وفرسى وأذنيه ، ورعوى وخصليه وسنني وغراويه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو
ينظر إليه ، ثم طعن جساساً فقتله ثم لحق بقومه ، فكان جساس آخر قتيل في بكر بن وائل »

الأغاني ص ٦١ ج ٥ ، ابن الأثير ص ٣٢١ ج ١

المهلل بقتله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان - وكان من أشرف بني تَنْلَب وكان على مقدمتهم زمناً : لا تفعل ، فوالله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش ، لا يسأل عن خاله من هو ؟ وإياك أن تحقر البغي ، فإن عاقبتك وخيمة ، وقد اعزكنا عمه وأبوه وأهل بيته . فأبى مهلهل إلا قتله ، فطمعه بالرمح وقتله وقال له : « بُوْ بِشِيعِ نَمْلِ كَلِيب » ! فلما بلغ قتله الحارث - وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأساً - قال : نعم القليل قتل أصلح بين ابني وائل ا فليل له : إنما قتله بِشِيعِ نَمْلِ كَلِيب ، فلم يقبل ذلك .

وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلت نجيرا بكليب ، واقتطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلت بِشِيعِ نَمْلِ كَلِيب ا ففضب الحارث ودعا بفرسه - وكانت تسمى النعام - فجزأ ناصيتها وهَلَب^(١) ذَنبها ، ثم قال :

كلُّ شيء مصيره للزوال	غيرَ ربي وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعاً	ليس فيهم لذاك بمضُ اختيال
قل لأم الأغر تبكى بُجَيِّرا	ما أتى الماء من رهوس الجبال
لَهَفَ نفسى على بُجَيِّر إذا ما	جالت الخيل يوم حَرَبِ عُضَال
وتساق الكُماة ^(٢) سُمّاً تقيما	وبدا البيض من قباب الحجال
وسمت كل حُرّة الوجه تدعو	يا لَبْكَر ا غراء كالتمثال
يا بجير الخيرات لا صلح حتى	نملاً ألبيد من رهوس الرجال
وتقر الميون بمَدُّ بكاهها	حين تسقى الدماء صدور الموال

(١) هلب الفرس : تنف هلبه ، والهلب : الشعر كله ، وقيل في الذنب وحده

(٢) الكُماة : جم كمي ، وهو الشجاع .

أَصْبَحْتَ وَائِلٌ نَمِجٌ مِنَ الْحَرْبِ عَجِيجُ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ
لَا يَجِيرُ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْطُ كَلِيبٍ تَزَاجِرُوا عَنْ ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا - عِلْمُ اللَّهِ وَإِنِّي بِمَحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِدِ
قَدْ تَجَنَّبْتُ وَائِلًا كَيْ يُفَيِّقُوا فَأَبَتْ تَغْلِبُ عَلَيَّ اعْتَزَالِي
وَأَشَابُوا ذَوَابِقِي بِبُجَيْرٍ قَتَلُوهُ ظُلْمًا بِغَيْرِ قِتَالِ
قَتَلُوهُ بِشَيْعٍ نَقَلَ كُلَّيْبٍ لَنْ قَتَلَ الْكَرِيمَ بِالشَّيْعِ غَالِ
يَا بَنِي تَغْلِبْ خَذُوا الْحَذَرَ إِنَّا قَدْ شَرَبْنَا بِكَاسِ مَوْتٍ زُلَالِ
يَا بَنِي تَغْلِبْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا مَا سَمْنَا بِمِثْلِهِ فِي الْخَوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ^(١) مِنِّي لَقَعَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ^(٢)
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَوْلِي يَرَادُ لَكِنْ فَعَالِي
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي جَدُّ نَوْحِ النِّسَاءِ بِالْإِعْوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي شَابَ رَأْسِي وَأُنْكَرْتَنِي الْعَوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لِلشَّرَى وَالْفُدُوءِ وَالْأَصَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي طَالَ لَيْلِي عَلَى اللَّيَالِي الطَّوَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لِإِعْتِنَاقِ الْأَبْطَالِ بِالْأَبْطَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي وَاعْدَلَا عَنْ مَقَالَةِ الْجُمَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَيْسَ قَلْبِي عَنِ الْقِتَالِ بِسَالِ
قَرَّبًا مَرْبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي كُلُّهَا هَبْ رِيحَ ذَيْلِ الشَّمَالِ

(١) النِّعَامَةُ : فرس الحارث ، وأصل اللقاح : الجمل ، وعن بمعنى بعد ، وحيال : مصدر حلت
الأنثى إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قَرَبًا مَرَبُطُ النِّعَامَةِ مِنِّي لُبَجِيرٍ مُفَكِّكِ الْأَغْلَالِ
 قَرَبًا مَرَبُطُ النِّعَامَةِ مِنِّي لَكْرِيمٍ مُتَوَجِّعٍ بِالْجَلَالِ
 قَرَبًا مَرَبُطُ النِّعَامَةِ مِنِّي لَا نَبِيْعُ الرِّجَالِ يَبِيْعُ النِّعَالِ
 قَرَبًا مَرَبُطُ النِّعَامَةِ مِنِّي لُبَجِيرٍ فِدَاهُ عَمِّي وَخَالِي
 قَرَبَاهَا لِحِيٍّ تَغْلِبُ شُوسًا^(١) لَا غَيْتَانِ الْكُمَاةَ يَوْمَ الْقِتَالِ
 قَرَبَاهَا وَقَرَبًا لِأُمِّي دُرٍّ عَا دِلَاصًا^(٢) تَرُدُّ حَدَّ النَّبَالِ
 قَرَبَاهَا بِمُرْهَفَاتٍ حَدَادٍ لِقِرَاعِ الْأَبْطَالِ يَوْمَ النَّزَالِ
 سَائِلُوا كُنْدَةَ الْكِرَامِ وَبِكْرًا وَاسْأَلُوا مَذْحِجًا وَحِيَّ هَلَالِ
 لِمَ أَتُونَا بِمُسْكَرٍ ذِي زُهَامٍ^(٣) مَكْفَهْرٍ الْأَذَى شَدِيدَ الْمَصَالِ
 قَرَيْنَاهُ حِينَ رَامَ قِرَانًا كُلِّ مَاضِي الذَّبَابِ^(٤) عَضْبَ الصَّقَالِ

— ١٠ —

ثم ارتحل الحارث مع قومه ، حتى نزل مع جماعة بَكْرِ بْنِ وائِل ، وعليهم يومئذ
 الحارثُ بن هَمَام ، فقال الحارث بن عَبَّادَ لَهُ : إِنْ الْقَوْمُ مُسْتَقْلَوْنَ قَوْمَكَ ، وَذَلِكَ
 زَادَهُمْ جُرْأَةً عَلَيْكُمْ ، فَقَاتِلْهُمْ بِالنِّسَاءِ ، قَالَ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامَ : وَكَيْفَ قِتَالِ
 النِّسَاءِ ؟ فَقَالَ : قَلْدٌ كُلِّ امْرَأَةٍ إِذَاوَةٌ^(٥) مِنْ مَاءٍ ، وَأَعْطَاهَا هِرَاوَةً ، وَاجْمَلُ جَمْعُهُنَّ
 مِنْ وَرَائِكُمْ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ يَزِيدُكُمْ اجْتِهَادًا ، وَعَلِّمُوا قَوْمَكُمْ بِعَلَامَاتٍ يَمَرِّفُنَهَا ، فَإِذَا

(١) الثُّوسُ : جَمْعُ الْأَشُّوسِ وَهُوَ الْجُرِيُّ
 (٢) الدَّلَاصُ : مِنَ الدَّرُوعِ اللَّيْنَةِ ، وَدَرَعٌ
 دِلَاصٌ : بَرَاةٌ مَلْسَاءٌ لَيِّنَةٌ بَيْنَةَ الدَّلَاسِ
 (٣) ذِي زُهَامٍ : ذِي عَدَدٍ كَثِيرٍ
 (٤) الذَّبَابُ
 السِّيفُ : حَدُّ طَرَفِهِ الَّذِي يَنْ شَفْرَتَيْهِ وَمَا حَوْلَهُ مِنْ حَدِيدِهِ ظِلَابٌ ، وَقِيلَ حَدُّهُ .
 (٥) الْإِذَاوَةُ : لِمَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يَتَخَذُ لِلْمَاءِ .

مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونمشته، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته، وأنت عليه .

فأطاعوه ، وحلفت بنو بكر يومئذ رموسها ، استبسلاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسايمهم ؛ وقال جحدر بن ضبيعة - وإنما سمي جحدرًا لقصره : لا تخلقوا رأسي ؛ فإن رجل قصير ، لا تشينوني ، ولكن أشتريه منكم بأول فارس . يطلع عليكم من القوم ؛ فطلع ابن عناق فشده عليه فقتله ، فقال رجل من بكر بن وائل في ذلك :

ومنا الذي قاذى من القوم رأسه ^(١) بمسئلهم من جهم غير أغزلا
قاذى إلينا بزة ^(٢) وسلاحه ومنفصلا من عنقه قد تزيلا
وكان جحدر يرتجز ويقول :

ردوا على الخليل إن ألت إن لم أقاتلهم فجزوا لمني
واقتل الفرسان قتالا شديداً ، وانهزمت بنو ثعلب ، ولحقت بالظمن بقية يومها وليتها ، واتبعهم سرطان ^(٣) بكر بن وائل ، وتخلّف الحارث بن عبادة ، فقال لسعد بن مالك : أتراني ممن وضعت ^(٤) الحرب ؟ فقال : لا ، ولكن لا نجبا لمطر بعد هرؤس ^(٥) .

وأسر الحارث مهلهلا بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ، فقال له : دلي على المهلهل . قال : ولي دى ؟ فقال : ولك دمك ، قال : ولي ذمتك وذمة أبيك ؟

(١) مستلم : لايس اللامة وهي السلاح (٢) البز : نوع من الجباب (٣) سرطان الناس : أوائلهم السابقون إلى الأمر (٤) يشير إلى قوله :
ياؤس للحرب التي وضعت أراحت فاستراحوا
(٥) مناه : إن لم تصر قومك الآن ظمن تدخر نصرك ؟

قال : نعم ، ذلك لك . قال المهلهل - وكان ذا رأى ومَكيدة - فأنا مُهلهل !
 خدعتك عن نفسى ، والحربُ خُدعة . فقال : كاشنى بما صنعتُ لك بعد جُرمك ،
 ودُلنى على كفاءِ بُجَير . فقال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هَذَا عَلمه .
 فجزّ ناصيته ^(١) وأطلقه ، وقصد قصد امرئ القيس فشده عليه فقتله ، فقال
 الحارث فى ذلك :

لَهَفَ نفسى على عدى ولم أغرف عدياً إذ أَسَكَنَتْنِي اليَدَانِ
 طُلٌّ ^(٢) من طُلٍّ فى الحروب ولم أُوْترْ بُجَيْرًا أَبَا تُه ^(٣) ابنَ أبانِ
 فارس يضرب الكتيبة بالسَّيفِ وتَسْمُو أُمَامَه المِئَنَانِ
 فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأمر إلى أهله جعل النساء والولدان يستخبرونه :
 تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والغلام عن أبيه وأخيه ، فقال :

ليس مثلى يَجْبُرُ النَّاسَ عن آ بَهِم قَتَلُوا وَيَنْسَى الْقِتَالَا
 لم أَرِم ^(٤) عَرَصَةَ الْكَتِيبَةِ حَتَّى انْتَمَلَ الْوَرْدُ ^(٥) من دِمَاءِ نَمَالَا
 عرفته رِمَاحُ بَكْرِ فَا بَا خُذْنِ إِلَّا لَبَانَهُ ^(٦) وَالْقَذَالَا
 غَلَبُونَا ، ولا محالة يوماً يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حَالًا فَحَالَا
 ثم إن مهلهلا قال لقومه : قد رأيت أن تُبقوا على قومكم ، فإنهم يحبون صلاحكم ،
 وقد أنت على حربكم أربعون سنة ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم يوم نزلكم ،
 فلو مررت هذه السنون فى دِغَامِيَةِ عَيْشٍ لَكَانَتْ تَمَلُّ من طولها ، فكيف وقد فنى
 الحَيَّان ، وشككت الأمهات ، ويُمُّ الأولاد ، ورب نائمة لا تزال تصرخ فى النواحي ،

(١) الناصية : فى مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب إذا أُنسوا على الرجل العريف
 جد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه ، فشكون الناصية عند من جزها (٢) طل دم القتل :
 ذهب هدراً (٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به (٤) لم أرم : لم أبرح (٥) الورد
 من الخيل : بين الكعبت والأشقر (٦) اللبان : الصدر ، ويروى : لبانه .

ودموع لا تَرَفًا ، وأجساد لا تُدْفَن ، وسُيُوف مشهورة ، ورماح مُشْرِعة ؛
وإن القوم سيرجمون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم ، وتتمطف الأرحام حتى
تتَوَاصُوا ؛ أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل
كليب ، وأخاف أن أحلكم على الاستئصال ، وأنا سائر عنكم إلى اليمن .

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن ، فخطب إليه أحداهم ابنته فأبى أن يفعل ،
فأكرهوه وساقوا إليه أداماً في صداقها فأنكحها إياه ، فقال في ذلك :

أنكحها فقدُها الأراقِمُ (١) في جَنِبِ (٢) وكان الحباء (٣) من آدم
لو بأبائين (٤) جاء بخطبها ضُرَج ما أنفُ خاطبٍ يَدُم
أصبحت لا مُنْفساً (٥) أصبتُ ولا أبتُ كريماً حُرّاً من النَّدَم
هانَ على تَغْلِبٍ بما لَقِيتُ أختُ بنى المالِكين من جُشَم (٦)
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُفْنُون من عَيْلَةٍ ولا عَدَم

وكان قد بلغ قبائل بكر وتغلب زواج سليمى في مذحج ، وكان بين القومين
منافسة ونفور ؛ ففضبوا ، وأرنفوا وقصدوا بلاد القوم فأخذوا المرأة وأرجموها إلى
أبيها بعد أن أسروا زوجها .

وملئت جموع تغلب الحرب فصالحوا بكرأ ، ورجعوا إلى بلادهم ، وتركوا الفتنة ،
ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى أهله وقومه ولجأت عليه ابنته سُليمى بالنسير
إلى الديار ، فأجابها إلى ذلك ، ورجع نحو قومه ، حتى قرُب من قبر أخيه كليب ،
وكانت عليه قبة رقيقة ؛ فلما رآه خنقته المبرة ، وكان تحته بفلنجيب ؛ فلما رأى
البفلُ القبرَ في غَلس الصبح نفر منه هارباً ، فوثب عنه المهلهل ، وضرب عرقوبيه
بالسيف ، وقال (٧) :

(١) الأراقِم : أحياء في تغلب (٢) حى باليمن هو الذى كان فيه المهلهل (٣) الحباء : يريد به
المهر (٤) أبائان : جيلان (٥) النفس : المال الكثير الذى له خطر (٦) جهم :
قبيلة في تغلب ، وم قوم المهلهل (٧) أوردنا هنا الشعر - على ما فيه من سهولة تحملنا على
التفكير في صحة نسبه إليه - لطرافته .

رماك الله من بقلٍ بمشحوذٍ من النبلِ
 أما تبلغني أهلك أو تبلغني أهلي
 ألا أبلغ بني بكرٍ رجالا من بني ذهلٍ
 بدأتُم قومكم بالغدِّ ر، والمدوان والقتلِ
 قتلُم سيدَ الناس ومن ليس بذى مثلِ
 وقتلُم : كفؤهُ رجلُ وليس الرأس كالرجلِ
 وليس الرجل الماجد مثل الرجل النذلِ
 فنى كان كالفٍ من ذوى الإنعام والفضلِ
 لقد جثم بها دَهْمًا ء كالحية في الجذلِ
 وقد جثم بها شعوا ء أشابت مفرقَ الطفلِ
 وقد كنتُ أخا لهوٍ فأصبحتُ أخا شغلِ
 ألا يا عاذلي ، أقصرِ لحاك الله من عذلي
 سأجزى دهرط جساس كحذو النمل بالنملِ

وسار بعد ذلك حتى نزل في قومه زماناً، وما وكده^(١) إلا الحرب، لا يهيم بصلح،
 ولا يشرب خمرآ، ولا يلهو بَلَهو، ولا يحمل لأمنته، ولا يفتسل بماء، حتى كان
 جلسه يتأذى منه من رائحة صدأ الحديد .

فلما كان ذات يوم دخل عليه رجل من تغلب - اسمه ربيعة بن الطفيل، وكان له
 نديماً، فلما رأى مابه قال :

أقسمت عليك أيها الرجل لتغتسلن^٢ بالماء البارد، ولتبلن^٣ فوائبك بالطيب ! فقال
 المهلهل : هيهات ! هيهات ! يا بن الطفيل ! هيلتني إذا يميى، وكيف باليمن الى
 آليتُ اكلاً أو أقضى من بكر أربي، ثم تاوّه وزفر، وقال :

(١) وكده : قصده .

إن في الصدر من كليب شُجُونَا هاجساتٍ نَكَانَ منه الجراحا
 أنكرتني حليتي مُذْ رَأَتْنِي كاسفَ اللونِ لَا أُطِيقُ الزَّاحَا
 يا خليلي نَادِيَا لِي كَلِييَا ثم قولاً له : نَعَمْتَ صَبَا
 يا خليلي ، نَادِيَا لِي كَلِييَا قبل أن تبصر العيون الصبَا

وتنقض الصلح ، وعادت الحرب ، ثم إن المهلهل أغار غارة على بني بكر فظفر به عمرو بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة ، فأسرّه وأحسن إيساره ، فرّ عليه تاجر يبيع الخمر - وكان صديقاً للمهلهل - فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر ، فاجتمع شُبَّان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكرا ، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أُفِرِدَ له ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بشعرٍ ناح فيه على أخيه :

طَفْلَةٌ^(١) مَا ابْنَةُ الْمُحَلَّلِ بِيضًا لَمْ يُوبُ لَدِيدَةٌ فِي الْعِنَاقِ
 فَاذْهَبِي مَا إِلَيْكَ غَيْرَ بِمِيدٍ لَا يُؤَاتِي الْعِنَاقُ مَنْ فِي الْوِثَاقِ
 ضَرَبْتَ نَحْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ : يَا عَدِيًّا ، لَقَدْ وَقَتَكَ الْأَوَاقِ^(٢)
 مَا أَرْجَى فِي الْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامَا يَا أَرَاهِمُ سُقُوا بِكَاسِ حَلَاقِ^(٣)
 بَعْدَ عَمْرٍو وَطَامِرٍ وَحُيَيٍّ وَرَبِيعِ الصَّدُوفِ^(٤) وَابْنِ عَنَاقِ
 وَامْرَأَةِ الْقَيْسِ مَيِّتٍ يَوْمَ أَوْدَى ثُمَّ خَلَى عَلَى ذَاتِ الرَّاقِ^(٥)
 وَكَلِيبِ سُمِّ الْفَوَارِسِ إِذْ حُمَ مَ رَمَاهُ الْكَاةُ بِالْإِيْفَاقِ^(٦)
 إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينَا وَخَصِيصًا أَلَدًا ذَا مِغْلَاقِ^(٧)
 حَيَّةٌ فِي الْوِجَارِ أَرْبَدُ لَا تَنْفَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْثَةُ رَاقِ^(٨)

-
- (١) طفلة : رخصة ناعمة (٢) الأواقي : جمع واقية (٣) الحلاق : النية معدولة عن الخالقة ، أي تقتشر (٤) الصدوف : اسم فرس الزعيم المذكور (٥) ذات الراق : الداهية (٦) الإيفاق : وضع السهم للرّمي (٧) الملاق : اللسان البليغ (٨) الوجار : الجعر ، والإربد : الذي يضرب لونه إلى السواد .

فلما سمع عوف ذلك غاظه وقال : لا جرّم ! إنّ الله علىّ نذراً ، إنّ شرب عندي قطرة ماء ولا خر حتى يورد الخضير^(١) ، فقال له أناس من قومه : بشّ ما حلفت ! فبمشوا الخيول في طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، وكان المهلهل مات عطشاً^(٢) .

(١) الخضير : بعير لعوف لا يرد الماء إلا في اليوم السابع . وفي رواية : حتى يرد ربيب الهضاب وريب اسم جعل له كانت أقل وروده في الصيف الخمس ، أي مرة كل خمسة أيام (٢) وفي حوت المهلهل رواية أخرى أوردتها صاحب الخزائن وقال : لما أسن وخرف كان له عبدان يخدمانه فلاه ، وخرج بهما إلى سفر فبينما هما في بعض القلوات عزم على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله : من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أيكما ثم قتلاه ورجعا إلى قومه قتلا مات ، ولكن بنته قرأت ما على القتب فقالت : إن مهلهلا لا يقول هذا الشعر وإنما هو أراد :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلاً في القلاة مجذلاً
 لله دركما ودر أيكما لا يرح البعدان حتى يقتلا
 ففربوا البعدين حتى أقرأ بقتله .

٥- أيام ربيعة وقيم

المرفع هم
عفا الله عنه

- ١- يوم الوقيط
- ٢- = شيتل
- ٣- = جدود
- ٤- = زرود
- ٥- = ذى طلوح
- ٦- = الإباد
- ٧- = الغبيط
- ٨- = قشاوة
- ٩- = زبالة
- ١٠- = مبايض
- ١١- = الزورين
- ١٢- = عاقل
- ١٣- = الشيطين
- ١٤- = الوقى
- ١٥- = الشباك

١ - يَوْمُ الْوَقِيطِ

تَجَمَّعَتِ اللَّهَازِمُ ^(١) لِتُنْفِرَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ ، وَهُمْ غَارُثُونَ ^(٢) ، فَرَأَى ذَلِكَ نَاشِبٌ بَيْنَ بَشَامَةِ الْعَنْبَرِيِّ ^(٣) الْأَعُورِ - وَهُوَ أَسِيرٌ فِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ نَاشِبٌ : أَعْطُونِي رَجُلًا أُرْسِلُهُ إِلَى أَهْلِ بَنِي الْعَنْبَرِ وَأَوْصِيهِ بِبَعْضِ حَاجَتِي ، فَقَالَتْ لَهُ قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ : تَرْسُلُهُ وَنَحْنُ حُضُورٌ - وَذَلِكَ خَافَةً أَنْ يُنْذَرَ ^(٤) عَلَيْهِمْ - قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَوْهُ بِفِلَاحٍ مُوَلَّدٍ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ تَمُونِي بِأَحْمَقٍ ! قَالَ الْفِلَاحُ : وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَحْمَقٍ ، فَقَالَ الْأَعُورُ : إِنِّي أَرَاكَ تَجْنُونَا ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ . قَالَ : فَالْتَّسِرَانِ أَكْثَرُ أَمْ الْكَوَاكِبُ ؟ قَالَ : الْكَوَاكِبُ ، وَكُلُّ كَثِيرٍ . قَالَ : إِنَّكَ لَغَيِّ أَحْمَقٍ ، وَمَا أَرَاكَ مُبْلَغًا عَنِّي . قَالَ : بَلَى ، لِعَمْرِي لَا بُلْغَنَ عَنْكَ .

فَلَا الْأَعُورُ كَفَّهُ مِنَ الرَّمْلِ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ فِي كَفِّي ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ مَا أَحْصِيهِ ، فَأَوْمَأَ إِلَى الشَّمْسِ بِيَدِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا تِلْكَ ؟ قَالَ : هِيَ الشَّمْسُ . قَالَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا عَاقِلًا ظَرِيفًا ؛ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِي ، فَأُبَلِّغُهُمْ عَنِّي التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُمْ : لِيُحْسِنُوا إِلَى أَسِيرِهِمْ وَيَكْرُمُوهُ ، فَإِنِّي عِنْدَ قَوْمٍ يَحْسِنُونَ إِلَيَّ وَيَكْرُمُونَنِي - وَكَانَ حَنْظَلَةُ بْنُ طَفِيلٍ الرَّثَدِيُّ أَسِيرًا فِي أَيْدِي بَنِي الْعَنْبَرِ - وَقُلْ لَهُمْ : فَلْيَمُرُّوا بِجَمَلِي

* لِبَكْرٍ (مِنْ رِيْعَةٍ) عَلَى تَمِيمٍ ، وَالْوَقِيطُ : الْمَكَانُ الصَّلْبُ الَّذِي يَسْتَنْقِعُ فِيهِ الْمَاءُ . أُطْلِقَ عَلَى مَوْضِعٍ .

الْأُمَالِي ص ٦ ج ١ ، النَّقَائِصُ ص ٣٠٥ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٨٥ ج ١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٣٠ ج ٣ ، بُلُوغُ الْأَرْبِ ص ٣٨٥ ج ١ ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ ص ١٥٤ ج ٣ ، قِصَصُ الْعَرَبِ ص ٣٣٧ ج ١ الزَّهْرُ جُزْءُ أَوَّلِ طَبْعَةِ الْحَلَبِيِّ (بَابُ الْمَلَاخِنِ)

(١) اللَّهَازِمُ : مَعْزَةُ بْنُ أَسَدٍ بْنُ رِيْعَةٍ وَعَجَلُ بْنُ لَجِيمٍ ، وَتَمِيمُ اللَّهِ وَقَيْسُ ابْنَا ثَعْلَبَةَ مِنْ بَكْرِ ابْنِ وَائِلٍ ، وَقَدْ كَانُوا جَمِيعًا حِلْفَاءَ (٢) الْفَارِ : الْغَافِلُ (٣) مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، وَمِنْ بَطْنِ تَمِيمٍ (٤) يَنْذَرُ : يَعْلَمُ .

الأحمر، ويركبوا ناقى العيساء^(١)، بآية ما أكلت معهم حيساً^(٢)، وليرعوا حاجتى فى أئينى مالك^(٣)، وأخبرهم أن الموسج^(٤) قد أورق، وأن النساء قد شكّت^(٥)، وإيمصوا همّام بن بشامة فإنه مشؤوم محدود^(٦)، وليطيموا هذيل بن الأخنس، فإنه حازم ميمون .

فقال له بنو قيس : من أئينو مالك ؟ قال : بنو أخى .

فأتاهم الرسول فأخبرهم وأبلغهم ، فلم تذر عمرو بن تميم ما الذى أرسل به إليهم الأعور ، وقالوا : ما نعرف هذا الكلام ، ولقد جنّ الأعور بعدنا ! ما نعرف له ناقة يختصّها ولا جملًا ، وإن إبله عندنا لبأج^(٧) واحد فيما نرى .

فقال هذيل بن الأخنس للرسول : اقتصّ علىّ أول قصّته ، فقصّ عليه أول ما كله به الأعور ، وما رجمه إليه حتى أتى على آخره ، فقال هذيل : أبلغه التحية إذا أتيتّه ، وأخبره أنا سنوصى بما أوصى به ، فشخص الرسول .

ثم نادى هذيل باللعنبر : قد بين لكم صاحبكم ؛ أما الرمل الذى جمل فى يده فإنه يُخبركم أنه قد أتانا كم عدد لا يُحصى ، وأما الشمس التى أوما إليها ، فإنه يقول : إن ذلك أوضح من الشمس ، وأما جله الأحمر فالصّمان^(٨) يأمركم أن تُعروه ، معنى ترّنجلوا هته ، وأما ناقته العيساء فإنها الدهناء^(٩) يأمركم أن تتحرّزوا فيها ، وأما أئينو مالك فإنه يأمركم أن تُنفذروهم ما حدركم ، وأن تمسكوا بحلف بينكم وبينهم ، وأما إبراق

(١) العيساء : الناقة يخالط يابضها شقرة (٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط

(٣) يرعوا : يحفظوا ، وأئينى : تصغير بنين كما فى اللسان مادة بنى (٤) الموسج : شوك

(٥) شكّت النساء : اتخذت الشكاء ، والشكاء جمع شكوة وهو وعاء من آدم يبرد فيه الماء

(٦) المحدود : المنوع من الخير (٧) بأج واحد - يهزم ولا يهزم : شيء واحد

(٨) الصّمان : جبل أحمر فى أرض بنى تميم (٩) الدهناء : سبعة أجيل من الرمل ، وهى

ديار لامة بنى تميم .

المَوْسَجِ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ اكْتَسَبُوا سِلَاحًا ، وَأَمَّا اسْتِكَاءُ النِّسَاءِ فَيُخْبِرُكُمْ أَنَّهُنَّ قَدْ عَمِلْنَ الشِّكَاةَ ، يُرِيدُ خَرْزَنَ لَهُمْ شِكَاةً يَفْزُونَ بِهَا ؛ وَقَوْلُهُ : بَابَةُ مَا أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْثَا ، يَرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ قَدْ غَزَوْكُمْ ؛ لِأَنَّ الْحَيْسَ يَجْمَعُ التَّمْرَ وَالسَّمْنَ وَالْأَفِطَ (١) .

فَحَذِرْتُ بَنُو عَمْرِو (٢) بَنِي تَيْمٍ ، فَارْكَبْتُ الدَّهْنَاءَ ، وَأَنْذَرُوا بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، فَقَالُوا : مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ بَنُو الْجَمْرَاءِ (٣) ، وَلَسْنَا مُتَحَوِّلِينَ لِمَا قَالَ صَاحِبُهُمْ .

فَصَبَّحَتِ اللَّهَازِمُ بَنِي حَنْظَلَةَ ، وَوَجَدُوا بَنِي عَمْرِو قَدْ أَجَلَّتْ وَارْتَحَلَتْ ، وَإِنَّمَا أَرَادُوهُمْ عَلَى الْوَقِيطِ ، وَعَلَى الْجَيْشِ أَبِجَرَ بْنِ جَابِرِ الْمُجَلِّيِّ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَطَمَنَ بَشَرُ بْنُ الْمَوْرَاءِ - مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ - ضَرَارَ بْنَ الْقَمَقَمَاقِ وَأَخَذَهُ ، ثُمَّ جَزَّتْ بَنُو تَيْمِ اللَّاتِ نَاصِيَتَهُ وَخَلَّوْا بِرَبِّهِ (٤) تَحْتَ اللَّيْلِ .

وَبَارَزَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ - مِنْ بَنِي رَيْبَعَةَ - عَجْجَلُ بْنُ الْمَأْمُومِ - مِنْ بَنِي شَيْبَانَ - فَأَسْرَهُ عَمْرُو ثُمَّ مِنْ عَلَيْهِ .

(١) وَهَنَّاكَ رَوَايَةٌ أُخْرَى أَوْرَدَهَا صَاحِبُ النِّقَاطِ وَهِيَ : أَنَّ نَاشِبَ بْنَ بَشَامَةَ رَأَى رَاكِبًا فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مَوْضِعَ كُنَا ، فَقَالَ لِبْنِي سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ : إِنَّ طَرِيقَ هَذَا عَلَى أَهْلِي ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَتْرَكُونَهُ فَأَحْمِلُهُ حَاجَةً إِلَيْهِمْ ، وَأَوْصِيهِمْ بِحَنْظَلَةَ ؟ فَقَالُوا : لَا ، إِلَّا وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، قَالَ : وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ، فَتَرَكُوهُ وَهُوَ مَعَهُمْ ، فَقَالَ لِلرَّاكِبِ : إِذَا أَتَيْتَ أُمَّ قَدَامَةَ قَتْلُهَا : لِأَنَّهُمْ قَدْ أَسَاءُوا لِي جَلِي الْأَحْمَرِ وَنَهَكْتُمُوهُ رَكُوبًا فَأَعْفُوهُ ، وَعَلَيْكُمْ نَاقِقُ الصَّهْبَاءِ فَاتَّعَمِدُوها ، فَلَمَّا أَبْلَغَهَا مَا قَالَ ، قَالَتْ لِابْنِهَا : إِنَّ الْأَعْوَرَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَرَكِبُوا الدَّهْنَاءَ وَتَمَرُوا الصَّهْبَانَ . . . الخ (٢) مِنْ تَيْمٍ (٣) الْجَمْرَاءُ : لَقَبُ بَنِي هَمْرٍ وَأَصْلُهُ الضَّبْعُ ، يَرِيدُونَ مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ بَنُو الصَّبْرِ . (٤) سَبِيلُهُ .

وأسر طليسة بن زياد المجلي حنظلة بن المأموم^(١) ، وأسر حنظلة بن عمار
جُوَيْرِيَّة بن بدر - من بني عبد الله بن دارم^(٢) - وأسر أيضاً نعيم وعوف ابنا القعقاع
وغيرهما من سادات بني تميم ، ثم هرب عوف عن أخويه فقات ، وهرب مالك بن
قيس^(٣) .

(١) اشتراه الوراق بن الوراق بمائة بعير ، ثم حبسه معه ، فلم يوفه ، فقدم الكوفة ليفاديه ،
وبها على بن أبي طالب ، فأتاه نفر من بني حنظلة الذين كانوا بالكوفة ، فقالوا : أيسار في الإسلام؟
قال : لا ، وبمت فانتزع من الوراق ، ولم يكن الوراق وفي بني عجل فداء حنظلة ، فلما كانت
فتنة ابن الزبير وثب بنو عجل فأخذوا من الوراق مائة بعير ، فقال يزيد بن الجداء المجلي في المأموم :
وهم صبحوا أخرى ضراراً ورهطه وهم تركوا المأموم وهو أميم

(٢) لم يزل في الوثاق حتى رآهم ذات يوم قد قدموا شرباً ، فأنشأ يتنهي رافضاً عقيرته :

وقائلة ما غاله أن يزورنا وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل

وقد أدركتني والمواثيق جمة مخالب قوم لا ضفاف ولا عزل

سراع عن الجلي بطاء عن الحنا رزان لدى الباذين في هيم ما جهل

الباذون : أصحاب البذاءة

للمهم أن يطرؤني بنعمة كما صاب ماء الزن في البلد المحلل

فقد ينش الله التقى بعد عثرة وقد تبنتني الحسنى سراة بني عجل

فلما سمعوا أطلقوه

(٣) وفي ذلك يقول عمار بن عمارة النبسي :

وأفلتنا ابن قعقاع عوف

فإن تك يا عوف نجوت منها

وكم غادرنا منكم من قنيل

كذلك الله يجزي من تميم

ونجى مالكا منا ابن قيس

وصادف عثجل من داك مرأ

وغادرنا حكياً في مجال

حكيم بن جذيمة بن الأصيلع

وبين لصف نوطتها الديار

على الرايات تدرع النبار

مددنا غارة ما بين فلج

فما شمروا بنا حتى رأونا

ولحق^(١) وراز التيمي حُكَيْمًا^(٢) النهشلي وهو يرتجز :

ماوى لن تُراعى رحية ذراعى

بالكر والإيزاع

ويقول :

كل امرئ مُصَيِّحٌ في أهله والموت أدنى من شرك نعلهِ
فشد عليه ورازُ ققتله^(٣) .

ومرت اللهازم يومئذ بعد الوقعة على ثلاثة نفر من بني عدى بن جندب بن العنبر
لم يكونوا برحوا مع قومهم فلحقوا بالدهناء معهم ولم يشهدوا القتال مع بني دارم ،
فكانوا يرعون ، فقاتلوا من دون إبلهم حتى طردوها فأحرزوها ، وجعل ورازُ
يقاتلهم ويرتجز ويقول :

نحن حَمِينًا يوم لا يحصى بَشَرُ يوم الوقيط والنساء بُتَقَرَّ^(٤)
قوسٌ تُنَقَّاهَا من النَّبْعِ وَزَرُ تُرْنٌ إن تُنَازِعَ الكفَّ الوَتَرُ
حَجْرِيَّةٌ^(٥) فيها المنايا تَسْتَمِرُّ تحفِزُها الأوتار والأيدى الشُّعْرُ

(١) في معجم البلدان اسمه إراز ، وهو أحد بني تيم الله بن ثعلبة (٢) في معجم البلدان أيضا
أن اسمه الحكم (٣) رثاه أبو الحارث بن نهيك الأصيلع فقال :

حكيم فدى لك يوم الوقيط ط إذا حضر الموت خالٍ وعم
تمودت خير فعال الرجا ل فك العناة وقتل البهم
وما إن أتى من بى دارم فبك أشمط إلا وجه
وفقاً عيني تبكاهما وأورث في السمع منى صم
فما شاء فليفعل انزينا ت والدهر بعد فتانا حكم

أى حكيم

فتى ما أضلت به أمه من القوم ليلة لا مدعم
يجوب الظلام ويهدى الخيس ويصبح كالصقر فوق العلم

(٤) ناقة بقير : شق بطنها عن ولدها أى شق ، وقد تبقر وابتقر وابتقر (٥) يعنى قوساً
مفسوبة إلى حجر - قصبة الإمامة أو بكسر الحاء نسبة إلى أرض تمود - الحجر .

٢- يَوْمُ ثَيْتَل

خرج قيسُ بنُ عاصمِ المِثْقَرِيُّ بِمِقَاعِيسٍ^(١) وهو رئيسٌ عليها ، ومعه سَلَامَةُ بنُ ظَرِبٍ في الأَجَارِبِ^(٢) ، ففَزَوْا بِكَرِّ بنِ وائِلٍ ؛ فوجدوا اللَّهَازِمَ^(٣) ، وبني ذُهَلِ بنِ ثَمَلَةَ وعِجْلِ بنِ لُجَيْمٍ ، وَعَنْزَةَ^(٤) بنَ أَسَدِ النَّبَاجِ وَثَيْتَلَ^(٥) ، فتنَازَعَ قيسٌ وسَلَامَةُ في الإِغَارَةِ ، ثم اتَّفَقَا على أن يُغِيرَ قيسٌ على أهلِ النَّبَاجِ ، ويُغِيرَ سَلَامَةُ على أهلِ ثَيْتَلَ ؛ فبعث قيسُ سِنَانِ بنَ سَمَى الأَهِمَّ شَيْفَةَ^(٦) له ، فَلَقِيَ رجلاً من بني بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، فتماقدا على ألاَّ يَتَسَكَّتا ؛ فقال الأَهِمُّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أَنَا فُلانُ ابنِ فُلانٍ ، وبحنٍ بجوفِ الماءِ حضورٌ ، فنَ أَنْتَ ؟ قال الأَهِمُّ : أَنَا سِنَانُ بنُ سَمَى ، وهو لا يُعرفُ إلاَّ بالأَهِمِّ ، ففَقَلَ نفسه له ، فرجعَ البَكْرِيُّ فأخبرَ قومه عنه ، ورجعَ الأَهِمُّ فأخبرَ قيساً الخبرَ ، وقال : يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ هل بالوادي طَرَفَاءُ^(٧) ؟ فقال قيسٌ : بل به نَعَم . وعرفَ أَنهم بَكْرٌ ، فكنتمهم أَصْحَابَهُ .

فلما أصبحَ سَقَى خَيْلَهُ ، ثم أطلقَ أَفْوَاهَ الرِّوَايا ، وقال لأَصْحَابِهِ : قَاتِلُوا قَالِوتُ

* لقيم على بكر (من ربيعة) . ثيتل : ماء على عشر مراحل من البصرة ، ويسمى يوم النباج ، وهو موضع قريب من ثيتل

النفائض ١٠٢٣ (طبع أوروبا) ، المقد الفريد ٣٣٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٧ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٤٣ ج ٨

- (١) مقاعس : بطون في تميم تألف من : صريم ورييح وعبيد بنو الحسارث بن عمرو
- (٢) الأجارب : بطون في تميم أيضاً تألف من : جابر وبيعة ومالك والأعرج بنو كعب بن سعد
- (٣) الهازم : لقب تيم الله بن ثملة ، وم بطن في بكر ، وكذلك ذهل بن ثملة وعجل بن لقيم
- (٤) عنزة من ربيعة بن تزار (٥) النباج : موضع على عشر مراحل من البصرة ، وثيتل قريب منه (٦) الشيفة : الطليعة (٧) الطرفاء : شجر وهو أصناف من الأشجار ، وهو يكنى بالنعم عن القوم

من أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دنوا من القوم صُبْحًا سمعوا ساقياً من بكر
يقول لصاحب له : يا قيس ؛ أورد ؛ فتفاءلوا به الظفر ، ثم أغاروا على أهل النَبَّاج من
بكر قُبَيْل الصَّبِيح ، فقاتلهم قتالاً شديداً .

ثم إن بكرًا انهزمت ، وأسر الأهمم حُرَّان بن عبد عمرو ، وأمرَ فدكي بن
أعبد جثامة الدُّهلي ، وأصابوا غنائم كثيرة ، ثم قال قيس لأصحابه : لا تقبل
دون إخواننا بئيتل .

وعاد مُسرِعاً إلى سلامة ، ومن معه ، فأدركهم ولم يُفرِّ بعد سلامة وأصحابه
على من بئيتل ، فأغار قيس عليهم فقاتلهم ، ثم هزمهم ، فأصابوا إبلاً كثيرة ، وجاء
سلامة فقال : أغرُّم على ما كان إلى ! فتلاجوا حتى كاد الأمر يقم ، ثم انفقوا على
أن سلموا السلامة غنائم بئيتل . وفي ذلك يقول ربيعة بن طريف بن تميم حيث
رَني قيساً :

فلا يُبعدنك الله قيس بن عاصم فانت لنا عزٌّ عزيزٌ وممقل
وأنت الذي حرَّبت^(١) بكر بن وائل وقد عضت^(٢) منها النَبَّاج وبئيتل
غداة دعت يا آل شيان إذ رأت كراديس^(٣) يهدين وردَّ محجل
وظلت غفاب الموت تهفو عليهم وشمّت النواصي لُجْمُهُنَّ تُصلِّل
فما منكمُ أفناء بكر بن وائل لغارته إلا رَكوبٌ مُدَلِّل

وقال قرة بن قيس بن عاصم :

أنا الذي شقّ المزاد^(٤) وقد رأى بئيتل أحياء اللهازم حُضراً

(١) حربته : سلب ماله (٢) عضت الأرض بأهلها إذا ضاقت بهم لكثرتهم

(٣) كراديس : جمع كردوس ؛ الحيل العظيمة ، وقبل القطعة من الحيل العظيمة

(٤) جمع مزادة ؛ الراوية .

فصبتهم بالجيش فيسُ بن عاصم فلم يَجِدُوا إِلَّا الْأَشْنَةَ مصدرًا
 سَقَّاهُمْ بِهَا الدِّيْفَانَ^(١) قيسُ بن عاصم وكان إذا ما أوردَ الأمرُ أُصدِرًا
 على الجُرْدِ^(٢) يَمْلُكُن الشَّكِيمَ^(٣) عَوَابِسًا إذا المَاءُ من أعطافهنَّ تَحَدَّرَا
 فلم يَرَهَا الرِّاءُونَ إِلَّا فِجَاءَةً نَثَرْنَ عَجَاجًا بِالسَّنَابِكِ أَكْدَرَا
 ومُحْرَانُ أَدَّتْهُ إِلَيْنَا رِمَاحُنَا فَنَازَعَ غَلًّا فِي ذِرَاعِيهِ أَسْمَرَا
 وَجْثَامَةُ الذَّهْلَى قُدْنَاهُ عَنُوزَةً إِلَى الْحَيِّ مَصْفُودَ الْيَدَيْنِ مَفْكُرَا

(١) الدِّفَانُ ، والدِّيْفَانُ (بفتح الدال وكسرهما) : السم النافع ، وقيل القاتل (٢) فرس
 أجرد قصير الشعر ، وقيل الأجرد : الذي رَقَ شعره وقصر ، وهو مدح (٣) الشكيم في
 اللجام : الحديدة المترضة في فم القرس التي فيها القأس .

٣- يَوْمُ جَدُود

كانت بين الحارث بن شريك وبين بني سليط بن يربوع مُوَادعة ، فهم بالقدَر بهم ، وجمع بني شيان وذَهَلًا ، واللَّهَازِم ، وعليهم مُخْران بن عبد عَمْرُو ، ثم غزا وهو يَرْجُو أن يُصِيب غِرَّةً من بني يربوع ؛ حتى إذا أتى بلادهم نَذَرَ به عُتَيْبَةُ^(١) بن الحارث ابن شهاب ، فنادى في بني جعفر بن ثعلبة ، فحالوا بين الحارث وبين الماء ، والحارثُ في جماعة من أَفْنَاء بَكر بن وائل ، فقال الحارث لعتيبة : إني لا أرى مملك إلا بني جعفر ، وأنا في طوائف من بكر بن وائل ، فلئن ظفرتُ بكم قلَّ عددكم ، وطمع فيكم عدوكم ، ولئن أنتم ظفرتُم بي ما تقتلون إلا أَقاصى عَشِيرَتِي ، والله ما إياكم أردت ، ولا لكم سَمَوْتُ ، وقد عرفتم المَوادعةَ التي بيننا وبين إخوانكم بني سليط ، فهل لكم أن تُسألونا ، وتأخذوا ما معنا من التمر ، وتُخلُّوا سبيلنا ؟ فوالله لا نروِّع يربوعياً أبداً .

فأخذ عتيبة ما معهم من التمر ، وخلَّى سبيلهم ، فسار الحارثُ في بكر بن وائل حتى أغار على بني رُبَيْع بن الحارث بِجَدُود ، فأصاب سبياً ونَعَماً وهم خلوف ، فبعتَ بنو ربيع صَرِيحَهُمْ^(٢) إلى بني كَلَيْب بن يربوع ، وهم يومئذ جيرانهم فلم يجيبوهم ، فقال قيس بن مقلد الكلبي لصريخ بن رُبَيْع :

● لبني منقر (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وجدود اسم موضع في بلاد بني تميم قريب من حَزَن بني يربوع على سمت اليمامة فيه الماء الذي يقال له الكلاب ، قال في اللسان : وكانت فيه وقعة مرتين . وقد يسمى بعضهم يوم الكلاب الأول يوم جدود لذلك .

شرح المفصلات ص ٧٤٠ لابن الأثير ، النقائض ص ١٢٤ ، ٣٣٦ ، العقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٢ ج ١
(١) رئيس بني يربوع إذ ذاك (٢) الصريح : المستفيث .

أَمْنَكُمْ عَلَيْنَا مُنْذِرٌ لِمَدُونَا وداع بنا يوم الهياج مُنْذِرٌ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْرَرْ بِذَاكَ وَلَمْ أُسَأْ أَسْعَدُ بْنُ زَيْدٍ؛ كَيْفَ هَذَا التَّوَدُّدُ

فَأَتَى صَرِيحُ بَنِي رُبَيْعِ بْنِ مِمْقَرٍ بْنِ عُبَيْدٍ ، فَرَكِبُوا فِي الطَّلَبِ ، فَلَحَقُوا بِكَرِ بْنِ وائِلٍ وَهُمْ قَاتِلُونَ ، فَمَا شَرَّ الْحَارِثِ بْنِ شَرِيكَ - وَهُوَ قَاتِلٌ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ - إِلَّا بِالْأَهَمِ^(١) بَنِي سُمَيٍّ بْنِ سَيْنَانَ بْنِ مِمْقَرٍ ، وَهُوَ وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ ، فَوَثَبَ الْحَارِثُ إِلَى فَرَسِهِ فَرَكِبَهُ ، وَقَالَ لِلْأَهَمِ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْأَهَمِ ، وَهَذِهِ مِمْقَرٌ قَدْ أَتَيْتَكَ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : فَأَنَا الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكَ ، وَهَذِهِ بَنُو رُبَيْعٍ قَدْ حَوَيْتُهَا ، فَنَادَى الْأَهَمِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ سَعْدِ^(٢) ، وَنَادَى الْحَارِثُ : يَا آلَ وائِلٍ^(٣) ، وَشَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَلَحِقَ بَنُو مِمْقَرٍ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَنَادَتْ نِسَاءُ بَنِي رُبَيْعٍ : يَا آلَ سَعْدِ ، فَاشْتَدَّ قِتَالُ بَنِي مِمْقَرٍ لَمَّا نَادَى النِّسَاءُ ؛ فَهَزَمَتْ بِكَرُ بْنُ وائِلٍ ، وَخَلَّوْا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ وَالْأَمْوَالِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ وَتَبِعَتَهُمْ مِمْقَرٌ فَمِنْ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ .

وَأَسْرَ الْأَهَمِ مُخْرَانَ بْنَ عَبْدِ عَمْرِو ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

تَمَطَّتْ بِمُخْرَانَ النَّيَّةَ بَعْدَ مَا حَشَاءَ سَيْنَانَ مِنْ شِرَاعَةٍ أَزْرَقُ
دَعَا يَالَ قَيْسٍ وَاعْتَزَّيْتُ لِمِمْقَرٍ وَقَدْ كُنْتُ إِذْ لَاقَيْتُ فِي الْخَيْلِ أَصْدُقَ

وَاتَّبَعَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْحَارِثَ بْنَ شَرِيكَ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُدْعَى الزَّيْبَدُ ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ عَلَى الزُّعْفَرَانِ بْنِ الزُّبَيْدِ فَرَسَ الْخَوْفَزَانِ^(٤) ، فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِمَا الْأَرْضُ لَحَقَهُ قَيْسُ ، وَإِذَا وَقَعَا فِي هَبْوَطٍ وَصَعُودٍ سَبَقَهُ الْخَوْفَزَانُ بِقُوَّةِ فَرَسِهِ وَسُنَّتِهِ ، فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يَفُوتَهُ قَالَ : اسْتَأْسِرْ يَا حَارِثُ خَيْرَ أَسِيرٍ . فَقَالَ الْحَارِثُ : لَا ، بَلْ شَرَّ أَسِيرٍ ، ثُمَّ جَزَرَ فَرَسَهُ ، فَسَبَقَ مُهْرَ

(١) فِي رِوَايَةٍ : هُوَ سَيْنَانُ بْنُ سَمِيٍّ النَّقَرِيُّ (٢) لِإِشَارَةِ إِلَى جَدِّهِمُ الْأَكْبَرِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ

(٣) يُشَبَّهِ إِلَى جَدِّهِمُ الْأَعْلَى وَائِلٍ (٤) الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكَ .

قيس لقوته، وتخوفه قيس أن يفوته الحوفزان، فحفزه بالرمح في استه، وبهذه الحفزة سمي الحوفزان، ونجا .

ورجع بنو منقر بسني بني ربيع وبأسارى بكر بن وائل وأسلاهم .

وقال قيس بن عاصم في ذلك اليوم :

جَزَى اللهُ يَرْبوعاً بِأَسْوَأِ سَمِيهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي الْغَائِبَاتِ أُمُورُهَا
 وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُ أَبَاكُمْ وَسَالَسْتُمُ وَالْخَيْلُ تَدْمَى نَحُورُهَا
 سَتَخِطُمُ سَعْدُ الرِّبَابِ أَنْوَفَكُمْ كَمَا غَاطَ^(١) فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا
 فَأَصْبَحْتُ وَاللهُ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَهْنُوءِ^(٢) جَرِيَاءِ أُبْرِزَ كُورُهَا
 فَأَصْبَحْتُ وَاللهُ يَفْعَلُ ذَاكُمْ كَمَوْدَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا زَفِيرُهَا
 أَفْخَرَا عَلَى الْمَوْتِ إِذَا مَا بَطِنْتُ^(٣) وَلَوْ مَا إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ سَمِيرُهَا
 أَنَانِي وَعَيْدُ الْحَوْفَزَانِ وَدُونَهُ مِنَ الْأَرْضِ صَخَرَاوَاتٍ فَلَجَ وَقُورُهَا
 أَرَمَ بِسَبِيلِ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا إِذَا حَشَدَتْ سَعْدُ وَجَاشَ نَصِيرُهَا^(٤)
 عَصَمْنَا نِيْمًا فِي الْحُرُوبِ فَأَصْبَحْتُ يَلُودُ بَنَّا ذُو وَفْرِهَا^(٥) وَفَقِيرُهَا
 وَأَصْبَحْتُ وَغَلًّا^(٦) فِي تَمِيمٍ وَأَصْبَحْتُ مَعَادِئُهَا تُجَبِّي سِوَاكَ وَخَيْرُهَا^(٧)

وقال سوار بن حيان المنقري :

وَمِنْ حَفَزْنَا الْحَوْفَزَانَ بَطْعَنَةً سَقَتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالًا^(٨)

- (١) غاط : دخل ، والقضيب : الناقة التي لم ترض ، والجريير : الحبل (٢) هنأت البعير : إذا طلبته بالهناء وهو القطران ، والإيل مهنوءة (٣) البطنة : امتلاء البطن من الطعام ، وهي الأشتر من كثرة المال أيضاً ، والقفل كفرح (٤) في رواية : إذا غضبت سعد (٥) الوفر : المال (٦) الوغل : الدعى نسباً ليس منه ، والوغل : النذل الضعيف المقصر في الأشياء (٧) الخير : الشرف والأصل ، ويروى : وأصبحت معادتها (بتشديد الدال) ويقال : عادته اللسعة : إذا أته لصاد (٨) أحر .

وَمُحْرَمَانَ قَسَرًا أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا فَعَالَجُ غُلًّا فِي ذِرَاعِيهِ مُقَفَّلًا^(١)
فَمَا لَكَ مِنْ أَيَّامٍ صَدَقَ تَعْدُّهَا كَيَوْمِ جُؤَانِي وَالنَّبَاجِ وَيَتَنَلَا
قَضَى اللَّهُ أَنَا - يَوْمَ تُقْتَسَمُ الْمَلَا - أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ فَأَعْطَى وَأَجْزَلَا
فَلَسْتُ بِمُسْطَيعِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَجِدْ لِعِزِّ بِنَاءِ اللَّهِ فَوْقَكَ سَنَقَلَا
وقال سلامة بن جندل السعدي :

فسائل بسعدى في خندق وقيس وعندك ثبائها
وإن تسأل الحى من وائل تُنبئك عجل وشبائها
بوادى جدود وقد غودرت بضيق السناك أعطائها
بأزعن كالطود من وائل يؤم الثغور ويمتائها^(٢)
تطاوله الأرض من رزّه^(٣) إذا سار ترجف أركانها^(٤)

وألحَّ قيس على الحوفزان ، وقد حمل الزرقاء^(٥) ، فسأله من هو ، فقال : لَانِكَائِمَ
اليوم ! أنا الحوفزان ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو على ، ومضى .
ورجع الحوفزان إلى أصحابه ، فقال : لقيت رجلاً أزرق كأن لحيته ضريبة^(٦)
صوف ، فقال : أنا أبو على ومضى ، فقالت عجوز من السبي : بأبي أبو على ! ومن لنا
بأبي على ! فقال لها : ومن أبو على ؟ قالت : قيس بن عاصم . فقال لأصحابه :
النجداد ! وأردف الزرقاء خلفه ، وهو على فرسه ، وعقد شعرها إلى صدره ونجا بها .

(١) يروى : مقفلاً (٢) يمتائها من الريشة وهو عين القوم (٣) الرز : هدير الفحل
أو صوت الرعد أو الصوت تسمعه من بعيد (٤) ارجع إلى بقية القصيدة ص ١٤٧ من
النقائض إن أردت (٥) كان قد سبها من بني ربيع بن الحارث (٦) قطعة .

٤- يَوْمَ زُرُودَ

أغار حَزِيمَةُ بن طارق التغلبيّ على بني يَرْبُوع وهم بَزْرُودَ ، فاستاق إبلهم ، فأتى الصَّرِيحُ ^(١) بى يَرْبُوع ، فركبوا فى إثره ، وهزموه ، واستنقذوا ما كان قد أخذ ، وأسرُوا حَزِيمَةَ بن طارق ، واختصم فى أسره اثنان : أنيف بن جبلة الضَّبِّي - وكان قَتِيلًا ^(٢) فى بني يَرْبُوع ، وليس معه من قومه أحد - وأسيد بن حِثَاء السليطي ؛ فاختصمها إلى الحارث ^(٣) بن قراد فحكم : أن جزّ ناصيته لأنيف ، وأن لآسيد عنده مائة من الإبل ، فرضيا بذلك ، وقال أنيف :

أخذتك قسراً يا حَزِيمَ بن طارق ولاقيت منى الموت يومَ زُرود

وعاقته والخيل تدمى نحرها فأنزلته بالقاع غير حميد

وكان للكَلْبَةِ ^(٤) اليربوعى فرس اسمها « عَرَادَة » ؛ فلما جاء النذير كانت فرسه

* ليربوع (من تميم) : على قلب (من ربيعة) ، وزرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة

القد الفريد ص ٣٣٣ ج ٣ ، رغبة الأمل من كتاب الأمل ص ١٧ ج ١ ، خزانة الأدب ص ٣٥٤ ج ١ ، الفضليات ص ٣

(١) الصريح : المستعيت (٢) النقيط : الغريب (٣) من بني رياح بن يربوع (٤) الكلبة اليربوعى : اسمه هيرة بن عبد مناف ، على ما فى المؤلف والمختلف ، فارس شاعر ، ومن شعره يخاطب جاريته كلاًساً :

يا كلاًس وبلك إن غالى خلقى على الساحة صعلوكا وذامال

تخبرى ابن راع حافظ برم عبد الرشاء عليك الدهر ممال

وبين أروع مشمول خلاقه مستغرق المال للذات مكال

فأى ذنبك إن نابك نائبة والقوم ليسوا وإن سواوا بأمال

قد سقيت ملء الحوض ماء^(١) ، فلما أجمها وركب ظلمت فرسه ، فقال يمتدّر :
 فإن تنج منها^(٢) يا حَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ فقد تركت ما خلفَ ظهركَ بَلَقَمًا^(٣)
 ونادى منادى الحى : أن قد أُتِيتُم وقد شربت ماء الزادة أجمًا^(٤)
 رقلت لكأس : أَلجِها فإِنما نَزَلْنَا الكُتَيْبَ من زُرُودَ لَنَفْرَعَا^(٥)
 فأدرك إبقاء العرّاة ظلمها وقد جعلتني من حَزِيمَةٍ إصْبَمًا^(٦)
 أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمرَ لِمَمْصَى إِلَّا مُضِيْعًا
 إذا المرء لم يَفْشَ الكريهة أوشكت حبالُ الهَوَيْنَى بالفتى أن تَقْطَعَا^(٧)

(١) كانت خيل العرب إذا علمت أنه يفار عليها - وكانت عطاشا - فنها من يعرب بعض العرب ولا يروى ، وبعضها لا يعرب البتة ؛ لما قد جربت من الشدة التي تلقى إذا شربت وحورب عليها
 (٢) من فرسه (٣) البلع : الأرض القفر لا نبات بها ، والعرب كثيراً ما تذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يريد فإن نجوت منها فقد خلفت وراءك ما جمعته يدك ؛ وكأن فرسه حينما فاتها نفسه ، لم تفتها غنائمه
 (٤) الزادة : القرية التي زيد فيها جلد بين جلدين ، وضمير شربت للفرس ، وجلة قد شربت حال ؛ كأن الكلجة يتندر من اخلات حزيمة ، محتجا بما أصاب الفرس (٥) كأس : جارية الشاعر ، والكُتَيْب : ما اجتمع من الرمل واحد ودب . ونفزا : نفث ؛ يقول : ما نزلنا هذا الموضع إلا لنفث من استغاث بنا ، وأورد هذا البيت المبرد في الكامل شاهداً على أن الفزع يكون بمعنى الإغاثة (٦) الإبقاء : ما تبقى الفرس من العدو ؛ إذ من عتاق الخيل مالا تسمى ما عندها من العدو ، بل تبقى منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال : فرس مبقية إذا كانت تأتي بجرى عند انقطاع جريها ، والطلع : العرج ؛ يقول شربت الماء قطعها عن إبقائها ففاته حزيمة وما بينهما إلا مقدار إصبع (٧) الفشيان : الإتيان ، والكريهة : الحرب ، وأوشكت : دنت ، والهوينى : الرفق والراحة .

٥- يَوْمَ ذِي طُلُوح

تَرْوِجَ عَمِيرَةَ بْنِ طَارِقِ الْيَرْبُوعِيِّ مَرْيَةَ بِنْتَ جَابِرٍ ، وَأَقَامَ مَعَهَا فِي قَوْمِهَا مِنْ بَنِي عَجَلٍ^(١) بْنِ لُجَيْمٍ ، وَكَانَ مَتَزَوِّجًا قَبْلَهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ تُدْعَى بِنْتُ النَّطْفِ تَرَكَهَا فِي قَوْمِهَا . وَكَانَ لِمَرْيَةَ أَخٌ اسْمُهُ أَبِجْرُ بْنُ جَابِرٍ فَأَتَاهَا يَوْمًا يَزُورُهَا ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمِيرَةَ كَلَامٌ قَالَ بَعْدَهُ لِعَمِيرَةَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَغْزَوْ قَوْمَكَ وَأَتَيْكَ بَابِنَةَ النَّطْفِ ! فَقَالَ لَهَا عَمِيرَةُ : مَا أَرَاكَ تَبْقَى عَلَيَّ حَتَّى تَسْلُبَنِي أَهْلِي !

وَنَدِمَ أَبِجْرُ عَلَى مَا قَالَ ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ لَأَغْزَوْ قَوْمَكَ ، وَلَكِنِّي مُتَيَّاسِرٌ^(٢) فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ تَيْمٍ ، فَقَالَ لَهَا عَمِيرَةُ : قَدْ عَلِمْتُ مَا كُنْتَ لَتَفْعَلُ .

وَلَكِنْ لَمْ تَمْضِ مَدَّةٌ حَتَّى خَرَجَ أَبِجْرُ بْنُ جَابِرٍ فَيَمُنُ تَيْمَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ^(٣) وَالْحَارِثِ ابْنِ شَرِيكِ فِي بَنِي شَيْبَانَ وَمَعَهُمُ عَمِيرَةُ بْنُ طَارِقٍ ، وَوَكَّلَ أَبِجْرُ بِعَمِيرَةَ أَخَاهُ حُرْقُصَةَ ابْنَ جَابِرٍ . فَقَالَ لِحُرْقُصَةَ : هَلْ تَأْذِنُ لِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى أَهْلِي فَأَحْتَمِلَهُمْ ؟ فَقَالَ حُرْقُصَةُ : مَا أَبَالِي أَنْ تَفْعَلَ ، فَكَّرَ عَمِيرَةَ عَلَى نَاقَتِهِ وَمَضَى . وَافْتَقَدَ النَّاسُ عَمِيرَةَ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، وَعَلِمَ أَبِجْرُ بِمَا وَقَعَ ، فَأَتَى أُخْتَهُ مَرْيَةَ فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : لَأَقَانَا ضُجًى فَوَافَقْنَا ، ثُمَّ مَضَى إِلَى دَارِنَا فَلَمْ نَرَهُ بَعْدَ .

وَاسْتَحْيَا حُرْقُصَةُ أَنْ يَذْكَرَ أَمْرَهُ لِأَحَدٍ حَتَّى جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَتَحَدَّثَ بِهِ الرِّجَالُ

* لَبَنِي يَرْبُوعٍ (مِنْ تَيْمٍ) عَلَى بَكْرٍ (مِنْ رَيْمَةٍ) ، وَذُو طُلُوحٍ : مَوْضِعٌ فِي حَزْنِ بَنِي يَرْبُوعٍ بَيْنَ السَّكُوفَةِ وَفَيْدٍ ، وَهُوَ يَوْمُ الصَّدِّ ، وَيَوْمُ أَوْدٍ - وَادٍ .

الْعَدَدُ الْقَرِيدُ ص ٤٣٣ ج ٣ ، النَّقَائِصُ ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٨٩ ج ١

(١) عَجَلُ بْنُ لُجَيْمٍ : حَيٌّ مِنْ بَكْرٍ (٢) التَّيَّاسِرُ : الْأَخْذُ فِي جِهَةِ الْيَسَارِ ، وَيَرْبُوعُ قَوْمُ عَمِيرَةَ : حَيٌّ فِي تَيْمٍ (٣) اللَّهَازِمُ : قَيْسُ وَتَيْمُ اللَّاتِ ابْنَا ثَعْلَبَةَ ، وَهَنْزَةُ بْنُ أَسَدٍ ، وَعَجَلُ بْنُ لُجَيْمٍ .

من قَبِلَ النَّسَاءَ ، وأقبلوا إلى حُرْقُصَةَ فقالوا : ويلك ! ما صنع الرجل ؟ فقال :
ما أظنه إلا ذهب ، فقالوا : إن تكن في شك فإننا مستيقنون .
وسار عميرة يومه وليلته والند حتى إذا لقي الصحراء وغربت الشمس قيّد ناقته
وعَصَبَ يديها ، ثم نام حتى إذا علاه الليلُ قام فلم ير الناقة .

قال عميرة : فسمعتُ يميناً وشمالاً فإذا أنا بسوادٍ من الليل عظيم فحسبته الجيشُ ،
فبتُّ أُرصدُه أخافُ أن يأخذوني ، حتى أضاء الصبح ، فإذا خمسون ومائة نعامه ، وإذا
ناقتي تَحْطِرُ قَاعَةَ قَرْيَةٍ مَنى ، فأنا غَضَبَانِ على نفسي . فأجَدَدْتُ السيرَ يومى ذاك
حتى أُرِدَّ سَفَارٌ^(١) ، فأجد منازل القوم في نِسْمَةٍ^(٢) ، فسقيتُ راحلتي ، وطِعمتُ
من تَمَرٍ كان مَعى وشربت ، ثم ركبْتُ مُسْنَى الثائمة ، فأصبحتُ فإذا أنا بناس
يَمْلُقُونَ^(٣) السِّدْرَ ، فتحرَّفتُ عنهم مخافة أن يأخذوني ، فناداني بعضهم : إنا نحن
صُدَّارٌ^(٤) البيت فلا تخَفْ ، فنفذتُ حتى أَصْبَحَ طَاحٌ^(٥) ، وبها جماعة بنى يربوع ،
فقلت : قد غزا كم الجيشُ من بكر بن وائل برئيسين وكُرَاعٍ وَعَدَدٍ^(٦) .

فبعث بنو رِيَّاح بن يربوع فارسين طليعة ، وبعث بنو ثعلبة^(٧) فارسين رَبيَّةً^(٨)
في وَجْهِ آخر ، ومكث بنو يربوع يوقدون نارهم على صَمَدٍ^(٩) طَلَحَ ، فكانوا كذلك
ثلاثاً ؛ ثم إن فارسى بنى ثعلبة جاء ، فقالا : لم نُحْسِسْ شيئاً . قال عميرة :
ما تمنيتُ الموتَ قط إلا يومئذ ، حين جاء الفارسان لم يحسا شيئاً ، مخافة أن يكونوا
أرادوا غيرهم ؛ فيكون ما حدثتهم باطلا ، وليلة ذهبت ناقتي ، مخافة أن أؤخذ فيقال :
نام فأخذ .

(١) سفار : ماء لبنى تميم (٢) موضع (٣) يرعونه (٤) أراد أنهم كانوا حجاجاً
(٥) موضع (٦) الكراع : السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (٧) بنو ثعلبة :
بطن في يربوع (٨) الربيعة والطليعة : المياف (٩) الصمد : الموضع الغليظ الصلب .

فلما تَمَّالِ النهارُ من اليوم الثالث طلع فارسا بنى رياح ، فقالا : تركنا القومَ حين نزلوا القَيْسُومِيَّةَ .

قال : فتلَبَّينا ^(١) ، ثم ركبنا ، ثم أخذنا طريقاً مُخْتَلِفاً حتى وردنا اليَنْسُوعَ ^(٢) حين غابت الشمس ، فوجدنا القومَ حين استَقَوْا وَنَثَرُوا التَّمْرَ وَتَخَفَّفُوا لِلْفَارَةِ ، ثم أخذوا في السير ، فاتَّبَعْنَاهُمْ حَتَّى وَارَى أَثَرَهُمْ عِنَّا اللَّيْلُ ، واستقبلوا أسفل ذِي طُلُوحٍ ^(٣) .

قال عميرة : وكانت تحتي فرس ذَرِيعة المَنْقِ ^(٤) ، فضت بي ، ففقدني عَتْوَةُ بن أَرَقَم ، فقال : يا بني يربوع ! إن عميرة قد مضى لِيُنْذِرَ أَخْوَالهَ ، فقال عَتِيبَةُ ^(٥) بن الحارث : كَذَبْتَ ، مَا يَنْفَسُ عَمِيرَةُ عَلَيْنَا النُّعْمَ وَالظَّفَرَ .

قال : فسَمِعْتُ مَا قَالَ الرِّجْلَانِ ، فوَقَفْتُ حَتَّى أَدْرِكُونِي ، وَقَدْ خَشِيتُ لَقَطَ الْقَوْمِ ، خَافَةً أَنْ يُنْفِرُوا بِأَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا حَيْثُ اطَّلَعَ الطَّرِيقُ مِنْ ذِي طُلُوحٍ وَقَفْنَا وَأَمْسَكْنَا بِحِكَمَاتٍ ^(٦) الْخَلِيلِ ؛ ثُمَّ بَعَثْنَا طَلِيعَةً أُخْرَى ، فَأَتَانَا فَأَخْبَرْنَا أَنَّهُمْ نَزَلُوا بِأَسْفَلِ ذِي طُلُوحٍ ، فَكُنَّا حَتَّى إِذَا بَرَقَ الصُّبْحُ رَكَبْنَا ، وَرَكِبَ الْقَوْمُ وَاسْتَعَدُّوا لِلْفَارَةِ .

وقد كان أبحر حين مرّوا بِسَفَارٍ ، قال للحوفزان : تعلمُ أُنَى لِأَظُنُّ عَمِيرَةَ قَدْ دَهَانَا ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُ هَذَا الذَّوِي ، قال الحوفزان : مَا كَانَ لِیَفْعَلَ .

قال عميرة : فدفعنا الخيلَ عليهم ، وهم يريدون أن يُغَيِّرُوا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ طَلَعَ ، فَنَادَيْتُ : يَا أَبِجْرُ ؛ هَلُمَّ إِلَيَّ ! قال : مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : عميرة . قال : كَذَبْتَ !

(١) يقال للذي لبس السلاح وتشمّر للقتال متلب (٢) اليَنْسُوعَةُ : موضع في طريق البصرة
(٣) ذُو طُلُوحٍ : موضع في حزن بن يربوع (٤) العنق : ضرب من سير الدابة والإبل ،
وفرس ذريع : سريع ببسب الخطأ (٥) كان عَتِيبَةُ رَأْسَ بَنِي يَرْبُوعٍ حِينَئِذٍ
(٦) الحِكَمَاتُ : جمع حِكْمَةٍ ، وَهِيَ مَا أَحَاطَ بِحِكْمَتِ الْفَرَسِ مِنْ لُجَامِهِ .

فصَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ فَرَفَنِي ، فنزل عن فرسٍ كان مركَّباً عليها^(١) ، وعلى مُلَاءَةٍ لى
مِمْرَاءٍ فطرحْتُها ، ثمَّ جَلَسَ عَلَيْهَا ، وقد قال لى قَبْلَ أَنْ يَجِيَّ : إني مركَّبٌ . قلت :
فصَمَالٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَحْتَى فَرَسِي لِأَبِي مُلَيْلٍ . قال : فَأَقْبَلَ وَمَا نَظَرَ إِلَى ذَاكَ .

قال : وَأَخِذَ الْجَيْشَ كُلَّهُمْ فَلَمْ يُفَلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرَ شَيْخٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، ثُمَّ
أَحَدَ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَمَامٍ ؛ نَجَا عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، وَقَدْ كَانَ أَخُوهُ مَعَهُ فَأَخِذَ ، فَلَمَّا أَتَى الْحَيَّ
سَأَلَتْهُ بَنَتُ أَخِيهِ عَنْ أَبِيهَا ، فَقَالَ الشَّيْخُ :

تَسْأَلُنِي هُنَيْدَةً عَنْ أَبِيهَا وَمَا أُدْرِي ، وَمَا عُدْتُ نَحِيمَ
غَدَاةٍ عَهْدُهُنَّ مُفْلَصَمَاتٍ^(٢) لَهْنٌ بِكُلِّ مَحْنِيَةٍ نَحِيمٍ^(٣)
فَمَا أُدْرِي أَجُبُّنَا كَانَ طِبِّي أُمُّ الْكُوسَى^(٤) إِذَا عُدَّ الْحَزِيمَ^(٥)

وَأَخَذَ الْحَارِثُ بْنُ شَرِيكَ يَوْمَئِذٍ ؛ أَخَذَهُ حَنْظَلَةُ بْنُ بَشْرٍ ، وَكَانَ ثَقِيلًا^(٦) فِي
بَنِي بَشْرٍ ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُهُ ؛ فَاخْتَصَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ عَمْرٍو
ابْنُ سَنَانٍ فِي الْحَارِثِ ، فَقَالَ : حَكَمُونِي فِي نَفْسِي ، وَاللَّهِ لَا أَخَيِّبُ ذَا حَقٍّ . فَحَكَمُوهُ ،
فَأَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عَبْدُ عَمْرٍو مِائَةَ ، وَجَمِلَ نَاصِيَتَهُ
لِحَنْظَلَةَ بْنِ بَشْرٍ . فَقَالَ عَبْدُ عَمْرٍو لِلْحَارِثِ : إِنْ يَنْ بَنِي جَارِيَةٍ مِنْ سَلِيْطٍ وَبَيْنَ بَنِي
مُرَّةٍ^(٧) مُوَادَعَةٍ ، وَإِنِّه لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَرْزَأُكَ شَيْئًا ؛ وَرَدَّهَا ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ
فَكَانَ يُسَمَّى الْمَائِةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُ الْحَبَّاسَةُ^(٨) ، وَأَخَذَ سَوَادَةَ بْنَ يَزِيدٍ ، أَخَذَهُ عَتَوَةَ
ابْنُ أَرْقَمٍ ، فَانْتَزَعَهُ حَمِيرَةَ بْنَ طَارِقٍ ، وَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ ، وَكَانَ فِي
بَنِي شَيْبَانَ . فَافْتَكَّهُ مَتَمُّ بْنُ نُوَيْرَةَ :

(١) الْمَرْكَبُ : الَّذِي يَرْكَبُ فَرَسٌ غَيْرُهُ وَيَفْزُو عَلَيْهِ ، فَمَا أَصَابَ عَلَى ظَهْرِهِ فَلَهُ نِصْفُ الْغَنِيمَةِ
(٢) مُفْلَصَمَاتٌ : مُعَدَّةُ الْأَعْنَاقِ (٣) نَحِيمٌ : شَبَّهَ الزَّيْفَ (٤) الْكُوسَى : مَنْ
الْكَيْسِ (٥) الْحَزِيمُ : مِنَ الْحَزْمِ (٦) الثَّقِيلُ : الْغَرِيبُ (٧) بَنُو جَارِيَةٍ مِنْ
سَلِيْطٍ : بَطْنٌ فِي يَرْبُوعٍ ، وَلِلْهَمِ قَوْمُ عَبْدِ عَمْرٍو ، وَصَرَّةٌ : بَطْنٌ فِي شَيْبَانَ قَوْمُ الْحَارِثِ
(٨) الْحَبَّاسَةُ : الْغَنِيمَةُ .

فقال ابن عَمَّةَ يمدح متمماً ، ويتأفف على عميرة بن طارق بإنذاره قومه على أخواله

بني عجل :

عميرة فاق السهم بيني وبينه فلا يطعمن الخمر إن هو أضعداً^(١)
 فلم أرَ جاراً وابنَ أختٍ وصاحباً تكيد منا قبله ما تكيداً
 رأيت رجالاً لم نكن لنبيهمهم يباعون بالبقران مثنى وموحداً
 طعامهم اللحم حرامٌ عليهم ويسقون بعد الرّي شرباً مضرّاً^(٢)
 فإن ليروع على الجيش منةً مجالةً نالت سويداً وأسعداً
 جزى الله ربُّ الناس عنى متمماً بخير الجزاء ؛ ما أعف وأمجداً
 كاني غداة الصمد حين دعوته تفرغت حصناً لا يرأى ممرّداً
 أجيّرت به أبنائونا ودماؤنا وشارك في إطلاقتنا وتفرّداً
 أبانهشل إني لكم غيرُ كافر ولا جاعل من دونك المال مؤصداً^(٣)

وأسر سويد بن الحوفزان ، وسعد بن فلحس الشيباني ، فقال عميرة بن طارق :

أقلّي على اللوم يأم خيراً ما يكن ذاك أدنى للصواب وأكرماً
 ولا تعذّليني إن رأيت معاشراً لهم نعمٌ دثرت وإن كنت مُضراً^(٤)
 متى ما نكن في الناس نحن وهم معاً نكن منهم أكمى جنوباً وأطعماً
 منك الإله إن كرهت جماعتنا^(٥) بمثل أبي قرط إذا الليل أظلاماً

(١) يريد أنه أفسد ما بينه وبينه ، وهذا مثل ضربه لأن السهم لا يصلح إلا بفوقه ، وفاق السهم إذا انكسر فوقه يقول : لا يطعمن الخمر إن هو أفلت وليكن على حذر (٢) الشراب : النصيب ، يقول إذا رووا سقوا أسرام شرباً قليلاً (٣) في رواية : سرمد (٤) الدثر : الكثير . والمصرم : صاحب الصرمة ، وهي القطعة من الإبل (٥) منك الإله : مثل بلاك الله به ، وأبو قرط هنا رجل بخيل كثير المال .

إِذَا مَا رَأَى ذَوْدَا ضَيْنٍ^(١) لَمَاجِزِهِ
 يَسُوقُ الْفِرَاءَ^(٢) لَا يُحْسِنُ غَيْرُهُ
 فَدَعَا ذَا وَلَكِنْ غَيْرُهُ قَدْ أَهْمَنِي
 فَلَا تَأْمُرْنِي يَا بَنَ أَسْمَاءَ بِأَلِي
 بَأَنْ تَمْتَرُوا قَوْمِي وَأَجْلِسَ فَيْكُمْ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ جَدَّ نَفِيرُهُمْ
 وَأَعْرَضَ عَنِّي قَعْنَبُ وَكَأَنَّمَا
 فَكَأَفْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الْهَمِّ نَاقِي
 فَرَمْتُ بِجَنْبِ الزُّورِ ثُمَّتَ أَصْبَحْتُ
 كَأَنْ يَدَيْهَا إِنْ أَجَدَتْ نَجَاؤَهَا
 تَرَانِي الَّذِينَ^(٣) حَوْلَهَا وَهِيَ لُبَّهَا^(٤)
 وَمَرَّتْ عَلَيَّ وَخَشِيهَا وَتَذَكَّرْتُ
 فَقَامَتْ عَلَيْهِ وَاسْتَقَرَّ قُرُورُهَا
 لَتَيْمٍ تَصَدَّى وَجْهَهُ حَيْثُ يَمَّمَا
 كَفِيحًا وَلَا جَارًا كَرِيمًا وَلَا أَبْنَمَا
 أَمِيرُهُ أَرَادَ أَنْ أَلَامَ وَأُشْنَمَا
 نُجَيْرُ^(٥) الْفَتَى ذَا الطَّعْمِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
 وَأَجْمَلَ عَلَيَّ ظَنًّا غَيْبٍ مُرَجَّمَا
 دَعَوْتُ نَجِيَّتِي مُخْرِزًا وَالْمُثَلَّمَا^(٦)
 يَرَى أَهْلَ أَوْدٍ مِنْ صُدَاءٍ وَسَلَمَمَا^(٧)
 مَخَافَةَ يَوْمِ أَنْ أَلَامَ وَأَنْدَمَا
 وَقَدْ جَاوَزَتْ بِالْأَقْجُونَانِ مَخْرِمَا
 يَدَا مُؤُولٍ خَرَقَاءَ تُسَمِّدُ مَا تَمَمَا
 رَخِيَّ، وَلَا تَبْكِي لِشَجْوِ فَتَيْلَمَا^(٨)
 نَصِيًّا وَمَاءٍ مِنْ عَيْبَةٍ أَسَحَمَا^(٩)
 مِنَ الْإَيْنِ وَالنَّكَرَاءِ فِي آلِ أَرْنَمَا^(١٠)

(١) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر ، وضئ : أنسلن ، والضنء : النسل (٢) الفراء :
 لبل كانت له تدعى بهذا الاسم ، أي لا يحسن ضيفاً من ألبانها أي لا يشرب منها غيره .
 والكفيع : الذي يأتيك فجأة (٣) الإجراء : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا نظامه
 لثلا يرضع . وذو الطعم : ذو الحزم والعقل (٤) هذان رجلان من البراجم ، وكانا في بني
 عجل ، فلما أراد أبحر الفوز شاورهما يستعين برأيهما (٥) قعناب : رجل من البراجم ،
 وكان من شاوره فلم يشر عليه بخير ، وأهل أود : بنو يربوع ، وصداء في بلعارت بن كعب ،
 وم إخوتهم وعدادهم فيهم ، وسلمهم من خشم ، وسلمهم في مذحج أيضاً (٦) في رواية :
 تراني اللواتي (٧) يروي : بالها (٨) أراد تألم من الألم ، وهي لفته (٩) عيبة :
 ماء لبني قيس يطن فلج ، والنصي : نبت (١٠) قروورها وقراها واحد ، وأزئم : ابن
 حبيد بن ثعلبة بن يربوع .

سَاجِسُهَا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَمَزَّهُمْ عَدُو مِنْ الْوَمَاءِ وَالْأَمْرِ مُنْظِمًا
 حَلَفْتُ فَلَمْ تَأْتُمْ يَمِينِي لِأَتَأَرَّنُ عَدِيًّا وَنُعْمَانُ بْنُ قَيْلٍ وَأَيْهَمَا^(١)
 وَبَرَّتْ يَمِينِي إِنْ رَأَيْتَ ابْنَ فَلَحَسَ يُجَرُّ كَا جَرًُّا هَدِي^(٢) ابْنُ أُصْرَمَا
 فَأَفَلْتُ بِسَطَامٍ جَرِيضًا بِنَفْسِهِ وَغَادِرُنْ فِي كَرَشَاءَ لَدُنَّا مُقَوَّمَا^(٣)
 أُمِّ أَخَذَتْ بِمَدِّ ذَاكَ تَلُومُنِي مَسَائِلُ ذَوِي الْأَحْلَامِ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا^(٤)

(١) هؤلاء قوم من بني يربوع قتلهم بنو شيبان يوم مليحة (٢) الهدى : الجار هونا ،
 والهدى : العروس ، والهدى : القى يهدى (٣) جرض بريقه : غص به وذلك إذا كان بآخر
 رمق . كرشاء : رجل (٤) ارجع إلى النقائض ، فلعبرة فيها قصيدة أخرى .

٦- يَوْمُ الْإِسَادِ

كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس ، فكانوا يُجبرونهم ويُجهزونهم ، فأقبلوا من عند عامل عَيْن^(١) التمر في ثلاثمائة فارس متساندين ، يتوقعون انحدار بني يربوع^(٢) في الحزن^(٣) ، وكان يَتَشَتَّون خُفَافاً^(٤) ، فإذا كان انقطاع الشتاء انحدروا إلى الحزن ، فاحتَمَل بنو عتيبة وبنو عبَّيد وبنو زبيد من بني سَلِيط أول الحى حتى أسهلوا بيطن مَلِيحة^(٥) ، فطالمت بنو زبيد في الحزن حتى حلوا الحديقة^(٦) بالأفاقة ، وحلَّت بنو عتيبة وبنو عبَّيد روضة التمد^(٧) ، ويقبل جيش بكر حتى ينزلوا الهضبة هَضْبَةَ الْخَصِي^(٨) .

ثم بحثوا ربيبتهم فأشرف الخصى وهو في قُلَّة الحزن ، فرأى السواد في الحديقة ، وعمر^(٩) إبل فيها غلام شاب من بني عُبَيْد بالجيش ، فعرفه بِسْطام بن قيس^(٩) - وكان

• لبني يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وإياد موضع بالحزن لبني يربوع ، بين الكوفة وفيد . ويسى أيضاً يوم المطالي ويوم الإفافة ويوم مليحة ويوم أعشاش ، وإنما سمى يوم المطالي لأنه تماثل على الرئاسة بسطام وهاني بن قيسة ومفروق بن عمرو في هذا اليوم (انظر التلخيص آخر اليوم)

شراء النصرانية من ٢٥٩ ، النقائض من ٥٨٠ (طبع أوربا) ، المقد القريد من ٣٣٧ ج ٣ ابن الأثير من ٣٧٣ ج ١

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار هرب الكوفة (٢) بنو يربوع : بطن من تميم ومن قبائلهم ثعلبة وعمر والحارث وجبير ، ويلقبون الأحمال ، وأمههم السفهاء بنت ضم (٣) الحزن : موضع لبني يربوع كانت تتربع فيه ، وهو من أجل مراعى العرب (٤) في النقائض جفافاً وعبارة معجم ما استمعج : يتشتون خفافاً فإذا انقطع الشتاء أسهلوا بنجفة مليحة ، وبالحديقة من الأفافة وبروضة التمد

(٥) مليحة : موضع في بلاد بني تميم (٦) الحديقة : موضع في قلة الحزن ، والإفافة ماء لبني يربوع (٧) روضة التمد : في بطن مليحة (٨) الخصى : موضع لبني يربوع (٩) بسطام بن قيس : فارس بكر ، وأحد من أوفده الله أن على كسرى .

قد عرف عامة غلمان بني ثعلبة حين أسره عتية بن الحارث بن شهاب^(١)، فقال له
بسطام : إيه، أخبرني خبر حيك ؟ أين هم من السواد الذي بالحديقة ؟ قال : هم
بنو زيد . قال : أفهم أسيد بن حنأة قال : نعم . قال : كم هم من بيت ؟ قال :
خمسون بيتا . قال : فأين بنو عتية ؟ قال : نزلوا روضة التمد . قال : فأين سائر الناس
قال : مُحْتَجِزُونَ بِجُفَافٍ^(٢) .

فقال بسطام لقومه : أطيعوني ؟ أرى لكم أن تملوا على هذا الحى الحر يد^(٣)
من بني زبيد ؟ فتصبحوا غداً غانمين سالمين . فقالوا : وما يعني بنو زبيد عنا ؟
لا يردون رحلتنا ! قال : إن السلامة إحدى النميمتين . قالوا : إن عتية بن الحارث بن
شهاب^(٤) قد مات . وقال مفروق بن عمرو : قد انتفع سحر^(٥) يا أبا الصباء !
وقال هاني بن قبيصة : أجبتنا !

فقال لهم : إن أسيد بن حنأة لم يكن يُظله بيت شاتياً ولا قاتطاً ، بيت القفر
لا يفارق فرسه الشقراء^(٦) ، فإذا أحسّ بكم علاها فركض ، حتى يشرف مليحة ،
فينادي يال يربوع ! فيركب فيتلقأكم طعن يُنسيكم الغنمة ، ولم يُبصر أحد
مصرع صاحبه ، وقد جبنتموني ، فأنا تابكم ، ثم قال لهم : وستملون ما أنتم
ملاقون غداً . قالوا نُقِيلُ فَنَتَلَقَّ بنو زيد ، ثم بنو عبيد وبني عتية كما تُتَلَقَّ
الكمأة ، ونبت فارسين ، فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يربوع .

فبعثوا فارسين ، فوقفا في ليلة أضحيان^(٧) ، حيث أمرا ، فلما أحست الشقراء
بوئيد الخليل^(٨) ، وقد أغاروا ثم أقبلوا ، بحثت بيدها ، فخال^(٩) أسيد في منبها ،

(١) كان عتية قد أسر بسطاماً يوم النبط ، ثم فدى نفسه منه (٢) جفاف ، وتسمى جفاف
الطير : أرض لأسد وحنظلة واسعة فيها أما كن يكون فيها الطير (٣) التنحي
(٤) هو الذي كان أسر بسطاماً ، وقال هذا سخرية بسطام (٥) انتفع سحر : أى
رثك ، يقال ذلك للبيان (٦) اسم فرسه (٧) بكسر الهمزة وضمة : مقبرة (٨) بوقع حوافرها
(٩) حال في ظهر دابته حولا وأحال : وثب واستوى على ظهره ، قال في اللسان : وكلام الرب
حال على ظهره ، وأحال في ظهره .

فابتدّره الفارسان ، فطمنه أحدهما ، فألقى نفسه في شِقْرٍ فأخطاه ، ثم كرّ راجعا ،
حتى أشرف على مُليحة ، فنادى : ياسوء صَبَاحًا ، يا آل يربوع !
قال وديمة بن أوس : فكأنني أنظر إلى ضوء الفجر بين مَنَسَجٍ^(١) الشقراء
واسيته ، فلم يتودّع^(٢) من أهل مُليحة أحد .

فلم يرتفع الضحى حتى تلاحقوا بقبيط الفردوس ، فقال أسيد : « لَبْتُ قليلا
تلحق الحلابُ » فقال : بسطام : « صباحُ سوءٍ لكم النواصبُ » .

وبعدت على ممدان وأخيه قنّب ابني عصمة ، والأحيمر ، ونهيك ، وعفان ،
ووديمة ، ودراج ، وعُمارة ، والحليس ، خيولهم ، فركبوا آخر الناس ، فلم يأخذوا
مأخذ مالك بن نُورية ، وصرد بن ججرة ، وقنّب بن سمير ، وجزء بن سعد ، على
الأفاقة ؛ فلما طلّموا على الثنية رأوا أم درداء السليطية عُريانة تَمْدُو ، فألقى قنّب بن
عصمة عصاة كانت فوق بيضته^(٣) عليها ، وهو على فرسه البيضاء^(٤) وقال :
ارفعوا خيولكم ؛ فألقى الدين أخذوا بطن الأفاقة والحديقة ، والذين جاءوا من
الثنية ، فعرف بسطام الأحيمر ؛ فقال لأحيمر : أنت هو ؟ قال : نعم . قال : لقد عهدتُك
بطلاً محدّوداً^(٥) ، وإنّي لأَنْفُسُك^(٦) على الموت ؛ فأعطى بيدك لا تُقتل . فقال :
أبعدُ يُجَيّر ومالك بن حِطّان تُؤبّسى^(٧) على الحياة ، وكان الأحيمر لم يطمئن برمح
قطّ إلا اسكسر ؛ فلما أهوى ليطمّنه ولّى بسطام فانهزم ، وقتلت تميم جماعة من
فرسان بكر ، وأمر جماعة^(٨) ، منهم هاني بن قبيصة ففدّى نفسه ونجا .

(١) منسج العابة : ما بين العرف وموضع البد (٢) تودع القوم : ودع بعضهم بعضاً
(٣) اليضة : الحديد (٤) في القاموس : فرس قنّب بن عتاب (٥) رجل محدود
عن الخير : مصروف ، قال الأزهري : المحدود : المحروم (٦) همت عليه الهوى أهله
نفاة : إذا ضنت به ولم تحب أن يصل إليه (٧) تحرضني (٨) راجع أسماء بعض
القتلى والأسرى نقائش ص ٨٣

وَأَلَحَّ عَلَى بَسْطَامَ فَرَسَانٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ ، وَكَانَ دَارِعًا^(١) ، وَهُوَ عَلَى ذَاتِ
النُّسُوعِ^(٢) ، فَكَانَتْ إِذَا أُجِدَّتْ^(٣) لَمْ يَتَمَلَّقْ بِهَا شَيْءٌ مِنْ خِيْلِهِمْ ، فَإِذَا أَوْعَتْ^(٤)
كَادُوا يُلْحَقُونَهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَسْطَامُ نَثَلَ دِرْعَهُ^(٥) ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَرَبُوسٍ^(٦)
السَّرِجِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَرَى بِهَا ، وَخَافَ أَنْ يُلْحَقَ فِي الْوَعْتِ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وَدَيْدَنَ
الْقَوْمِ حَتَّى حَمَيْتَ الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ وَخَافَ اللَّحَاقَ ، فَرَبَّوْا جَارَ^(٧) ضَبْعٍ فَرَمَى بِالْدَّرْعِ فِيهِ ،
فَدَنَ بَعْضُهَا بَعْضًا ، حَتَّى غَابَتْ فِي الْوَجَارِ ، فَلَمَّا خَفَّ عَنِ الْفَرَسِ امْتَنَطَتْ^(٨) فَكَانَتْ
الطَّلَبُ ، فَكَانَ آخِرَ مَنْ أَتَى قَوْمَهُ بَعْدَ مَا ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ .

فَقَالَ مَتَمُّ بْنُ نُؤَيْرَةَ فِي أَسِيدِ بْنِ حِنَاءَةَ :

لِمَعْرَى لِنِعْمَ الْحَى أَسْمَعَ غُدُوَّةَ أَسِيدٍ وَقَدْ جَدَّ الصَّرَاحُ الْمُسَدَّقُ
فَأَسْمَعَ فِتْيَانًا كَجِنَّةٍ عَبَقِرٍ^(٩) لَهْمَ رَبِيقٍ عِنْدَ الطَّمَانِ وَمَسَدَقٍ
أَخَذَنَ بِهِ جَنْبِي أَفَاقَ وَبَطْنَهَا فَارْجَمُوا حَتَّى أَرْقُوا^(١٠) وَأَعْتَقُوا

وَقَالَ الْعَوَّامُ الشَّيْبَانِيُّ فِي بَسْطَامَ وَأَصْحَابِهِ :

إِنْ يَكُ فِي يَوْمِ النَّبِيطِ مَلَامَةً^(١١) فَيَوْمَ الْمُطَالَى كَانَ أَخْزَى وَالْوَمَا^(١٢)
أَنَاخُوا يَرِيدُونَ الصَّبَاحَ فَصَبَّحُوا وَكَانُوا عَلَى الْفَازِزِينَ دَعْوَةَ أَشْأَمًا

-
- (١) يُقَالُ : رَجُلٌ دَارِعٌ ، إِذَا كَانَ عَلَيْهِ دَرْعٌ (٢) ذَاتُ النَّسُوعِ : فَرَسُ بَسْطَامَ
(٣) أُجِدَّتْ : سَلَكَتِ الطَّرِيقَ الْوَعْرَ (٤) أَوْعَتْ : صَارَتْ فِي الطَّرِيقِ السَّهْلَ
(٥) نَثَلَ دِرْعَهُ : أَلْقَاهَا عَنْهُ (٦) قَرَبُوسُ السَّرِجِ : حَنْوُهُ (٧) الْوَجَارُ : جَعَرَ
مِنْ جَعَرَةِ الضَّبِّ (٨) امْتَنَطَتْ وَأَسْرَعَتْ لَا تَلَوَّى عَلَى شَيْءٍ (٩) عَبَقِرٌ : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ
كَثِيرُ الْجَنِّ يُقَالُ فِي الثَّلِّ : كَانَتْهُمْ جَنُّ عَبَقِرٍ (١٠) اسْتَرْقُوا أَوْ رَقُوا : تَقَبَّضُوا عَلَيْهِ .
(١١) رَوَايَةُ اللَّسَانِ - مَادَّةُ غَبِطٍ وَعَظَلٍ :
فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الْمُطَالَى مَلَامَةً فَيَوْمَ النَّبِيطِ كَانَ أَخْزَى وَالْوَمَا

فررتُم ولم تلوُّوا على مُجَحِّركُم^(١) لو الحارث الحَرَّابُ^(٢) يَدْعِي لَأَقْدَمَا
 وما يُجَمِّعُ الفِزْوُ السَّريُّ نَفِيرُهُ وإن نَحْرَمُوا يومَ اللِّقاءِ القَنَا الدِّمَا
 ولو أنَّ بِسْطامًا أَطِيعَ بِأَمْرِهِ لأَدَّى إلى الأَحْياءِ بِالنَّحْوِ مَنَمًا
 ولكنَّ مَفْرُوقَ القَنَا وابنَ خالِهِ أَلَا ما فَلِما يومَ ذاكِ وشُومًا
 ففَرَّ أبو الصِّبْءِ إِذْ حَسَّ الوَغى وأتَى بِأَبْدانِ^(٣) السِّلاحِ وسَلَمًا
 وأيقِنَ أن الخَليلَ إن تَلَتَيْسَ بِهِ تَمَّ عَرسُهُ أو عِلَّالِ البَيْتِ ما تَمَّا
 ولو أَنها عَصْفُورَةٌ لِحَسْبَتِها مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عَبيدًا وأَزْنامًا
 أبا لَكَ قِيَدٌ بِالفَيْطِ لِقائِهِم ويومُ المُطالَى إِذْ نَجَّوتَ مُكَلِّمًا
 فأقَلَّتْ بِسْطامَ جَرِيضًا بِنَفْسِهِ وغادَرْنَ في كَرِّ شَأْ لَدَنا مُقَوِّمًا^(٤)

(١) المحبر : الضطر الملجأ (٢) جاء في تعليق على المختص صفحة ٢٠٢ جزء ١٥ :
 سمى هذا اليوم يوم المطالي لأن بسطام بن قيس وهاني بن قبيصة وتفروق بن عمرو الشيبانيين حين
 خرجوا غازين بنى تميم تماطلوا على الرئاسة ، وقد أخطأ شارح القاموس الزبيدي إذ عد مع هؤلاء
 الثلاثة رابعاً قال إنه الحوفزان ، وذلك لا أصل له لأن الحوفزان قد مات قبل هذه الفزوة بزمان ،
 ومصدق ذلك قول العوام بن شاذب الشيباني يهجو قومه ، وقد أسرته بنو يربوع يوم المطالي
 إذ فر قوم عنه :

فررتُم ولم تلوُّوا على مرهقِكُم لو الحارث المقدم فيها لأقدما
 والحارث المقدم هو الحوفزان ، وأخطأ أيضاً في تلوله على الزمخصري في أساسه : إن تيمما هزرت
 بكر بن وائل ، والحق أن تيمما مفزون لا غازون ، والحق في الأساس : يوم تميم على بكر بن وائل ،
 وأخطأ أيضاً كخطأ الميداني في رواية بيت العوام المذكور :

إن تك في يوم الفَيْطِ ملامة فيوم المطالي كان أخزى وألوما
 قدما التأخر وأخرا التقدم ، (وقد روى هذا البيت في اللسان كما تقدم في صفحة ١٩٤ حاشية
 رقم ٢) وأخطأ السيوطي في شرح شواهد الغني فنسب شعر العوام المذكور إلى جرير .
 هذا هو التعليق مع أن صاحب اللسان والنقائض يقولان : إن الحوفزان كان من التماطلين - راجع
 اللسان مادة عطل ، والنقائض ٥٨٠ (٣) البدن : العرع والجمع أبدان (٤) تقدم هذا
 البيت لميرة بن طارق .

وَقَاطَ أُسْبِرًا هَانِيًا وَكَانَمًا مَفَارِقُ مَفْرُوقٍ تَنْشِينٌ عِنْدَمَا (١)
وَقَالَ :

فَبَحَّ إِلَهُ عَصَابَةً مِنْ وَائِلٍ يَوْمَ الْأُفَاقَةِ أَسْلَمُوا بِسْطَامَا
وَرَأَى أَبُو الصَّبَاءِ دُونَ سَوَامِهِمْ عَرَّكَ كَمَا يُسَلِّي نَفْسَهُ وَزَحَامًا
كَنتُمْ أَسْوَدًا فِي الرَّخَا فَوُجِدْتُمْ يَوْمَ الْأُفَاقَةِ بِالْفَيْيَظِ نَعَامًا
فَلَمَّا أَلَحَّ الْمَوَامُّ فِي ذَلِكَ أَخَذَ بِسْطَامَ إِلَهُ فَقَالَتْ أُمُّهُ :

أَرَى كُلَّ ذِي شَعِيرٍ أَصَابَ بِشَعْرِهِ سَوَى أَنْ عَوَّامًا بَمَا قَالَ عَيْلًا (٢)
فَلَا تَنْطِقَنَّ شَعْرًا يَكُونُ حِوَارُهُ كَمَا شَعَرَ مَوَامُّ أَعَامَ (٣) وَأَرْجَلَا

(١) الندم : شجر أحر ، وقال الأصمعي : هو صبيح ، زعم أهل البحرين أن جواربهم يختصن به
(٢) عيل : صيرم عيالا : قراء (٣) أعام القوم : هلكت لإبلهم فلم يجدوا لبناً .

٧- يوم الغبيط

غزا بسطام بن قيس الشيباني والحارث بن شريك- الحوفزان، ومفروق بن عمرو، في جمع من بني شيبان بلاد بني تميم، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع، وثعلبة بن سعد بن ضبة، وثعلبة بن عدى بن فزارة، وثعلبة بن سعد بن ذبيان، وكانوا متجاورين بصحراء فلج^(١)، فاقتلوا؛ فهزمت الثعالب، وأصابوا فيهم، واستاقوا إبلا من نعمهم، ثم امتروا^(٢) على بني مالك^(٣)، وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة، فاكتمسحوا إبلهم، فركبت عليهم بنو مالك، يقدمهم عتيبة بن الحارث اليربوعي، وفرسان بني يربوع تأفف^(٤) الشيبانيين، ومعه من رؤساء تميم: الأحيمر بن عبد الله، وأسيد بن حنادة، وأبو مَرْحَب، وجزء بن سعد الرياحي، وربيع والحليسي ومهارف بنو عتيبة بن الحارث، ومالك بن نيرة وغيرهم، فأدركوهم بغبيط المدرة؛ فقاتلهم حتى هزموهم، وأخذوا ما كانوا استاقوا من آبالهم^(٥) وأنهمزموا، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبة بن الحارث، وألح عتيبة بن الحارث، وأسيد بن حنادة، والأحيمر ابن عبد الله على بسطام بن قيس، وكان أسيد أدنى إلى بسطام من الرجلين، فوقعت يد فرسه في ثبرة^(٦)، وتقدم بسطام وجمل يلتفت هل يرى عتيبة؟ وقد صار في

* لشيبان (من ربيعة) على يربوع (من تميم)، والنبيط، ويسمى غبيط المدرة: أرض لبني يربوع، ويسمى هذا اليوم أيضا يوم الثعالب، ويوم أعشاش، ويوم صحراء فلج

النقائض ص ٧٥، ١١٣٢، طبع أوروبا، ابن الأثير ص ٣٦٥ ج ١، المقذ القرط ص ٣٣٨ ج ٣

(١) واد لبني العنبر بن عمرو بن تميم، يقع أول الدهناء (٢) اقتلوا من الروا

(٣) ثم بنو مالك بن زيد مناة بن تميم (٤) تأفف: يريد تتبعهم وتحوطهم مثل تأفف

الأثافي الرماد (٥) آبال ولابل بمعنى واحد (٦) هي الوعدة تكون في الأرض كالخفرة.

أَفْوَاهُ^(١) الْغُبُطُ ، فَلَحَقَ عَتِيبَةُ بِسَطَامًا ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَأْسِرْ يَا أَبَا الصَّهْبَاءِ . فَقَالَ لَهُ :
وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَتِيبَةُ ، وَأَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْمَطَشِ ؛ فَاسْتَأْسَرَ .
أَمَّا الْأَحْمِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ كَانَ مَحْدُودًا^(٢) ، فَكَانَ فَارِسًا ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَلَا
حِظَّ لَهُ فِي ظَفَرٍ .

وَلَا أَسْرَ عَتِيبَةُ بِسَطَامًا نَادَى بَنُو شَيْبَانَ بِجَادَا - أَخَا بِسَطَامٍ - كُرًّا عَلَى أَخِيكَ ،
وَمِنْ يَرْجُونَ إِذَا أَبْصَوْهُ^(٣) أَنْ يَكُرُّ فَيَأْسُرُوهُ ؛ فَنَادَى بِسَطَامَ أَخَاهُ إِنَّ كُرْرًا يَجْجَادُ
فَأَنَا حَنِيفٌ - وَكَانَ نَصْرَانِيًّا - فَلَحِقَ بِجَادَا بِقَوْمِهِ .

فَقَالَتْ بَنُو ثَمَلَةَ : يَا أَبَا حَرْزَةَ - عَتِيبَةُ - إِنَّ أَبَا مَرْحَبٍ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ أَسْرَتْ
بِسَطَامًا ، وَهُوَ قَاتِلُ بَلِيلٍ وَبَجِيرُ ابْنِ أَبِي مَلِيلٍ ، وَمَالِكُ بْنُ حِطَّانٍ يَوْمَ قُشَاوَةِ فَاقْتُلْهُ .
قَالَ : إِنِّي مُمِيلٌ ، وَأَنَا أَحَبُّ اللَّيْنِ^(٤) . قَالُوا : إِنَّكَ لَتُفَادِيهِ وَتَحْلَى عَنْهُ فَيَمُودُ
فَيَحْرُبُنَا^(٥) ، فَأَبَى . فَقَالَ بِسَطَامُ : بِاعْتِيبَةَ ؛ إِنَّ بَنِي عُبَيْدٍ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي جَعْفَرٍ وَأَعَزُّ ،
وَقَدْ قَتَلَ أَبُو مَرْحَبٍ ، وَلَهُ فِي بَنِي عُبَيْدٍ أَثَرُ بَيْسٍ^(٦) ، وَهُمْ آخِذِيْكَ مِنْكَ ، وَلَنْ تَقْدِرَ
بَنُو جَعْفَرٍ عَلَى أَنْ يَمْنَعُونِي مِنْهُمْ ، وَأَنَا مَمْلُوكٌ مِنَ الْمَالِ عَائِرَةِ عَيْنَيْنِ^(٧) ؛ فَقَالَ : لَا جَرَمَ !
وَاللَّهِ لَأَضَعَنَّكَ فِي أَعَزِّ بَيْتَيْنِ مِنْ مُضَرَ : فِي بَنِي جَعْفَرٍ بَنِي كَلَابٍ ، أَوْ فِي بَنِي عَمْرِو
ابْنِ جَنْدَبٍ ؛ فَاخْتَارَ بِسَطَامُ بَنِي جَعْفَرٍ ، فَتَحَمَّلَ عَتِيبَةُ بِأَهْلِهِ وَبِهِ قَاصِدًا بَنِي عَامِرٍ بَنِ
صَمْعَمَةَ ، لَثَلَا يُؤْخَذُ فَيُقْتَلُ^(٨) حَتَّى لَحِقَ بِالشَّرْبَةِ^(٩) بَيْنَ جَعْفَرٍ فَتَزَلَّ بِهِ .

(١) هِيَ مَسَابِلُ الْبِصَاءِ (٢) الْمَحْدُودُ : الْمَنْعُوعُ مِنَ الْخَيْرِ (٣) الْأَبْسُ وَالنَّائِبِسُ :
أَنْ يَمِيرُوهُ حَتَّى يَضْطَبَّ فَيَأْتَفَ مِنَ التَّعْيِيرِ فَيَرْجِعَ فَيُؤْسِرَ (٤) اللَّيْنُ : جَمْعُ لَوْنَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ ذَاتُ
الْبَيْنِ (٥) يَحْرُبُنَا : مِثْلُ يَطْلُبُنَا يَأْخُذُ أَمْوَالَنَا وَيَتْرَكُنَا بِلَا شَيْءٍ (٦) بَيْسٌ : شَدِيدٌ
(٧) يَهَالُ أَعْطَاهُ مِنَ الْمَالِ عَائِرَةُ عَيْنَيْنِ : أَيْ مَا يَذْهَبُ فِيهِ الْبَصَرُ مَرَّةً هُنَا وَمَرَّةً هُنَا ، فَائِرُ
الْعَيْنِ : مَا يَمْلَأُهَا مِنَ الْمَالِ حَتَّى كَادَ يَمُورُهَا (٨) لَمَّا قَصَدَ بَنِي عَامِرٍ لِأَنَّ عَمَتَهُ خَوْلَةَ بِنْتِ شِهَابٍ
كَانَتْ مَتْرُوجَةً فِيهِمْ (٩) يَهَالُ لِكُلِّ نَحِيْزَةٍ مِنَ الشَّجَرِ شَرْبَةٍ ، وَجَعْفَرُ بَطْنٌ فِي عَامِرٍ .

فلما توسَّط بسطام بيوت بني جعفر قال : واشيبيانا ! ولا شيبيان لي ! فبحث إليه عامرُ بن الطفيل إن استطعت أن تلجأ إلى قُبتي فافعل ، فإن سَأَمْتُكَ ، وإن لم تستطع فاقذف بنفسك إلى الرَّكِيَّةِ^(١) التي خلف بيوتنا .

فَأَتَتْ أُمَّ حَمَلٍ^(٢) عتبية ، فخبَّرتَه بما كان من أمر عامر ، فأمر عتبية بيته فقوَّض وركب فرسه ، وأخذ سِلَاحَه ، ثم أتى مجلس بني جعفر ، وفيه عامر بن الطفيل ، خِيَّاهِم ، ثم قال : يا عامر ؛ إنه قد بلغني الذي أرسلتَ به إلى بسطام ، فأنا مُخَيَّرُكَ فيه خِصَالاً ؛ فاخْتَرِ أَيَّهِنَّ شِئْتَ . قال عامر : ماهنٌ يا أبا حَرْزَةَ ؟ قال : إن شِئْتَ فَأَعْطِنِي خِلْمَتَكَ^(٣) وخِلْمَةَ أَهْلِ بَيْتِكَ حتى أطلقه لك ؛ فليست خِلْمَتُكَ وخِلْمَةُ أَهْلِ بَيْتِكَ بَشَرٍ من خِلْمَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فقال عامر : هذا ما لا سِيلَ إليه . فقال عتبية : فضع رِجْلَكَ مكان رجله فليستَ عندي بَشَرٍ منه . فقال عامر : ما كنتُ لأفعل . فقال عتبية : فأخري هي أهُونهن . فقال عامر : ما هي ؟ قال عتبية : تبغني إذا جاوزتُ هذه الراية فتقارِعي عنه الموتَ ، فإِذَا لِي وَإِذَا عَلَيَّ . فقال عامر : تيك أُنفضهنَّ إلىَّ .

فانصرف عتبية إلى عمرو بن جندب ؛ فإنه لقي بعض الطريق إذ فطر بسطام إلى مركب أم عتبية فقال : يا عَتِيبَةُ ؛ أهذا مركبُ أُمِّكَ ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ كالْيَوْمِ قطَّ مركبَ أُمِّ سَيِّدٍ مثل هذا ! إن حِذَجَ^(٤) أُمِّكَ لَرَثَ ! قال عتبية : ألك إرث ؟ قال : نعم . قال عتبية : أما والللات والعزَّى ؛ لا أطلقك حتى تأتيني أُمُّكَ بكل شيءٍ ورثَكَ قيس^(٥) بن مسمود ويحمَلُهَا وحِذَجُهَا^(٦) .

(١) الركي : جمع ركية ، وهي البئر (٢) هي تابعة كانت له من الجن (٣) هي بخيلته ماله ينخلع عنه (٤) الحديج : مركب من مراكب النساء (٥) والد بسطام (٦) كان حديج أم بسطام كبيراً ذا ثمن كثير ، وهذا الذي أراد بسطام ليرضب فيه فلا يقتله .

فأنته أمٌ بسطام على جلها وحِجها وبِلائمائه بغير^(١) ، وفدى نفسه بها على أن
يجزّ ناصيته ويأمره ألا يفزو بنى شهاب^(٢) ، فقال عتيبة في أسره :

أبلغ سراة بنى شيبان مألُكَةً أنى أبأتُ^(٣) بعبدِ اللهِ بسطاما
إن تُحرِّزوه بذي قارٍ فذاقنهُ^(٤) قد هبطتُ به ييدا وأعلاما
قَاطُ^(٥) الشَّرْبَةِ في قيْدٍ وسلسلَةٍ صوتُ الحديدِ يُغْنِيهِ إذا قاما

(١) لم يكن عربي أغلى من بسطام فداء
لما خلا بسطام من الأسر أذكي الميون على عتيبة وإبله فغادت إليه عيونه فأخبروه أنها على أراب ،
فأغار عليها وأخذ الإبل كلها ، ومالم ممها (٣) أبأته من البواء : وهو أن يقتل الرجل
من قتل (٤) ذو قار وذائقته : موضعان (٥) قاط بموضع كذا : أقام زمن القبط فيه .

٨- يَوْمُ قِشَاوَةِ

خرج بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ غَازِيًا لِبَنِي يَرْبُوعَ، حَتَّى اطَّرَدَ نَعْمًا لِرَجَائِنِ مِنْ بَنِي سَلَيْطَ^(١)،
يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا سُمَيْرٌ وَلِلْآخَرِ حُجَيْرٌ، وَهَما مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ، فَأَتَى الصَّرِيخُ^(٢) بَنِي
عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ - وَكَانُوا أَدْنَى النَّاسِ مِنْهُمْ .
فَرَكِبَ سَبْعَةً فَوَارِسَ مِنْ بَنِي عَاصِمٍ فِيهِمْ بُحَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَلِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،
وَالْأَحْمِرُ - حَرِيثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَالِكُ بْنُ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ؛ وَخَرَجَ مَعَهُمْ قَوْمٌ مِنْ
بَنِي سَلَيْطَ، حَتَّى أَدْرَكُوا الْقَوْمَ .

فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى جَيْشِ بِسْطَامٍ هَابُوا أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ مُلَيْلُ بْنُ أَبِي مَلِيلٍ:
يَا بَنِي يَرْبُوعَ؛ إِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهَذَا الْجَيْشِ إِلَّا بِمِثْلِهِ، فَأَرْسِلُوا بِحَيْرًا يَسْتَصْرِخُ
لَكُمْ - وَإِنَّمَا أَمْرُهُمْ بِذَلِكَ خَافَةٌ عَلَيْهِ أَنْ يُقْتَلَ؛ فَقَالَ بِحَيْرٌ: لَا وَاللَّهِ لَا ذَهَبُ
صَرِيحًا بَعْدَ أَنْ عَايَنْتُ الْقَوْمَ . فَلَمَّا غَلَبَهُ قَالَ لابْنِ عَمِّهِ: اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَحْمِرُ! فَقَالَ:
لَا، وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، فَقَالَ لِمَالِكِ بْنِ حِطَّانَ: فَادْهَبْ أَنْتَ صَرِيحًا. فَقَالَ: وَأَنَا لَا أَذْهَبُ.
فَقَالَ لَهُمْ مُلَيْلُ بْنُ أَبِي مَلِيلٍ: فَأَعْطُونِي قَوْلًا أَتَقْبَلُ بِهِ وَأَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ؛ لَتَضْبِطُنَّ لِي أَنْفُسَكُمْ،
وَلَا تُقَدِّمُوا عَلَى الْجَيْشِ حَتَّى آتِيَكُمْ؛ ففعلوا .

وَذَهَبَ مُلَيْلُ صَرِيحًا، فَلَمَّا سَارَ نَظَرَ إِلَيْهِ بِسْطَامُ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: ذَلِكَ الَّذِي يَرْكُضُ
مَسِجَلِبَ عَلَيْكُمْ شَرًّا، فَانْظُرُوا أَنْ تَفَرَّغُوا مِنْ أَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ النَّاسُ؛

* لَيْثِيَانُ (مِنْ بَكْرِ) عَلَى يَرْبُوعَ (مِنْ تَيْمِ) وَقِشَاوَةُ : مَوْضِعٌ قَالَ عَنْهُ يَاقُوتُ : كَانَتْ بِهِ وَفْدَةٌ
لِبَنِي شَيْبَانَ عَلَى يَرْبُوعَ، وَهُوَ يَوْمُ نَفَقِ قِشَاوَةِ .

مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٩٢ ج ٧، النِّقَاطُ ص ١٩ طَبِيعُ أَوْرَبَا، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٦٤ ج ١

(١) سَلَيْطَ : فِي يَرْبُوعَ (٢) الصَّرِيخُ : الْمُنْتَفِثُ .

فبرز بسطام في فرسانٍ من أصحابه ، حتى دنا من القوم ، فكلّمه بجير ، فقال له بسطام : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا بجير بن عبد الله بن الحارث . فقال : يا بجير ؛ ألم تكن تزعم أنك فتى يربوع وفارسها ؟ قال : بلى ! وأنا الآن أزعّمه ، فابزُرْ لى ؛ فأبى أن يعرّز له بسطام ، وقال : ما أظنّ نسوة بنى يربوع يظنّ بك هذا الظن وأنّ تُخجِم عن الكتيبة حين رأيتها ، ثم قال لصاحبيه أحيمر ومالك مثل ذلك .

فلم يزل يشجّذهم ويحفّضهم كيداً منه وخديعة حتى حملوا على أفراسهم وسط القوم ؛ فأما بجير فلقبه الملبّد بن مسعود - عم بسطام - فاعتنق كلّ واحدٍ منهما صاحبه ، فوقما إلى الأرض عكمتي^(١) عير ؛ فاعتلاه بجير . فلما خشي الملبّد أن يظهر عليه بجير نادى رجلاً من بنى شيان يقال له لقيم بن أوس : يا لقيم ؛ أغثنى ، فقد قتلتى اليربوعي ؛ فقال إليه لقيم فضربه على رأسه فقتله . وخرّق أحيمر بالقنا ، وترك مطروحاً ، فظنّوا أنهم قد قتلوه . وضرب مالك بن حطان فأمّ فماش مأموماً^(٢) سنة ، ثم مات من آتته ، وانهزمت بنو سليط .

فلما انهزموا قال بسطام : يا بنى شيان ؛ أيسرّكم أن تأمروا أبامليل ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه أول فارس يطلّع عليكم الساعة ؛ أتاه مليل فأخبره خبرنا ، وخبر ابنه ، فلم ينتظر الناس ؛ فليتحلف معي منكم فوارسُ فإنكم ستجدونه مكباً على بجير حين عاين جيفته .

فكمن له بسطام في عشرة فوارس قريباً من مصرع أصحابه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى طلع عليهم على فرسه بأماء .

فلما عاين بجير أنزل فأكب على جيفته يُقبّله ويحتضنه ؛ وأقبل بسطام ومن

(١) يقال : وقع المصطرعان عكى عير ، وككى عير ، وقامعا لم يصرع أحدهما صاحبه

(٢) المأموم : الذى أصيب فى أم رأسه ، وأم الرأس : الصمغ ، أو الجلدة الرقيقة التى عليها .

كان معه بر كضون ، حتى أتوه ، فوجدوه مكباً عليه ، وبلماء يملك لجامه واقفاً ،
فأسروه وأخذوا فرسه .

فلما صار في يدي بسطام قال : يا أبا مليل ؛ إني لم آخذك لأقتلك . قال : قد
قتلت ابني ، ووددت أني مكانه ، أما إن طعامك علي حرام ما دمت في يدك ،
فكان أبو مليل يؤتي بالطعام فيبيت يطرد عنه الكلاب مخافة أن تأكله ،
فيظنوا أنه أكله هو ، حتى جهد ؛ فلما رأوا جهده قال بشر بن قيس لأخيه بسطام :
إني لا آمن أن يموت أسيرك هذا في يدك هزلاً^(١) ، فقتبتك به العرب ،
فبئس نفسه .

فأتاه ، وهو مجهود ، فقال له : يا أبا مليل ؛ أشتري مني نفسك ؛ قال أبو مليل :
نعم . قال : بكم ؛ قال أبو مليل : بمائة من الإبل ، فإن لك مائة بدم بجير ، قال :
تلاذي أحب من تلاذك والدم لك . فخلاني أذهب ، فخلاه بسطام بغير فداء ،
وأخلفه إلا يقب^(٢) ، وألاً يتبعه بدم ابنه بجير ، ولا يفيقه عائلة ، ولا يدل له
على عورة ، ولا يُنير عليه ولا على قومه ، وعاهده على ذلك ، ثم جز ناصيته ، فرجع
إلى قومه ، وأراد الغدر ببسطام ، ولما علم بسطام حذره .

فلما أتى قومه أخبرهم خبره ، فقال متمم^(٣) بن نويرة :

أبلغ أبا قيس إذا ما لقيته نامة أدنى داره فظلم
بأننا ذوو جد وأن قبيلكم بني خالد لو تملكون كريم
وأن الذي آلى لكم في بيوتكم بمقسمه لو تملكون أنيم^(٤)

(١) المزمل : المزمل (٢) أي لا يزوم ثانية (٣) مالك بن نويرة في رواية معجم
البلهان (٤) إن الذي حلف ألا يقب عليكم سيحنت ، ولا بد أن يزومك ثانية .

هو الفاجع النسي سراً صديقه وذو طلب يوم اللقاء غشوم
فَهَجُمُ أَيْبَانَا وَنُبْكَى نُسِيَّةً يَنْسَوْنَا يَوْمًا لَهْنٌ نَحِيمٌ^(١)
كَانَ بُجَيْرًا لَمْ يَقُلْ لِي مَا تَرَى مِنْ الْأَمْزِأَوْ يَنْظُرُ بَوَجْهِ قَسِيمٍ^(٢)
وَلَوْ شِئْتَ نَجَّاكَ الْكُمَيْتُ وَلَمْ تَكُنْ كَأَنَّكَ نَصَبٌ لِلرِّجَالِ رَجِيمٌ^(٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ أَدْرَكَ تُبَيْعًا وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
مِالَ مَبِيدٍ حِلْفَةٌ إِنْ خَيْرَ كَمْ بِجُزْرَةٍ بَيْنَ الْوَعَسَتَيْنِ مُقِيمٍ^(٤)
غَدَرْتُمْ وَلَمْ تَرَبِّعْ عَلَيْهِ رِكَابُكُمْ كَأَنَّكُمْ لَمْ تُفَجَّهُوا بِعَظِيمٍ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِ رِيَمٌ فَرَجَعْتُ وَهَلْ تَنْفَعُنِي نَظَرَةٌ وَشِيمٌ^(٥)
أَطَافَتْ فُسَافَتْ^(٦) عَادَتْ فَرَجَعْتُ أَلَا لَيْسَ عَنْهَا سَجَرُهَا بِصَرِيمٍ

وقال مالك بن حطان - وهو في المعلقة قبل أن يموت :

لعمري لقد أقدمتُ مُقَدَّمُ حَارِدٍ وَلَكِنْ أَقْرَانُ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ^(٧)
ولو شهدتنى من عُبَيْدٍ عَصَابَةٌ حَمَاءٌ نَخَاضُوا الْمَوْتَ حَيْثُ أَنْزَلُ
بِكُلِّ لَذِيذٍ لَمْ يَخْنَهُ تِقَافُهُ^(٨) وَعَضْبٌ حُسَامٌ أَخْلَصَتْهُ الصِّيَاقِلُ

- (١) النعيم : البكاء والتعيب (٢) هذا البيت مكفأ ، والإكفاء : الإقواء ، والقسيم : الجليل والاسم منه القسامة (٣) الرجيم : الرجوم (٤) أراد عبيد بن ثعلبة بن يربوع وجزرة من أرض الكفرة من بلاد اليمامة ، والوعس من الرمل : اللين الموطوء الذى وعته السائلة (٥) يقول : كنت كالناقة التى نحر ولدها فجاءت تشبه وترأه ، وهل ينفعها ذلك فكذلك أنا لا أسكن حتى أثار به (٦) سافت : شمت ، والسوف : الشم ، وسجرها : خنيتها ، يقول : ليس حينها بمنصرم (٧) الأقران : الأعوان ، الواحد قرن . والظهر : هو الناصر (٨) التفاف : ما تسوى به الرماح .

وما ذُنُبُنَا أَنَا لَقِينَا قَبِيلَةً إِذَا وَآكَلَتْ فُرْسَانُنَا لَا تُوَاكِلُ
يساقوننا كَأَسَا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَهَرَدَ عَنَّا الْمُقْرِفُونَ الْحَنَّاكِلُ^(١)
فَلَيْتَ سَمِيرًا كَانَ حَيَضًا يَرْجُلُهَا وَلَيْتَ حُجَبِيرًا غَرَّقَتْهُ الْقَوَائِلُ^(٢)
وَلَيْتَهُمْ لَمْ يَرْكَبُوا فِي رَكُوبِنَا^(٣) وَلَيْتَ سَلِيطًا دُونَهَا كَانَ عَائِلُ
فَمَا بَيْنَ مَنْ هَابَ النِّيَّةَ مِنْكُمْ وَلَا يَبْنُو إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ

(١) الحناكل : القصار الأفعال ، الواحد : حنكل ، وعرد : فر (٢) إذا مات الصبي في الرحم : قبل غرقه القوائيل (٣) ركوب : جمع ركب . وعائل : واد يلاذ بهس .

٩- يَوْمُ زُبَالَةَ

خرج أبو جُمَل أخو بني عمرو^(١) بن حنظلة مغيراً ، ولحقه الأقرع بن حابس وأخوه فراس^(٢) في ناس من تميم ، فرأَسُوا عليهم الأقرع ، فأغاروا على بكر بن وائل ؛ فلقوهم بِزُبَالَةَ .

فأما الأقرع وفراس فأسرهما بنو تيم الله^(٣) ، وأما أبو جُمَل فأخذه عمران بن مُرة بن هند .

ثم لقي بنو تيم الله بني شيبان^(٤) ، ومعهم بنو رِبَاب ، فانتزع بسطام^(٥) بن قيس رئيس بني شيبان الأقرع وأخاه منهم ، فاختموا فيهما ، فحكّموا عمران بن مرة ، فحكم لبني رِبَاب على بسطام بمائة ، وجعل الأسيرين لبسطام .

وافتنى الأقرعان نفسيهما من بسطام ، وعاهداً على إرسال الفداء فأطماقهما ، فبَعْدًا ولم يرسلًا شيئًا .

وكان في الأسرى إنسان من بني يربوع ، فسمّيه بسطام بن قيس في الليل يقول .

فَدَى بوالدٍ عَلَى شَفِيقَةٍ فَكَأَنَّهَا حَرَضَتْ عَلَى الْأَسْقَامِ^(٦)
لَوْ أَنَّهُا عَلِمَتْ فَيَسْكُنُ جَأْشُهَا أَنِّي سَقَطْتُ عَلَى الْفَتَى الْمَنَامِ
إِنِ الدِّيَ تَرَجِينَ ثُمَّ إِيَابَهُ سَقَطَ الْعِشَاءُ^(٧) بِهِ عَلَى بَسْطَامِ

❖ لشيبان (من ربيعة) على تميم ، وزبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة

التقائض ص ٦٨٠ ، ابن الأثير ص ٣٦٦ ج ١ ، شعراء النصرانية ص ٢٩٨

(١) عمرو بن حنظلة من تميم (٢) الأقرع بن حابس وأخوه فراس : يسميان الأقرعين

وهما من بني مجاشع من تميم (٣) تيم الله : من بكر (٤) شيبان : من بكر أيضاً

(٥) بسطام بن قيس الشيباني : فارس بكر ، وضرب به المثل في الفروسية ، يقال : أفرس

من بسطام (٦) أي ذات حرض (لسان - مادة حرض)

(٧) يقال : سقط العشاء به على سرحان : يضرب للرجل يطلب الأمر التافه فيقع في هلكة ،

وأصله أن دابة طلبت العشاء فهجمت على أسد .

سقط المشاء به على مُتَنَمِّمٍ سَمَحَ اليدين مُكَوِّدِ الإقدام
فلما سمع بسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يُخْبِرُ أُمَّكَ عَنْكَ غَيْرُكَ وَأُطْلِقَهُ .
وقال أوس بن حجر^(١) في ذلك :

وَصَبَّحْنَا عَارِ طَوِيلٌ بِنَاؤُهُ نُسَبُّ بِهِ مَا لَاحَ فِي الْأَفْقِ كَوَكَبٌ
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بِأَكْبَا وَوَجْهًا تُرَى فِيهِ الْكَأَبُ تُجَنَّبُ
أَصَابُوا الْبُرُوكَ^(٢) وَابْنُ حَابِسٍ عَنُوءٌ فَظَلَّ لَهُمُ بِالْقَاعِ يَوْمٌ عَصَبَصَبٌ
وَلِنْ أَبَا الصَّهْبَاءِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى إِذَا مَا أَزُورَتْ الْأَبْطَالُ لَيْتَ مُجَرَّبٌ

(١) أوس بن حجر كان شاعر مضر في الجاهلية حتى أسقطه النابغة وزهير فأصبح شاعر بني تميم.
(٢) البروك والبرك جمع برك ، والبرك : جماعة الإبل البركة .

١- يَوْمَ مَبَايِضَ

كان الفرسان إذا كانت أيامُ عكاظ في الشهر الحرام ، وأمين بمضهم بمضاً ، قَنَمُوا حتى لا يُعرَفُوا، وكان طَريف بن تميم المَنَبَرِي رجلاً جسيماً ، وهو فارسُ قومه لا يتقنع كما يتقنعون ؛ فوافى عكاظ^(١) . وكان قد قَتَلَ شَرَا حِيلَ^(٢) الشيباني ؛ وجاء حصيصة^(٣) بن شرأهيل - وهو شابٌ قوى شجاع بطوف بالبيت . فقال: أروني طَريفاً ، فأَرَوْهُ إياه ، فجعل كلما مرَّ به تأمله ونظر إليه ، ففطن طريف ، وقال : لِمَ تَشُدُّ نظركَ إليّ ؟ قال حصيصة : أريد أن أثبتَكَ^(٤) ، لعلِّي أن ألقاك في جيش فأقتلك ! فقال طريف : اللهم لا تُحيل الحولَ حتى ألقاه ، ودعا حصيصة مثله ، فقال طَريف :

أَوْ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمَ يَتَوَسَّمُ^(٥)
فَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكُمْ شَاكِي سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُتَمَلِّمٌ
حَوْلِي فَوَارِسُ مِنْ أُسَيْدٍ شَجَعَةٍ وَإِذَا نَزَلْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَفْصٌ^(٦)

* لحيان (من بكر) على تميم ، ومبايض : ماء من مياه بني تميم
ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ٧١ ج ١ ، لسان
العرب (مادة خضم) ، معجم ما استعجم - مبايض
(١) عكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً يجتمع فيها قبائل العرب فيتماكطون ويتناشدون الشعر (٢) من بني ربيعة من ذهل
ابن شيبان (٣) في معجم ما استعجم : اسمه حصيصة (بفتح الحاء والميم) ، وقيل إن القتي
قله : حميصة (بالميم) بن جندل بن قتادة الشيباني (٤) أثبتك : أعرفك حق المعرفة (٥) القبيلة :
بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك ، والتوسم : التفرس (٦) في رواية :
حول فواس من أسيدجة وبني المهجم وحول بيتي خضم
وأسيد والمهجم : قبيلتان في عمرو بن تميم ، والحضم (وزن بقم) اسم الغنم بن عمرو بن تميم ،
وقد غلب على القبيلة ، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الحضم ، وهو المنع بالأخراس (لسان
العرب مادة خضم ، شجع) وشجعة : شجبان .

تَحْتِ الْأَعْرُ وفوق جِلْدِي نَثْرَةٌ زَغَفُ تَرْدُ السَّيْفِ، وَهُوَ مُثْلَمٌ^(١)

فَضَى لَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي عَائِدَةَ - حُلَفَاءَ بَنِي رَيْمَةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ شَيْبَانَ - خَرَجَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ يَصِيدَانِ ، فَعَرَضَ لَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ شَيْبَانَ ، فَذَعَرَ عَلَيْهِمَا صَيْدَهُمَا ، فَوَثَبَا عَلَيْهِ فَقَتَلَاهُ ؛ فَتَارَتِ بَنُو مُرَّةَ ، يَرِيدُونَ قَتْلَهُمَا ، فَأَبَتِ بَنُو رَيْمَةَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ هَانِيُ بْنُ مَسْمُودٍ -رئيس رَيْمَةَ- لِقَوْمِهِ : يَا بَنِي رَيْمَةَ ؛ إِنَّ إِخْوَتَكُمْ قَدْ أَرَادُوا ظُلْمَكُمْ ، فَأَنَامَا زَوْا^(٢) عَنْهُمْ ، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَفَاقَمَ الشَّرُّ بَيْنَنَا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ وَزَلُّوا عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مُبَايِضٌ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ أَشْهُرًا .

وَأَبَقَى^(٣) عَبْدُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي رَيْمَةَ ، فَسَارَ إِلَى بَنِي تَيْمٍ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ حَيًّا جَدِيدًا مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ نَزُولٌ عَلَى مُبَايِضٍ ، فَقَالَ طَرِيفُ الْعَنْبَرِيِّ : هَؤُلَاءِ تَأْرَى يَا آلَ تَيْمٍ ، إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةٌ^(٤) رَأْسٌ ؛ وَأَرْسَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَقَالُوا : هَذَا حَيٌّ مُفْرَدٌ ، وَإِنْ اسْتَظْلَمْتُمُوهُمْ أَوْ هَنَمْتُمْ بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ .

فاجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء^(٥) ، فَلَمَّا قَارَبُوا بَنِي رَيْمَةَ بَلَغَهُمُ الْخَبَرُ ، فَاسْتَمَدَّوْا لِلْقِتَالِ ، وَخَطَبَهُمُ هَانِيُ بْنُ مَسْمُودٍ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، فَقَالَ : إِذَا أَتَوَكُمْ فَقَاتِلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ انْحَاذُوا عَنْهُمْ ، فَإِذَا اسْتَفْلَوْا بِالْهَيْبِ فَعُودُوا إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّكُمْ تُصِيبُونَ مِنْهُمْ حَاجَتَكُمْ .

(١) النثرة : الدرع ، الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة الحسنة السلاسل .
(لسان العرب - مادة زغف) (٢) أنمازوا : انفصلوا (٣) الاياق : هرب السيد وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل (٤) أكلة رأس : أى قليل يشبعهم رأس واحد (٥) أبو الجداء الطهوى على بنى حنظلة ، وابن فدك النقرى على بنى سعد ، وطريف بن تميم على بنى عمرو بن تميم .

وصبّحهم بنو تميم ، والقوم حذّرون ، قد أقاموا على عِلْمٍ مُبَايَضٍ ، وشرّقوا
بالأموال والترح (١) ، فقال لهم طريف : أطيعوني ، وافرعوا من هذه الأكلب
يَصِفُ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُمْ ، فقال له أبو الجداء - رئيس بني حنظلة ، وقد كَيَّ رئيس
بني سَعْد : أَتُقَاتِلُ أَكْلَبًا أُخْرَزُوا نفوسهم ، وترك أموالهم ؟ ما هذا برأى !
وأبوا عليه .

وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجلٌ منكم ؛ ولحقت تميم بالنعم والبغال ؛
فأغاروا عليها ، وصرّ رجل منهم بأثرٍ لهاني بن مسعود صغير فأخذوه ، وقال : حسبي
هذا من الغنيمة ، وسار به .

وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي ؛ فعادت شيان عليهم فهزموهم وقتلواهم وأسروهم
كيف شاءوا ، ولم تُصَبِّ تميمٌ بمثلها ، لم يُفَلِّتْ منهم إلا القليل ، ولم يَلِوْ أَحَدٌ على أحد ،
وانهزم طريف فاتبعه حصيصة فقتله ، واستردّت شيان الأهل والمال ، وأخذوا
مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هاني بن مسعود ابنة يمانية بغير ؛ فقال بعضُ شيان
في هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دَعْوَةَ جاهل غرّ وأنت بمنظر لا تعلم (٢)
وأنت حيّاً في الحروب علّمهم والجيش باسم أبيهم يُستقدم (٣)
فوجدت قوماً يمنعون ذِمّارهم بُسْلاً إذا هاب الفوارس أقدموا
وإذا دعوا بيني ربيعة شتموا بكتيبة مثل النجوم تُعلم

(١) السرح : المال الراعى (٢) في رواية :

* سفها وأنت بمعلم قد تعلم *

(٣) في رواية : يستهزم .

حشدوا عليك وعجلوا يقرّاهم
وحمّوا ذِمّار أبيهم أن يُشتَموا
ساموك درّعتك والأغرّ كليهما
وبنو أسيّد أسلموك وخَضَمُ
وقال عمرو بن سواد يرثي طريفاً :

لا تَبْعِدَنَّ يا خَيْرَ عَمْرُو بْنِ جَنْدُبٍ
لعمري لئن زارَ القُبُورَ لَيَبْعُدَنَّ
هَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ لَا مُتَمَبِّسٍ
وَلَا مُؤَيَّسٍ مِنْهَا إِذَا هُوَ أَوْقَدَا

١١ - يَوْمُ الذُّورِينِ

كانت بكر بن وائل تَنْتَجِعُ أَرْضَ تميم في الجاهلية ؛ ترعى بها إذا أُجْدَبُوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدْعُوا عَوْرَةَ يُصَيِّونَهَا ، ولا شيئاً يَظْفَرُونَ به إلا اِكْتَسَحَوْهُ ، ثم نفاقم الشرَّ بينهما وعَظُمَ حتى صار لا يَلْقَى بَكْرِيَّ تَمِيمِيًّا إلا قَتَلَهُ ، ولا يَلْقَى تَمِيمِيَّ بَكْرِيًّا إلا قَتَلَهُ .

فَقَالَتْ بنو تميم : اِمْنَعُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ رَعَى أَرْضِكُمْ . فَحَشَدَتْ تَمِيمٌ وَحَشَدَتْ بَكْرٌ وَاجْتَمَعَتْ ، وَلَمْ يَتَخَلَفْ مِنْهُمْ إِلَّا الْحَوْفَزَانِ بْنِ شَرِيكٍ فِي أَنَاسٍ مِنْ بَنِي ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَكَانَ غَازِيًّا فِي بَنِي دَامٍ .

فَقَدَّمَتْ بَكْرٌ عَلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ بْنُ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيَّ ^(١) ؛ فَحَسَدَهُ سَائِرُ رِيْعَةٍ عَلَى الرِّيَاسَةِ وَأَتَوْهُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا مَفْرُوقَ ؛ إِنَّا قَدْ زَحَفْنَا لَتَمِيمَ ، وَزَحَفُوا لَنَا أَكْثَرَ مَا كُنَّا وَكَانُوا قَطًّا . قَالَ : فَمَا تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نَرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ كُلَّ حَيٍّ عَلَى حِيَالِهِ ، وَنَجْعَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَتَعْرِفَ غَنَاءَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ لاجْتِهَادِ النَّاسِ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا بُفْضَ الْخِلَافِ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ يَأْتِي مَفْرُوقٌ ^(٢) فَيَنْظُرُ فِيمَا قَلِمَ .

فَلَمَّا جَاءَ مَفْرُوقٌ شَاوَرَهُ أَبُوهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ هَذَا أَرَادُوا ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَجْعَدَعُوكَ عَنْ رَأْيِكَ ، وَحَسَدُوكَ عَلَى رِيَاسَتِكَ ، وَاللَّهِ لَنْ لَقِيَتْ الْقَوْمَ فَظْفَرَتْ لَا يَزَالُ الْفَضْلُ لَنَا بِذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُظْفَرَ بِكَ لَا تَزَالُ لَنَا رِيَاسَةٌ نَعْرِفُ بِهَا . فَقَالَ

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والزوران : بمران ، قال أبو عبيدة : وما بكران بجلان قد قيدوما وقالوا : هذان زوراننا أي إلھانا . كما سيأتي ، وقد سماه ابن الأثير يوم الزورين .
 القدر القريد من ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير من ٣٦٨ ج ١ ، لسان العرب (زور)
 (١) كان يكنى بأبي مفرق ويلقب بالأصم (٢) مفرق هو ابن عمرو .

عمرو : يا قوم ؛ قد استشرت مفروقًا ، فرأيتُه مخالفًا لكم ، ولستُ مخالفًا رأيَه ، وما أشار به .

وأقبلت تميم يبعيرين مجلّين مقرونين مقيّدين ، وتركوهما بين الصّفين معقولين ، وسَمَوْهما زُورَين^(١) وقالوا : لا نُؤلّي حتى يولّي هذان البعيران .

فأخبرت بكرٌ عمرو بن قيس بقولهم ؛ فقال : وأنا زُوركم ، وبرك بين الصّفين ، وقال : قاتلوا عني ، ولا تفرّوا حتى أفرّ . والتقى القوم فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأسرتُ بنو تميم حراث بن مالك ، فركض به رجلٌ منهم ، وقد أردفه ، واتبعه ابنه قتادة ابن حراث ، حتى لحق الفارس الذي أسرَّ أباه فطعنه فأرداه عن فرسه ، واستنقذ أباه . ثم استمرَّ القتل بين الفريقين ، فانهزمت بنو تميم وقتلت بكرٌ منهم مقتلة عظيمة ، وأخذت الزورين فنحروا أحدهما فأكلوه ، وافتحلوا^(٢) الآخر وكان نجيباً . واجترفت بكرٌ أموالهم ونساءهم ، وأسروا أسرى كثيرة ، ووصل الحوفزان - الحارث بن شريك - إلى النساء والأموال ، وقد سار الرجال عنها للقتال ؛ فأخذ جميع ما خلفوه ، وعاد إلى أصحابه سالماً ؛ وقال الأعشى في ذلك :

يا سلمُ إن تسألني عنا فلا كُشف عند اللقاء ، ولَسْنَا بالمقاريف^(٣)
نمحن الذين هزَمنا يوم صَبَحْنَا جيش الزُّورَينِ في جمعِ الأحاليف
ظَلُّوا وظَلَّتْ تَكَرُّ الحِمِلِ وَسَطَهُم بالشيب منا وبالرُّدِّ القَطَارِيفِ
تستأنفُ الشَّرَفَ الأعلى بأعينها لمع الصُّقُورِ علَتْ فوق الأظاليف^(٤)
انسلَّ عنها نسيلُ الصَّيفِ فأنجرت تحت الآبُونِ مُتُونٌ كالزُّحَالِيفِ^(٥)

(١) الزوران : مثى الزور ، وهو كل شيء يتخذ ربا ، ويمد من دونه تعالى (٢) عبارة اللسان عن أبي عبيدة : وأخذ البكران فنحر أحدهما ، وترك الآخر يضرب في شولهم .
(٣) الكشف : جمع أ كشف ، وهو الذي لا يثبت في القتال . والكشف أيضا : الذين لا يصدقون القتال لا يعرف له واحد (اللسان - مادة كشف) (٤) الأظاليف : جمع أظلوفة ، وهي الأرض الحزينة الحشنة (٥) الزحاليف : جمع رحلوفة ، وهي آثار تزلج الصبيان من فوق التل إلى أسفله .

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم لا سيما الأغلب العجلى ^(١)؛ فمن ذلك أرجوزته
التي أولها :

* إن سركَ العِزِّ فنجحِج ^(٢) بجُشَم * *

يقول فيها :

جاءوا بزُورِهمِمْ وجُشَنَّا بالأصم شيخُنا كالليثِ من باقى إِدَمِ
شيخُنا لنا مُعاوِدِ ضَرَبَ البَهمِ ^(٣) يضربُ بالسيفِ إذا الرمحُ انقَصَمِ
هل غير غارِ ^(٤) صَكَ غاراً فَاهزَمِ

(١) في اللسان بعد أن نسب الأرجوزة إلى الأغلب ، قال : وقال ابن برى : قال أبو عبيدة : إن
الميث ليحيى بن منصور وأشد قبله :

كانت تميم مضمراً ذوى كرم فليصة من الفلاسيم العظم
ماجنوا ولا تولوا من أمم قد قابلوا لو ينفخون في فحم
جاءوا بزورهم وجشنا بالأصم شيخ لنا كالليث من باقى لدم
شيخ لنا معاود ضرب البهم

اللسان (مادة زور ومادة جعجج)

(٢) جعجج الرجل : ذكر جعججاً من قومه، والجعجج : السيد الكريم (٣) البهم : الشجاع
(٤) الفاران : بكر وتميم .

١٢- يَوْمَ عَاقِل

كان الصِّمَّةُ الجُشَمِيُّ أَغَارَ عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ^(١) بِمَاقِلٍ ، فَأَسْرَهُ الْجَعْدُ بْنُ الشَّمَاخِ^(٢) وَهَزَمَ جَيْشَهُ ، وَأَصِيبَ فِيهِمْ ؛ ثُمَّ إِنَّ الصِّمَّةَ قَدْ أَبْطَأَ فِدَاؤُهُ ، فَكَانَ الْجَعْدُ يَأْتِيهِ كُلَّ هَلَالٍ شَهْرٍ بِأَفْقَى فَيُحْلِفُ بِمَا يُحْلِفُ بِهِ لِيَنْ هُوَ لَمْ يَفِدْ نَفْسَهُ لِمَعْضَنَهَا إِيَّاهُ .
فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ جَزَّ نَاصِيَتَهُ عَلَى الثَّوَابِ . ثُمَّ أَتَاهُ مُسْتَشِيئًا ، فَقَالَ لَهُ الصِّمَّةُ :
مَالِكٌ عِنْدِي ثَوَابٌ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ .

فَضَرَبَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْ ضَرَبَانِهِ^(٣) ، ثُمَّ إِنَّ الصِّمَّةَ الْجُشَمِيَّ أَتَى عِكَازَ فَلَقَى ثَعْلَبَةَ بْنَ الْحَارِثِ^(٤) وَهُوَ أَبُو مَرْحَبٍ ؛ وَكَانَ حَرْبُ بَنِي أُمِيَّةٍ يَدْعُو النَّاسَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ ، فَيَكْرِهُمَا ، وَيَخْصُ بِذَلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ ، فَجَادَتْ دَعْوَةُ الصِّمَّةِ ، وَأَبَى مَرْحَبٌ ؛ فَكَرِهَ الصِّمَّةُ ذَلِكَ لِحِدَاثَةِ أَبِي مَرْحَبٍ ، ثُمَّ قَرَّبَ إِلَيْهِمَا حَرْبَ تَمْرٍ ، فَجَعَلَ الصِّمَّةُ بِأَكْلِ التَّمْرِ ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ يَدَيْ ثَعْلَبَةَ ، وَيَقُولُ لَهُ : أَبْصِرْ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّوَى ! فَقَالَ لَهُ أَبُو مَرْحَبٍ : إِنَّكَ أَكَلْتَ مَا أَكَلْتَ بَنَوَاهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَغْظَمَ بِطَنَكَ ، فَقَالَ الصِّمَّةُ : لَا ، وَلَكِنْ أَغْظَمَ بِطَنِي دِمَاهُ قَوْمِكَ ! أَيْنَ الْجَعْدُ بْنُ الشَّمَاخِ ؟ فَقَالَ أَبُو مَرْحَبٍ : مَا ذِكْرُكَ رَجُلًا أَمَرَكَ ، وَمَنْ عَلَيْكَ ، ثُمَّ جَاءَ يَسْتَشِيْبُكَ فَقَدَرْتَ بِهِ وَقَتْلَتَهُ ! لَا وَاللَّهِ لَا أَقَاكَ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُكَ أَوْ مَتَّ دُونَكَ !

فَكَتَّ الصِّمَّةُ زَمَانًا ، ثُمَّ غَزَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَأَسْرَهُ الْحَارِثُ بْنُ يَتْبَةِ الْمَجَاشِي ،

• لَبِي حَنْظَلَةَ (مِنْ تَمِيمٍ) عَلَى جِشَمٍ (مِنْ رِيَّةٍ) ، وَعَاقِلٌ : وَادٌ بِبَجْدِ .

التَّقَاتُصُ ص ١٠١٩ طَبْعُ أَوْرَبَا

(١) بَنُو حَنْظَلَةَ : بَطْنٌ فِي تَمِيمٍ (٢) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ (٣) أَوْ مَرٍّ مِنْ مَرُورِهِ

وَذَهَبَ بِمَفْهُ (٤) مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ .

وهزم جيشه ، ثم أجاره الحارث بن بنية من إسهه ذلك ؛ فقال الصمة : سر بي
في قومك حتى أشتري أمراء قومي ، فسار به حتى أناخ في بني يربوع^(١) ، فأقبل
إليهما الناس ، وأقبل إليه أبو مرحب ؛ فلما رأى الصمة عرفه ، فخنس عنه^(٢) ،
وأخذ سيفه ، ثم جاء فضرب به بطن الصمة ، فأثقله .

فلما رأى ذلك الحارث خرج فدعا يا آل مالك ؛ فأقبل بنو مالك إلى بني يربوع^(٣) ،
فلما خافوا القتال قام مصعب بن أبي الخير ؛ فقال : يا بني مالك ؛ هذه يدي بجاركم
فهى لكم وقاء ؛ فقال راجز بن مالك :
نحن أبأنا مصعبا بالصمة كذاها شيخ قليل اللمة

(١) بنو يربوع من بني حنظلة (٢) خنس : تأخر (٣) يربوع ومالك من قبائل
حنظلة بن مالك .

١٣- يَوْمُ الشَّيْطَانِ

كَانَ الشَّيْطَانُ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ نَجْدٍ وَالْمَرَاةِ أَهْلُوا تَرَكْتُ بَكْرَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُمَا أُجْدَبَا ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى السَّوَادِ وَأَقَامُوا فِيهِ . ثُمَّ أَخَصَبَ الشَّيْطَانُ ، فَجَاءَتْ تَيْمٌ حَتَّى نَزَلُوا فِيهِمَا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا لَحَقَهُمُ الْوَبَاءُ فِي السَّوَادِ .

فَوَلَّوْا هَارِبِينَ حَتَّى نَزَلُوا لَعْلَعُ (١) ، وَهِيَ مَجْدِبَةٌ ، وَقَدْ أَخَصَبَ الشَّيْطَانُ ، فَكَانَ مَقَاسُ بْنُ عَمْرٍو (٢) يَقُولُ : لَيْتَ بَكْرًا فِي هَذَا الْخَصْبِ .

وَكَانَ أَكْتُلُ بْنُ حَيَّانَ الْمِجْلِيَّ طَالِبَ حَاجَةٍ فِي بَنِي نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ ، فَلَمْ يَقْضُوهَا لَهُ ، فَرَجَعَ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى قَوْمِهِ بِأَعْلَعُ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِخَصْبِ أَرْضِهِمُ الشَّيْطَانِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ بَكْرٌ عَلَى الْإِغَارَةِ عَلَى بَنِي تَيْمٍ ، وَقَالُوا : إِنَّ فِي دِينَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : إِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا قُتِلَ بِهَا ، فَغَفِرَ هَذِهِ الْفَارَةُ . ثُمَّ نُسِمَ عَلَيْهَا .

فَارْتَحَلُوا بِالذَّرَّارِيِّ وَالْأَمْوَالِ ، وَرَثَيْسُهُمْ بَشْرُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَأَتَوْا الشَّيْطَانِ فِي أَرْبَعٍ ، وَمَا بَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ أَيَّامٍ ثَمَانِيَةٍ ، فَسَبَقُوا كُلَّ خَبَرٍ ، حَتَّى صَبَّحُوا وَمَا لَا يَشْمُرُونَ

• لِبَكْرِ (مِنْ رِيعة) عَلَى تَيْمٍ ، وَالشَّيْطَانُ : وَادِيَانِ .

الْعَدِيدُ الْفَرِيدُ ص ٣٤٤ ج ٣ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٩٩ ج ١ ، النُّقَاطُصُ ص ١٠٢

(١) فِي اللِّسَانِ : لَعْلَعُ : مَوْضِعٌ ، قَالَ :

فَصَدَمَ عَنْ لَعْلَعٍ وَبَارِقَ ضَرْبَ يَشْطِطُهُمْ عَلَى الْحَنَاقِقِ

وَقِيلَ : هُوَ جَبَلٌ كَانَتْ بِهِ وَفْعَةٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ : مَا أَقَامَتْ لَعْلَعُ ، فَسَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فَقَالَ هُوَ جَبَلٌ وَأُتِيَ ، لِأَنَّهُ جَبَلٌ اسْمًا لِلْبُقْعَةِ الَّتِي حَوْلَ الْجَبَلِ ، وَقَالَ حَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

لَقَدْ ذَاقَ مَنَا عَاصِرَ يَوْمِ لَعْلَعٍ حَسَامًا إِذَا مَا هَزَّ بِالْكَفِّ صَمَا

وَقِيلَ هُوَ مَاءٌ بِالْبَادِيَةِ مَعْرُوفٌ (٢) مَقَاسُ بْنُ عَمْرٍو كَانَ حَلِيفَ بَنِي شَيْبَانَ وَمَقِيَا بِالْشَّيْطَانِ .

فقاتلوهم قتالا شديداً ، وأخذوا أموالهم ، وصبرت تميم ثم انهزمت ، فقال
 وشيد بن رميض العنزي :

وما كان بين الشيطان ولعلع لنسوتنا إلا مناقلُ أربع
 فحجنتا بجمع لم ير الناس مثله يكادُ له ظهرُ الوريمة^(١) يطلع
 بأرعن دهم تُنشدُ البلقُ وسطه له عارض فيه النيةُ تلمع
 إذا حان منه منزل القوم أوقدت لأخراه أولاه سناً وتيفموا^(٢)
 صبَحنا به سعداً وعمراً ومالكا فظل لهم يومٌ من الشر أشنع
 وذى حسبٍ من آل ضبة غادروا يجرُّ كما جرَّ الفصيلُ المرقع^(٣)
 تقصع يربوعٌ بسرّة أرضنا وليس ليربوع بها متقصع
 وقلت ليربوع أيسر نصيحة ولو أن يربوعاً إذا امتار يرفع
 يُخلّأوا لنا صحن العراق فإنه رحى منهم لا يستطاع ممنع

فأجابه محرز بن السكبر الضبي فقال :

فخرتم بيوم الشيطان وغيركم يضر بيوم الشيطان وينفع
 وجئتم بها مذمومة عتريّة تكاد من اللوم البين تطلع
 فإن يك أقوامٌ أصيبوا بفرّة فأنتم من الغارات أخزى وأوجع
 فريقان منهم من أتى البحر دونه ومود كما أودت نمود وتنع
 وما منكمُ أفناء بكر بن وائل لغارتنا إلا ذلولٌ موقّع^(٤)

(١) الوريمة : اسم فرس (٢) تيفموا : رفعوا نارهم على يقاع من الأرض لتبصر نارهم

(٣) المرقع : الذي به القرح وهو جدري فيجر في السباح لينفقا ما به ، وروى في اللسان :

لدى كل أخدود يغادر دارعا يجر كما جر الفصيل المرقع

منسوباً لمد أوس بن حجر (٤) بعير موقع الظهر : به آثار الدبر .

وقال مقاس^(١) بن عمرو :

تَمَيْتُ بِكَرٍّ بِالْعِرَاقِ مُقِيمَةً وَأَتَى لَنَا بَكْرٌ بِأَكْنَافِ عَرَعَرٍ^(٢)
نَهَيْتُ تَيْمًا أَنْ تُرُبَّ^(٣) نَحَاءَهَا وَتَطْلُو أَحْنَاءَ الرِّكِيِّ الْمَوْرِ^(٤)
حَلَفْتُ لَهُمْ بِاللَّهِ حِلْفَةً صَادِقٍ يَمِينًا وَمَنْ لَا يَتَّقِ اللَّهَ يَفْجُرُ
لِيَخْتَلِفْنَ^(٥) الْعَامَ رَاعٍ مُجْتَبٍ إِذَا مَا تَلَّاقَيْنَا بِرَاعٍ مُمَشَّرٍ^(٥)
فَاعْجَلْنَ ضَبًّا^(٦) بِالْوَرِيمَةِ خُدْعَةً وَيَرَبُّوعَهَا يَنْفَقْنَ فِي كُلِّ مَجْحَرٍ
وَمَا كَانَ رَوْضًا طَيِّبًا غَيْرَ شَرَبَةٍ وَلَكِنَّمَا كَانَا لَنَا شَرِبَ أَشْهَرٍ
ثُمَّ إِنْ بَكَرْنَا أَنَا هُمْ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلَمُوا عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

(١) اسمه مسهر ، ومقاس لقبه (٢) عرعر : مكان (٣) رب العير : أصلحه
(٤) عورت الركية : إذا طمستها وسدوت أعينها التي ينبع منها الماء (٥) المجنب : الذي
لا لبن في إبله ، والمعسر : الذي قد تنجبت إبله فصارت عشاراً . يقول : نحن لا لبن لنا فتأخذ إبلهم
ورعاتها فنخلطها بإبلنا التي لا لبن لها (٦) ضبا : يعني به ضبة يقول : أعجلتها أن تخدع
فتلزم الجعر ، وإنما هذا مثل ، يقول : أغرنا عليهم قبل أن يندوا بنا .

١٤- يَوْمُ الْوَقَبِي

كان عبدُ الله بن عامر عاملاً لعمان بن عفان على البصرة وأعمالها ، فاستعمل بشر بن حزن المازني على الأحياء^(١) التي حول البصرة - ومنها حمى الوقبي - فخرج يوماً هو وأخوه خفاف بن حزن إلى الوقبي ، وحفرا بها رَكِيَّتَيْنِ^(٢) . ولما أَنْبَطَاهُمَا^(٣) ، إِذَا مَاؤُهَا ماءُ الْغَادِيَةِ^(٤) عُذُوبَةٌ وَطِيْبَةٌ ؛ فَتَخَوَّفَا أَنْ يَنْلَبَّاهُمَا عبدُ الله بنُ عامر على الرَكِيَّتَيْنِ ، فدَفَنَاهُمَا .

ورَقِيَ أمرُهما إلى عبد الله بن عامر ؛ فطلب منهما الرَكِيَّتَيْنِ ، فأبَيَا أَنْ يَدْفِنَاهُمَا إِلَيْهِ ، فَأَخْرَجَهُمَا مِنْهُمَا وَقَالَ : يَا ذَنْ مَنْ حَفَرْتُمَا هَاتَيْنِ الرَكِيَّتَيْنِ ؟ وَمَضَيَا هَلْرِينَ ، وَوَجَدَا إِبِلًا لِعَبْدِ اللَّهِ فَمَقَرَاهَا .

وكان عبدُ الله قد اسْتَمْعَلَ خَالَهُ مَسْعَدَةَ السُّلَمِيَّ عَلَى حَقَرٍ^(٥) يَعْرِفُ بِحَقَرِ أَبِي مُوسَى ؛ ثُمَّ إِنْ نَاسًا مِنْ أَفْنَاءِ^(٦) بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ خَرَجُوا وَعَلَيْهِمْ شَيْبَانُ بْنُ خَصْفَةَ وَرَجُلٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ قَبِيصَةُ ، وَأَتَوْا مَاءَ لَبْنَى نَهْشَلٍ^(٧) بِنِ دَارِمَ ، فَقَاتَلُوهُمْ عَلَى مَائِهِمْ وَظَفَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَنَاسًا ، وَأَقَامُوا بِهِ أَيَّامًا .

* تميم على بكر (من ربيعة) ، والوقبي : ماء ملازن على طريق المدينة من البصرة . وهو من الأيام التي آثرنا أن نعدّها من الأيام الجاهلية للسبب الذي أسلفنا ذكره .

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ص ٣٤ ج ١

(١) جمع حمى ، وهو المكان المخطور (٢) الركية : البئر (٣) أَنْبَطَاهُمَا : اسْتَخْرَجَاهُمَا مَاءَهَا (٤) الغادية : مطرة الغداة (٥) الحفر (ويسكن) : البئر الموسعة (٦) أَفْنَاء : أَخْلَاط ، والواحد فَنُو ، ويقال : رجل من أَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ : أى لا يدري من أى قبيلة هو (٧) نهشل : بطن في تميم .

ثم قالوا : ما هذا لنا بمنزل ، إنا لفي وسط بلاد بني تميم ؛ فاحتملوا راجعين ، ثم
 نزلوا بحفر أبي موسى ، فوجدوا الحياض ملاءى ، فأوردوا الإبل وسقوها ، وأرادوا
 أن يستقوا ليمائثوا الحياض كما كانت ، فجاء مسمدة عامل الماء وأغلظ لهم ، فقام
 إليه شيبان بن خصفة فضربه بالسيف على وجهه فصرعه ، ونقل إلى منزله .
 وأقام البكريون بالماء أياماً ، ثم قالوا : ننزل الوقي فإياها أقرب إلى بلاد بكر ؛
 فأتوها ونزلوا بها .

ثم عاد بشر بن حزن إلى الوقي فوجد بها البكرين ، فأرسل إلى شيبان
 وقبيصة : إن كنتم تريدان الثبات فيظلكما هذا ومن معكما من قومكما فأقيا ، وإن
 كنتم تريدان غير ذلك فأعلماني فإياها أرضي وماني .

فأرسلوا إليه يواعدانه ويقولان : إن رأيناك بالوقي لنفعلن بك ولنصنن .
 فخرج بشر وأخوه خفاف وحريث بن سلمة الشاعر وتفرقوا : فواحد منهم
 ذهب إلى بني العنبر^(١) ، وواحد إلى بني يربوع بن حنظلة ، والثالث إلى بني مازن
 ابن مالك ؛ فأجاب مستصرخ بني عنبر سبعة نفر ، وانطلق بمضهم يستصرخ بني
 نهشل لما كان من البكرين إليهم . فقالت بنو نهشل : والله مالكم عندنا فصرة ،
 وانطلق مستصرخ يربوع حتى لقي بني رياح^(٢) . فقالت بنو رياح : إخواننا بنو ثعلبة
 قدأما ولسنا تقطع أمراً دونهم ، فمليكم بهم فنحن لهم تبع ، فانطلقت بنو مازن
 حتى وردوا أعشاشا على بني ثعلبة ؛ فلما وردوا الماء عليهم شهرهم أهل الماء ، ثم
 لقوا عبد الله بن مالك المروفي بالهلف ، فأخبروه خبرهم ، فقال : انزلوا أيها القوم ،
 وعمد إلى بكر فقرعه وقراهم إياه ، حتى إذا كان من العشي ، وبرز أهل الماء لبس

(١) بنو مازن والعنبر ويربوع ورياح وثلعة بطون في تميم (٢) رياح : بطن في يربوع
 وكذلك ثعلبة .

يُرْدِينُ وَتَخْلُقُ^(١) - وكذلك كانوا يفعلون إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ - وَأَخَذَ قَنَاتَهُ وَرَاحَ إِلَى وَسْطِ الْمَاءِ ، ثُمَّ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتَهُ : يَا لِيَرْبُوعُ ! يَا لَتَمْلَبَةِ ! يَا لَمَاصِمٍ ! فَخَصَّ وَعَمَّ ، فَخَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : « هَؤُلَاءِ بَنُو أُمِّكُمْ^(٢) ، وَبَنُو عَمِّكُمْ ، وَيَدُكُمْ عَلَى الْعَرَبِ ، وَلَا قَرَارَ لَكُمْ مَعَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ إِنْ أَخَذَتْ دَارُ بَنِي مَازَنَ » .

فَرَكِبُوا سَمْعَهُ عَلَى كُلِّ صَتْبٍ وَذَلُولٍ ، حَتَّى أَشْرَفَ بِهِمْ عَلَى بَنِي رِيَّاحٍ ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ بَنُو رِيَّاحٍ رَكِبُوا مَعَهُمْ ، فَأَنْطَلَقَ الْقَوْمُ حَتَّى أَتَوْا الْوَقْبِيَّ ؛ فَقَالَتْ بَنُو رِيَّاحٍ : يَا بَنِي مَازَنَ ؛ دَعُونَا فَلْنَنْظُرَ لَكُمْ وَنَسْتَبْرِئَ الْقَوْمَ ، فَقَالَتْ بَنُو مَازَنَ : لَقَدْ رَشِدْتُمْ .

وَانْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْهُمْ حَتَّى وَرَدُوا الْمَاءَ عَلَى بَكْرِ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَبْتَغُونَ عَيْدًا لَهُمْ أَبَا قَا^(٣) أَفْلَتُوا مِنْهُمْ ، فَقَرَّوْهُمْ حَتَّى إِذَا أَخَذُوا يَرُوحُونَ ارْتَابُوا بِهِمْ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَتْرَكُوا فِي لِحَاهِمُ شِمْرَةً إِلَّا نَتَفَوْهَا . فَقَالَ لَهُمُ الْيَرْبُوعِيُّونَ : إِنَّا نَحَرَّمُنَا بَطْلَامَكُمْ يَا بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ ، وَهَذَا قِرَاكُمْ فِي بَطُونِنَا وَحَقَائِبِنَا ؛ فَأَرْسَلُوهُمْ .

وَانْطَلَقَ الْقَوْمُ نَحْوَ الْكُوفَةِ يَرُونَهُمْ أَنَّهُمْ فِي إِثْرِ عَبِيدِهِمْ ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا رَجَعُوا فَأَتَوْا أَصْحَابَهُمْ وَقَالُوا : يَا بَنِي مَازَنَ ؛ لَمْ نَجِدْ وَاللهَ لَنَا وَلَكُمْ بِهِمْ يَدَيْنَ ، الْقَوْمُ كَثِيرٌ فَتَكَرَّرَ^(٤) الْقَوْمُ . فَقَالَ مَنْ نَمَّ ثُمَّ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ وَبَنِي الْعَنْبَرِ : أَغَيَرُوا عَلَى نَعْمَتِهِمْ ، فَلْنَأْخُذْهُ ، فَنَكُونَ قَدْ أَخَذْنَا عَوْضًا عَمَّا صُنِعَ بِنَا .

فَوَثَبَ يَشْرَ بْنَ حَزْنٍ وَقَالَ : يَا لَمَازَنَ ! قَوْمُوا إِلَى ، وَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ غَيْرَكُمْ . فَحَامُوا إِلَيْهِ ، فَبَرَزَهُمْ ، وَقَالَ : يَا بَنِي مَازَنَ ؛ أَذْكَرَكُمْ اللهُ ، أَمْ تَرْضَوْنَ أَنْ تُنْفِرَ يَرْبُوعُ وَالْمَنْبِرُ فَيَأْخُذُوا النَّعْمَ ، وَيَكُونَ ذَهَابُ دَارِكُمْ ! فَقَالُوا : فَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى أَنْ

(١) تَخْلُقُ : تَطْلُبُ بِالْخُلُقِ (٢) كَانَتْ جَنْدَلَةُ بِنْتُ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ الْفَرَسِيَّةِ أُمَ رِيَّاحٍ وَمَازَنَ (٣) جَمَعَ آبَى (٤) تَكَرَّرُوا : تَرَادَوْا . وَالْكَرْكِرَةُ : الْارْتِدَادُ عَنِ الْعَمَلِ .

تَجَمَّلُوا الثَّأْرَ بِالْأَنْفُسِ ، وَتَقَاتَلُوا الْقَوْمَ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ فَأَلَهُهُ أَظْفَرَكُمْ ، وَإِنْ تَكُنْ
الْآخِرَى كُنْتُمْ قَدْ أَيْتُمْ عُدْرًا فِي دَارِكُمْ .

فتابعوه على رأيه ، وقاموا إلى مَنْ هُنَاكَ مِنْ يَرْبُوعٍ وَالْمَنْبَرِ فَقَالُوا : جِزَاكَمُ اللَّهُ
خَيْرًا مِنْ إِخْوَةٍ ، فَإِنْ كُنْتُمْ دَعَوْتُمْ أَنْ نَأْطَعَنَّكُمْ ، وَلَكِنَّا نَحْنُ دَعَوْنَاكُمْ ،
فَارْمُوا بَنِي نَحُورِ الْقَوْمِ ، وَكُونُوا مِنْ وَرَائِنَا فَأَكْثَرُونَا ، فَإِنْ نَحْنُ هُزِمْنَا كُنْتُمْ
عَلَى حَامِيَتِكُمْ وَانْصَرَفْتُمْ ، وَإِنْ نَحْنُ ظَفَرْنَا فَهِيَ الَّتِي تَرِيدُونَ - وَكَانُوا قَدْ شَارَطُوهُمْ
ثَلَاثَ الْمَاءِ - فَقَالُوا : قَدْ فَعَلْنَا .

وانطلقوا وأصبحوا على مكان يُشْرِفُ عَلَى الْوَقْبِ ، فَقَالَتْ بَكْرٌ إِذْ رَأَتْهُمْ : هَذِهِ
عِيرٌ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَيْكُمْ ، وَقَالَتْ بُرَيْقَةُ بِنْتُ شَيْبَانَ : أَحْلِفْ بِاللَّهِ ، إِنِّي أَرَى الْبَيْضَ
تَبْرُقَ ، وَإِنِّي لَأَرَى الْأَسِنَّةَ تَلْمَعُ ؛ فَبَرَزَ أَبُو هَامَةَ مَعَهُ الْوَاءُ وَهُوَ يَقُولُ :

نَحْنُ حَفَرْنَا وَبَدَأْنَا أَوَّلًا وَلَنْ نَكُونَ الْخَاسِرَ الْمُحَوَّلًا (١)

ولما التقى الْجَمْعَانِ خَرَجَ عَصِيمَةُ بْنُ عَاصِمٍ الْمَازِنِيُّ عَلَى جَمَلٍ لَهُ ، وَهُوَ مُحْتَجِزٌ بِمَلَاءَةٍ لَهُ
بَيْضَاءُ عَلَى الدَّرْعِ وَفِي يَدِهِ الْوَاءُ ، فَلَقِيَهُ شَيْبَانَ أَبُو بَرَيْقَةَ ، وَطَعَنَ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا
صَاحِبَهُ ؛ فَانْحَدَرَتْ مَلَاءَةُ عَصِيمَةَ مِنْ فَخْذِهِ ، فَنَادَى عَصِيمَةُ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَازِنٍ
يَقَالُ لَهُ : خُنَيْسٌ ، وَقَالَ : يَا خُنَيْسُ ؛ أَطْلِقِ الْمَلَاءَةَ مِنْ فَخْذِي ، فَذَهَبَ خُنَيْسٌ لِيُطْلِقَ
الْمَلَاءَةَ مِنْ فَخْذِهِ ، فَضْرِبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ فَقَتَلَهُ ، وَجَاءَ شَيْبَانَ أَبُو بَرَيْقَةَ فَضْرِبَ
عَصِيمَةَ عَلَى يَدِهِ الْيَسْرَى فَقَطَعَ ثَلَاثَ أَصَابِعَ ، فَضْرِبَهُ عَصِيمَةُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ ، فَبَرَزَ
ابْنُهُ أَرْبَدُ بْنُ شَيْبَانَ وَكَرَّ عَلَى عَصِيمَةَ فَقَطَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى ، وَنَادَتْ بَكْرٌ : يَا بَنِي مَازِنَ ؛
الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ (٢) ، وَتَهَيَّأُوا لِلصَّلَاحِ .

(١) الحاضر : القوم النازلون على الماء . المحوّل : المظلوم (٢) العرب تهول للمدو إذا
غلب : البقية : أى أجوا علينا ولا تستأصلونا ، ومنه قول الأعشى :
* قالوا البقية والحطى يأخذهم *

ولم يكن قد علم بنو مازن بقتل صاحبهم خُنيس ، ولا ما لقيت يدُ عصيمة ، فلما رأى عصيمة ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قبضه ، حتى إذا امتلأ القميص دماً نَضَحَ به وجوهَ مازن ثم قال : أبقيةٌ بعد هذا أو صلح ! وأراهم يده وأعلمهم بقتل خُنيس ، فاقتلوا عند ذلك قتالا شديداً .

وشد خُفاف بن حزن على شيبان بن خصفة رئيس بكر فقتله ، ثم هُزمت بعده بكر هزيمة مُنكرة ، فأخذ رجل من بني يربوع يبدى بريقة بنت شيبان ليسبها ، فقال عصيمة : لا سياء في الإسلام ، أنا جاريةُ لجميع نساءهم من السباء ، وأمر النساء فتحملن وأنظلقن معهن جبان شيبان أبي بريقة ، ودفنه بالسكان الذي يقال له قارة شيبان ، وكسرن على قبره قدره وجفنته .

ولما أحرزوا الماء قالت بنو يربوع لبي مازن : إن لنا في الماء شريطةَ النصف ، فقالت بنو مازن : إنما جملنا لكم الثلث ، على أن تُقاتلوا فلم تألوا شيئاً من القتال ، وما كان أصلُ الماء إلّا لنا ، ولتكنفنا ، أو كترُدن أرامحنا في صدوركم .

وأما بنو ثعلبة فقالوا : والله ما بيننا وبين بني مازن شريطةٌ تُوجبُ لنا عليهم في هذا الماء حقاً ، وتركوهم . وأما بنو رياح فأبوا ، ونذر قمنب والأحوص الرياحيان يومئذ ألا يردّا الوقي إلا مُلجمين للقتال .

وعبروا على ذلك زماناً ؛ ثم إن بني رياح اغتروا بني مازن ، فأتوا رَكِيَّةً من ركاب الوقي ، فعمقروا السّواني^(١) وألقوا جيفها فيها ، فلما نذرت بهم بنو مازن هربوا ؛ فانطلق ناسٌ منهم في إثرهم حتى أتوا ماء لهم يقال له : طَلَح ، فعمّروه^(٢) وألقوا فيه السّواني وألحروا كما فعلوا بمائهم .

ثم هدأ ما بينهما ، واصطلحت الناس ، وخلصت الوقي لبني مازن .

(١) السانية : الناضعة وهي الناقة التي يستقى عليها ، وجمها السواني إذا كبستها بالتراب حتى تنسد .

(٢) عمّرت الركبة :

وفيه قال أبو الغول الطموى :

فَدَّتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي ^(١)
فَوَارِسَ لَا يَمْلُونَ الْمَنَابِيَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُون ^(٢)
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسِيءٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِينٍ
وَلَا تَبْلَى بَسَاتِلُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا حِينَ
هَمَّ مَنَعُوا رَحَى الْوَقْبِي بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
وَلَا يَرْعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ ^(٣)

(١) صدق (بالتشديد) مثل صدق بالتخفيف (٢) حرب زبون : تربن الناس أى تصدمهم
وتدفعهم (٣) الهدنة والهدون والهدنة : الدعة .

١٥- يَوْمَ الشَّبَاكِ

قَتَلَ إِيسَى بْنُ عَبْلَةَ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ^(١) اللَّهُ بْنُ ثَعْلَبَةَ مَسْمُودَ بْنَ الْقِصَافِ - مِنْ بَنِي الْقِصَافِ ^(٢) ، ثُمَّ أَسْرَتْ بَنُو تَيْمٍ اللَّهَ وَكَيْعَ بْنَ الْقِصَافِ ، فُجِسُوهُ عِنْدَهُمْ ، فَظَنُّ بَنُو حَنْظَلَةَ أَنَّهُمَا قَدْ قُتِلَا كِلَاهُمَا ؛ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو الْيَرْبُوعِيُّ يَرْثِيهِمَا ، وَبِتَوَعُّدِ بَنِي تَيْمٍ اللَّهَ نَهْ .

لَتَبْكِ النِّسَاءُ الرُّضَمَاتُ بِسُحْرَةِ وَكَيْعٍ وَمَسْمُودٍ أَقْتِيلِ الْخَنَاتِيمَ
كَلَا أَخُونَا كَانَ فِرْعَاوَنًا دِعَامَةً وَلَا يُلْبِثُ الْعَرَشُ انْقِضَاضُ الدِّعَائِمِ
فَلَا تَرْجُ تَيْمُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلُوهُمَا دِيَّاتٍ وَلَا أَنْ يُهْزِمَا فِي الْهَزَائِمِ ^(٣)

فَلَمَّا أَتَى هَذَا الشَّعْرُ بَنِي تَيْمٍ عَرَفُوا أَنَّ بَنِي الْقِصَافِ سَيَطْلُبُونَهُمْ بِدَمِ مَسْمُودٍ ، فَخَلُّوا سَبِيلَ وَكَيْعٍ ، فَلَبِثَ بَنُو الْقِصَافِ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْبَثُوا .
ثُمَّ إِنْ فَتِيَّةٌ مِنْهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْكُوفَةِ فِي عَيْرِهِمْ لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الشَّبَاكِ لَقُوا قَوْمًا فَسَالُوهُمْ رَنَ عَلَى الْمَاءِ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : بَنُو حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ وَنَاسٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ اللَّهَ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

فَقَتَلَ بَنُو الْقِصَافِ رَوَاحِلَهُمْ ، وَخَلَفُوا بَعْضُهُمْ فِيهَا ، وَمَضَى بَعْضٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنِ عَبْلَةَ ، فَقَالُوا لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ نَاقَةً لَنَا ضَلَّتْ ، وَهِيَ فِي إِبْلَاكِ فَارْدُدْهَا عَلَيْنَا ؛ فَقَالَ لِفَلَامٍ لَهُ : انْطَلِقْ مَعَ الْقَوْمِ فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ نَاقَتَهُمْ .

* لَبِثَ الْقِصَافُ (مِنْ تَيْمٍ) عَلَى بَنِي تَيْمٍ اللَّهَ بْنِ ثَعْلَبَةَ (مِنْ بَكْرٍ) ، وَالشَّبَاكُ : طَرِيقُ حَاجِ الْبَصْرَةِ ، وَهَذَا أَيْضاً مِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي آثَرْنَا ذِكْرَهَا فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ .

الْفَائِضُ : ص ٩١٨ طَبِيعُ أَوْرُبَا

(١) تَيْمٍ اللَّهَ بْنِ ثَعْلَبَةَ : بَطْنٌ فِي بَكْرٍ (٢) بَنُو الْقِصَافِ : مِنْ تَيْمٍ

(٣) يَقُولُ : لَيْسَ لَهَا مَتْرُكٌ لَا يَدَّ أَنْ يَطْلُبَ بِهَا . هَزَمَ لَهُ حَقُّهُ أَيْ وَهَبَهُ لَهُ .

فانطلق غلامُ ابنِ عُبلةَ معهم ، فسأل راعيَّه عن نافرِ القوم ، فقال : ما رأيُها ، وهذه الإبلُ فانظر . فنظر الغلام فلم يرَ شيئاً ، فرجع إلى مولاه ، ورجع بنو القِصاف فقال لهم ابنُ عُبلة : ما صَنَعْتُمْ ؟ قالوا : غيَّب راعيكَ نافرَنا ، فقمُ معنا إليه ، فقام معهم ابنُ عُبلة ، حتى إذا نَحَوَهُ عن الماء شدَّ عليه رجلٌ من بني القِصاف ، ثم نادى بإثاراتِ مسمودٍ ! فقتله ، وخَضَبَ عمامته بدمِهِ .

فغضب بنو حارثة^(١) بن لأم ، وقالوا : قتلوا جارنا ، ولا تزال العرب تَسُبُّنا به إن فأتونا .

وطلبوا بني القِصاف وهم نَفِير^(٢) ، وعلى الماء جماعةٌ من بني حارثة بن لأم ، فترك بنو القِصاف رواحِلَهم ، ومضوا بالهامة مخضوبة بالدم حتى انتهوا بها إلى بني طَهْيَةَ^(٣) ، فسألوهم عن رِكابِهم ، فقالوا : تركناها في أيدي بني حارثة ، فقال الأسلع بن القِصاف في ذلك :

فِدَى لِمَرِيٍّ لاقى ابنَ عُبلةَ ناقي وراكبُها والناسُ باقٍ وذاهبُ
عَدَا ثُمَّ أَمَدَّاهُ على الهولِ فَنَيَّةٌ كِرَامٌ وَأَسْيَافٌ رِقَاقٌ قَوَاضِبُ
ولم يحفلوا ما أَحْدَثَ الدهرُ بعدها وما كشف الناسُ الأمورَ الشَوَاقِبُ
ولم نَرَوْهُ حتى بَلَ أَسْيَافنا دَمٌ يَدَاوِي به قَرَحُ القلوبِ الجَوَالِبُ^(٤)
ولا شَرَّ حاجاتٍ طَوَّاهُنَّ بعدَ ما تباعد . أَسْبَابُ الهوى المُتَقَارِبُ
فما الناسُ أَرَدَوْهُ وَلَكِنْ أَقَادَهُ يَدُ اللَّهِ وَالسَّنَنُصْرُ اللَّهُ غَالِبُ

(١) بنو حارثة بن لأم : بطن في طهي . (٢) النفير : القوم يتنافرون في القتال ، والنفير : القوم الذين يتقدمون في القتال والنفير : الجماعة من الناس . (٣) طهية : قبيلة في تميم ومنهم بنو القِصاف . (٤) الجلية : القشرة التي تملأ الجرح عند البرء ، وقد جلب يجلب وأجلب الجرح مثله : إذا علت القرحة جلدة البرء . وقال الليث : قرحة مجلبة وجالبة ، وقروح جوالب وجلب .

شَفَى سَقَمًا - إِنْ كَانَتِ النَّفْسُ تُشْتَفَى -
شَفَى الدَّاءَ وَابْيَضَّتْ وَجْوهُ كَأَنَّمَا
لَعَمْرِي لَقَدْ رَدَّتْ عَشِيَّةً مِثْقَبٌ^(٣)
فَأَبْلَغُ بَنِي لَامٍ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَخُونَا فَتَحَدَّبُوا
وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَى مِثْلِهَا لَكُنْمْ
لَمَّا يَرَوْنَهُ حَتَّى أُفِيخَتْ إِلَيْكُمْ
فَإِنَّ رِحَالَ الْقَوْمِ وَسَطَ بُيُوتِكُمْ
فَلَمَّا أَتَى بَنِي حَارِثَةَ هَذَا الشَّعْرُ سَرَّهُمْ ، وَقَالُوا : مَا لَنَا عَلَى رِكَابِكُمْ مِنْ سَبِيلٍ ،
قَوْمٌ أَدْرَكُوا بَنَاءَهُمْ ، وَلَهُمْ جَوَارٌ ، وَالَّذِي يَبْنُو وَيَنْهَمُ بِهِمْ حَسَنٌ ، فَرَدُّوا عَلَى بَنِي
الْقِصَافِ رِكَابَهُمْ ، وَطَاحَ^(٤) ابْنُ عَبْلَةَ ، وَلَمْ يُدْرِكْ بَنَاءَهُ ۝

(١) الشباك : موضع (٢) النفس : الميب (٣) المثقب : طريق
(٤) يمي ذهب منه بطلا .

٦- أَيَّامُ قَيْسٍ "فِي مَابَيْنَهُمَا"

المشروع هم
عفا الله عنه

- ١- يَوْمُ مَنْعِجٍ
- ٢- ۞ النَّفَرَاتِ
- ٣- ۞ بَطْنِ عَاقِلٍ
- ٤- ۞ دَاحِسٍ وَالْفَبْرَاءِ
- ٥- ۞ الرُّقْمِ
- ٦- ۞ النَّتَاءِ
- ٧- ۞ حَوْزَةِ الْأُولَى
- ٨- ۞ ۞ الشَّائِي
- ٩- ۞ اللَّوَى
- ١٠- حَدِيثُ ابْنِ ضِيَا
- ١١- يَوْمُ هَرَامَيْتِ

١ - يوم منعج

كان زهيرُ بن جذيمة المبسى سيناَ قَيْسَ عَيْلَانَ ، فتزوَّج إليه النعمان^(١) بن امرئ القيس ملك الحيرة لشرفه وسؤدده ، وأرسل إليه يوماً يستزيره بعض أولاده ، فأرسل إليه ابنته شاساً - وكان أصغر ولده - فأكرمه وجباه أفضل الحبوَّة مِسْكَ وكُسَى وقُطُفًا وطَنَافِس^(٢) ، ثم خرج من عنده يريد قومه ، وسار حتى ورد مَنَمِجاً - وهو ماء لفي^(٣) - فأناخ في يوم شمَّال^(٤) ، وقرَّ على رَذْهة^(٥) في جبل رياح ابن الأسك الفنوى ، ليس على الرَذْهة غير بيته .

ثم أنشأ شاس يفتسل بين الناقة والبيت ، وامرأة رياح تنظر إليه ، وهو مثل الثور الأبيض ، فقال رياح لامراته : أعطيني قوسى ، فددت إليه قوسه ومهما ، ثم أهوى لشاس بسهم ، وبترَ صُلْبَه ، وحفر له حفراً فهدمه عليه ، ونحر جلّه وأكله ، وأدخل متاعه بيته .

* لبس على غنى ، وتسميته يوم منعج لصاحب المقد القريد ، وقال أبو عبيدة : ويقال له يوم الرذمة ؛ وفي مجمع الأمثال للبديانى : لبنى يربوع على بنى كلاب .

الأغانى ص ٨ ج ١٠ طبعة الساسى ، ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٢٦٨ ج ٢ ، مهذب الأغاني ص ٨ ج ٢

(١) النعمان ابن امرئ القيس : أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة ، وكان من أشد ملوك العرب نكابة في أعدائه وأبدم مفاراً ، كما كان صارماً حازماً ضابطاً للملكه ، ولكنه في آخر عهده زهد في الملك ، وساح في الأرض فلم يره أحد (سنة ٤٣١ م) (٢) الطنافس : للبسط والياب ، والقطيفة : دنار تحمل ، وقيل كساء له خل ، والجمع قطائف ، وقطف مثل صحيفة وصحف كأنها جمع قטיפ وصحيف (٣) ففى : حى من غطفان (٤) الشمال (بالفتح ويكسر) : الريح التى تستقبلك عن يمينك وأنت مستقبل (٥) الرذمة : النقرة : يجتمه فيها ماء السماء .

وَقَدْ شَاسَ ، وَقَصَّ أَثَرَهُ وَنَشِدَ ، وَرَكِبُوا إِلَى الْمَلِكِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : حَبَوْتُهُ وَسَرَّحْتُهُ ، فَقَالُوا : وَمَا مَتَّعْتَهُ بِهِ ؟ قَالَ : مِسْكٌ وَكُسَى وَنُطُوعٌ وَقُطْفٌ .

فَأَقْبَلُوا يَقْصُونَ أَثَرَهُ فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ ، وَمَكَثْتَ عَبَسَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى رَأَوْا امْرَأَةً رِيَّاحٌ بَاعَتْ بِمِكَائِلَ قَطِيفَةً حُمْرَاءَ وَبِعِضٌ مَا كَانَ مِنْ حِجَابِ الْمَلِكِ ، فَمَرَفُوا وَتَيَقَّنُوا أَنَّ رِيَّاحًا ثَأْرَهُمْ ثَأْرَهُمْ .

فَأَتَى زَهِيرٌ غَنِيًّا وَسَأَلَهُمْ عَنْ شَاسَ فَقَالُوا : نَعَمْ ، قَتَلَهُ رِيَّاحٌ ، وَنَحْنُ بَرَاءَةٌ مِنْهُ ، وَقَدْ لَحِقَ بِخَالِهِ مِنْ بَنِي الطَّمَّاحِ . وَلَا تَبَيَّنَ لَزَهِيرَ أَنَّ رِيَّاحًا ثَأْرَهُ قَالَ يَرْنِي شَاسًا :

بَكَيتُ لَشَاسٍ حِينَ خُبِّرْتُ أَنَّهُ	بِمَاءٍ غَنَى آخِرَ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
لَقَدْ كَانَ مَاتَاهُ الرِّدَاءُ ^(٢) لِحَتْفِهِ	وَمَا كَانَ لَوْ لَا غِرَّةُ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
قَتِيلٌ غَنَى لَيْسَ شَكْلُهُ كَشَكْلِهِ	كَذَاكَ لَعَمْرِي الْحَيْنَ لِلْمَرْءِ يُجَلِّبُ
سَابَكِي عَلَيْهِ إِنْ بَكَيتُ بَعْبَرَةً	وَحَقَّ لَشَاسٍ عَبْرَةً حِينَ تُسَكَّبُ
وَحُزْنٌ عَلَيْهِ مَا حَيَّيْتُ وَعَوَّلُهُ	عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الْبَدْرِ أَوْ هُوَ أَعْجَبُ
إِذَا سِيمَ ضَيْبًا كَانَ لِلضَّيْمِ مُنْكَرًا	وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ يُخَشَى وَيَرْهَبُ
وَإِنْ صَوْتُ الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ مَرَّةً	أَجَابَ لَا يَدْعُو لَهُ حِينَ يُكْرَبُ
فَفَرَّجَ عَنْهُ نَمَّ كَانَتْ وَلِيَّهُ	فَقَلْبِي عَلَيْهِ - لَوْ بَدَا الْقَلْبُ - مُلْهَبُ

(١) قوم زهير

(٢) الرداء : جمع ردة ، وهى الفرة يستنقع فيها الماء .

وانصرف إلى قومه ، وكان لا يرى غنوباً إلا قتله^(١) .

ثم غزت بنو عبس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو دية مع أخى شاس - الحصين
ابن زهير - والحصين بن أسيد بن زهير ، فقبل ذلك لغنى ، فقالت لرياح : أنجُ لملنا
نُصالح على شيء أو نرضيهم بدية وفداء .

وخرج رياح رديفاً^(٢) لرجل من بني كلاب ، وكان معهما صحيفة فيها لحم ؛

(١) هذه رواية الأغانى ، وجاء في ابن الأثير : إن زهيراً حين اعتقد ابنه سار إلى غنى ، وم
حقاه في بني عامر ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ، فخلقوا أنهم لم يعرفوا خبره ، قال :
ولكنى أعلمه ، فقال له واحد من بني عامر : فما الذى يرضيك منا ؟ قال : واحدة من ثلاث :
إما تحيون ولدى ، وإما تسلمون لى غنياً حتى أقتلهم بولدى ، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا
وبيتم ، قالوا : ما جعلت لنا في هذه مخرجاً ؟ أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله ، وأما تسليم
غنى إليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار ، وأما الحرب بيننا فوالله إنا لنحب رضاك ونكره
سخطك ؛ ولكن إن شئت الدية ، وإن شئت تطلب قاتل ابنك ، فنسلمه إليك ، أو تهب دمه
فإنه لا يضيع في القرابة والجوار ، قال : ما أفضل إلا ما ذكرت .

فلما رأى خالد بن جعفر عمى زهير على أخواله من غنى . قال : والله ما رأينا كالיום تعدى رجل
على قومه ، فقال له زهير : فهل لك أن تكون طلبى عندك وأترك غنيا ؟ قال : نعم ، فانصرف
زهير وهو يقول :

فلولا كلاب قد أخذت قريفتى	برد غنى أعبداً وموالي
ولكن حتمهم عصبه عامريه	يهزون في الأرض القصار العوالي
مساعيرى الميها مصاليت فى الوغى	أخوم عزيز لا يخاف الأعادي
يقيمون فى دار الحفاظ تكروما	إذا ما فى القوم أضحت خوالي

الغنى : جمع فناء

ثم أنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها ، وأعطاهما لحم جزور ممينة ، وسيرها إلى غنى
لتبيع اللحم بطيب ، وتساءل عن حال ولده ، فانطلقت المرأة إلى غنى وفعلت ما أمرها ، فأنتهت إلى
امرأة رياح بن الأسك ، وقالت لها : قد زوجت بنتا لى وأبنى الطيب بهذا اللحم ، فأعطتها طيباً ،
وحديثها بقتل زوجها شاساً ، فادت للمرأة إلى زهير وأخبرته ، فجمع خيله ، وجعل يفر على
غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ووقعت الحرب بين بنى عبس وبين عامر (ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١)
(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب

فَأَدْخَلَا بَيْدَيْهِمَا فِي الصُّحُفَةِ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَضْرَةً ^(١) لِيَاكُلَهُمَا ،
مُتَرَادِفِينَ لَا يَفْهَمَانِ عَلَى التَّزْوِلِ ، فَرَفَّ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا صُرْدٌ فَصَرَصَ ، فَأَلْقَيَا اللَّحْمَ ،
وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا ، وَقَالَا : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا عَظْمًا ؛ وَمَرَّ الصُّرْدُ فَوْقَ رُءُوسِهِمَا نَحْرُورًا ، فَأَلْقَيَا الْعِظْمَيْنِ وَأَمْسَكَ بِأَيْدِيهِمَا
وَقَالَا : مَا هَذَا ! ثُمَّ عَادَا الثَّلَاثَةَ ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِطْعَةً ، فَرَفَّ الصُّرْدُ فَوْقَ
رُءُوسِهِمَا فَصَرَصَ ، فَأَلْقَيَا الْعِظْمَيْنِ حَتَّى فَعَلَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِذَا هُمَا بِالْقَوْمِ أَذَى
ظَلَامٍ ^(٢) . - وَقَدْ كَانَا يَنْظُرَانِ أَنَّهُمَا قَدْ خَالَفَا وَجْهَةَ الْقَوْمِ ! فَقَالَ لِرِيَّاحٍ صَاحِبُهُ : اذْهَبْ
فَإِنِّي آتَى الْقَوْمَ أَشْغَلُهُمْ عَنْكَ وَأُحْدِثُهُمْ حَتَّى تُعْجِزَهُمْ ، ثُمَّ مَاضٍ إِنْ تَرَكَوْنِي .
فَانْحَدَرَ رِيَّاحٌ عَنْ عَجْزِ الْجَلِ ، فَأَخَذَ أَذْرَاجَهُ ^(٣) ، وَعَدَا حَتَّى أَتَى صُفَّةً فَاخْتَفَرَ
تَحْتَهَا مِثْلَ مَكَانِ الْأَرْنَبِ وَوَلَجَ فِيهِ ، ثُمَّ أَخَذَ تَعْلَيْنِ مِنْ سِتِّ ^(٤) فَجَمَلَ إِحْدَاهُمَا
عَلَى سُرَّتِهِ ، وَالْأُخْرَى عَلَى صَفْنِهِ ^(٥) ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمَا الْعِمَامَةَ . وَمَضَى صَاحِبُهُ حَتَّى لَقِيَ
الْقَوْمَ ؛ فَسَأَلُوهُ فَحَدَّثَهُمْ وَقَالَ : هَذِهِ غَنَى كَامِلَةٌ ، وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُمْ ، فَصَدَّقُوهُ
وَحَلَّوْا سِرَّيْهِ ^(٦) .

فَلَمَّا وَلَّى رَأَوْا مَرْكَبَ الرَّجُلِ خَلْفَهُ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي كَانَ خَلْفَكَ ؟
فَقَالَ : لَا مَسْكَدُ بَعْدَ ذَلِكَ رِيَّاحٍ فِي الْأَوَّلِ مِنَ السَّمَرَاتِ ^(٧) ، فَقَالَ الْحَصِينَانِ ^(٨)

-
- (١) الرضرة : القطة الصغيرة من اللحم (٢) أذى ظلام : أذى شيء
(٣) أدرج : جمع درج ، وهو الطريق ، والمعنى مضى لسيئه (٤) السبت : الجلد المدبوغ
والتمل مؤتة (٥) الصفن : وعاء الخصبة (٦) السرب : الطريق والوجه
(٧) السمرات : واحدها سمرة ، وهو شجر (٨) الحصينان : الحصين بن زهير والحصين
ابن أسيد .

لن معهما : قَفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَهُ ، فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يريد أن
يُشركهما فيه أحد ، ومضياً ووقف القوم وخَنَسُوا^(١) عنهما .

فلما رأها رياح رى الأول منهما فَبَرَّ صُلْبَهُ ، وطمنه الآخر قبل أن يرميه ،
وأراد السُرَّةَ فأصاب الرِّبْلَةَ^(٢) ، ومرَّ الفرسُ يَهْوِي به ، فاستدبره رياح بسهم
فرَشَقَ به صُلْبَهُ ؛ وَنَدَّ فرسها فلحقها بالقوم .

فقال عَبَسَ : أَيْنَ تذهبون إلى هذا ؟ والله ليقتلنَّ منكم عدداً ، وقد جرحاه
وسيموتُ .

ثم إن رياحا أخذ رُمحِي القَتِيلِ وسلبيهما وانطلق حتى ورد رَذْمَةً عليها يَتُ
أُتْمَار بن بضيض ، وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها ، وجمل لها رَاتِع في الجَبَل ،
وقد مات رياح عطشاً ، فلما رَأَتْهُ يَسْتَدْمِي^(٣) طمعت فيه ، ورجت أن يَأْتِيَهَا ابناها
فقالَت : اسْتَأْسِر ، فقال : دعيني ومحك أشرب ! فأبت فأخذ حديدَةً فَجَدَمَ^(٤) بها
رواحشها^(٥) ، وعَبَّ في الماء حتى نَهَلَ ، ثم تَوَجَّهَ إلى قومه ، فقال فيها وفي الحصينين :

قالت لي : استأسر لِتَكُنْفَنِي حيناً وبملو قولهما قولي
ولأنت أجراً من أسامة أو منى غداة وقفت للخيبل
إذ الحُصَيْن لَدَى الحَصِين كما عَدَلَ الرَّجَازَةُ^(٦) جانبَ الليل

(١) خنسوا : تأخروا (٢) الرِبْلَةُ : أصل القنذ (٣) استدعى الرجل : طأطأ رأسه
يخطر منه الدم (٤) الجنم : القطع (٥) الرواحش : عروق ظاهر الكف
(٦) الرجيزة : شيء يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعت في الناحية
الأخرى ليعتدل .

٢- يَوْمُ النِّفَرَاتِ

كان زُهَيْرُ بْنُ جَدِيعَةَ^(١) المَبْسِيُّ سَيِّدًا لِهَوَازِنَ^(٢) ، فكانت لا تراه إلا رُبًّا . وهَوَازِنُ يُومِئذٍ لا خَيْرَ فِيهَا ، وإنما هم رِعَاءُ الشَّاءِ فِي الْجِبَالِ ، وكان زُهَيْرٌ يَعِزُّهُمْ^(٣) ، فإذا كانت أَيَّامُ عُكَّاطِ أَتَاهَا زُهَيْرٌ ، ويأتيها النَّاسُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، فتأتيه هَوَازِنُ بِالْإِبْتَاوَةِ الَّتِي لَهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فيأتونه بِالسَّمْنِ وَالْأَقِطِ^(٤) وَالنَّعَمِ ، ثم إذا تفرَّقَ النَّاسُ نَزَلَ بِالنِّفَرَاتِ .

فأتته عَجُوزٌ مِنْ هَوَازِنَ بِسَمْنٍ فِي نَحْيٍ^(٥) ، واعتذرت إليه وشَكَتِ السَّنِينَ الَّتِي تَتَابَعَتْ عَلَى النَّاسِ ، فذاقَه فلم يَرْضَ طَعْمَهُ ، فدَعَمَهَا^(٦) بِقَوْسٍ فِي يَدِهِ عَطُلٌ^(٧) فِي صَدْرِهَا ، فاستلقت لِحَالَوَةَ^(٨) الْقَفَا ، ففضبت مِنْ ذَلِكَ هَوَازِنَ وَصَمَدَتْ لَهُ^(٩) ،

* لعامر على عيس و (النفراوات) هكذا ذكره صاحب الأغاني ، وفي السقد الفريد (النفراوات) ، وفي معجم ما استعجم : النفراوات ، قال : نقرى بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهمله مقصور على وزن فاعلى ، ويمد : موضع في بلاد غطفان . قال السكري : هي حرة . قال مالك بن خالد الحفاعي :

ولما رأوا نقرى تسيل أكامها بأرعن جزار وحامية غلب
ورواه السكوتى : نقرى بالقاف . قال أبو الفتح أراد نقرى فخفف للضرورة ، قال أبو صخر فجمعها على نقرات :

فلما تفشى نقرات سحيله ودافعه من شامه بالرواجب
يريد بالأصابع ، يصف سحابا .
العقد الفريد من ٣٠٤ ج ٣ ، الأغاني من ١٠ ج ١٠ ، ابن الأثير من ٣٣٨ ج ١٠ ، بلوغ الأرب من ١١٧ ج ١ ، معجم ما استعجم (ركبة - نقر - نقر - نفراوات)
(١) من عيس ، وينتهى نسبه إلى قيس عيلان بن مضر (٢) هوازِن : جى من قيس عيلان (٣) يعزِم : يظلمهم (٤) الأقط : شئ يتخذ من الخيش الغنمي .
(٥) النحي : الرق الذي يجعل فيه السمن (٦) دعَمَا : دفعها (٧) قوس عطل : لا وتر فيها (٨) حلاوة القفا : وسطه (٩) صمدت له : قصده و انتظرت غفلته .

هذا إلى ما كان في صدرها من الفيظ والدمن^(١) وما أوحرها^(٢) من الحسد .
وتذامرت^(٣) عامر بن صمصمة - وهم بطن من هوازن - وآلى خالد بن جعفر
فقال : والله لأجعلن ذراعى وراء عنقهِ حتى أقتل أو يُقتل ، ثم قال :

أديروني أداتكم^(٤) فإني وحدة^(٥) كالشجأ تحت الوريد
مقربة أسدبها بخزٍ وألحفها ردائي في الجليل
وأوصي الراعيين ليؤثراها لها لبن الخلية والصمود^(٦)
نراها في النزاة وهن شعث كقلب^(٧) العاج في الرُسخ الجديد

ولاسم زهير هذا القول حقرَ خالدًا وسبّه ، فقال خالد : اللهم أمكن يدي
هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ، ثم أعنى عليه . فقال زهير : اللهم
أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا . فقالت قريش - وكان
الكلام أمامهم : هلكت والله يازهير . فقال زهير : إنكم والله الذين لا علم لكم .

ثم انتقل زهير من قومه بينه وبين أخويه زنباع وأسيد يُريغ^(٨) الفيت في
عُشراوات^(٩) له ، وبنو عامر قريب منهم ولا يشعرون بهم ، وكانت تماضر بنت
الشريد امرأة زهير بن جذيمة ، فرب بها أخوها الحارث^(١٠) ؛ فقال زهير

(١) الدمنة : الحقد القديم ، وجمه دمن (٢) أوحرها : أغرها (٣) تذامرت :
تحاضت على القتال (٤) لسكل ذي حرفة أداة ، وهي آلة التي تقيم حرفه ، وأداة الحرب
سلاحها (٥) حدة : فرس خالد بن جعفر (٦) الخلية : الناقة تنتج فينحر ولها
ليدوم لهم لبنها ، والصمود : الناقة يموت حوارها فتعطف على فصيلها (٧) القلب : السوار
(٨) يريغ : يطلب (٩) العشراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ، وجمها عشراوات
(١٠) كان الحارث قد أصاب دماً ، ثم احتسب بنو عامر قوم خالد وكان فيهم ، ثم إن خالداً
أرسله مبعوثاً ليأتيه بخبر زهير .

لَبَنِيهِ : إن هذا الحمار أَطْلِمَهُ عَلَيْكُمْ فَأَوْثِقُوهُ ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ لَبْنِيهَا : أَيْزُورُكُمْ خَالَكُمْ
فَتَوْثِقُوهُ وَتَحْرِمُوهُ ؟ ثُمَّ حَلَبُوا لَهُ وَطَبَا^(١) ، وَأَخَذُوا مِنْهُ يَمِينًا أَلَا يُخْبِرَ عَنْهُمْ ،
وَلَا يُبْذَرُ بِهِمْ أَحَدًا .

فَخَرَجَ يَطِيرُ حَتَّى أَتَى بَنِي عَامِرَ عِنْدَ نَادِيهِمْ ، وَأَتَى شَجَرَةً فَأَتَى الْوَطْبَ تَحْتَهَا
وَالْقَوْمُ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ قَالَ :

أَيْتَهَا الشَّجَرَةُ الذَّلِيلَةُ : أَثَرُ بَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَانْظُرِي مَا طَعَّمَهُ ؟ فَقَالَ أَهْلُ
الْجُلُسِ : هَذَا رَجُلٌ مَأْخُوذٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يُخْبِرُكُمْ خَبْرًا !

فَأَبَوْهُ ، وَذَاقُوا اللَّبَنَ ، فَإِذَا هُوَ حُلُومٌ لَمْ يَقْرُصْ بِهِد^(٢) ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لِيُخْبِرُنَا
أَنْ طَلَبْنَا قَرِيبًا .

فَرَكِبَ خَالِدٌ وَرَكِبَ مَعَهُ سِتَّةُ فُؤَارِسٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ لِيَنْظُرُوا مَا الْخَبَرُ . وَاقْتَصَمُوا
أَثَرُ السَّيْرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا إِبِلَ بَنِي عَبَسَ فَزَلُّوا عَنْ الْخَيْلِ ؛ فَقَالَتْ نِسَاءُ بَنِي عَبَسَ :
إِنَّا لَنَرِي حَرَجَةً مِنْ عِضَاءِ^(٣) ، أَوْ غَابَةً مِنْ رِمَاحٍ بِمَكَانٍ لَمْ نَكُنْ نَرِي بِهِ شَيْئًا .
ثُمَّ رَاحَتِ الرَّعَاءُ فَأَخْبَرُوا بِمَثَلِ هَذَا الْخَبَرِ ، وَأَخْبَرَتْ رَاعِيَةٌ أُسَيْدَ بْنَ جَذِيعَةَ أُسَيْدًا
بِمَثَلِ ذَلِكَ .

فَأَتَى أُسَيْدٌ أَخَاهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ الرَّاعِيَةُ وَقَالَ : إِنَّمَا رَأَتْ خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ
وَرِمَاحَهَا . فَقَالَ زُهَيْرٌ : كُلُّ أَزْبَ^(٤) نَقُورٌ ! وَأَيْنَ بَنِي عَامِرٍ ؟ أَمَّا كَلَابُ فَكَالْحَيَّةِ^(٥)

(١) الوطْب : سقاء اللبن (٢) يقرص : يحمص (٣) المضاء : كل شجر يعظم وله
شوك ، والحرجة : الجماعة منها (٤) الأزب من الإبل : كثير شعر الأذنين والعينين . قال
في اللسان : ولا يكاد يكون الأزب إلا نقوراً لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح
غفر ، وكان أسيد كثير الشعر . وقد ذهبت الجماعة مثلاً (٥) كلاب وكعب وغير وهلال :
طون من عامر بن صعصعة .

إِنْ تَرَكْتَهَا تَرَكْتُكَ ، وَإِنْ وَطِئْتَهَا عَضَّتْكَ . وَأَمَّا بَنُو كَعْبٍ فَإِنَّهُمْ يَصِيدُونَ
الْلَّائِي (١) ، وَأَمَّا بَنُو نَعِيمٍ فَإِنَّهُمْ يَرْعَوْنَ إِبِلَهُمْ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَأَمَّا بَنُو هِلَالٍ
فَيَبِيعُونَ الْمِطْرَ .

ثم آلى زهير لا يبرح مكانه حتى يُصبح ، وتحمّل من كان معه غير ابنه ورقاء
والحارث . وكانت لزهير مظلة دَوْحٍ يربط فيها أفراسه لا ترعى حذرًا من الحوادث ،
فلما أصبح صهلت فرسٌ منها حين أحست بالخليل ، وهي القمساء (٢) . فقال زهير :
مالها ؟ فقال ربيثته (٣) : أحست بالخليل فصهلت إليهن ، فلم تؤذنه بهن إلا والخليلُ
دَوَائِسُ مُحَاضِرٍ (٤) بالقوم غُدِيَّةً ، فقال زهير لأخيه أسيد - وظن أنهم أهلُ اليمن :
يَا أُسَيْدُ ؟ مَا هَؤُلَاءِ ؟ فقال : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعَمَّى حَدِيثُهُمْ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ، وَرَكِبَ أُسَيْدُ
وَمَضَى نَاجِيًا .

ثم إن زهيراً وثب وتدنثر (٥) القمساء فرسه وهو يومئذ شيخ قد بدّن (٦) ، وقال
لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى ؟ فقال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يُجْهِدُهَا
وَيُكْذِّبُهَا بالسوط قد أُلح عليها . فقال زهير : شيئاً ما يريد بالسوط إلى الشقراء (٧) .
وتمردت القمساء بزهير ، وجعل خالد يقول : لا نجوت إن نجاً مجدّع (٨) .
ولما تمفطت (٩) القمساء بزهير ولم تتعلّق بها حذفة قال خالد لمعاوية الأخيّل

(١) اللّائي : الثور الوحشي (٢) القمساء : اسم فرس زهير (٣) الربيثة : الطليعة
التي ينظر القوم لئلا يدهم العدو . وقد زعموا أن ربيثة زهير كان من الجن
(٤) دوائس : يتبع بعضها بعضاً ، والمحضر : الكثير الحضر ، والحضر : ارتفاع القرس في
عدوه (٥) تدنثر فرسه : وثب عليها (٦) بدن الرجل : أسن وضعف
(٧) ذهبت مثلاً ، والشقراء هي حذفة فرس خالد (٨) يعني زهيراً (٩) تمفط القرس :
جرى حتى لا يجد مزيداً في جريه .

ابن جبادة ، وهو ممن كانوا معه : أدرك معاوية ، فأدرك معاوية زهيراً ، فجعل ابنه ورقاء والحارث يوطشان^(١) عنه ؛ فقال خالد : اطمئن يا معاوية في نساءها^(٢) ، فطمئن في أحد رجلها ؛ فأنخذلت القمساء بمض الانخذال ، وهي في ذلك تتممط ، فقال زهير : اطمئن الأخرى - يكيدُهُ بذلك لكي تستوى رجلها ، فتحمّل . فناداه خالد : يا معاوية ؛ أفد^(٣) طمئنك ، فشغ^(٤) الرمح في رجلها فأنخذلت .

ولحقه خالد على حذفة ، فجعل يده وراء عنق زهير وقلبه ، وخرّ خالد فوقه ، ولحق حنْدُج بن البكاء - وكان ممن جاء مع خالد - فوجد خالد قد حَسَرَ المِفْرَ عن رأس زهير فقال : نَحْ رأسك يا أبا جَزء^(٥) ، لم يميز يومك ! فنحى خالد رأسه وضرب حنْدُج^(٦) رأس زهير ، وضرب ورقاء رأس خالد بالسيف وعليه درعان ، فلم يُغن شيئاً ، وأجهض^(٧) ابنا زهير القوم عن أيهما فأنزعهما مرتين^(٨) .

فقال خالد - حين استنقذ زهيراً ابنه : وَالْهَفْتَاءُ ! قد كنت أظن أن هذا المخرج سينفمكم ، ولام حنْدُجاً . فقال حنْدُج : السيفُ حديد ، والساعدُ شديد ، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركائب ، وسمعت السيف قال : قَبْ قَب^(٩) حين وقع برأسه ، ورأيت على ظبيته مثل ثمر المرار . فقال خالد : قتلته بأبي أنت !

-
- | | |
|----------------------------|--|
| (١) يوطشان : يدفسان | (٢) النسا : عرق من الورك إلى الكعب |
| (٣) أى اطمئن مكاناً واحداً | (٤) شغ السنان في الطنة : حركة ليتكن في الطمون |
| (٥) أبو جزء : كنية خالد | (٦) في المقد العريد : الذي ضربه هو معاوية الأخيل |
| (٧) أجهض : نحى | (٨) المرت : المحمول من المركبة جريحاً |
| | (٩) قَبْ قَب : حكاية وقع السيف . |

ونظر بنو زهير فإذا بالضربة قد بلغت الدماغ ، ثم استسقام فتموه الماء ،
 حتى نهك عاशा ، وقال : أميت أنا عطشا ! اسقوني الماء وإن كان فيه نفسي ،
 ثم أخذ ينادى : يا ورقاء ؛ ولما لم يُجبه جمل ينادى : يا شاس^(١) ، فلما رأوا ذلك
 سقوه ، فمات بعد ثلاثة أيام .



وفي قتل زهير يقول ابنه ورقاء :

رأيت زهيراً تحت كلِّكل^(٢) خالد فأقبلت أسمى كالمجول^(٣) أبادرُ
 إلى بطلين ينهضان كلاهما يُرِفان^(٤) نصل السيف والسيف دائر^(٥)
 فثلث يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه من الحديد الظاهر^(٦)
 فيا ليت أني قبل أيام خالد ويوم زهير لم تلدني ظفرُ
 لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتنى فما الذي ردت عليك البشائرُ
 فطر خالد إن كنت تستطيع طيرةً ولا تقمن إلا وقلبك حاذِرُ
 أبتك المنايا إن بقيت بضربةٍ تقارق منها الميث والوت حاضِرُ

(١) هو شاس بن زهير الذي قله رياح بن الأسك عند عودته من زيارة النعمان بن المنذر
 (٢) الكلكل : الصدر (٣) المجول من النساء والإبل : الواله التي قدت ولدها .
 وفي معجم ما استعجم :

• فأقبلت أسمى كالمجول أبادر •

(٤) يرِفان : يدبران (٥) دثر السيف : صدى فهو دائر وفي القيد : والسيف دائر
 (٦) ظاهر الدرع : لأم بضها على بعض ، ويراد بالحديد : الدرع .

وقال خالد بن جعفر بمنّ على هوازن بقتله زهيراً ، ويصدق الحديث :
أبلغ هوازنَ كيف نكفروُ بعدما أعتقهم فتوالدوا أحرارا
وقتل ربهم زهيراً بعدما جدّع الأنوفَ وأكثر الأوزارا
وجملت حزن بلادهم وجبالهم أرضاً فضاء سهلة وعشارا
وجملت مهر بناتهم ودمائهم عقل^(١) الملوك مَجَانثنا أبكاراً

(١) أى جملت ذلك كدية الملوك .

٣- يَوْمَ بَطْنِ عَاقِل

أغار خالدُ بن جعفر بن كلاب العامري على ذُيَّان - رهط الحارث بن ظالم المري الذُّبْيَانِي - وهم في وادٍ يقال له حُرَاض ، فقتل الرجالَ حتى أَسْرَفَ ، وبقيت النساءُ ، والحارث بن ظالم يومئذ صغير ؛ وزعموا أن ظالماً أباه هلك في تلك الواقعة من جراح أصابته يومئذ .

وكانت نساء بني ذُيَّان لا يَحْلُبْنَ اللبن ، فلما تَأَيَّمْنَ وَرَصَرْنَ بغير رجال طَفِقْنَ يَدْعُونَ الحارث ، فبَشَدُ عَصَابِ الناقة ، ثم يَحْلُبْنَهَا وَيَكِينُ رِجَالَهُنَّ ، ويكي الحارث معهن ، فنشأ على بُغْضِ خالد ، وأردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة المبسي ؛ فاستحقَّ العداوة في غطفان^(١) .

ثم مكث خالد بُرْهةً من دَهْرِهِ أَتَى بِمَدَهَا النِّمَانُ^(٢) بن النضر ملك الحيرة ، فَأَلْفَى عِنْدَهُ الحارث بن ظالم المري فَأَقْبَلَ النِّمَانُ يَسْأَلُهُ ؛ فَحَسَدُهُ خَالِدَ ، ثُمَّ قَالَ لِلنِّمَانِ : أَيْتَ اللَّعْنُ ! هَذَا رَجُلٌ لِي عِنْدَهُ يَدٌ عَظِيمَةٌ ! قَتَلْتُ زُهَيْرَ بْنَ جَذِيمَةَ الْمَبْسِيِّ - وَهُوَ سَيِّدُ غُطْفَانَ - فَصَارَ هُوَ بِمَدَ قَتْلِهِ سَيِّدَهَا ! فَقَالَ الْحَارِثُ - غَاضِبًا : سَأُجْزِيكَ عَلَى يَدِكَ عِنْدِي !

ثم إن النيمان دعاها بمد ذلك ومعهما بعض القوم ، وقدم لهم تمرًا ؛ فطَفِقَ خَالِدٌ

* لَذِيَّانَ عَلَى عَامِرٍ ، وَبَطْنُ عَاقِلٍ : مَوْضِعٌ عَلَى طَرِيقِ الْحَاجِّ مِنَ الْبَصْرَةِ

الْأَغَانِي ص ١٦ ج ١٠ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٣٨ ج ١ ، الْمَقْدُ الْفَرِيدُ ص ٣٠٠ ج ٣

(١) كَانَ زُهَيْرُ بْنُ جَذِيمَةَ مِنْ عَبَسَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ مِنْ ذِيَّانَ ، وَعَبَسٌ وَذِيَّانُ : حَيَلَانٌ مِنْ غُطْفَانَ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ (٢) فِي الْمَقْدُ الْفَرِيدِ : إِنَّ وَفَادَةَ خَالِدٍ وَلِقَاءَهُ بِالْحَارِثِ كَانَا عِنْدَ الْأَسْوَدِ بْنِ النَّضْرِ أَخِي النَّيْمَانِ ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ : كَانَ لِقَاؤُهُمَا عِنْدَ النَّيْمَانِ بِنِ امْرِئِ الْقَيْسِ .

بأكل وُيلقى نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث^(١). فلما فرغ القوم قال خالد: أيت اللمن ! انظر إلى ما بين يدي الحارث من النوى ، فارتك لنا تمرأ إلا أكله ، فقال الحارث : أما أنا فأأكل التمر وألقيت النوى ، وأما أنت ياخالد فأأكلته بنواه! فغضب خالد - وكان لا يُنازع - وقال : أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك^(٢) ، وتركتك يتما في حجور النساء ؟ فقال الحارث : ذلك يوم لم أشهده ، وأنا مُغْنٍ اليوم بمكاني . فقال خالد : فهلاً تشكرلى إذ قتلتُ زهير بن جذيمة وجعلتُك سيِّدَ غطفان ؟ قال: بلى ، سوف أشكرك على ذلك .

وكان مع خالد ابن أخيه^(٣) عروة الرِّحال بن عتبة بن جعفر ، فقال لعمه خالد : ما أردت بكلامه وقد عرفته فتأ كما ! فقال خالد : وما تخوفنى منه ؟ فوالله لو رآنى ناعماً ما أيقظنى .

ثم إن الحارث بن ظالم ذهب إلى امرأة يقال لها بنت عفرز فشرب عندها ، وقال لها تنفى :

تعلّم أيت اللمن أنّى فانتك من اليوم أو من بعده بامر جعفر
أخالد نبهتني فسير نائم فلا تأمن فتكلى مدى الدهر واحذر
أعيتني أن نلت منى فوارساً غداة حراض مثل جنان عبقري^(٤)
أصابهم الدهر الخثور بختري^(٥) ومن لا يبقى الله الحوادث يمتد
لملك يوماً أن تنوء بضربة بكف فتى من قومه غير جئدر^(٦)

(١) عبارة ابن الأثير : وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب
(٢) الحاضر والحاضرة : الحى العظيم ، وهو يريد أهل حاضرتك (٣) عبارة ابن الأثير :
فقال عروة لأخيه خالد (٤) حراض : واد لرهط الحارث ، وعبر : موضع كثير الجن .
والجان من الجن جمه جنان (٥) الحتر : الفدر (٦) الجيدر : القصير .

يعض بها عليا هوازن ، والنسي لقاء أبي جزة^(١) بأبيض مبتر
فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به . وكان عبد الله بن جمدة - وهو ابن
أخت خالد - رجل قيس رأيا ، وبلغه قول الحارث ؛ فأرسل ابنه إلى خالد ، وقال له :
أنته وقل له : يا أبا جزة ؛ إن الحارث بن ظالم سيفه مونتور ، فأخف مبيتك الليلة
فإنه قد غلبه انسراب ، فإن آيت فاجمل رجلا يحرسك .

فلم يقبل خالد أن يخفي مبيته ، ولكنه نام وجعل رجلا يحرسه ، ونام عروة
وابن جمدة دون الرجل^(٢) . ولما أظلم الليل أقبل الحارث حتى انتهى إلى ابن جمدة
وعروة فتعداها ، ثم أتى قبة خالد فهتك شرجهما^(٣) ، ومضى إلى الرجل الحارس
يحسبه خالداً فمجنه بكلكله حتى كسره ، وجعل يكلمه فلا يعقل ، ثم خلى عنه
حين عرف أنه ليس بخالد .

ومضى إلى خالد فأيقظه ، فلما استيقظ قال له : أتعرفني ؟ قال : أنت الحارث !
قال : خذ جزاء يدك عندي ! وضربه بسيفه الملوب^(٤) فقتله ، ثم خرج من القبة
وركب راحلته وسار .

وانتبه عروة ، فصاح : واجوار الملك^(٥) ! ثم ذهب إلى باب النعمان فدخل عليه
وأخبره الخبر ، فبث الرجال في طلب الحارث .

(١) أبو جزة : كنية خالد (٢) في ابن الأثير : ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهم ففصرجاها
عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه (٣) المخرج : عرا الحباء والعبية ونحو ذلك
(٤) الملوب : سيف الحارث ، كنا كان اسمه (٥) وصحت امرأة من بني عامر بقتل
خالد ، فشقت جيبها ، فقال عبد الله بن جمدة الكلبي :

شقت عليك الصامرية جيبها أسفاً وما تبكي عليك ضللاً
في رواية ابن الأثير الجعفرية
يا حار لو نبهته لوجدته لا طائنا رعنا ولا مزالا
للزوال : من لا رمح له

واغرورت عيناى لما أبصرت بالجفري وأسببت إسبالا
فلتقتل بخالد سروانكم ولنجلن للظالين نكالا
فلما رأهم طرأ متلياً منا فإنا لا نغاول حلا

قال الحارث : فلما مرتُ قليلاً خِفْتُ أن أكونَ لم أقتله ، فعدتُ متتكرراً واختلطت بالناس ، ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنْتُ أنه مقتول ، وعدتُ فلهقتُ بقوى^(١) .

ولما رجع الحارث إلى قومه أبوا أن يجيروه^(٢) ؛ فغضب لذلك قيسُ بن زهير بن جذيمة العبسي ، وهو الذي قتل خالدُ بن جعفر أباه ، فأرسل إلى الحارث بهذه الآيات :

جزاك الله خيراً من خليل	شقي من ذى قبُولته ^(٣) الخليل
أزحت بها جوًى ودخيلَ حزنٍ	تمخَّخَ أعظمى زمناً طويلاً
كسوت الجعفرى أبا جزى ^(٤)	ولم تحفل به ستيفاً صقيلاً
أبأت به زهيرَ بنى بفيض ^(٥)	وكنف لملها ولها حمولا
كشفت لها القناع وكنتِ بمن	يجلَى العار والأمر الجليلاً

فأجابه الحارث بن ظالم :

أثاني عن قيس بن زهير	مقالةً كاذب ذكر النبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم	لقاتل تارِككم حرزاً أصيلاً
ولكن قلتمُ جاوز سوانا ^(٦)	فقد جللتنا حدثاً جليلاً
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم	لما طردوا الذى قتلوا القتيلا

(١) وفى قتل خالد يقول الحارث :

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً	وحى كلاب هل فكت بخالداً؟
عشوت إليه وابن جمعة دونه	وعروة يكلا معه غير راقداً

عشوت إليه : قصدته ليلاً

(٢) انظر يوم الرحرهان ، وسيأتى بعد فى القسم الثامن (٣) النبوة : جمع نبل وهو المناوأة

(٤) خالد بن جعفر (٥) هو زهير بن جذيمة وينتهى نسه إلى بفيض (٦) وقد حاور

قيا بعد بنى تميم ، ولم يمكث فيهم بل رحل عنهم .

٤ - يوم داحس والغبراء

- ١ -

سار قيس بن زهير^(١) بن جذيمة العبسي إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر ،
ويأخذ بثأر أبيه زهير بن جذيمة الذي قتله خالد^(٢) بن جعفر الكلابي العامري ،
فأتى أحيحة^(٣) بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة ، فقال له : لولا أن تَدُمَّنِي^(٤)
بنو عامر لو هبَّتها لك ؛ ولكن اشتراها بابن لبون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع - وكانت

* بين عيس وذيان ، وكانت الحرب بينهما سجالاً وانتهت بصلح . وداحس والغبراء : اسمان
فرسين لقيس بن زهير ، وتشتمل هذه الحرب أيام المريب وذى حساء واليمرية والمباءة وفروق
وقطن .

شراء الصراينة من ٩١٧ ، القند القريد من ٣١٣ ج ٣ ، سيرة ابن هشام من ١٨٢ ج ١ ،
ابن الأثير من ٣٤٣ ج ١ ، النفاض من ٨٣ ، الأغاني من ٢٤٠ ج ٨ ، وص ٢٦ ج ١٦ ،
ديوان عنترة بن شداد من ١٥١ ، معجم البلدان (أصاد - هباءة) شرح ديوان الحماسة للتبريزي
من ٣٩٧ ج ١ - وص ٣٧ ج ٣ ، شرح الزوزني على المعلقات السبع من ٨٩ ، شرح التبريزي
على المعلقات العشر من ١٠٠ ، الأمثال من ٥١ ج ٢ ، شرح العيون من ٩٩

(١) قيس بن زهير سيد بني عبس ، وكان يلقب بقيس الرأي ، لجودة رأيه ، وكان أيضاً مجرباً ؛
ذكر وامن دهائه أنه مر يلاذ غطفان ، فرأى ثروة وعديلاً ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن
زياد : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لا تدري ؛ إن مع الثروة والنعمة
التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التماسد والتوازر والتناصر . وكان يقول : أربعة
لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقيحة تزوجت (٢) انظر يوم التفراوات
(٣) أحيحة بن الجلاح : كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلى أم عبد المطلب بن هاشم
تحت ، وكانت لا تتكح الرجال إلا وأمرها يدها فتركته لغيره كرهته فتزوجها هاشم فولدت له
عبد المطلب ، وكان أحيحة كثير المال شجاعاً عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يعبط بأمواله
وكانت له نسمة وتسمون بثراً كلها ينضح عليها (٤) كان لبني عامر يد عنده .

تسمى ذات الحواشي - وَوَهَبَهُ أُحِيحةٌ أَدْرَاعاً أُخْرَى^(١) ، وعاد إلى قومه ، وقد فرغ من جهازه .

واجْتَاَزَ بالربيع^(٢) بن زياد العبسي ، ودعاه إلى مساعدته على الأخذ بثأر أبيه ، فأجابه إلى ذلك . ولما أراد إفراقه نظر الربيع إلى عَيْبَتِهِ^(٣) ؛ وقال له : ما في حقيبتك ؟ فقال : متاعٌ عجيب ، لو أبصرته لرَاعَكَ . وَأَنَاخَ راحِلَتَهُ ، وأخرج الدَّرْعَ من

(١) هذه رواية ابن الأثير ، وأما رواية الأغاني فهي : أتى قيس بن زهير أحيحة بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين عامر فقال له : يا أبا عمرو : نبئت أن عندك درعاً ليس يثرب درع مثلها فإن كانت فضلاً فبئسها ، أو فبهى لي ، فقال : يا أخا بني عبس ، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولو لا أنني أكره أن أستلم إلى بني عامر لوهبته لك ، ولحملتك على سوابق خيلي ، ولكن ابترها يا أبا أيوب ؛ فإن البيع مرتخص ، وغال . فقال له قيس : فما تكره من استلثامك إلى بني عامر فقال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أردت العز في آل يثرب	فناد بصوت يا أحيحة أسمع
رأيت أبا عمرو أحيحة جاره	يبيت قرير العين غير مروع
ومن ياتيه من خائف ينس خوفه	ومن ياتيه من جائع البطن يشيم
فضائل كانت للجراح قديمة	وأكرم بفخر من خصالك الأربع

قال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم . فلما عنه ، ثم عاد فساومه ، ففضب أحيحة وقال له :
بت عندي فبات عنده فلما شرب تفنى أحيحة وقيس يسم :

ألا يا قيس لا تسمن دروعي	فما مثلي يساوم بالدروع
فلولا خلة لأبي حوى	وأتى لست عنها بالنزوع
لأبت بمنها عشراً وطرف	لحوى الأطل جيش نلج
ولكن سم ما أحببت فيها	فليس بمنكر غير البيوع
فما هبة الدروع أخا بغيض	ولا الخيل السوابق بالبديع

فأمسك بعد ذلك عن ساومته (ص ١٢٠ ج ١٣ طبعة الساسي) مهذب الأغاني ص ١١٥ ج ١

(٢) الربيع بن زياد : أحد زعماء عبس وكان نديماً للثمان وله معه قصة مشهورة

(٣) العيبة : ما توضع فيها اثياب .

الحفنية ، فأبصرها الربيعُ فأمجبتهُ ، ولبسها فكانت في طوله ، فتمنعا من قيس ولم يُعطيه إياها ، وتردّدت الرسلُ بينهما في ذلك ، ولجّ قيس في طلبها ، ولجّ الربيعُ في منعهما .

فلما طالت الأيام على ذلك سبر قيسُ أهله إلى مكّة ، وأقام ينتظر غيرةَ الربيع ؛ ثم إن الربيع سبرَ إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلال ، وأمرَ أهله فظعنوا ، وركب فرسه وسار إلى المنزل .

ولما بلغ الخبرُ قيساً سار في أهله وإخوته ، فعارض ظمائنَ الربيع ، فوجد فيها أم الربيع فاطمة^(١) ابنة الخرشب الأثمارية ؛ فافتادَ جملها ، يريد أن يرتهنها بالدرع حتى تردّ إليه ، فقالت له : ما تريدُ يا فيس ؟ فقال : أذهب بكنّ إلى مكّة ؛ فأبيحُكنّ بها بدرعى ؛ فقالت : ما رأيت كالיום ففعل رجل ! أى قيس ؛ ضلّ حلمك ! أترجو أن تصطّلع أنت وبنو زياد ، وقد أخذت أمهم ، فذهبت بها بعيداً وشمالاً ، فقال الناسُ في ذلك ما شاءوا ، وحسبُك من شرِّ سماعة !

فعرف قيس ما قالت له ، فخلّى سبيلها ، وأطرد الإبل ، وسار بها إلى مكّة ؛ فباعها من عبد الله^(٢) بن جُدعان القرشي ، واشترى بها خيلاً ، وثبّعه الربيع فلم يلحقه ؛ فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء^(٣) .

(١) فاطمة بنت الخرشب : هي إحدى النجيات من العرب ، وكان يقال لبنيتها الكلمة وم : الربيع وحمارة وأنس وقيس والحارث ومالك وعمرو . روى أن عبد الله بن جدعان لقبها مرة ومى تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك رب هذه البنية : أى بنية أفضل ؟ قالت : الربيع ، لا بل حمارة ، لا بل أنس ثكلتهم لأن كنت أدري أيهم أفضل ، ثم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها . (٢) عبد الله بن جدعان : من أجواد العرب في الجاهلية ، وله في الكرم نواذر ، وكان يسمى حاسي الذهب لأنه كان يصرب في لئاء من الذهب ، وكانت له جنة عظيمة يقيمها للناس يأكل منها الراكب والقائم لعظمها ، وفي القاموس : ووربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم مكانه . (٣) للرواة أقوال أخرى بشأن هذين الفرسين ، مبسطة في الأغاني وابن الأثير وشعراء النصرانية والنقائض والأمثال ، ولقد اخترنا هذه الرواية من ابن الأثير .

ثم إن قيس بن زهير أقام بمكة ، فكان أهلها يفاخرونه - وكان فخوراً -
فقال لهم : نَحْوُوا كَمَبَتَكُمْ عَنَّا وَحَرِّمُوا ، وهاتوا ما شئتم ، فقال له عبد الله بن
جُدعان : إذا لم نُفَاخِرْكَ بالبيت المعمور ، والحرَم الآمن فبِمَ نُفَاخِرْكَ ؟
فلما قيسٌ مفاخرتهم وعزم على الرحلة ، وسرَّ ذلك قريشاً ؛ لأنهم قد كانوا
كرهوا مُفَاخِرته ، فقال لإخوته : اذْهَبُوا بِنَا مِنْ عِنْدِهِمْ أَوَّلًا ، وَإِلَّا تَقَامَ الشَّرُّ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، والحقوا ببني بَدْر بن فزارة ؛ فإنهم أَكْفَاؤُنَا فِي الْحَسْبِ ، وَبَنُو عَمَّنَا
فِي النَّسَبِ ، وَأَشْرَافُ قَوْمِنَا فِي الْكِرَمِ ، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الرَّبِيعُ أَنْ يَتَنَاوَلَنَا مَعَهُمْ ،
ثُمَّ لَحِقَ بِنِي بَدْر ^(١) .

وَأَجَارَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْر ، وَأَخُوهُ سَحْلُ بْنُ بَدْر ، فَأَقَامَ فِيهِمْ ، وَكَانَ مَعَهُ
أَفْرَاسٌ لَهُ وَلَا إِخْوَتَهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مِثْلَهَا ، وَكَانَ حُذَيْفَةُ يَمْدُودُ وَيُرْوِحُ إِلَى قَيْسٍ ،
فَيَنْظُرُ إِلَى حَيْلِهِ ، فَيَصْدُدُهُ عَلَيْهَا ، وَيَكْتُمُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ .
وَأَقَامَ قَيْسٌ فِيهِمْ زَمَانًا يُكْرِمُونَهُ وَإِخْوَتَهُ ؛ وَلَا عِلْمَ بِذَلِكَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ غَضِبَ
وَقَمَّ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، وَبَعَثَ ابْنُ بَدْرٍ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

أَلَا أَيْلُغُ بَنِي بَدْرٍ رَسُولًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ شَنْ ^(٢) وَوَنَرٍ
بَانِي لَمْ أَزَلْ لَكُمْ صَدِيقًا أَدَافِعُ عَنْ فَزَارَةٍ كُلِّ أَمْرِ
أَسَالِمُ سَلَمَكُمْ وَأُورِدُ عَنْكُمْ فَوَارِسَ أَهْلِ نَجْرَانَ وَحُجْرٍ
وَكَانَ أَبِي ابْنِ عَمِّكُمْ زِيَادٌ صَفَى أَيْكُمُ بَدْرُ بْنُ عَمْرٍو

(١) بنو بدر : بطن من فزارة ، وهي إحدى قبائل ذبيان (٢) الشن : (بفتح العين
وكسرهما) : البغضة .

فَالْجَائِئُ أَخَا النَّدَرَاتِ قَيْسًا فَقَدْ أَفْعَمْتُ إِنْفَارَ صَدْرِي
 فَخَسْبِي مِنْ حَذِيفَةَ فَمِ قَيْسٍ وَكَانَ الْبَدُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ
 فَأَبَا تَرَجِعُوا أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ وَإِنْ تَابُوا فَقَدْ أَوْسَعْتَ نُذْرِي
 وَلَكِنْ بَنَى بَدْرٌ لَمْ يَتَغَيَّرُوا عَنْ جَوَارِ قَيْسٍ ؛ فَغَضِبَ الْبَرِيعُ ، وَغَضِبَتْ بَنُو زِيَادَ
 لِنَفْسِهِ .

ثُمَّ إِنْ حَذِيفَةَ كَرِهَ قَيْسًا ، وَأَرَادَ إِخْرَاجَهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَجِدْ حُجَّةً ، وَعَزَمَ قَيْسٌ
 عَلَى الْعُمَرَاءِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْعُمَرَاءِ ، فَأَبَا لَمْ أَنْ تَلَّاسُوا حَذِيفَةَ
 بَنِي ، وَاحْتَمَلُوا كُلَّ مَا يَكُونُ مِنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ ؛ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ الشَّرَّ فِي وَجْهِهِ ،
 وَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى حَاجَتِهِ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْ تُرَاهِنُوهُ عَلَى الْخَيْلِ - وَكَانَ قَيْسٌ ذَا رَأْيٍ
 لَا يُخْطِئُ فِيمَا يَرِيدُهُ - ثُمَّ سَارَ يَرِيدُ مَكَّةَ .

— ٣ —

زَارَ الْوَرْدُ^(١) الْعَبْسِيَّ حَذِيفَةَ بْنَ بَدْرِ فَمَرَضَ عَلَيْهِ حَذِيفَةَ خَيْلَهُ ، فَقَالَ :
 مَا أَرَى فِيهَا جَوَادًا مُبِيرًا^(٢) ؛ فَقَالَ لَهُ حَذِيفَةُ : فَعِمْدَ مَنْ الْجَوَادُ الْمُبِيرُ ؟ فَقَالَ :
 عِنْدَ قَيْسِ بْنِ زَهِيرٍ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُرَاهِنَنِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ فَعَلْتُ .
 فَرَاهِنَهُ عَلَى ذِكْرِ مَنْ خَيْلُهُ وَأَنْثَى .

ثُمَّ إِنْ وَرَدَ الْعَبْسِيَّ أَنَّى قَيْسِ بْنِ زَهِيرٍ وَقَالَ : إِنِّي قَدْ رَاهِنْتُ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ
 خَيْلِكَ ذَكَرَ وَأَنْثَى ، وَأَوْجَبْتُ الرَّهَانَ ، فَقَالَ : مَا أَبَالِي مَنْ رَاهِنْتَ غَيْرَ حَذِيفَةَ ،
 فَقَالَ : مَا رَاهِنْتُ غَيْرَهُ ! فَقَالَ قَيْسٌ : إِنَّكَ - مَا عَلِمْتُ لَأَنْكَدَ !

(١) فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ : أَنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْسٍ يُقَالُ لَهُ قُرَوشٌ كَانَ يَبَارِي حَمَلَ بْنَ بَدْرِ أَخَا حَذِيفَةَ
 (٢) الْمُبِيرُ : الْغَالِبُ .

ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه ، فقال له حذيفة : ما غدا بك ؟
 فقال : غدوت لأُضِمَّكَ^(١) الرّهان ، فقال حذيفة : بل غدوت لتُفْلَقَهُ^(٢) ، فقال
 قيس : ما أردت ذلك ، فأبى حذيفة إلا الرّهان ، فقال قيس : أُخَيِّرْكَ ثَلَاثَ خِلَالٍ ،
 فإن بدأت واخترت قبلي ، فلي خلتان ولك الأولى ، وإن بدأت فاخترت قبلك ،
 فلك خلتان ولي الأولى .

قال حذيفة : فأبدأ ، قال قيس : الغاية من مائة غلوة^(٣) ، قال حذيفة :
 فالضمار^(٤) أربعمون ليلة ، والمجرى من ذات الإصَاد^(٥) . ففعلا ووضع السبق^(٦)
 على يدى أحد بنى ثعلبة بن سعد .

ثم ضمروا الخيل ، فلما فرغوا استقبل الذى ذرع^(٧) الغاية بينهما من ذات
 لإصَاد - وهى ردهة وسط هضب القلب - فأنهى الذرع إلى مكان ليس له اسم .
 فقادوا الخيل إلى الغاية وجعلوا السابق الذى يَرِدُ ذات الإصَاد ، وأجرى قيس داحساً
 والقبراء ، وحذيفة الخطّار والحنفاء^(٨) .

وملئوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها .

(١) فى القاموس يقال : هلم أو اضمك الرأى : أطلمك على رأى وتطلمنى على رأيك
 (٢) أغلقت الرهن : أوجبت (٣) الغلوة : الرمية بالنشابة (٤) قال فى اللسان :
 يكون المضمار وقتاً للأيام التى تضر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو ، وتضميرها : أن تشد
 عليها سروجها ، وتجلل بالأجلة حتى تمرق تحتها فيذهب رهلها ، ويشد لها ، ويعمل عليها غلمان
 خفاف يجرونها ، ولا ينفون بها ، فإذا فل بها ذلك أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ، ولم
 يطمعها الشد ، قال أبو منصور : فذلك التضمير الذى شاهدت العرب تفعله يسوت ذلك مضماراً
 وتضميرها (٥) ذات الإصَاد : ردهة بين أجبل فى ديار بنى عيسى (والردهة : بقيرة فى حبر
 يجتمع فيها الماء (ياقوت - مادة أصد) (٦) السبق : الحزب الذى يوضع فى الرهان فى
 سبق أخذها (٧) ذرع الغاية : قدرها (٨) فى اللسان : الحنفاء فرس حذيفة بن بدر
 قال ابن برى : هى أخته داحس لأبيه من ولد العقال ، والقبراء خالة داحس وأخته لأبيه .

وأقام حذيفة رجلاً من بني أسد^(١) في الطريق ، وأمره أن يلقى داحساً في الطريق فإن جاء سابقاً ردّوا وجهه عن الناية .

ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا الدّى ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه ؛ فلما أرسلت عارضاًها ، فقال حذيفة : خدعتك يا قيس ، فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة^(٢) . ثم ركضا ساعة ، فجعلت خيل حذيفة تسبق خيل قيس ، فقال حذيفة : سبقت يا قيس . فقال قيس : جرى المذكيات غلاب^(٣) .

فلما أرسلت الخيل سبقتها داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون ، فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدى فلطم وجهه فالتقاء في الماء ، فكاد ينرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل . وأما راكب النبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ ، ثم عاد إلى الطريق ، واجتمع مع فرسى حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء وبقى الخطار والنبراء .

ثم إن النبراء جاءت سابقة ، وتبعها الخطار ، ثم الحنفاء ، ثم جاء داحس^(٤)

(١) كان بنو أسد حلقاء لقيات قوم حذيفة ، ورواية الميداني : ووضع حمل حيساً في دلاء وجهه في شعب من شباب هضب القلب على طريق الخيل ، وكن معه قتياناً فيهم رجل يقال لعزير ابن عبد عمرو ، وأمرهم أن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الناية (٢) أرسلها مثلاً ، أي من مائة غلوة قال في الأمثال : وهي اثنا عشر ميلاً ، أي لو كان قصدي الخداع لأجريت من قريب (٣) ذهب مثلاً . المذكية من الخيل التي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب الغالبة ، أي أن المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته ، يجوز أن يراد أن ثاني جريه أبطأ أكثر من باديه ، وثالثه أكثر من ثانيه فكأنه يغالب بالثاني الأول ، وبالثالث الثاني لجريه أبطأ غلاب ، وهنا معنى قول أبي عبيد حيث قال : فهي تحتل الجري غلاباً ، ويروى جرى المذكيات غلاباً : جمع غلوة يعني أن جريها يكون غلوات . . . (٤) عبارة القائض : فلما مضت الخيل وأسهلت من الثانية أرسل داحساً تظطر في آثارها (أي أسرع) فجعل يديرها فرساً فرساً حتى سبقتها إلى الناية مصلياً وقد طرح الخيل غير النبراء ولو تباعدت الخيل سبقتها ، فاستقبلها بنو فزارة فطموها ثم حلقوها عن البركة ، ثم لطبوا داحساً ، وقد جاءا متوالين

بعد ذلك والُثْلَام يسيرُ به على رِسْلِهِ ، وأخبر الثْلَام قيسًا بما صُنِعَ بفرسه .
فأنكر حذيفة ذلك ، وأدّعى السَّبْقَ ظلمًا ، وقال : جاء فرساي متتاليين .
ومضى قيسٌ وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين ضربوا داحسًا ، وجاءه الأُسْدَى
فادّعى على ضربِ داحس ، واعترف لقيس بما صَنَعَ ، وبما أَمَرَهُ به حذيفة .
فرجع قيسٌ وأصحابُهُ إلى حذيفة وأصحابه وقال : يا قوم إنه لا يَأْتِي قومٌ إلى
قومهم شرًّا من الظلم ، فأعطونا حَقَّنَا ، فأبَت بنو فزارة أنْ يعطوهم شيئًا - وكان
الْخَطَرُ ^(١) عشرين من الإبل ، فقالت بنو عبس : أعطونا بعض سَبَقِنَا ^(٢) ، فأبوا ،
فقالوا : أعطونا جَزُورًا نَنَحِّرَها ونطعمها أهلَ الماء ؛ فإننا نكره القَالَةَ في العرب ؛
فقال رجل من فزارة : مائةُ جَزُورٍ وجزورٌ واحدةٌ سِوَالَا ، والله ما كنا لِنُفِرَّ لكم
بِالسَّبْقِ علينا ، ولم نُسَبِّق ^(٣) .

فقام رجل من بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ؛ إن قيسًا كان كارهاً لأوَّل هذا .
الرهان وقد أحسن في آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهي إلَّا إلى سُر ، فأعطوه جزورًا
من نَمَمِكُمْ ؛ فأبوا ، فقام إلى جَزُورٍ من إبله ، فمَقَلَهَا لِيُعْطِيَهَا قيسًا ويرُضِيه ، فقام

(١) الخطر : السباق يترامى عليه (٢) السبق : الخطر (٣) رواية الأمثال : فقال
القيس وضاع السبق على يديه لحذيفة : إن قيسًا قد سبق ، وإنما أردت أن يقال : سبق حذيفة ،
وقد قيل ، أفادفع إليه سبقه ؟ قال : نعم ، فدفع إليه الثعلبي السابق . ثم إن عركي بن حميرة وابن
هم له من فزارة ندما حذيفة ، وقال : قد رأى الناس سبق جوادك ، وليس كل الناس رأى أن
جوادهم لهم ، فدفعك السابق تحقيق لدعوام ، فأسلمهم السابق ، فإنه أقصر باعًا وأكل حدًا من
أن يردك . قال : ويلك ! أراجع فيما أبرمت ! فما زال به حتى ندم ! فعفى حميرة بن عمرو
حذيفة وقال له : إن قيسًا لم يسبقك إلى مكرمة بنفسه ، وإنما سبقت دابة دابة ، فما في هذا حتى
تدعي في العرب ظلمًا . قال : أما إذ تكلمت فلا بد من أخذه .

ابنه فقال : إنك لكثير الخطأ ؛ أتريد أن تخالف قومك ، وتلحق بهم خزيه بما ليس عليهم ؟ وأطلق الغلام عقالها ، فلحقت بالنعم .
فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عبس .

— ٤ —

ثم إن حذيفة لجّ في ظلمه ، وأرسل إلى قيس ابنه ندبة^(١) يُطالبه بالسبق ، فلم يصادفه ، فقالت له امرأته : ما أحبُّ أنك صادفت قيساً . فرجع إلى أبيه فأخبره بما قالت . فقال : والله لتمودنَّ إليه . ورجع قيس فأخبرته امرأته الخبر ، فأخذت قيس زفرا^(٢) . ولم ينشب ندبة أن رجع إلى قيس ، فقال : يقول أبي : أعطى سبقي ، فتناول قيس الرمحَ فطعمه فدقَّ صلبه^(٣) ، وعادت فرسه إلى أبيه عائرة^(٤) ، ونادى قيس : يا بني عبس ! الرّحيل ! فرحلوا كلهم .

ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولدَه قُتل ؛ فصاح في الناس ، وركب فيمن معه ، وأتى منازل بني عبس فرآها خالية ، ورأى ابنه قتيلا ، فنزل إليه ، وقبله بين عينيه ودفنوه .

واجتمع الناس ، فاحتملوا دية ندبة مائة عشراء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس . وكان مالك بن زهير - أخو قيس - متزوجاً في فزارة وهو نازل فيهم ، فأرسل إليه

(١) في الأمثال : ابنه أبا قرفة (٢) هذه رواية ابن الأثير من ٣٤٨ ج ١ ، ورواية العقد الفريد من ٣١٣ ج ٣ أن المتقول هو مالك بن حذيفة ، وأن الربيع بن زياد حل دية مائة عشراء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس ، وأما رواية الأغاني من ٢٦ ج ١٦ ، والنقائض من ٨٠ ج ١ فهي أن قيس بن زهير أغار على بني فزارة ، وقتل عوف بن بدر وأخذ إبله (٣) مار القرس : ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه .

قيس : إني قد قتلتُ نذبة بن حذيفة ورحلت ، فالحق بنا وإلا قُتِلت ، فلم يُجِبه
وقال : إنا ذنبُ قيس عليه (١) .

ثم إن قيساً أرسل إلى الربيع بن زياد يطلبُ منه العودَ إليه والمقام معه ؛ إذ همُ
عشيرةٌ وأهل ؛ فلم يجبه ولم يمنعه ، وظلَّ مفكراً في ذلك .

وعاد حذيفة بن بدر فدنسَ لملك بن زهير فرساناً على أفراس من مَسَانٍ (٢) خيله
وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، فانطلق القومُ وقتلوه (٣) .

(١) في شرح ديوان الحماسة للبربري : أن قيس بن زهير حين قتل ابن حذيفة أرسل إلى أخيه :
أن اخرج ، ثم بث إليه بهذين البيتين :

أمالك لا تأمن فزارة واخسها فإنك إن تأمن فزارة هالك
أمالك إن تحسب مقامك فيهم صواباً فقد أخطأت في الرأي مالك
فرد عليه مالك بهذين البيتين :

يا قيس حسبك ما أتيت فغلني وبني فزارة لاني متاسك
آمرى حذيفة آخذني بجزيرة لم تنجها كني وأنت القاتك

(٢) السنان من الإبل : خلاف الأتاء (٣) هذه رواية ابن الأثير ، وجاء في الأغاني
والأمثال والنقائض : أن مالك بن زهير آتى امرأته باللقطة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدنس له
فرساناً على أفراس من مسان خيله وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع
ابن زياد مجاور حذيفة بن بدر - وكانت امرأة الربيع معاذة ابنة بدر - فانطلق القوم فلقوا مالكا
فقتلوه ثم اصصرفوا عنه ، وجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم فوققوا على حذيفة ومعه الربيع ،
فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ فقالوا نعم وعقرناه ! فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قط ،
أهلك أفراسك من أجل حمار ! فقال حذيفة : لما أكثروا عليه من اللامة : لئلا تقتل حماراً ،
ولكننا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بش لعمرك القتل قلت ! أما والله
لأنى لأظنه سيلبغ ما نكره ، ثم تراجعاً شيئاً من كلام ثم تفرقا . وقام الربيع يبط الأرض وطأ شديداً
قال أبو عبيدة : فرموا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها : اذهبي إلى
معاذة - بنت بدر وامرأة الربيع - فانظري ما يصنع الربيع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت
واندست وراء اللجج فجاء الربيع فلنذ البيت حتى آتى فرسه فقبر بمرفته ثم مسح مته حتى قبض =

ولما بلغ عبساً مقتل مالك بن زهير جازعت عليه ، وأمت بنو جَذِيعَة حذيفة فقال بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة : ردّوا علينا مالنا . فأشار سنان بن أبي حارثة على حذيفة ألا يرده أولادها معها ، وأن يرده للمائة بأعيانها ، فقال حذيفة : أردّ الإبل بأعيانها ولا أردّ النّسل ؛ فأبوا أن يقبلوا ذلك ؛ فقال قيسُ بن زهير :

يودّ سِنَانٌ لو يحاربُ قومنا وفي الحرب تفريقُ الجماعة والأُزْلُ^(١)
يدبُ ولا يخفى ليفسدَ بيننا ديباً كما دبّت إلى جحرها النملُ
فيا بُنَى بغيضٍ راجعاً السّلمَ تسلماً ولا تُشِمْنَا الأعداءَ يفترق السّملُ
وإن سبيلَ الحربِ وعِرْ مُضِلَّةٌ وإن سبيلَ السّلمِ آمنةٌ سهْلُ
وعلم الربيعُ بن زياد بمقتل مالك بن زهير؛ فجزع عليه ، وأرسل إلى قيس عينا بآتيه بالخبر ، فسمعه يقول :

أَبْنَجُو بَنُو بَدْرِ بِمَقْتَلِ مالِك وَيَحْذُنُنَا فِي النَّائِبَاتِ رَيْعُ
وكان زياد قبله يُتَقَى بِهِ من الدهر إن يَوْمُ أَلَمٍ فَطِيعُ
فَقُلْ لِرَبِيعٍ يَحْتَنِي فِعْلَ شَيْخِهِ وما النَّاسُ إِلَّا حَافِظُ وَمُضِيعُ
وإلا فإلى في البلاد إقامةً وأمر بني بَدْرِ عَلَى جَمِيعُ
فرجع العيينُ إلى الربيع فأخبره بما قال قيس ؛ فبكى الربيع على مالك وقال :

بسكوة ذبّة ، ثم رجع إلى البيت ودمعه مركزوز بغنائه ، فهزه هزا شديداً ، ثم ركزه كما كان . وقال لامرأته : اطرحي له شيئاً . فطرحت له شيئاً فانطجع عليه وقال لها : إلبك عنى قد حدث أمر ، ثم تنى وقال :

نام الحلى وما انمض حار من سيء النبا الجليل السارى

الخ فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هنا حين اجتمع أمر لأخوتكم ، ووقعت الحرب (١) الأزل (بفتح الهزّة) : الضيق والفتنة ، وبكسر الهزّة : العاهية .

فَأَمَّ الْخَلِيءُ وَمَا أَغْمَضَ حَارَ مِنْ سِيءِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِي^(١)
 مِنْ مِثْلِهِ تُسَمَّى النِّسَاءَ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُعَوَّلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ
 مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَأْتِ نَسُوتَنَا بِوَجْهِ^(٢) نَهَارِ
 يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبُنَّهُ يَكِينٌ قَبْلَ تَبَاجُرِ الْأَسْحَارِ
 قَدْ كُنَّ يَجْنَبَانِ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَالْيَوْمَ حِينَ بَدُونَ لِلنُّظَارِ^(٣)
 يَخْمَشْنَ حُرَاتِ الْوُجُوهِ عَلَى أَمْرِي سَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَبِيبُ الْأَخْبَارِ
 أَقْبَعُ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زَهْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ^(٤)
 مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَدَوَى الْحَجَا إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
 وَجَنْبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً يَقْذِفْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ^(٥)
 وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَى الْوُجُوهَ يَقَارِ^(٦)
 وَيَادُبُ مَسْرُورٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ وَلَسَوْفَ نَصْرِفُهُ بَشَرًا عَمَارِ^(٧)

ولما علم قيس بقول الربييع ركب هو وأهله ، وقصدوا الربييع بن زياد ، وهو
 يُصْلِحُ سِلَاحَهُ ؛ فنزل إليه قيس ، وقام الربييعُ فَاغْتَنَقَا وبكيا ، وأظهرا الجزعَ لُصَابِ
 مالك ، ولقي القومُ بعضهم بعضاً^(٨) فنزلوا ، فقال قيس للربييع : إنه لم يهرب منك

- (١) ياحار : مرخم حارث (٢) أى كانت نساؤنا يجنبان وجوههن عفة وحياء
 (٣) الآن ظهروا لنا ظهري لا يظلمن من الحزن (٤) كان العرب يوافقون نساءهم عقب
 أطهارهن ، ويدعون أن ذلك أحب لولد (٥) المجنات : الخيل تجنب إلى الإبل في الغزو ،
 والعذوبة : أدنى ما يؤكل في الطعام والعراة . وقوله يقذفن بالمهرات والأمهار : أى أن الإبل
 تهذف أولادها من شدة السير (٦) يعنى لسوادها من لبس المغافر وكأية السفر
 (٧) المحار : المرجع (٨) ومما ينسب إلى قيس في ذلك قوله :

لمرك ما أنشاع بنو زياد ذمار أيهم فيمن ضج
 بنو جنية ولنت سيقاً صوارم كلها ذكر صنيع
 ضرى ودى وشكرى من بيد لآخر غالب أبداً ربييع

من لجأ إليك ، ولم يَسْتَفِنْ عَنكَ من استئمان بك ، وقد كان لك شرُّ يومٍ ؛
فليكن لي خيرُ يوميك ، وإنما أنا بقوى وقوى بي ، وقد أصاب القومُ مالِكًا ،
ولست أُمُّ بسوء ؛ لأنني إن حاربتُ بني بدر نصرتهم بنو ذبيان ، وإن حاربتُني
خذلتني بنو عبس ؛ إلا أن تجمعمهم عليّ ، وأنا والقوم في الدماء سواء ، قتلتُ ابنهم
وقتلوا أخي ، فإن نصرتني طمعتُ فيهم ، وإن خذلتني طمعوها في .

فقال الربيع : يا قيس ؛ إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ؛
ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك ؛ وأنت ظالمٌ ومظلوم ؛ ظلموك في جَوادِك ،
وظلمتهم في دمائهم ، وقتلوا أخاك بابنهم ، فإن يؤدِّمُ الدمُ بالدم ، فمسي أن تلقح الحرب .
وبعث قيسٌ إلى أهله وأصحابه ، فجاءوا وتزولوا مع الربيع ، وأنشدوا عنتره
ابن شداد^(١) في مالك :

فَلَلَّه عَيْنَا مِنْ رَأْيِ مِثْلِ مَالِكٍ عَقِيرَةَ قَوْمِ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
فَلَيْتَهُمَا لَمْ يَجْرِيَا نِصْفَ قَلْوَةٍ وَلَيْتَهُمَا لَمْ يُرْسَلَا لِرِهَانِ
وَلَيْتَهُمَا مَاتَا جَمِيعًا بَيْلِدَةً وَأَخْطَاهُمَا قَيْسٌ فَلَا يَرِيَانِ
لَقَدْ جَلَبَا حَيْنًا وَحَرَبًا عَظِيمَةً تُبِيدُ سَرَاةَ الْقَوْمِ مِنْ غُطْفَانِ
وَكَانَ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ كَرِيهَةً قَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَهُوَ فَتْيَانِ
وَكُنَّا لَدَى الْمِجَاءِ نَحْمِي نِسَاءَنَا وَنَضْرِبُ عِنْدَ الْكَرْبِ كُلَّ بَنَانِ

(١) في معجم البلدان ص ٢٦٨ ج ١ ينسب هذه الأبيات لبدر بن مالك بن زهير ، مع اختلاف
في الرواية . ونسب بعض هذه الأبيات في النقائض إلى ابنة مالك قال : ثم إن مالك بن بدر خرج
يطلب لبلا له فر طي بي راحة فرماه جنيد بن أخو بني راحة بهسم فقتله ، قالت ابنة مالك بن
بدر وهو يوم المنقة :

● فله حيناً من رأى مثل مالك ● . . . الخ

فسوف ترى إن كنتُ بمدك باقياً وأمكننى دهرى وطولُ زمانى
فأقسم حقاً لو بقيت لنظرةً لقرتُ بها المينان حين ترانى
وبلغ حذيفة أن الربيع وقيسا اتفقا ، فشق ذلك عليه واستمدَّ للبلاء^(١) .

ثم تلاقى جموع بنى ذبيان^(٢) وعبس واقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت الشوكة
فى ذبيان ، وقُتل منهم عوف بن بدر ، وقتلَ عنترَةُ ضَمَضَم^(٣) أبو الحصين المرى ،
والحارث بن بدر ، وأمرَ الربيع حذيفة بن بدر ، وكان حرَّ بن الحارث العبسى
قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف ، وله سيفٌ قاطع يسمى الأصرم ؛
فأراد ضربه بالسيف لما أُسرَ وفاءً بنذره ؛ فنهوه عن قتله ، وحذروه عاقبة ذلك ،
فأبى إلا ضربه ، فوضعوا عليه الرجال ، فضربه فلم يصنع السيف شيئاً ، وبقي
حذيفة أسيراً .

(١) قال فى ابن الأثير : وقيل : إن بلاد عبس كانت قد أجذبت فاستجع أهلها بلاد فزارة ،
وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم ، فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة : لى ذمى ثلاثة أيام .
فقال حذيفة : ذلك لك ، فانتقل الربيع من بنى فزارة ، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه :
بئس الرأى رأيت ! قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع ، والله ليضرمها عليك ناراً ، فركباني طلب
الربيع قتلهم ، فلما أنه قد أضمر السر ، وفى هذه الحرب يقول الربيع :

فإن تك حربكم أستم عواناً فإنى لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
فإنى غير خاذلكم ولكن سأسى الآن لاذ بلغت مداها

(٢) هذا هو يوم المرقب فى الأمثال : قاد بنى عبس وحلفاءهم بنى عبد الله بن غطفان يوم دى
المرقب لى بنى فزارة ورئيسهم لاذ ذلك حذيفة بن بدر (٣) وفى ذلك يقول كافي الأمثال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمضم
الشامى عرضى ولم أشتبها والناظرين لاذ لم ألتبها دى
لن يضلّا فقد تركت أباهما جزر السباع وكل سر قسم

فاجتمعت فظفان وسَمَوَا في الصلح ، واصطلحوا على أن يهدروا دَمَ بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير، وَيَقْلُوا^(١) عوف بن بدر، وَيُعْطُوا حذيفة عن ضَرْبَتِهِ التي ضَرَبَهُ حرّ مائتين من الإبل ، وأن يجمّلوا عِشاراً كلّها وأربعة أعبد ، وأهدرَ حذيفة دماء من قُتِلَ من قومه ذبيان في الوقعة ، وأُطْلِقَ من الأسر .

فلما رَجَعَ إلى قَوْمِهِ ندم على ذلك ، فسأت مقاتلته في بني عَبَسَ ، وركب قيس ابن زُهير وعمارة بن زياد فضيا إلى حذيفة وتحدّثا معه ، فأجابهما إلى الاتفاق ، وأن يردّ عليهما الإبل التي أخذ منها - وكانت توالدت عنده - وبينهما في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المرّبي ، فقَبَّحَ رأى حذيفة في الصلح ، وقال : إن كنت لا بدّ فاعلا فأعطهم إبلا عجافاً مكان إبلهم ، واحبس أولادها ؛ فوافق ذلك وأي حذيفة ، وأبي قيس وعمارة ذلك .

— ٥ —

ثم إن مالك بن بدر^(٢) خرج يطلب إبلاله ، فرماه جُنْدُب أحد بني رواحة^(٣) بسهم فقتله ، ومن ثم أخذ الشرّ يَعْظُمُ بين عبس^(٤) وذبيان ؛ وهزمت بنو عبس واتبعتهم بنو ذبيان .

فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يُمَّا كَرِّمَ ، وخاف إن قاتلوه ألا يقوموا لهم ، وقال : إنهم ليسوا في كل حين يتجمّعون ، وحذيفة لا يستنفرُ أحداً لا قتداره وعُلُوّه ، ولكن نعطيهم رهائنَ من أبنائنا فنُدفعُ حدّهم عنا ، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن

(١) عقل القتل : وداه : أي أدى دجه (٢) أخو حذيفة بن بدر (٣) بنو رواحة : حتى في عبس ، وقد سبق اسمه جنيدب (٤) كان رئيس بني ذبيان حذيفة بن بدر ، وأما بنو عبس وحقاؤم فكان يرأسهم الربيع بن زياد فوافوا بني حسي وهو وادي الهبابة في أملاء .

يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ مَعَ الَّذِينَ نَضُمُهُمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَإِنْ هُمْ قَتَلُوا الصَّبِيَّانَ فَهُوَ أَهْوَنُ مِنْ قَتْلِ الْآبَاءِ ، وَكَانَ رَأْيُ الرِّبِيعِ مُنَاجَزَتَهُمْ فَقَالَ : يَا قَيْسُ ؟ أَمَلًا جَمَعَهُمْ صَدْرُكَ ؟ وَقَالَ :

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِنَفْسِي نَصِيحَةً أَرَى مَا يَرَى وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ أَعْلَمُ
أَنْبَغَى عَلَى ذِيَّانٍ مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَقَدْ حَشَّ^(١) جَانِي الْحَرْبِ نَارًا تَضْرِمُ
وَقَالَ قَيْسُ : يَا بَنِي ذِيَّانٍ ؛ خَذُوا مِنْ رَهَائِنَ إِلَى أَنْ تَنْظُرُوا ؛ فَقَدْ ادَّعَيْتُمْ مَا تَعْلَمُ
وَمَا لَا نَعْلَمُ ، وَدَعَوْنَا حَتَّى تَتَّبِعِينَ دَعْوَاكُمْ ، وَلَا تَعْجَلُوا إِلَى الْحَرْبِ ، فَلَيْسَ كُلُّ كَثِيرٍ
غَالِبًا ، وَضَمُّوا الرِّهَائِنَ عِنْدَ مَنْ تَرْضَوْنَ بِهِ وَنُرْضَاهُ ؛ فَقَبِلُوا ذَلِكَ ، وَتَرَاضَوْا أَنْ
تَكُونَ الرِّهَائِنُ عِنْدَ سُبَيْعِ بْنِ عَمْرِو (مِنْ بَنِي ثَمَلَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ذِيَّانٍ) ، فَاتَ سَبِيعٌ وَهُمْ
عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ مَالِكُ : إِنْ عِنْدَكَ مَكْرَمَةٌ لَا تَبِيدُ إِنْ أَنْتِ احْتَفَظْتَ
بِهَؤُلَاءِ الْأَغْلِيَّةِ ، وَكَأَنِّي بِكَ لَوْ قَدْ مُتُّ أَنَّكَ حَذِيفَةُ حَالِكٍ ، فَمَصَرَ عَيْنِيهِ وَقَالَ :
هَلِكُ سَيِّدُنَا ، ثُمَّ خَدَعَكَ عَنْهُمْ حَتَّى تَدْفَعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَيَقْتُلُهُمْ ، فَلَا شَرْفَ بَعْدَهَا ،
فَإِنْ خَفَتْ ذَلِكَ فَادْهَبْ بِهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ .

فَلَمَّا ثَقُلَ سُبَيْعُ جَمَلَ حَذِيفَةُ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَلِكُ سَيِّدُنَا ؛ فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ مَالِكٍ ،
فَلَمَّا هَلَكَ سَبِيعُ أَطَافَ حَذِيفَةُ بِابْنِهِ مَالِكٍ فَأَعْظَمَهُ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا مَالِكُ ؛ إِنِّي خَالِكُ ،
وَإِنِّي أَسْنُ مِنْكَ ؛ فَادْفَعْ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانَ لِيَكُونُوا عِنْدِي إِلَى أَنْ نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ؛
فَإِنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ تَمْلِكَ عَلَى شَيْئًا ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ بِالْبَيْعِ^(٢) .

وَأَحْضَرَ أَهْلَ الَّذِينَ قَتَلُوا فَجَمَلَ كُلِّ يَوْمٍ يُبْرِزُ غُلَامًا فَيَنْصَبُهُ قَرَضًا وَيَرْمِي

(١) حَشَّ الْحَرْبَ يَحْشُهَا إِذَا أَسْرَعَهَا وَهَيَّجَهَا (٢) الْبَيْعَةُ : مَاءٌ يَوَادُ مِنْ بِلْتِنِ نَخْلَةٍ مِنْ الْعَرَبِ .

بالنبل ثم يقول : نادِ أباك ، فينادى أباه ، حتى يمزقه النبل ، ويقول لواقد بن جندب : نادِ أباك ، فجعل ينادى بإعماءه - خلافاً عليهم - ويكره أن يَأْ بُس^(١) أباه بذلك ، وقال لابن جندب بن عمرو بن عبد الأسلع : نادِ جُنْيِيَّة^(٢) ، فجعل ينادى : يا عمراء ! باسم أبيه حتى قُتِلَ ، وقتل أيضاً عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ولما بلغ ذلك بنى عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الدِّيات ، فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح . ثم خرج قيس في جماعة ، فلقوا ابناً لحذيفة ، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوه ، فجمع حذيفة قومه وسار إلى عَبْسٍ وهم على ماء يقال له عُراعر ، فاقتتلوا وكان الظفر لدُبيان ، ورجت سالمة .

ثم جدَّ حذيفة في الحرب ، وكرهها أخوه سَحْلُ بن حذيفة ، وتدم على ما كان ، وقال لأخيه في الصلح فلم يُجِبْ إلى ذلك ، وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس .

— ٦ —

ولما بلغ بني عبس أنهم قد ساروا إليهم تشاوروا بينهم ، فقال قيس : أطيعوني فوالله لنن لم تفعلوا لَأَتَكِنَّ على سيفي حتى يخرج من ظهري . قالوا : فإنا نطيعك . فأمرهم فسرَّ حوا السَّوام^(٣) والضَّماف بليل ، وهم يريدون أن يَظْمَنُوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا في الصبح وقد مضى سوامهم وضِمافهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخليل ، فقال قيس : خُذُوا غيرَ طريقِ المال^(٤) ، فإنه لا حاجةَ للقوم أن يَقَمُوا في شَوْ كَتَكُم ، ولا يريدون بكم في أنفسكم شرًّا من ذهاب

(١) الأبس : القهر والمحل على المكروه (٢) جنبية : لقب أبيه (٣) السوام : الإبل الرابعة (٤) المال : كل ما يملك وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم ، ومعنى المرادة هنا .

أموالكم ؟ فأخذوا غير طريق المال . ولما رأى حذيفة الأثر قال : أبعدهم الله ! وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم ؟ ثم اتبع المال وسارت ظعن بنى عبس والمقاتلة من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال ؛ فلما أدركوه ردّوا أوله على آخره ، ولم يفلت منه شيء ، وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرّقوا واشتدّ الحرّ .

فقال قيس بن زهير : يا قوم ؛ إن القوم قد فرّق بينهم المغم ، فاعطفوا الخيل في آثارهم ؛ فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيل دوائس^(١) ؛ فلم يقاتلهم كبير أحد ، إذ أن همة الرجل من بنى ذبيان كانت أن يُحجز غنيمته ويمضى بها ، ووضعت بنو عبس فيهم السلاح ، وقتلوا منهم مالك بن سبيع التغلبي سيد غطفان وكثيراً غيره حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ، وانهزمت ذبيان وحذيفة معهم .

ولم يكن لبسهم غير حذيفة ، فأرسلوا خيلهم مجتهدين في أثره ، ثم تبعه قيس ابن زهير والربيع بن زياد ، وقرواش بن عمرو ، وريان بن الأسلم ، وشداد بن معاوية وغيرهم ؛ وقال لهم قيس : كأني بالقوم وردوا جفر الهبأة ونزلوا فيه ، وأنا أعلم أن حذيفة بن بدر إذا احتدمت الوديمة^(٢) مستنقع في الماء .

وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه ؛ فنزل عنه ووضع رجله على حجر خافة أن يقتص أثره ، وعرفوا حنف^(٣) فرسه فاتبعوه ، ومضى حتى استنفاث بجفر^(٤) الهبأة وقد اشتدّ الحرّ ، فرى بنفسه ومعه حمل بن بدر وجماعة من أصحابه ، وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ، ووقعوا في الماء ، وتممكت^(٥) دوابهم .

(١) يقال : أتتهم الخيل دوائس : أى يتبع بعضها بعضاً (٢) الوديمة : شدة الحر
(٣) الحنف : أن تقبل لاحدى اليدين على الأخرى (٤) جفر الهبأة : مستنقع في بلاد
غطفان (وهو يوم الهبأة) (٥) تتمكت : تمرغت .

ولما اقترب منهم قيس بن زهير وأصحابه أبصرهم حمل بن بدر فقال لهم : مَنْ أَنْفَضَ النَّاسَ أَنْ يَقِفَ عَلَى رءوسكم ؟ فقالوا : قيس بن زهير والريبع بن زياد . فقال : هذا قيس بن زهير قد أناكم ! ولم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه وحالوا بينهم وبين الخيل ، وحمل جنيد على خيلهم فاطردها ، واقتحم عمرو بن الأسلع وشداد عليهم في الجند ، وم ينادون : لَبَّيْكُمْ لَبَّيْكُمْ^(١) ! وقال لهم قيس : كيف رأيتم عاقبة البنى ؟ فقال حذيفة :

يا بني عبس : فإني العقول والأحلام ؟ ناشدتك الله والرحم يا قيس ! فضربه أخوه حمل بين كتفيه وقال : « اتق ما تُور الكلام^(٢) » .

ثم قال حذيفة لقيس : بنو مالك بمالك ، وبنو حمل بذى الصبية وزرد السبق ، قال قيس : لبيكم ! لبيكم ! قال حذيفة : لئن قتلتنى لا تصلح غطفان بمدى أبداً . فقال قيس : أبمدّها الله ولا أصلحها . ثم إن قرواش بن هني ج . من خلف حذيفة ، فقال له بعض أصحابه : احذر قرواشاً - وكان قد ربّاه ، فظن أنه سيشكر ذلك له - قال : خلوا بين قرواش وظهري ! فترع له قرواش عِمْبَكَة^(٣) فقصم بها صلبه ، وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع - فضرباه بسيفهما حتى ذقفا^(٤) عليه .

وقتل الحارث بن زهير حمل^(٥) بن بدر ، واستبقوا حصن^(٦) بن حذيفة لصباه ، ولما وقف قيس بن زهير على جُفّة حذيفة بن بدر قال يرثيه ويرثي أخاه حملاً :

تعلّم أن خيرَ الناس ميت على جُفَرِ الهَبَاءِ لا يريم

(١) الصبيان الذين قتلوا (٢) ذهب مثلاً (٣) المبلّة : فصل طويل عريض
(٤) ذقفا عليه : أجهزا عليه (٥) في الأمثال : أخذ الحارث بن زهير سيف حذيفة ورمى جنيد بن زيد بسهم قتله ، وكان نمر ليقطن بابنه رجلاً من بني بدر فأحل به نذره . وفيه أن اتقى قتل حمل بن بدر هو الريع بن زياد (٦) في الأمثال : واستصغروا عينة بن حصن فغلوا سبيله .

ولولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم^(١)
ولكن الفتى حمل بن بدر بنى والبنى مرثمة وخيم
أظن الحلم دل على قومي وقد يستصنف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فعوج على ومستقيم
وقال أيضاً :

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
شفيت بقتلهم لقليل صدري ولكني قطعت بهم بناني
فلا كانت الفبرا ولا كان داحس ولا كان ذلك اليوم يوم دهاني

— ٧ —

ثم إن عبسا ندمت على ما فعلت بذبيان يوم الهبابة ، ولام بعضهم بعضاً .
 واجتمعت ذبيان إلى سنان بن أبي حارثة المري ، وشكوا إليه ما نزل بهم ؛ فأعظمه وذم
عبسا ، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر ذبيان ، وبث رسله ؛ فاجتمع من
الخلق كثير لا يحصون ، ونهى أصحابه عن التمرض إلى الأموال والغنيمة ،
وأمرهم بالصبر ، وساروا إلى بني عبس ؛ فلما بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس : الرأي
أننا لا نلقاهم ؛ فإننا قد وترناهم ، فهم يطالبونا بالذحول^(٢) والطوائل^(٣) ، وقد
رأوا ما نالهم بالأس باشتغالهم بالنهي والمال ؛ فهم لا يترضون إليه الآن ؛ والذي
ينبغي أن نفعله أننا نرسل الظمان والأموال إلى بني عامر ؛ فإن الدم لنا قبلهم ،
فهم لا يترضون لكم ، ويبقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل ؛ ونمأطلهم

(١) يشير إلى ما جرى فيهم من أمر داحس والفبراء ، وإنكاره السبق وركوبه البنى
(٢) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر (٣) الطوائل : جمع طائلة وهي الثأر أيضاً .

القتال ؛ فإن أبوا إلا القتالَ كنّا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا ؛ وقتلناهم وصبرنا لهم ، فإن ظفروا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كنّا قد احترزنا ولحقنا بأموالنا ونحن على حامية .

ففعّلوا ذلك ، وسارت ذُبيان ومن معها ولحقوا بني عبس على ذات الجراجر ، واقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك واقتروا .

فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشدّ من اليوم الأول ، وظهرت في هذا اليوم شجاعة عَنفَرَة بن شدّاد ، فلما رأى الناس شدّة القتال وكثرة القتلى لامُوا سِنان بن أبي حارثة على مَنْعِهِ حذيفة عن الصلح ، وقطّبروا منه ، وأشاروا عليه بمَحَقِّ الدماء ومراجعة السِّلْم فلم يفعل ، وأراد مُراجعة الحرب في اليوم الثالث ، فلما رأى فُتُور أصحابه وركونهم إلى السِّلْم رحل عائداً .

فلما رجع عنهم رحل قيس وبنو عبس إلى بني شيان ، وجاوروهم وبقوا معهم مدة ، فرأى قيس من غلمان شيان ما يكرهه من التعرّض لأخذ أموالهم ؛ فرحلوا عنهم ، فقبضهم جمع من شيان ، فرجعت إليهم بنو عبس واقتتلوا ، فانهزمت شيان ، وسارت عبس متوجهين نحو اليمامة يطلبون أخوالهم ، فأتوا قتادة بن مسleme ، فزلوا اليمامة زمينا^(١) ، فرّ قيس ذات يوم مع قتادة فرأى قحفا فصر به برجله ، وقال : كم من ضيم قد أقررتُ به مخافة هذا المصراع ! فلما سمعها قتادة كرهها وأوجس منه ، وقال : ارتحلوا عنا . فارتحلوا حتى نزلوا ببني سعد بن زيد مناة ، فكثروا فيهم زماناً ؛ ثم إن بني سعد أتوا ملك هجر ، فقالوا له : هل لك في مُهْرَة شَوْها^(٢) ، وناقَة حمراء ، وفتاة عذراء ؟ قال : نعم . قالوا : بنو عبس غارون ، تغير عليهم مع جندك وتسهم لنا من غنائمهم ، فأجابهم ؛ وفي بني عبس امرأة من سعد ، فأناها

(١) زمنا (٢) الشوواء من الخيل : الطويلة الرائعة .

أهلها ليضموها ، وأخبروها الخبر ، فأخبرت به زوجها ، فأتى قيسا فأخبره ؛ فأجمعوا على أن يرحلوا الظمائن ، وما قوى من الأموال من أول الليل ، ويتركوا النار في الرثّة^(١)؛ فلا يستنكر ظنهم عن منزلهم .

وتقدم الفرسان إلى الفروق ، فوقفوا دون الظمن ، وبين الفروق وسوق هجر نصف يوم ، فإن تبموها قاتلوهم وشغلوهم حتى تمجّل الظمن ، ففعلت ذلك . وأغارت جنود الملك مع بني سعد في وجه الصبح ، فوجدوا الظمن قد أمرين ليلتهن ، ووجدوا المنزل خلاء ، فاتبعوا القوم حتى انتهوا إلى الخيل بالفروق ، فقاتلوهم ثم خلّوا سربهم ؛ ففضوا حتى لحقوا بالظمائن فساروا ثلاثة أيام ولياليهن ، حتى قالت بنت قيس لقيس : يا أبتِ ؛ أتسير الأرض ؟ فلم أن قد جهّدت . فقال : أنيخوا . فأنخوا ، ثم ارتحل ، وفي ذلك يقول عنتره :

ونحن مَنعنا بالفُروق نِساءنا^(٢) نطُرفُ عنها مُبَسِّلات^(٣) غَواشِيا
حلفت لها والخيل تَدُمى نَحورُها نفارقكم حتى تهزوا الموالِيا
ألم تملوا أن الأسنّة أُخرزت بقيتنا لو أنّ للدَّهر باقِيا
ونحفظ عورات النساء وننتقى عليهن أن يلقَيْن يوماً مَخازِيا
ولحقوا ببني ضَبّة ، فكانوا فيهم زمنا .

ثم أغارت ضَبّة على بني حنظلة ، فاستاق رجلٌ من بني عبس امرأة من بني حنظلة في يوم قاتظ حتى نهَرَها ولهثت ، فقال رجل من بني ضَبّة : ارفق بها ،

(١) الرثّة : ردىء الناع وإسقاط البيت من الخلقان (٢) في اللسان : نساءم
(٣) المطرف : الذي يأتى أوائل الخيل فيردها على آخرها ، وقيل : هو الذي يقاتل أطراف الناس ، وقال المفضل : التطريف أن يرد الرجل عن أخريات أصعابه ، وأبسل نفسه للموت : وطن نفسه عليه .

قَالَ الْمُبْسَى : إِنَّكَ بِهَا لَرَحِيم ! فَقَالَ الضَّبِّي : نَعَمْ . فَأَهْوَى الْمُبْسَى لَمَجْزُمَا بِطَرْفِ
السَّانِ ؛ فَتَادَتْ يَا آلَ حَنْظَلَةَ ! فَشَدَّ الضَّبِّي عَلَى الْمُبْسَى قَتْلَهُ ، وَتَنَادَى الْحَيَّانَ ؛
فَفَارَقْتَهُمْ عَبْسٌ ، وَمَرَّتْ تَرِيدُ الشَّامَ .

وَبَلَغَ بَنِي عَامِرَ ارْتِفَاعُهُمْ إِلَى الشَّامِ ، فَخَافُوا انْقِطَاعَهُمْ مِنْ قَيْسٍ ؛ فَخَرَجَتْ وَفُودُ
بَنِي عَامِرَ حَتَّى لَحِقْتَهُمْ ، فَدَعَتْهُمْ إِلَى أَنْ يَرْجِعُوا وَيُحَالِفُوهُمْ ، فَقَالَ قَيْسٌ ؛ يَا بَنِي عَبْسٍ ؛
حَالِفُوا قَوْمًا فِي صُبَابَةِ بَنِي عَامِرَ ، لَيْسَ لَهُمْ عَدَدٌ فَيُفْنُوا عَلَيْكُمْ بَعْدَهُمْ ، فَإِنْ احْتَجَمْتُمْ
أَنْ يَقُومُوا بِنَصْرَتِكُمْ قَامَتْ بَنُو عَامِرَ خَالِفُوا مَعَاوِيَةَ بْنِ شَكْلٍ . فَكُتِبُوا فِيهِمْ .

ثُمَّ خَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابٍ فَقَالُوا : نَكْرَهُ أَنْ تَتَسَامَعَ الْعَرَبُ
أَنَا حَالِفْنَاكُمْ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، وَلَكِنْهُمْ حَالِفُوا بَنِي كَلَّابٍ ، فَكَانُوا فِيهِمْ
حَتَّى كَانَ يَوْمَ جَبَلَةِ فَتَهَايَجُوا فِي شَأْنِ ابْنِ الْحَوْنِ - قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ بَعْدَ مَا كَانَ
أَعْتَقَهُ عَوْفُ بْنُ الْأَحْوَصِ ، فَقَالَ عَوْفٌ : يَا بَنِي جَعْفَرٍ ؛ إِنْ بَنِي عَبْسٍ أَذْنَى عَدُوِّكُمْ
إِلَيْكُمْ ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ كُرَاعَهُمْ^(١) وَيُحِدُّونَ سِلَاحَهُمْ ، وَيَأْتُونَ قُرُوحَهُمْ ، فَاطْيِمُونِي
وَشَدُوا عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْدَمِلُوا ، وَقَالَ :

وَأَبِي وَقَيْسٌ كَالسَّمَنِ كَلْبَهُ فَخَدَشَهُ أَنْيَابُهُ وَأَظَافِرُهُ

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَنِي عَبْسٍ ، أَتَوْا أَحَدَ بَنِي بَكْرِ بْنِ كَلَّابٍ فَحَالَفُوهُ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ
قَيْسٌ :

أَحَاوِلْ مَا أَحَاوِلْ ثُمَّ آوَى إِلَى جَارِ كَجَارِ أَبِي دَوَادٍ

مَنْعِ وَسْطَ عِكْرَمَةَ بْنِ قَيْسٍ وَهُوْبَ اللَّطْرِيفِ وَلِلتَّلَادِ

ثُمَّ إِنْ ذِيانَ غَزَوْا بَنِي عَامِرَ بْنِ صَمْعَةَ وَفِيهِمْ بَنُو عَبْسٍ فِي يَوْمِ شَعْوَاءَ ، فَاقْتَتَلُوا
وَهَزِمَتْ عَامِرَ ، وَأَسْرَ طَلْحَةُ بْنُ سَنَانٍ قُرَاشَ بْنَ هِنَى الْمُبْسَى وَلَمْ يَمْرِفْهُ ، فَنَسِبَهُ فَكُنِيَ

(١) الكراع : السلاح .

عن نفسه ، فلما قدم به إلى أهله ، وانتهى به إلى أدنى البيوت عرفته امرأة من أشجع أمها عبسية ، فقالت لزوجها : إني أرى قرواش مع طلحة بن سنان . قال : ومن أين تعرفينه ؟ قالت : يتمت أنا وهو من أبوينا قريبانا حذيفة في أيتام غطفان . فخرج زوجها حتى أتى خزيم بن سنان فقال : أخبرني امرأتى أن أسير طلحة أخيك قرواش ابن هني ، فأتى خزيم طلحة فأخبره ، فقال : ومن أين عرفت ؟ قال : امرأة فلان عرفته ، فتمال فاسمع كلامها ، فأتوها ، فقال طلحة : ما علمك أنه قرواش ؟ قالت : هو ، وبه شامة في موضع كذا . فرجموا إليه ففتشوه ، فوجدوا الذي ذكرت . قال قرواش : من عرفني ؟ قالوا : فلانة ! قال : رب شر حملته عبسية ! ودفع إلى حصن فقتلوه .

ثم رحلت عبس عن عامر^(١) ونزلت بريم الرباب ؛ فبنت تيم عليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وتكاثر عليهم تيم ، فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة .

ورحلت بنو عبس ، وقد ملأوا الحرب ، وقتل الرجال والأموال ، وهلك المواشي ؛ فقال لهم قيس : ارجعوا إلى إخوانكم من ذبيان ، فالوت معهم خبر من البقاء مع غيرهم . فقالوا : سر معنا ، فقال : لا والله ، لا نظرت في وجهي ذبيانية قتل أبها أو أخاها أو زوجها أو ولدها . ثم خرج على وجهه .

— ٨ —

فساروا حتى نزلوا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة الرمي ليلاً . وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر . فلما عاد قيل له : هؤلاء أضيافك ينتظرونك . قال : بل أنا ضيفهم ، فحياتهم وهش إليهم . وقال : من القوم ؟ قالوا : إخوانك من بني عبس .

(١) تلك سبب ذكره صاحب الأمثال صفحة ٥٩ جزء ثان لم نرد ذكره هنا ، فارجع إليه إن شئت .

وذكروا ما لقوا ، فأقرّوا بالذنب ، فقال : نعم وكرامة لكم ! أكلّم حصن بن حذيفة .
وماد إليه فقبل لحسن : هذا أبو أسماء . قال : ما ورد إلا لأمر ! فدخل الحارث فقال :
طرقتُ في حاجة ، قال : أعطيتها . قال : بنو عبس ، وجدتُ وفودهم في منزلي .
قال حصن : صالحوا قومكم ، أما أنا فلا أدري ولا أتدري ؛ قد قتل آبائي وعمومتي
عشرين من عبس .

فعاد إلى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم إليه ، فلما رأهم قالوا له : نحن رُكبان
الموت ، قال : بل رُكبان السلم ؛ إن تكونوا اختلتم إلى قومكم فقد اختلّ قومكم إليكم .
ثم خرج معهم الحارث بن عوف حتى أتوا سناناً^(١) ، فقال له حصن : قم بأمر
عشيرتك ، وارأب بينهم ؛ فإني سأعينك . فاجتمعت بنو مرة فكان أول من سى في
الحملة حرمة بن الأشعر ، ثم مات ، فسمى فيها ابنة هاشم بن حرمة .

ولما تراضى أبناء بغيض ، اجتمعت عبس وذبيان بقطن ، فخرج حصين بن
ضمضم بفرسه ، وهو أخذ بمرسها ، فقال الربيع بن زياد : مالى عهد بحصين منذ
عشرين سنة ، وإني لأحسبه هذا . قم يا بيحان فاذنُ منه ، وناطقه ، فإن في لسانه
حبسة . فقام بكلمه ، فجعل حصين يدنو منه ولا يكلمه ، حتى إذا أمكنه حال في
من فَرَسه ، ثم وجهها نحوه فلحقه قبل أن يأتى القوم فقتله بأبيه ضمضم^(٢) .

فأما عزت عبس وحلفاؤها . وقالوا : لا نصالحكم ، وقد غدرت بنا بنو مرة ،
وتناهض الحيان ، ونادى الربيع بن زياد : من يُبارز ؟ فقال سنان - وكان يومئذ
واجداً على ابنه يزيد - ادعوا لي ابني ، فأناه هرم بن سنان ، فقال : لا .

فأناه ابنه خارجة . فقال : لا ، وكان يزيد يحزم فرسه ويقول : إن أبا ضمرة غير

(١) في رواية : أتوا هرم بن سنان (٢) كان قد قتل عترة ، وكان حصين آلى إلا عبس
رأسه غسل حتى يجثل بأبيه يحان .

غافل . ثم أتاه فبرز الربيع ، وسفرت بينهم السفراء ، فأتى خارجة بن سنان أبا يعحان
بإبنته فدفعه إليه ، وقال : هذا وفاء من ابنك ! قال : اللهم نعم ! فكان عنده أياماً ،
ثم حمل خارجة لأبي يعحان مائتي بعير ، فاصطلحوا وتماقيدوا على أن يحتسبوا
القتلى فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، ومُحِلَّتْ^(١) عنهم الديّات فكانت ثلاثة آلاف بعير
في ثلاث سنين .

وفى ذلك قال زهير بن أبي سلمى مملقته يمدح فيها الحارث بن عوف وهرم
ابن سنان ، ويذكر هذه الحرب :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةُ لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْتَلَّامُ^(٢)
وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِيعٌ وَشَمٌّ فِي نَوَائِيرِ مِصْعَمِ^(٣)
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرْآمُ يَمْشِي خِلْفَةً وَأُطْلَاؤُهَا يَنْهَضُ مِنْ كُلِّ مَجْتَمِ^(٤)
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَّهْمِ^(٥)
أَثَافِي سَفْعًا فِي مُعَرَّسٍ مِرْجَلِ وَنَوَيْتُ كَيْجْذِمَ الْخَوْضِ لَمْ يَتَلَّامِ^(٦)

- (١) أكثر الروايات أن القى حملها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، وفى الأمثال :
وكان القى ولى الصلح عوف ومقل ابن سبيع ، فقال عوف بن خارجة : أما إذا سبغى هنان
الشيخان لى الحلالة فهلم لى الظل والطعام والحلن فأطعم وحمل ، وكان أحد الثلاثة يومئذ
(٢) أم أوفى : حبيبة زهير . والدمنة : ما اسود من آثار الديار . وحومانة الدراج والتللم :
موضوعان (٣) الرقمان حرثان ؛ إحداهما بالبصرة والثانية بالمدينة ، ويقال لقوم القى جند
مرجوع ، ونواير المصم : عروقه ، والمصم : موضع السوار من اليد . والمراد أنها كانت تحمل
الموضعين عند الاتجاع (٤) العين : البقر الوحشى الواسع العين . والأرآم : جمع رم وهو
الطبي الخالص الأبيض . وخلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع طلاء وهو ولد الظبية والبقرة
الوحشية . والجثوم : البروك ، والجثم : مكان الجثوم (٥) الحجة : السنة ، والاثى : الملققة
(٦) الأثافي : حجارة توضع القدر عليها . والسفع : السود . والمرس : المنزل . والمرجل :
القدر ، والنوى : نهر يحفر حول البيت ليجرى فيه الماء الذى ينصب من البيت ولا يدخل فيه ،
والجذم : الأصل .

فلما عرفتُ الدارَ قلتُ لمرّبعيها ألا أنعمَ صباحاً أيها الريح واسلم^(١)
 نبصرُ خليلي هل ترى من ظمائر^(٢) تحمّلنَ بالملياء من فوق جُرثم^(٣)
 جملنَ القنّانَ عن يمينِ وحزّنه وكم بالقنّانِ من محلٍّ ومحرّم^(٤)
 علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكلّة^(٥) ورايَ حواشيها مشاكهة الدّم^(٦)
 وورّكنَ في السّوبانِ يملونَ متنه عليهنّ دُلّ النّاعيمِ المتنعّم^(٧)
 بكَرونَ بُكوراً واستحرنَ بسُحرة^(٨) فهنّ وادى الرسّ كاليدِ للغم^(٩)
 وفيهنّ ملهى للصّديقِ ومنظر أنيقٌ لعميرِ الناظرِ التوّسم^(١٠)
 كأنّ فتاتِ المهنِ في كلّ منزلٍ نزّلنَ به حبُّ الفنا لم يحطّم^(١١)
 فلمّا ورّذنَ الماءَ زُرّقا جامه وضعنَ عصى الحاضرِ المتخيم^(١٢)
 ظهرنَ من السّوبانِ ثم جزّفته على كلّ قينيّ قشيبٍ ومفام^(١٣)

• • •

تذكّرني الأحلامُ ليلى ومن تُطفِ عليه خيالاتُ الأحبة يحلم

- (١) خمس الصباح بالدهاء لأن الفارات والكراوات تقع صباحاً (٢) التحمل : الترحل وجرثم : موضع (٣) القنّان : جبل لبني أسد ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، يقول : مرت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم (٤) أنماط : جمع نمط ، وهو ما يسط ، والعتاق : الكرام . والكلّة : السر الرقيق . وراي : جمع ورد وهو الأحمر . ومشاكهة : مشابهة (٥) السّوبان : الأرض المرتفعة . والتوريك : وكوب أوراك الدواب . يقول : وركبت هذه النسوة أوراك الدواب في حال علوهن من السوبان ، وعليهن دلال الإنسان الطيب البش (٦) بكر : سار بكرة ، واستحرن : سار سحراً . يقول : اجتدان السير وسرن سحراً ومن فاصدات لوادى الرس لا يخطئه كاليد الفاصدة لقم لا تخطئه (٧) للملهى : اللهو . واللطيف : اللائق . والتوسم : التخرس (٨) المهن : الصوف المصبوغ . والقنا : عنب الثعلب (٩) الزرق : شدة الصفاء ، وجام : جمع جم وهو مجتمع الماء في الحوض أو غيره . ووضع العصى : كناية عن الإقامة ، والتخيم : ابتناء الخيمة (١٠) جزع الوادى : قطعه ، والمراد بالقي : الرجل ، والقشيب : الجديد ، والمفام : الواسع .

سَمَى سَاعِيَا غِيْظَ بَنِ مَرَّةَ بَعْدَ مَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْمَشِيرَةِ بِالذَّمِّ
 فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجَالُ بَنَوُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرُؤُهُمْ (١)
 يَمِينًا لَنَعْمَ السَّيِّدَاتِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبَرِّمٍ (٢)
 تَدَارَ كَتُمًا عَبَسًا وَذِيَانِ بَعْدَمَا تَقَانُوا وَدَقُوا بَيْنَهُمْ عِطَرَ مَنْتَمٍ (٣)
 وَقَدْ قُلْنَا إِنْ نُدْرِكُ السَّلْمَ وَاسْمَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمُ
 فَأَصْبَحْنَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بِمَيْدِنٍ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَائِمٍ (٤)
 عَظِيمِينَ فِي عَلَيَا مَعْدٍ هُدَيْنَا وَمَنْ يَسْتَجِجْ كَنْزًا مِنَ الْجَدِّ يُعْظَمُ
 نَعْمَى الْكُلُومُ بِالْمَثِينِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مِنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ (٥)
 يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مَلَاءَ مِخْجَمٍ
 فَأَصْبَحَ يُحْدِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَنَامٍ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمٍ (٦)



(١) البيت : الكعبة ، وجرم : كانوا ولاية البيت قبل قریش (٢) السيدان : هرم بن
 سنان والحارث بن مرة . والسحيل : الحيط المقتول على قوة واحدة ، والمبرم المقتول على قوتين ،
 والمعنى : نعم السيدان وجدتما حين تفاجئان لأمر قد أبرمتاه وأمر لم تبرماه (٣) منتم :
 قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها جفنة ، ونحالفوا وجملوا آية الحلف غمسهم الأيدي
 في ذلك الطر ، فقاتلوا العدو الذى تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، قطير العرب بطن منتم
 (٤) الضير في منها يعود إلى السلم ، وهو يذكر ويؤنث (٥) الكلوم : الجروح ، ومعنى :
 تمعى ، بالئين : بالإيل ، ينجمها : يطهيا نجوماً . والمعنى : تمعى الجروح بالئين من الإيل ،
 ولكن أصبحت الإيل يطهيا نجوماً من هو يرى الساحة بعيد عن الجرم في هذه الحروب
 (٦) التلاد : المال القديم الموروث ، والإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإيل ، والمزمن
 العلم ، يقول : فأصبح يجرى في أولياء المقتولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثة فنام متفرقة من
 إيل صفار معاملة ، وهو بهذا يخاطب السيدين .

أَلَا أُبْلَغُ الْأَجْلَافَ عَنِ رِسَالَةٍ وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلُّ مُقْسِمٍ (١)
فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
يُؤَخِّرْ فَيُوضِعْ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرْ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلْ فَيُنْفِخَ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الرَّجْمِ (٢)
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضَرَّ (٣)
فَتَمْرِكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى يَنْفَالُهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُلْتَجُّ فَتُنْتِجُ (٤)
فَتُنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كَأَمِّهِمْ كَأَحْرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَنْفِطِمُ (٥)
فَتُنْفِلُ لَكُمْ مَالًا تُنْفِلُ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْمِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ (٦)
أَعْمَرِي لِنِعْمِ الْحَيِّ جَرٍّ عَلَيْهِمْ بِمَالَا يُوْأَنِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمٍ (٧)

(١) الأجلاف : أسدوغطفان ، يقول : أبلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم : قد حلقت على إبرام الصلح كل حلف فاحرجوا من الحنث ، وهل أقسمت : قد أقسمت (٢) الحدث الرجم : الذي يرمي فيه بالظنون (٣) المعنى : أنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذمتم ، ومتى أترعوها تارت (٤) فقال الرحي : خرقه من جلد أو غيره توضع تحت الرحي ليقع عليها الطحين ، والباء : بمعنى مع ، واللقح : حمل الولد ؛ والكشاف : أن تلقح النجعة في السنة مرتين ، والاشمام : أن تلد الأنثى نوءمين ، وتمرككم الحرب ، عرك الرحي الحب مع نفالها ، وخص تلك الحالة لأنه لا يبسط إلا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد نوأمين ، وكل هذا كناية عن كثرة الضر (٥) يريد بأشأم المعنى المصدري ، كأنه قال غلمان شؤم ، وأحر عاد : هو عافر ناقة صالح . قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عافر الناقة من نمود ، وقال المبرد : ليس بفلط لأن نمود يقال لها عاد الأخيرة بدليل قوله تعالى : « وأنه أهلك عاداً الأولى » (٦) قال الأصمعي : يريد أنها تفل لهم دماً ، وليست تفل لهم ما تفل قرى المراق من قفيز ودرهم ، وهو تهكم (٧) قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمض المري الدياني قبل الصلح ، فلما وقع الصلح توارى أخوه حصين لئلا يطالب بالدخول في الصلح ، ثم انتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس قتلته بأخيه ، فركبت عبس ، ثم استقر الأمر بين القبيلتين على عقل القتل ، يقول : أقسم بحياقي لنعمت القبيلة (ذيان) حتى عليها حصين بن ضمض وإن لم يوافقوه في إضمار الفدر .

وكان طوى كشعاً على مُسْتَكِنَةٍ (١) فلا هو أبدأها ولم يتقدّم (٢)
وقال سأقضى حاجتي ثم اتقى عدوى بألفٍ من ورأى ملجيم
فشدّ فلم يُفزع بيوتا كثيرة لدى حيث ألفت رَحْلَهَا أُم قَشْعَم (٣)
لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَدِّفٍ له لبدٌ أظفاره لم تُقَلِّم (٤)
جرى متى يُظلم يُعاقَب بظلمه صريعاً وإلا يُبد بالظلم يظلم
رعوا ظمأهم حتى إذا تمّ أوردوا غماراً تفرى بالسلاح وبالدم (٥)
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كَلالٍ مُستَوْبِلٍ مُتَوَخِّم (٦)
لمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهبك أو قتييل المثلّم
ولا شاركت في الموت في دم نوفل ولا وهب فيها ولا ابن الخزم (٧)
فكلأ أراهم أصبحوا يَمَقْلُونَهُ صحیحات مالٍ طالعاتٍ لخرم (٨)
لحيّ حلالٍ ينعص الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمُعْظَم (٩)

(١) طوى كشعاً: أضر، والمستكنة: الغدرة. يقول: كان حصين أضر في صدره حقناً، وطوى كشعه على نية مسترة، ولم يظهرها لأحد (٢) أم قشع: المنية، يقول: حل حصين على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يتعرض لفيره (٣) شاكي السلاح: تلم السلاح، والمقنف: يقنف به في الوقائع، وهذا البيت والذي يليه من صفات حصين (٤) عاد الشاعر إلى وصف الحرب. الظم: ما بين الوردتين، والغبار: الماء الكثير، والتفرى: التشقق. يقول: رهوا لأبلهم الكلال حتى إذا تم الظم أوردوها مياهاً كثيرة، وهذا استعارة، والمعنى: أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزاع مدة معلومة، ثم عاودوا الوقائع (٥) قضوا: تموا. واستوبل القى: وجده ويلا؛ واستوخم القى: وجده وخيا، جعل اعتزامهم على الحرب بمنزلة الكلال الويل (٦) يقول: أقسم ببقائك وحياتك أن رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المسكين، بين براءة ذمهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم بقلوبهم القتلى (٧) الخرم: أنف الجبل (٨) الحلال جمع حال، أي أنهم يقتلون القتلى لأجل حي نازلين يهجم جيرانهم أمرهم إذا أنت إحدى الليالي بأمر فظيم.

كِرَامٍ فَلَا ذُو الضَّعْفِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ (١)



سَمِثْتُ نَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَمِشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَاكَ بِسَامٍ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ
رَأَيْتُ النَّبَا يَخْبُطُ عَشْوَاءَ مَنْ تَصَبُّ نَمْتُهُ وَمَنْ تَخْطِيُ يَمَرُّ فِيهِرَمٍ (٢)
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرِّسُ بَأْنِيَابٍ وَيُوطَأُ يَمْنَسِمٍ (٣)
وَمَنْ يَجْمَلُ الْمُرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يَشْتَمُ (٤)
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُغْلِبُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُدْنَمُ
وَمَنْ يُوفٍ لَا يُدْنَمُ وَمَنْ يَهْدِ قَلْبُهُ إِلَى مَظْمِنٍ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّحُمُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ النَّبَا يَنْلَنُهُ وَإِنْ يَرَقَّ أَسْبَابُ السَّمَاءِ يَسْلُمُ
وَمَنْ يَجْمَلُ الْمُرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ
وَمَنْ يَمِشُ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْمَوَالِي رَكْبَتْ كُلِّ لَهْدَمٍ (٥)
وَمَنْ لَا يَنْدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسَلَاخِهِ يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ يَمْتَرِبُ بِحَسَبِ عَدُوٍّ صَدِيقِهِ وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَمْ يَكْرَمْ
وَمَهْمَا تَسْكُنَ عِنْدَ امْرَأَةٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

- (١) التَّيْلُ : الحقد ، والجارم والجاني سواء تأييت الأعشى ، وهو الذي لا يصر شيئاً
(٢) الحبط : الضرب باليد ، والمشواء : البعير بمنزلة السبك لقرس
(٣) المنسم : لجمع زج وهو الحديد المركب في أسفل الرمح
(٤) وفرت المعنى : كثرته
(٥) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب في أسفل الرمح وطالبة الرمح ضد سافته ، وجمها الموالى ، والهدم : السنان الطويل . إذا التفت فكتان من العرب سدوت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبها ، وسمى الساعون في الصلح ، فإن أبنا إلا التهادى في القتال ، فلبت كل واحدة منهما الرماح واقتلتا بالأسنة ، والمعنى : من أبى الصلح فلكه الحرب .

وكان ترى من صامت لك مُعجبٍ زيادته أو نقصه في التكلم
لسانُ الفتى نصف ونصفُ فؤاده فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدم
وإن سَفاهَ الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السَّفاهة يحلم
سألنا فأعطيتُم وعُدنا فعدتُم ومن أكثر السَّال يومًا سيخرم

أما قيس بن زهير فقد خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط ، فقال : يامعشر
النمر ؛ أنا قيس بن زهير غريب حَرْب ، فانظروا لي امرأة قد أدبها الفنى وأذلها
الفقر . فزوجه امرأة منهم ، ثم قال : لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقى ؛ إني
امرؤ غيور فخور أرف ؛ ولست أفخر حتى أُبتلى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف
حتى أظلم . فرضوا بأخلاقه ، وأقام فيهم زمانًا ، ثم أراد التحول عنهم ، فقال :
يامعشر النمر ؛ إني أرى لكم على حقًا بمصاهرتي لكم ومقامي بين أغانركم ، وإني
أمركم بمخصال ، وأنها كم عن خصال ؛ عليكم بالأناة فيها تُذكرُ الحاجة ، وتسويد
من لا تمايون بتسويده ، والوفاء ، فيه تمايشون ، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل
المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وخلط الضيف بالإلزام ، وإياكم
والرهان فيه ثكلتُ مالكا أخى ، والبغى فإنه صرع زهيراً أبى ، وإياكم والسرف
في الدماء ، فإن قتل أهل الهبأة أورثنى المار ، ولا نمطوا في الفضول فتمجزوا عن
الحقوق . ثم رحل إلى عمان ، فأقام بها إلى أن مات .

٥ - يَوْمُ الرِّقْمِ

غزت بنو عامر غطفان بالرقم ، وعليهم عامر^(١) بن الطفيل ، شاباً لم يُرَأْسَ بعد ، ونذر^(٢) بذلك بنو مرة بن عوف ومعه قوم من أشجع وناس من فزارة^(٣) ، فخرجوا إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم بنو عامر .

وجعل عامر بن الطفيل يقول : يا لقيس ! لا تقتل تموتى ، وأسرت غطفان من بني عامر أربعة وثمانين رجلاً دفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلهم أجمعين .

وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه حتى قطع المطش أغناقهم فاتوا ، أما الحكم بن الطفيل فإنه خاف أن يؤمر ويمثل به ، فجعل في عنقه حبلاً ، وصعد إلى شجرة ، وشدّه ودلى نفسه فاختنق ، وفعل مثله رجل من بني غنى ، فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب ، فأدركوه وخلصوه وعيروه بجزعه ، وقال عروة بن الورد في ذلك :

ونحن صَبَحْنَا عامراً في ديارها علالة^(٤) أرماحٍ وضرباً مذكراً

* لغطفان على بني عامر ، والرقم جبال دون مكة بديار غطفان

معجم البلدان (ضرغد) ، ابن الأثير ص ٣٩٣ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣١٨ ج ٣ ، خزائن الأدب ص ٧٠ ج ٣ ، الفضليات ص ٣٠

(١) عامر بن الطفيل : كان من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبدها اسماً وشهرة ، أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم ؛ ولما مات نصبت له بنو عامر أنصاباً ، ميلاً في ميل حمى على قبره ؛ لا تنشر فيه راعية ، ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وله وقائع مشهورة في مذبح وخشم وغطفان (٢) نذر : علم (٣) مرة وأشجع وفزارة : من غطفان (٤) العلالة في الأصل : ما حلب بعد الفيلة الأولى .

بكل رِقاقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ وَلَدَنٍ مِنَ الْخَطِيِّ قَد طَرَّ (١) أَسْمَرَا
عجبت لهم إذ يَخْنَقُونَ نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أَجْدَرَا
وكان عامرُ بن الطفيل قبل الواقعة رأى امرأةً من فزارة فسألها فقالت : أنا أسماء
بنت نوفل الفزاري ، وبيننا هي تُجيبه خرج عليه البهزمون من قومه وبنو مرة في
أعقابهم ؛ فلما رأى ذلك عامر ألقى دِرْعَه إلى أسماء وولى مهزماً ، فأدتها بعد ذلك إليه ،
وفيها قال بعد الواقعة :

ولتسألنَ أسماءَ وهى حَفِيَّةٌ نصحاءها أطردتُ أم لم أطردِ (٢)
قالوا لها : فلقد طَرَدْنَا خيلَهُ قَلَحَ الْكِلَابِ وَكُنْتُ غَيْرَ مَطْرُدِ (٣)
فلا بُعِينَكُم قَنَّا وَعُوارِضًا وَلَا قُبْلَنَ الْحَيْلِ لَابَةَ ضَرَّغِدِ (٤)
بالْحَيْلِ تَمُرُّ بِالْقَصِيدِ كَأَنهَا حَدَا تَتَابَعُ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ (٥)
وَلَا تُأَرَنُ بِمَالِكٍ وَبِمَالِكٍ وَأَخَى الْمَرْوَرَةِ الَّذِي لَمْ يُسْنَدِ (٦)
وقَتِيلَ مُرَّةً أُنْأَرَنُ فَإِنَّهُ فَرَّغَ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يُقْصَدِ (٧)
يَاسْمُ أَخْتِ بَنِي فَزَارَةَ إِنْسَى غَانِ رِيانَ الرِّءْ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا أَزَالُ أَشْبَهَا سَمَرًا وَأَوْقَدَهَا إِذَا لَمْ تَوْقَدِ (٨)

(١) طر الحديد طراً : أحدها (٢) هى أسماء بنت قدامة الفزاري . قال أبو محمد بن
ابن الأعرابي : كان يهواها عامر ويشبب بها (٣) القلح : صفرة تملو الأستان ، شبه الشاعريها
فزاره ويكون النصب على الظم وجلة (وكنت . . .) حال (٤) قنا : جبل في ديار بني ذيان
وعوارض : جبل لبني أسد ، ولا قبْلَنَ الحَيْلِ : أى بالحَيْلِ ، واللابَة : الأرض ذات الحجارة السوداء
وضرغْد : أرض لَهْذِيل (٥) القصيد : جمع قصيدة ، وهو كسر القنا (٦) المرورة :
موضع بالكوفة ، ولم يسند : لم يذفن ، وترك للسباع تأكله (٧) فرغ : حذر ، ولم يقصد
لم يَحْتَل (٨) أى أدبر أمرها وقت سمرى بالليل .

ولما بلغ شعره غطفان هجاء جماعة منهم ، وكان النابغة الذبياني غائباً عند ملوك
فسان ، ولما عاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل ، فأنشدوه ما قالوا فيه
وما قال فيهم ، فقال : لقد أفحشتم ، وليس مثلُ عامرٍ يُهَجَى بِمثلِ هذا ، ثم قال
يخطئُ عامراً في ذكره امرأةٌ من عقائلهم :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجمل الشبابُ
فإنك سوف تحلم أو تُباهي إذا ما شئت أو شابَ الغرابُ
فكن كأبيك أو كأبي براء توافقك الحكومة والصوابُ
فلا تذهب بِحلمِكَ طامثات^(١) من الخيلاء ليس لهن بابُ

(١) طامثات : قاسيات .

٦- يَوْمُ النَّتَاءِ

خرجت بنو عامر تريد غطفان، لتدرك بثأرها يوم الرقم، فأغاروا على نعم بنى عبس وذيان وأشجع فأخذوها ، وعادوا متوجهين إلى بلادهم، فضلوا الطريق وسلكوا وادى النتاء ، فأمنوا فيه ولا طريق لهم ولا تَطْلُع ، حتى قاربوا آخره ، وكاد الجبلان يلتقيان ؟ وإذا هم بامرأة من بنى عبس تَخِيطُ^(١) الشجر لهم في قُلة الجبل ، فسألوا عن المطلع ، فقالت : الفوارس المطلع - وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهى على الجبل ، ولم يرها بنو عامر ؛ لأنهم فى الوادى ، فأرسلوا رجلا إلى قُلة الجبل ينظر لهم ، فقال : أرى قوما كأنهم الصَّبْيَان على متون الخيل ، أسنة رماحهم عند آذان خيلهم ، قالوا : تلك فزارة . قال : وأرى قوما بيضا جمادا^(٢) كأن عليهم ثيابا مُحمرا ، قالوا : تلك أشجع . قال : وأرى قوما نسورا قد علوا خيولهم آخذين بموامل^(٣) رماحهم يجرؤونها . قالوا : تلك عبس^(٤) ، أنا كم الموت الزؤام^(٥) .

* لنظفان على عامر ، والنتاء نخيلات لبنى عطار ، وهو النتاء كهمة فى الفاموس ، وفى ابن الأثير هو يوم التباء ، وفى معجم البلدان والأغاني التناء .

العقد الفريد ص ٣١٩ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٥ ج ١ ، الأغاني ص ٣١٣ ج ١٠

- (١) خبط الشجرة : ضربها بالمصا ليسقط ورقها (٢) الجسد : الخفيف من الرجال ، وقيل المجتمع الشديد وجهه جماد (٣) عامل الريح وعاملته : صدره دون السنن وجهه عوامل (٤) فزارة وأشجع وعبس : بطون فى غطفان (٥) موت زؤام : عاجل ، وقيل سريع مجهز وقيل : كربه وهو أصح .

ولحقهم الطلب بالوادي، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان عامرُ بن الطفيل أولَ مَنْ سبق على فرسه الورْد^(١) ، ففات القومَ .

وُقِتِل كثير من بني عامر وكانت الهزيمة عليهم ، وقتل من أشرفهم البراء بن عامر بن مالك ، ونهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر ، وعبد الله ابن الطفيل .

وفي تلك الموقعة قال خراشة بن عمرو المبسي :
وساروا على أطنابهم^(٢) وتواعدوا مياهاً تحامتها تميم وعامر
قذفهم في اليمِّ ثم خذلهم فلا وألت^(٣) نفسٌ عليك تحاذر

(١) الورد : اسم فرس عامر (٢) الأطناب : الطرائق (٣) وألت : نجث .

٧- يَوْمَ حَوْزَةِ الْأَوَّلِ

وَأَنَّى معاويةُ بْنُ عَمْرٍو بنَ الشريدِ السَّلَمِيُّ عُكَّازٌ فِي مَوْسَمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ ،
فَبَيْنَاهُمَا يَمْشِي بِسَوْقِ عُكَّازٍ إِذْ لَقِيَ أَسْمَاءَ الْمُرِيَّةِ ، وَكَانَتْ جَمِيلَةً ؛ فَدَعَاها لِنَفْسِهِ
فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي عِنْدَ سَيِّدِ الْعَرَبِ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ^(١) ؛ فَأَحْفَظْتُهُ ،
فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَا قَارِعَنَّهُ عَنْكَ ! قَالَتْ : شَأْنُكَ وَشَأْنُهُ

وَرَجَعْتُ إِلَى هَاشِمٍ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ معاويةُ وَمَا قَالَتْ لَهُ ؛ فَقَالَ هَاشِمٌ : فَلِمَ مَرَى
لَا نَرِيْمَ آيَاتِنَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ جَهْدِهِ .
ثُمَّ التَّقِيَا ؛ فَقَالَ معاويةُ : لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ بِظِعْمَانٍ يَنْدُبُكَ . فَرَدَّ عَلَيْهِ
هَاشِمٌ بِمَا أَحْفَظُهُ .

فَلَمَّا انْصَرَمَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ وَتَرَجَعَ النَّاسُ عَنْ عُكَّازٍ ، خَرَجَ معاويةُ غَازِيًا فِي
فِرْسَانِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، يُرِيدُ هَاشِمَ بْنَ حَرْمَلَةَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مُرَّةَ وَفَزَارَةَ^(٢) ،
فَنَهَاهُ أَخُوهُ صَخْرٌ وَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي بِكَ إِنْ غَزَوْتَهُمْ عَلَيَّ بِكَ حَسَكُ الْمُرْبُطِ^(٣) . فَأَبَى
معاويةُ وَسَارَ بِقَوْمِهِ .

فَلَمَّا كَانَ معاويةُ بِمَكَانٍ يُدْعَى الْحَوْزَةَ^(٤) دَوَّمتَ^(٥) عَلَيْهِ طَيْرٌ ، وَسَنَعَ^(٦) لَهُ

• لَسْلِمَ عَلَى ذِيانٍ ، وَحَوْزَةٍ : وَادٍ بِالْحِجَازِ .

الْأَغَانِي ص ٣٢٩ ج ٢ وَم ٢٨ ج ١٠ وَم ١٣٤ ج ١٣ ، الْمَقْدُ الْقَرِيدُ ص ٣٢٠ ج ٣ ،
التَّبْرِيزِيُّ عَلَى الْحِمَاةِ ص ١١٠ ج ٣ ، الْحِمَاةُ ص ٤٥٥ ج ١

(١) هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ مِنْ بَنِي مُرَّةَ (٢) فَزَارَةُ وَمُرَّةٌ : فِي ذِيانٍ (٣) الْمُرْبُطُ :
شَجَرُ الطَّلْحِ وَلَهُ صَمْعٌ كَرِيهِ الرَّائِحَةِ (٤) قَالَ بَعْضُهُم : الْحَوْزَةُ ، وَالشَّكُّ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ
(٥) الدَّوْمَانُ : حَوْمَانُ الطَّائِرِ (٦) السَّانِحُ : مِنَ الصَّيْدِ مَا آتَى مِنَ الْيَاسْرِ إِلَى الْيَمَانِ .

طَلَبِيَّ وَغُرَابٍ ؛ فَتَطَيَّرَ مِنْهُمَا ، وَرَجَعَ فِي أَصْحَابِهِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ فَقَالَ :
مَا مَنَعَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ إِلَّا الْجُبْنَ .

وَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الْمُقْبِلَةُ خَرَجَ لِنَزْوِئِهِمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ سَنَحٌ لَهُ
طَلَبِيَّ وَغُرَابٌ ، فَتَطَيَّرَ وَرَجَعَ ، وَبَضِيَ أَصْحَابُهُ ، وَتَخَلَّفَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ فَارِسًا
مِنْهُمْ لَا يَرِيدُونَ قِتَالًا ، وَوَرَدُوا مَاءً ، وَإِذَا عَلَيْهِ بَيْتُ شَعْرٍ ؛ فَصَاخُوا بِأَهْلِهِ ،
فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَةٌ فَقَالُوا : يَمَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ جَيْشِنَةَ أَحْلَافِ بَنِي
مُرَّةَ^(١) ، ثُمَّ وَرَدُوا الْمَاءَ يَسْقُونَ ، فَانْسَلَتْ الْمَرْأَةُ ، وَأَنْتِ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ فَأَخْبَرْتَهُ
بِحَبْرِ هَوْلَاءَ ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ بَعِيدٍ ، وَعَرَفْتَهُ عُدَّتِهِمْ ، وَقَالَتْ : لَا أَرَى إِلَّا مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
فِي الْقَوْمِ .

فَقَالَ : يَا لَكَاعَ^(٢) ؛ أَمَعَاوِيَةُ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا ! شَبَّهَتْ وَأَبْطَلَتْ^(٣) .
قَالَتْ : بَلَى ، قُلْتُ الْحَقَّ ، وَإِنْ شَتَّتَ لِأَصْفَتِهِمْ لَكَ رَجُلًا رَجُلًا ، قَالَ :
هَاتِي

قَالَتْ : رَأَيْتُ فِيهِمْ شَابًّا عَظِيمَ الْجُمَّةِ^(٤) ، جَبْهَتُهُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ
مِغْفَرِهِ^(٥) ، صَبِيحَ الْوَجْهِ ، عَظِيمَ الْبَطْنِ ، عَلَى فَرَسٍ غَرَاءٍ^(٦) . قَالَ : نَعَمْ ، هَذِهِ
صَفَةُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو وَفَرَسُهُ السَّمَاءُ . .

قَالَتْ : وَرَأَيْتُ رَجُلًا شَدِيدَ الْأُذْمَةِ^(٧) ، شَاعِرًا يُنْشِدُهُمْ ، قَالَ : ذَلِكَ خُفَّافٌ^(٨)
ابْنُ عَمِيرٍ .

(١) قوم هاشم (٢) اللكاع : الحقاء (٣) يريد : اخلط عليك الأمر وأتيت
بالباطل (٤) الجملة : مجتمع شعر الرأس (٥) المغفر : زرد من الدرع ، يلبس تحت
القلنسوة (٦) غراء : بيضاء (٧) الأذمة في الإنسان : السواد (٨) هو خفاف
ابن صهير بن عمرو بن الحارث بن مهران الصريدي السلمي ، المعروف بابن ندبة ، وهي أمه ، وكانت
سوءاء حبشية .

قالت : ورأيت رجلاً ليس ببحر وسطهم ؛ إذا نادَوْهُ رفعوا أصواتهم ، قال :
ذاك عباس الأصم .

قالت : ورأيت رجلاً طويلاً يُكَنِّونَه أبا حبيب ، ورأيتهم أشدَّ شيء له توقيراً ،
قال : ذاك نُبَيْشَةَ بن حبيب .

قالت : ورأيت شاباً جميلاً له وَفْرَةٌ^(١) حَسَنَةٌ ، قال : ذاك العباس بن مرداس
السلي .

قالت : ورأيت شيخاً له صغيرتان ، سمته يقول لمعاوية : بأبي أنت ! أطلتِ
الوقوف ، قال : ذاك عبد المزي زوجُ الخنساء أخت معاوية وسخر .

فنادى هاشم في قومه ، وخرج في مثل عُذَّتِه من بني مرة ، ولم يشمر المسلمون
حتى طلما عليهم ، فقال لهم خُفَّاف بن عمير : لا تُنَّازِلوهم رجلاً رجلاً ، فإنَّ خيلهم
تَثَبَّتْ للطَّراد ، وتحمل ثقل السلاح ، وخيلكم قد أَنَهَكها الغزو وأصابها الخفا^(٢) .
واقتتلوا ساعة ، ولما رأى هاشمُ بن حرملة معاويةَ قال لأخيه دريد بن حرملة - وكان
هاشم نافعاً من مَرَضٍ أصابه : يا دريد ؛ إن هذا إن رَأَيْتُ لم آمن أن يشدَّ عليّ ،
وأنا حديث عهد بشيكة^(٣) ، فاستطردَّ له دوني حتى تجعله بيني وبينك ، ففعل ،
وحمل عليه معاوية ، وأرْدَفَه^(٤) هاشم ، فاختلفا طمعتين ، وأردى^(٥) معاويةُ هاشماً
عن فرسه الشَّماء ، وأنقذ هاشم سنانَه من مُعاوية . ثم جاء دريد بن حرملة فأجهز
على معاوية وقتله^(٦) .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس (٢) الخفا : رقة القدم والخف والحافر
(٣) الشيكة : الوقوع في الشوك ، وقد شبك الرجل أيضاً : أصابه الشوك ؛ وهي حمرة تظهر
في الوجه وغيره من الجسد ، وقال في اللسان : هي داء كالطاعون (٤) أردفه : تبعه
(٥) أرادته : أسقطه (٦) قال في الأغاني ص ٢٨ ج ٢ تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن
م عمرو وتوافقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده ، وإن قتل أن يطلب بآثره ، فلما قتل معاوية
قال دريد مصيدة يرثيه منها :

وشدّ خفاف بن عمير على مالك بن حمار الفزاري ، فقتله (١) .

ثم إن السماء فرس هاشم دخلت في جيش بني سليم ؛ فأخذوها وظنّوها فرس مالك بن حمار الفزاري الذي قتله خفاف بن عمير ؛ ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخى معاوية ، فقالوا : أنعم صباحاً أبا حسان ! فقال : حيثم بذلك ، ما صنع معاوية ؟ قالوا : قُتِل . قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قَتَلْنَا صاحبها ، فقال : إذا كنتم أدر كنتم تَنَارَكُم ، فهذه فرس هاشم بن حرملة !

فإن الرزء يوم وقت أدعو فلم أسمع معاوية بن عمرو
ولو أسمعته لأناك يسى حيث السى أو لأناك يجرى
بشكة حازم لا فمز فيه إذا لبس الكفاة جلود نمر
الشكة : السلاح . لبس جلد النمر : تنكر له

عرفت مكانه فعطفت زوراً وأين مكان زور يا ابن بكر
الزور : اسم جل

على لرم وأحجار ثقال وأغصان من السمات ممر
الأيـرم : حجارة تنصب علماً في المفازة .

وبنيان القبور آتى عليها طولال الدهر شهراً بعد شهر
(١) قال خفاف في قتل مالك بن حمار :

أقول له والرمح بأطر منته تأمل خفافاً لأننى أنا ذلك
وقفت له علوى وقد خام صبحى لأبني مجدداً أو لأنأثر هالكا
لبن ذرقن الشمس حين رأيتهم سراعاً على خيل تؤم المسالكا
فلسا رأيت القوم لا ود بينهم شريجين شتى طالباً ومواشكا
شريجين : صنفين

تيمت كبش القوم حين عرفته وجانبت شبان الرجال الصعالكا
لجادت له معنى يدي بطعنة كسبت منته من أسود اللون هالكا
أنا القارس الحاي الحقيقة والذي به أدرك الأبطال قدما كذلك
فان ينسج منها هاشم فبطعنة كسته نجيعاً من دم الجوف صائكا
صائكا : لاصفا

ولما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشاء صبيحة يوم حرام، حتى أتى بني مرة؛ فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صخر فحيوه وقولوا له خيراً - وهاشم مريض من الطعنة التي طمنه معاوية ، فقال : مَنْ قتل أخى ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلمَّ أبا حسان^(١) إلى مَنْ يخبرك ، فقال : مَنْ قتل أخى ؟ فقال هاشم : إذا أصبتني أو دُرَيْدًا فقد أصبتَ ثأرك ، قال : فهل كففتُموه ، قال : نعم في بُرْدَيْن أحدهما بخمس وعشرين بكرة ، قال : فأروني قبره فأروه إياه . فلما رأى القبر جَزِعَ عنده ، ثم قال : كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جَزَعِي ، فوالله ما بَتُّ منذ عقلت إلا واثراً أو موتوراً ، طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية ، فما ذُقْتُ النوم بعده^(٢) .



وقال صخر بن عمرو أخو معاوية يرثيه :

وعاذلة هبت بليلى تلومنى ألا لا تلومينى كفى اللوم مايا
وقالوا: ألا تهجو فوارس من هاشم ومالى وإهداء أَلَحْنَا ثُمَّ مَالِيَا^(٣)
أبى الهجو أنى قد أصابوا كرىمنى وأن ليس لإهداء أَلَحْنَا مِنْ شِمَالِيَا^(٤)
إذا ما امرؤ أهدى لبيت تحية فحيبك ربُّ الناس عنى معاويا

-
- (١) أبو حسان : كنية صخر (٢) لما رجع صخر إلى قومه قالوا له : اهجهم ، فقال :
إن ما بيننا أجل من القذع ، على أننى أ كف نفسى عن هجائهم رغبة عن الحنا
(٣) الحنا : القمش ، وهذه رواية الحماسة ، ورواية الأغاني البيت :
تقول ألا تهجو فوارس هاشم وإلى إذن أهجوم ثم ماليا
(٤) يريد بكرىمنى : حرمنى ، والقبال : الحصلة ، وفي رواية « من سبانيا » .

لَنِعْمَ الْفَتَى أَدَى ابْنُ صِرْمَةَ بَزَّهْ إِذَا رَاحَ فَخَلُّ الشُّوْلِ أَخَذَبَ عَارِيَا^(١)
 إِذَا ذُكِرَ الْإِخْوَانُ رَفَرَفَتْ عَبْرَةٌ وَحَيَّتْ رَمْسًا عِنْدَ لِيَّةَ ثَاوِيَا^(٢)
 وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ عَلَيْهِ بِمَالِيَا
 وَذِي إِخْوَةٍ قَطَعْتُ أَقْرَانَ بَيْنِهِمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا^(٣)

(١) ابن صرمه: هو هاشم بن حرملة قاتل معاوية ، والبز: السلاح ، والشول: النوق التي تحف
 لبها وارتفع ضررها ، وأحذب عار: مزيل ، وقوله: « إِذَا رَاحَ ظَرْفٌ » لما دل عليه لنعم الفتى
 (٢) لية: اسم موضع ، والثاوي: المقيم (٣) أقران بينهم: وصل بينهم ، وأصل الأقران
 الجبال . قال في الأغاني: قال هذا البيت بعد أن أوقع بيني مرة قاتلي أخاه .

٨- يوم حوزة الشاني

تذكر صخر^(١) بن عمرو الشريد السلمي مَقْتَل أخيه معاوية، وهاجت به الذِّكْرَى؛ فخرج لِقِتال بني مُرَّة، وركب السَّماء - وكانت غُرَّاء مُحَجَّلَة، فسودَّ غُرَّتُها وتَحَجَّلَها - فرأته بنتُ لهاثم بن حرملة، فذهبت إلى عمِّها دريد بن حرملة وقالت: أين السَّماءُ؟^(٢) قال: هي في بني سليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فاستوى جالساً، ولما رآها قال: هذه فرس بهيم^(٣)، والسماء غُرَّاء مُحَجَّلَة؛ وعاد فاضطجَعَ ولم يشمر حتى طمنه صخر.

فثارَ وتناذروا، وولَّى صخر، وطلبتَه غطفان عامَّة يومها، ووقف دونه شجرة ابن عبد العزى، فردَّ الخيلَ عنه حتى أراحَ فرسه ونجا إلى قومه.

ثم إن هاشم بن حرملة خرج يوماً مُنتَجِماً، فلقى عُمرو بن قيس الجشمي،

* سليم على بني مرة (من ديان)

الأغاني من ١٤٠ ج ١٣، العقد الفريد من ٣٤٠ ج ٣، لسان العرب مادة (غريل - نام)، السكامل للبرد من ٢٨١ ج ٢

(١) هو أحد بني سليم، وكان شاعراً حليماً جواداً، محبوباً في عشيرته، شريفاً في قومه، وكان أبوه يأخذه بيده ويد أخيه معاوية ويقول: أنا أبو خيري مضر، فتعترف العرب له بذلك، وكان أختا الحسناء لأبيها، فاسمها ماله مرات كثيرة، وكان يعطيها في كل مرة خير النصفين، ولما لامته زوجته في ذلك قال:

واثق لا أمنحها شرارها ولو هلكت قددت مخارها

واتخذت من شعر صدارها

فلما قتل لبست عليه الصدار، وقالت فيه خير المرائي (٢) السماء: فرس هاشم بن حرملة (٣) البهيم: الأسود، وملا شية فيه من الخيل للذكر والأنثى.

ثم تبعه وقال : هذا قاتلُ سُعَوية ، لا وآلَتُ نفسي إن وآل^(١) ، ولا نَزَلَ كَن له بين
الشجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه مِمْبَلَةً^(٢) ، ففلقَ قِخْفَهُ^(٣) فأت^(٤) ، وقال
في ذلك :

إني قتلت هاشم بن حرملة إذا الملوك حوله مُرَبَّله^(٥)
بَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
ولما بلغ الحنساء قَتْلُ هاشم قالت :

فِذَاً للفراس الجشى نفسى وأفديه بمن لى مِنْ حميم
أفديه بكلِّ بنى سليم بظاعنهم وبالأُنْسِ^(٦) المقيم
كما مِنْ هاشم أفرزت عيني وكانت لا تَنَامُ ولا تُنِيمُ^(٧)

(١) وآل : نجا (٢) النصل : العريض الطويل (٣) القحف : ما اخلق من الجمجمة
ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء (٤) قال الأصمعي : مررت بأعرابي وهو
يخضد شجرة ويرتجز ويقول :

لو كنت إنساناً لكنت حاتماً أو الفلام الجشى هاشما
قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هو الذى يقول :
وعاذلة هبت بيل تلومنى كآلى إذا أهقت مالى أضيها
دعيني فإن الجود لن يلف التنى ولن يخلد النفس اللثيمة لومها
وتذكر أخلاق التنى وعظامه مفرقة فى القبر باد رميمها
سلى كل قيس هل أبانى خيارها ويمرض عني وغدها ولثيمها
وتذكر قيس متى وتكرى إذا ذمنى فتياها وكريمها
قلت : لا أعرفه ، قال : لا عرفت ! هو الذى يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشم بن حرملة يقتل الذنب ومن لا ذنب له
ترى الملوك حوله مغرله

(٥) المغريل : المقتول المنتفع (٦) الأُنْس : الحى المقيمون (٧) قال فى اللسان :
يقال : أصاب الثأر النميم ، أى الذى فيه وفاء طلبته ، وفلان لا ينام ولا ينيم ، أى لا يدع أحداً
ينام ، وأنشد البيت (مادة - نام) .

ومن جيد قولها :

أبعد ابن عمرو من الـ الدَّ مريد حلت^(١) به الأرض أنقلها
لمرُ أيهِ لنعمَ الفقى إذا النفسُ أعجبها مالها
فإن تكُ مرةً أودتْ به قد كان يُكرُّ تقنأها
نخرُ الشوامخ^(٢) من قَدِهِ وزُوت الأرضُ زِلْها
هَمَّتْ بنفسى كلَّ المموم فأولَى لنفسى أولَى لها
لأهل نفسى على آله^(٣) فإما عليها وإما لها

وقالت ترى معاوية :

أريقى من دُموعك واستغيق^(٤) وصبراً إن أظقتِ ولن تطبقى
وقولى : إن خيرَ بنى سُلَيْمٍ وقارسها بصحراءِ العقيق
ألا هل ترجعنَ لنا اللبالي وأيامُ لنا يِلوى الشقيق
وإذْ نحنُ الفوارسُ كلَّ يوم إذا حضروا وفتبانُ الحقوق
وإذْ فينا معاويةُ بنُ عمرو على أدماءِ كالجبلِ الفنيق
فبَكِّيهِ قد أودى حمداً أمينَ الرأىِ محمودَ الصديقِ

(١) حلت : من الحلى ، تقول : زيفت به الأرض الموتى . (٢) الشوامخ : الجبال .

(٣) على حالة ، وعلى خلة وهى القبيل ، فإما ظفرت وإما هلكت . (٤) فى الكامل :

مضى هذا : أن النعمة تذهب اللوعة .

فلا والله لا تَسْلَاكَ نَفْسِي لفَاحِشَةً أَنْتَ وَلَا عُقُوقِ^(١)
ولكني رأيتُ الصبرَ خيراً من النملَيْنِ والرأسِ الحليقِ^(٢)

(١) أى لا أجِدُ فيكَ ما تسلو نفسى عنكَ له . (٢) قال فى الكامل : تأويل النملين أن المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جعلت فى يديها نملين تصفق بهما وجهها وصدرها .

٩ - يَوْمَ اللّٰوِ

غزا عبد الله بن الصّمة^(١) - ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية بن بكر
ابن هوازن - غطفان ، فظفر بهم ، وساق أموالهم في يوم يقال له : يوم اللّوى ،
ومضى بها .

ولما كان منهم غيرَ بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دُرَيْد : النّجاء
يا أبا فرعان^(٢) ! نَشَدْتُكَ اللهَ ألا تنزل ، فإنَّ غطفان ليست بغافلة عن أموالها وقد
ظفرت ؛ فأقسم لا يرّيم حتى يأخذ مرّ باعه^(٣) ، وينقع نقيعته^(٤) ، فيأكل ويطعم ،
ويقسم البقيّة بين أصحابه .

وينبأهم على ذلك ، وقد سطعت الدّواخن^(٥) ، إذا بُفكر قد ارتفع أشدّ من
دخانهم ، وإذا عبس وفزارة وأشجع^(٦) قد أقبلت ، فقالوا الرّبيّتهم^(٧) : انظر ماذا ترى ؟

✽ لنطفان على هوازن ، واللوى : واد من أودية بني سليم

الأغاني ص ٦ ج ١٠ ، المقد الفريد ص ٣٢٣ ج ١ ، شرح التبريزي على ديوان الحماسة ص ٣٠٥
ج ٢ ، جهرة أشعار العرب ص ٢٢٦

(١) سبي الصمة ربحانة بنت مديكرب فأولدها بنو الأربعة : عبد الله وقد قتله غطفان ، وعبد بنوت
وقد قتله بنو مرة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، وفي ربحانة
يقول أخوها عمرو بن مديكرب حين سبيت :

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرقني وأحسابي هجوع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوره لى ما تستطيع

(٢) كان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه عبد الله وخالد ومعبد ، وكنيته أبو فرعان
وأبو دقافة وأبو وقاء (٣) المربع : ربع الغنمية ، وهو حظ الرئيس في الجاهلية

(٤) النقيعة : ناقة ينحرها الرئيس من وسط الإبل ، ويضع منها طعاماً لأصحابه

(٥) جمع دخان (٦) عبس وفزارة وأشجع : من غطفان (٧) الربيّة : الطليعة .

فقال : أرى قوماً جَمَاداً^(١) كأنَّ سراييلهم قد غُمست في الجَادى^(٢) ، قال : تلك أشجع ، ليست بشيء ! ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنَّتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أَدَمَاناً^(٣) ، كأنما يحملون الجبل بسوادهم ، يَخْدُون^(٤) الأرض بأقدامهم خدّاً ؛ وهم يجرُّون رماحهم جرّاً ، قال : تلك عبس والموت معهم !

ثم تلاحقوا بالْمَعْرِج من رُميلة اللوى ، فاقتتلوا ، فقتل رجلٌ من بني عبس عبدَ الله بن الصمة ، فتنادوا : قُتل أبو ذُفافة ! فعطف دريد أخوه فذَبَّ عنه ؛ فلم يُغن شيئاً ، وجرح دريد وسقط ، فكفُّوا عنه وهم يرون أنه قتل واستنقذوا المال ، ونجا من هرب .

فرَّ زَهْدَمُ العبسى وكَرَدَمُ الفزارى بدريد وهو مرث^(٥) في القتلى ؛ قال دريد : فسمعت زهدماً العبسى يقول لكردم الفزارى : إني لأحسب دريداً حيّاً ، فانزل فأجهز عليه ، قال : قد مات ، قال : انظر إلى سُبَّتِه^(٦) هل ترمز^(٧) ؟

قال دريد : فسددت من حِثَارِها^(٨) ، فنظر فقال : هيهات ! قد مات ! ثم مَالَ بِالزُّج^(٩) في الشَّرَجِ فطمَن فيه ؛ فسال دم كان قد احتقن في جوفى ، فمرفت الحُفَّةُ حينئذٍ ، وأمهلَت حتى إذا كان الليل مشيتُ وأنا ضعيف قد نَزَفَنِي^(١٠) الدم ، حتى ما أكاد أبصر ، وما شعرتُ إلا وأنا بين عُرْقوبِي^(١١) بعيرِ ظَمِينَةٍ^(١٢) ، فنفر البعيرُ ؛ فنادت :

(١) جَاد : جمع جَد ، وهو الرجل المجتَمع بعضه لى بعض ، أو الشديد (٢) الجادى : الزعفران ، منسوب لى قرية بالشام نبت الزعفران ، اسمها جادية (٣) أَدَمَانَا : جمع آدم ، والآدم من الناس : الأسر (٤) يَخْدُون : يشقون (٥) المرث : من حمل من المعركة وبه رمق (٦) السبة : الاست (٧) ترمز : تضطرب (٨) الحثار : الشرج (٩) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح (١٠) يقال : نَزَفَ الدم فلاناً ، فهو منزوف ونزيف أى سال منه دم كثير (١١) الظمينة : المرأة ما دامت فى الهودج .

فعوذُ بالله منك مَنْ أَنْتَ؟ قلت : لا ، بل من أَنْتِ؟ وبلك ! فقالت : امرأة من هوازن .
قلت : وأنا من هوازن ، وأنا دريد بن الصمة ؛ فأعلمت الحمى بمكانى ؛ ففسل عني الدم
وزوَّدتُ زاداً وسقاءً ونجوت .



وفي موت عبد الله بن الصمة قال دريد أخوه يرثيه :

أَرَثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ^(١) بِمَاتَةِ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ
وَبَاتَتْ وَلَمْ أَحْمَدْ إِلَيْكَ جَوَارَهَا وَلَمْ تَرْجُ مِنْ رَدَّةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
أَعَاذَلَنِي كُلُّ أَمْرٍ وَأَبْنُ أُمِّهِ مَتَاعٌ كَزَادِ الرَّكْبِ التَّزَوُّدِ
أَعَاذَلُ إِنْ الرِّزْقُ أَمْثَالُ خَالِدٍ وَلَا رِزْقَ مِمَّا أَهْلَكَ الْمَرْءَ عَنْ يَدِ^(٢)
نَصَحْتُ لِعَارِضٍ^(٣) وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطُ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمُ شُهَدَايُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : طُنُّوا بِالْفَيْ مُدَجِّجٍ مَرَاتُهُمْ فِي الْفَارَسِيِّ الْمَسْرَدِ^(٤)
أَمْرُهُمْ أَمْرِي^(٥) بَعْمَرَجِ الْوَلَّى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
فَلَمَّا عَصَوْتَنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنِي غَيْرُ مُؤَدِّ
وَهْلٍ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ^(٦) إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةُ أَرَشُدِ
دَعَانِي أَخِي وَالْحَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُرٍ^(٧)

-
- (١) قال في الأغاني : كانت أم معبد امرأته تطلقها ، لأنها رأتها شديد الجزع على أخيه فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فقال هذه القصيدة (٢) خالد من أسماء عبد الله
(٣) عارض : من أسماء عبد الله أيضاً ، ورهط بني السوداء أصحاب عبد الله (٤) طنوا :
أيقنوا ، أو ماظنكم بأنني مدجج ، والمدجج : التام السلاح ، وسراتهم : خياريهم ، والفارسي المسرد :
الدروع (٥) أمرى أى مأمورى (٦) غزية : قبيلة من هوازن ، وهى رهط الشاعر
(٧) القعد : الجبان اللئيم القاعد عن الكرام .

تنادوا فقالوا : أُرِدَّتِ الخَيْصِلُ فارساً فقلتُ أَعْبُدُ اللهَ ذلكم الرَّدَى (١)
فإن يكُ عبدُ الله خَلَى مكانه فلم يكُ وقافاً ولا طائشَ اليدِ (٢)
ولا بَرِّما إذا الرياحُ تَنَاقَحتْ برَطَبِ العِصاهِ والهَشِيمِ المعضدِ (٣)
كَمِيشُ الإِزَارِ خارجُ نصفِ ساقِهِ بعيد من الآفاتِ طلائعُ أنجِدِ (٤)
فليل التشكى للمصيباتِ حافظُ من اليوم أعقابُ الأحاديثِ في غدِ (٥)
تَرَاهُ خَمِيسَ البطنِ والزادُ حاضرُ عَتِيدُ ، ويُغدو في القميصِ المَقْدَدِ (٦)
وإن مسَّه الإِفْواهُ والجهْدُ زادُهُ صامحاً وإِتْلافاً لما كان في اليدِ
صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسَهُ فلما علاه قال للباطل : أبعدُ (٧)
وطيَّبَ نفسى أننى لم أَقُلْ له كَذَبْتُ ولم أَبْخَلْ بما مَلَكَتْ يَدى
نظرتُ إِلَيْهِ والرِّماحُ تَنَوَّشُهُ كوقع الصَّيَاصى في النسيجِ المُمدَّدِ (٨)

(١) أى : أَعْبَدُ اللهَ ذلكم المالك ؟ ولما دعاه إلى هذا القول أمران : سوء ظن الشقيق ، والثانى علمه إقدامه في الحرب (٢) خلى مكانه : مضى لسبيله ، والوقاف : الهبابة ، والطائش : الذى لا يصيب (٢) البرم : الضجر ، وتناوحت الرياح : هبت صابرة ، وشمالاً مرة ، وذلك آية الجذب ؛ والعصاه : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم : الثب اليابس المتكسر ، والمعضد : المقطع (٤) كَمِيشُ الإِزَارِ : مثل في الجد والتشمير ، والكَمِيشُ : الخفيف السريع الحركة ، وبعيد من الآفات : يريد أنه لا داء به ، وهو سليم الأعضاء (٥) المعنى : أنه لا يتألم للنواب تنزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفساله من أحداث الناس في غده (٦) يصفه بقلّة الطعام ، والزهد في اللباس ، مع اتساع الحال ، لأنه يؤثر غيره على نفسه ، والعنيد المد ، والمقدد : المقطع (٧) « صبا » ادول من المصبي وهو صفر السن ؛ وصبا الثانى من الصباء بمعنى الفتاة ، المعنى : تماطى اللهو صغيراً ، فلما اكتمل وظهر الشيب في رأسه ، نعى الباطل عن نفسه (٨) تنوشه : تتناوله ، والصياصى : جمع صبيصة ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة والعمعة .

وكنْتُ كذاتِ البو رِبتُ فأقبلتُ إلى جلدٍ من مَسكِ سَقَبٍ مُقَدَّرٍ^(١)
 فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى علاني حالك اللون أسودى^(٢)
 فما رِمتُ حتى خرقتني رِماحُهم وغودرتْ أكبؤ في القنَّاء المتقصد^(٣)
 قتال امرئٍ وامى أخاه بنفسه وأيقن أن المرءَ غيرُ مغلدٍ
 قليل التشكُّى للمصِيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحادثِ في غدٍ
 وقال أيضاً :

تقول : ألا تبكي أخاك ! وقد أرى مكان البسكا، لكن بنيتُ على الصبر
 فقلت أعبد الله أبكى أم الذى له الجدث الأعلى قتيلَ أبي بكر^(٤)
 وبعدَ ينوث تحجلُ الطيرُ حوله وعزَّ المصابُ حنوَّ قبرٍ على قبرٍ^(٥)
 أبى القتلَ إلا آلُ صِمةٍ إنهم أبوا غيره والقدرُ يجرى إلى القدرِ^(٦)
 فإما تريننا لا تزال دماؤنا لدى وائره يشقى بها آخرُ الدهرِ^(٧)
 فإنا للحمٍ السَّيفِ غيرَ نَكيرةٍ ونأجمه حيناً وليس بنى نُكْر^(٨)

(١) ذات البو : ناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحشى لها جلده فترأه ، أى كنت من الولد عليه مثل ذلك. والجلد ما جلد من السلوخ، وألبس غيره، لثمنه أم السلوخ فتدر عليه ، واسك : الجلد ، والسقب : ولد الناقة (٢) أسودى : كما يقال فى الأهر أخرى ثم خففت ياء النسب بمحذف إحداهما (٣) التقصد : التكرس (٤) قتيل أبي بكر بن كلاب هو أخوه قيس ، ارجع إلى الأغاني صفحة ١٤ فيه تفصيل لسبب قتله (٥) بعد ينوث : أخوه أيضاً ، وقد قتله بنو مرة ، وحنو بدل من المصاب ، ومفعول عز محذوف ، كأنه قال : وعز للشاعر المصيبة ، حنو قبر على قبر ، أى حصول الواحد بسد الواحد (٦) يريد : أنهم قدروا للقتل (٧) يقول : إنا أبدأ نككون دماؤنا عند من قتلنا له قتيلاً يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلبه من دماننا (٨) لحمه : أطعمه اللحم ، يقول : إنا نخطر بأنفسنا فنقتل ونقتل ، وليس ذلك فينا ومنا بمنكر

يُكَارُ علينا واطرين فَيُشْتَفَى بنا إنْ أُصِبتَا أو نُفِيرُ على وِترِ
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على شطري



ثم أغارَ دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ بمدَّ مَقْتَل أخيه عبد الله على غَطَفَانَ ، يطالبهم بدمه ؛
فاستقرَّاهم^(١) حياً حياً ، وقتل من بني عَبْسٍ سَاعِدَةَ بن مُرَّة ، وأسرَ ذُوَابَ بن أسماء
ابن زيد بن قارب ، أسره مُرَّة بن عوف الجُشَمِي . فقالت بنو جُشَم : لو فادَ بِنَاهُ^(٢) ،
فأبى ذلك دُرَيْدُ عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله . وقتل من بني فزارة رجلاً
يُقال له حِزَام وإخوة له ، وأصاب جماعة من بني مُرَّة ومن بني ثَعْلَبَةَ بن سعد
ومن أحياء غَطَفَانَ ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي مَنْ قُتِل فيه منهم
يقول :

تَأْيِدُ^(٣) من أهله معشَرُ فجوَّ سُوَيْقَةَ فالأَصْفَرُ
فَجِرْزَعُ^(٤) الحَلِيفِ إلى واسطِ فذلك مَبْدَى وذَا مَحْضَرُ
فأبلغ سُلَيْمَى وألفافها^(٥) وقد يَمِطُف النسبُ الأَكْبَرُ
بأنى نأرتُ ياخوانكم وكنتُ كَأَنِّي بهم مَغْفَرُ^(٦)
صبحنا فزارة سُمَرَ القَنَا فَمَهْلًا فزارة لا تضجروا
وأبلغ لَدَيْكَ بَنِي مازِنٍ فكيف الوعيدُ ولم تَقْرُرُوا

(١) استقرَّاهم : تنجمهم (٢) فاداه : أطلقه ، وقبل فديته (٣) تأيد : أقر ، ومعشَر
وجو سويقة والأصفر : أسماء مواضع (٤) الجرزع : منطفف الوادي ، والحليف وواسط :
موضان (٥) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفردة لف (بالكسر) (٦) أخفّره :
قضّ مهده .

فَإِنْ تَقْتُلُوا فَتْيَةً أَفْرَدُوا أَصَابَهُمُ الْحَيِّينَ أَوْ تَغْلَبُوا
فَإِنْ حَزَامًا لَدَى مَعْرَكَةٍ وَإِخْوَتَهُ حَوْلَهُمْ أَنْسَرُوا
وَبَوْمَ يَزِيدِ بْنِ نَاشِبٍ وَقَبْلُ يَزِيدَ كُمُ الْأَكْبَرُ
أَثَرَنَا صَرِيحَ بْنِ نَاشِبٍ وَرَهْطَ لَقِيطٍ فَلَا تَفَحَرُوا
تَجَرُّ الضَّبَاعُ بِأَوْصَالِهِمْ^(٧) وَيَلْقَحْنَ مِنْهُمْ وَلَمْ يُقْبَرُوا

(٧) في نهاية الأرب : إن الصبح إذا لقيت قبلا بالمراء وورم وانتفخ غرموله تأنيه فتركه
ثم تأكله .

١- حَديث ابنِ ضَبَا

قد كان من حديثِ الحربِ التي وقعت بين أبي بكر بن كلاب ، وبين بني جَعْفَر (١)
أن سعد بن ضبا الأسدي كان جاراً لعتبة بن مالك بن جعفر ، وكان يُرعى (٢) عليه -
وبنو جعفر يزعمون أنه كان أسيراً عند عتبة بن جعفر - وكانت بنو أسدٍ قد قتلت
من بني أبي بكر قتيلاً ، فقالت بنو أبي بكر : علام تدعون ابنَ ضبا وأنتم تطلبون
بني أسد بما تطلبونهم ، فممدوا إليه فقتلوه ، وبنو جعفر عنه غُيب .

فلما بلغ ذلك بني جعفر غضبوا ، وكان في بني جعفر رجلٌ من بني أبي بكر
يقال له مالك بن قحافة ، فقال - وهو صهر بني جعفر - لا يسؤكم الله ؛ إنما
هذا رجل من بني أسدٍ ، وقد كنّا نطلبهم بدمٍ ، وقد علمتم ذلك ، فلا تسفكوا
دماءنا ودماءكم فيه ، فهذا ابني لكم بديتته ، ولا تقتلوا قومكم . قالوا : نعم ؛ فأخذوا
ابنه فحبسوه بالديّة .

فبينما هم كذلك إذ أقبل بعضُ بني جعفر فلقوا ربيعةَ الشرِّ بن كعب بن عبد الله
ابن أبي بكر ، ومعه وطبان من لبنٍ يريد بهما أهله ، فقالوا : هل أنت سارقنا من
هذا اللبن ؟ قال : نعم ، فنزل عن قعوده ليسقيهم ، فأخذوه فشدّوه وثاقاً ، وقد تروى
من اللبن ، ثم طردوا به فسألح ، ثم شدّوه مع ابن مالك بن قحافة .

* لبني أبي بكر بن كلاب على بني جعفر بن كلاب (كلاهما من عامر) . وابن ضبا : رجل من
بني أسد .

النقائس ص ٥٣٣ طبع أوروبا .

(١) بنو جعفر بن كلاب ، وبو أبي بكر بن كلاب : طنان في بني عامر (٢) يقال : أُرْعيت
عليه ؛ أي أُنْقِيت عليه ورجحه

فلما رأى ذلك مالكُ قال لامرأته : احتملى . فاحتملت ، فلما سارت ركبَ فرسه ثم أقبل عليهم فقال : يا بني جعفر ؛ لا آتى قومي أبداً حتى أقتلَ بمضكم أو تقتلوني ، أو أرجع بأحد الأسيرين ، فمئذكم أسيرُ لبي وأسيرُ دم . فأعطوه ابنه ، وجبسوا ربيعة موثقاً أربع ليال حتى أذى بنو بكر عقل ابن ضبا ؛ فبعث بها بنو جعفر إلى بني أسد .

فلما أدوها قال عامر بن كعب أخو ربيعة الشر : أدوا إلى يابني جعفر إيسار أخى وما صنعتُم به حتى كان منه ما كان ، أو حكموني . فأبى ذلك بنو جعفر . فقال عوف ابن الأحوص : هذا ابني دأبُ بن عوف ، فليس بشرٍّ من أخيك فاصنعوا به ما صنعَ بصاحبكم !

فأبى ذلك بنو أبي بكر ، واجتمع القومُ بمضهم إلى بعض ، فلما لقيت الحربُ بين بني جعفر وبني أبي بكر قتَلَ رجل من بني جعفر - يقال له منيع - رجلاً من بني أبي بكر ؛ فأقبلت غني - وقد كانوا قتلوا ابناً لمروة بن جعفر قبيل ذلك - حتى نزلوا على مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ؛ فقال مالك : قد أصابت غني منكم دماً ، وأصبتم منا دماً فبوئوا أحدَ القتيلين بالآخر ؛ فقالت بنو جعفر : نحن نعطيك الدم الذى أصبنا من ابنك ، وخلّ بيننا وبين ثأرنا من غني ؛ فإننا لا نرضى منهم بدون دية الملوك ، فأذنوا بحرب .

فسارت بنو جعفر إلى بني أبي بكر ، وسار معهم سائر بني كلاب ، حتى إذا تراءى الجمعان خذلت بنو جعفر .

فلما رأت بنو جعفر أنهم قد خذلوا ، وقد كان طُفيلُ الفتوى قال لبني أبي بكر : ادفعوني إلى بني جعفر ، فوالله لا يتمدون علينا ولا يظلموننا حقاً هو لنا عندهم ،

فإن جعفرًا لا يُقَرُّ على هذا ، فأبوا ، وخرج بنو جعفر متوجهين إلى بني الحارث ابن كعب ليحالفوهم .

فنزّلوا فيهم وحالفوهم وأقاموا فيهم حولاً ، فقالت بنو الحارث لبعض : ما يمنع أن ن تزوج من بني جعفر عشرين امرأة ، ونزوّجهم عشرين امرأة ، وتشتبك الأرحام بيننا وبينهم ؟ فإنهم الأشراف والأكفاه ، ولا نبالي إذا فعلنا ذلك من أجل (١) علينا من العرب ؟ فمشوا إلى عامر بن مالك ، فذكروا ذلك له ، فرضيت بنو جعفر ، وعامرٌ ساكتٌ لا يتكلم .

فلما انصرف القوم نادى عامرٌ في بني جعفر : لا يَبْقَيْنَ أَحَدٌ له فرسٌ إلا ركبهُ ولا سلاحٌ إلا لبسه ، وأخذ رُمحه . ففعلوا ، ثم نادى أن احتملوا بأثقالكم ونسائكم ، ثم قال : سيروا حتى تقطعوا ثنية (٢) القَهَر ، فإذا قطعتموها فانزلوا ، ففعلوا ، ووقف عليهم عامر بن مالك ، حتى جازوا الثنية ، ثم أتاهم ، فقال : هل أخذتُ لكم ديةً أو أبيتكم على خَسْفٍ قط ؟ قالوا : لا ، قال : والله لتطيعنني أو لأتكنن على سيفي حتى يخرج من ظهري .

ثم قال : أتندرون ما أرادَ القوم ؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذناناً ، ويستعينوا بكم على العرب ، وأنتم سادة هوازن وروهمهم فسيروا .

فخرجوا سائرين ، وخرج عامرٌ وطفيل وعبيدة ومعاوية - وهم بنو أم البنين - وسلى بن مالك ، وحنظلة وعامر ابنا طفيل ، ولييد بن ربيعة ، ونزلت بنو جعفر في ناحية أرض قشير ، ثم قصدوا إلى بني أبي بكر يريدون مالك بن كعب بن عبيد بن أبي بكر ، فوجدوه يَمِيع (٣) رَكِيًّا فنزلوا حتى خرج منها .

(١) أجب عليه : أعان عليه ، وقال : أجليوا عليه إذا تجمعوا وتألبوا (٢) ثنية بالين

(٣) الميع : أن تدخل البئر ضلماً الغلو لقلّة ما بها . والركية : البئر .

فلما رأهم رَحِبَ بهم ، ودعا بَلَقْحَةَ^(١) ، ثم أمر حالبًا فحلبها ، فقال : اسقِ
سَيِّدَ بني عامر ، فسقى عامر بن مالك . ثم قال : اسقِ سيد بني عامر ، فسقى بعده
طفيلًا . ثم قال : اسقِ سيد بني عامر ، فسقى معاوية . ثم قال : اسقني ، ثم سألهم :
ما حاجتكم ؟ فقالوا : أردنا أن نبوء بحَقِّكم ، ونرجع إلى قومنا ، فقال مالك :
اختاروا مني خَلَّتَيْنِ ، ثم حُكْمِي بعدهما ، قالوا : قد قَبَلْنَا إحداهما وقَبَلْنَا حَكْمَكَ .
قال : إن شئتم أن تظعنوا على حَرْبٍ مُجَلِّيَةٍ أو تُقِيمُوا على سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فقالوا :
أَرِنَا حُكْمَكَ . قال : ما كان لكم عندي من غَائِلَةٍ أو حُحَّاشَةٍ^(٢) أو دَمٍ ، ما قَلَّ
من ذلك وما كَثُرَ فهو لكم ، ودمُ صاحبكم ابن عُرْوَةَ فهو على أفضل الدِّيَّاتِ دِيَّاتٍ
أهل بيته في مَالِي ، وما كان لِنَفْسِي فهو عليّ ، ويرثم منه ؛ فذلك حيث يقول لبيد ،
وغاظه ما يرى :

أَبْنَى كِلَابٍ كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرُ^(٣) وَبَنُو ضَبَبْنَةَ حَاضِرُوا الْأَجْيَابِ^(٤)
قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطَوْا^(٥) دُونَهُ حَتَّى نَحَا كِمَهُمْ إِلَى جَوَابِ^(٥)

(١) اللقحة : الناقة الحلوب (٢) الححاشة : ما هو دون الدبة لقطع يد أو أذن

(٣) الأجباب : منازل لبني جعفر التي شيت عنها وأقامت بها غي (٤) لَطَوْا : استهزؤا

(٥) جواب : لقب مالك بن كعب السكلايين المذكور .

١١ - يَوْمَ هَرَامَيْت

كان بدءُ الحرب يومَ هَرَامَيْت أنَ الجَلِيلِيح بنَ شَدِيدَ الجَمْفَرِي^(١) نَزَلَ في بئرٍ بِناحيةِ هَرَامَيْت لِيَحْتَفِرَها ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الأَسْوَدُ بنُ شَقِيقِ الضَّبَّابِي^(٢) فَنَمَمَ ، فَأَنحَدَرَا في البئرِ ، فَضْرِبَهُ الأَسْوَدُ عَلَى أذُنِهِ فَحَذَمَهَا^(٣) وَشَجَّهَ شَجَّةً ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِرَأْسِ البئرِ ، فَأَنزَلُوا عَلَيْهِمَا الرِّجَالَ حَتَّى خَلَصُوا بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَتِ الضَّبَّابُ : دُونَكُمْ صَاحِبِنَا فَاقْتَضُوا ، وَخَذُوا أَرْضَ^(٤) جِرَاحَةِ صَاحِبِكُمْ .

فَقَالَتِ بَنُو جَمْفَرٍ - وَفِيهِمْ بَذَخٌ^(٥) شَدِيدٌ - لَا نَأْخُذُ حَقًّا أَبَدًا إِلَّا عَنُوءَةً .
فَانصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَكُلٌّ مَحْتَمِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَمْفَرٍ : يَا جَلِيلِيحُ ؛ أَنْتَ الْيَوْمَ الْجَلِيلِيحُ ، وَغَدًا الْمَحْدُومُ ؛ فَشَجَذَ بَنِي جَمْفَرٍ وَأَحْمَسَهُمْ^(٦) ، وَكَانُوا مَعَ بَنِي الضَّبَّابِ فِي مَحَلَةٍ وَاحِدَةٍ .

ثُمَّ اتَّقَوْا عَلَى هَرَامَيْتَ فَاقْتَتَلُوا ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا وَاحْتَمَلَ الْحَيَّانُ ، وَافْتَرَقُوا بَعْدَ الأُلْفَةِ .

فَنَزَلَتِ الضَّبَّابُ عَلَى غَوْلٍ وَالْحِصَافَةِ^(٧) ، وَنَزَلَ جَمْفَرُ الشَّبَكَةِ^(٨) وَمَعْرُوفًا ،

* للضبَابِ عَلَى بَنِي جَمْفَرٍ (كِلَاهُمَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ) . وَالهَرَامَيْتُ : آبَارٌ مَجْتَمِعَةٌ بِالنَّجْدِ الدُّهْنَاءِ .

مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ص ٤٥٠ ج ٨ ، التَّقَاتُصُ ص ٩٣٧ طَبْعُ أَوْرِبَا

- (١) بَنُو جَمْفَرٍ ، ثُمَّ أَبْنَاءُ جَمْفَرِ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ (٢) الضَّبَّابُ : وَلَدُ مَعَاوِيَةَ بْنِ كَلَابِ بْنِ رَيْعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَأَمَّا سُمُو الضَّبَّابِ ، لِأَنَّ عَمْرُو بْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ وَلَدَهُ ضَبًّا وَمَضِبًّا وَضَبَابًا وَحَسِيلًا (٣) حَذَمَهَا : قَطَعَهَا (٤) الأَرْضُ : الدِّيَةِ (٥) الْبَذَخُ : الْكِبَرُ (٦) أَحْمَسَهُمْ : أَغْضَبَهُمْ (٧) الْغَوْلُ وَالْحِصَافَةُ : مَاءَانُ للضبَابِ (٨) الشَّبَكَةُ : مِنْ مِيَاهِ بَنِي قَسِيرٍ ، وَمَعْرُوفٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي جَمْفَرٍ .

فسكرتوا يسيراً ، والضباب متوقفة للشر ، قد أذكت الميؤن فليست تنام ؛ ثم إن
بني جعفر سارت إلى الضباب .

وبينا الضباب في بعض الطريق إذ لقيهم يزيد بن سهم الفنوي راكباً ، فقالوا :
هذا راكبٌ فاسألوه عن بني جعفر ، فاتوه ، فقالوا : ما الخبر ؟ فقال لهم الفنوي :
ما أدري ما أقول لكم إلا أن النعم .نكم قريب^(١) .

فخربت الضباب مبادرة إلى النعم غمامة الفارة ، وخلفوا أبا لطيفة بن الخطيم
ابن الأعرف ، وهو يومئذ سيد الضباب وابن أخ له وأربعة نفر .

وأقبل جمع بني جعفر فتلقاهم زَيْنُ الضبابي في مِرْزَى له يسوقها ؛ فقال زاجر^(٢)
بني جعفر : يا قوم ؛ قد لقيتم زَيْنًا^(٣) وزاجراً وناطحاً ، فارجموا ، فوالله لا نصيبون
في وجوهكم هذه خيراً فأطيعوني ؛ فأبوا عليه .

فبينما هم في مسيرهم إذ لقيهم مالك بن الربيع وشريك بن الهيثم الضبابيان ،
فقتلوهما . فقال أهلُ الرأي منهم : ارجموا فقد أصبتم بصاحبكم ، وأدركتم ثاركم في
حافية ؛ فابت جماعتهم إلا المسير ، وقالوا : يا بني جعفر ؛ اجملوه يوماً من أيّامكم ،
فساروا حتى انتهوا إلى علمهم ؛ فوجدوا أبا لطيفة بن الخطيم وأصحابه فقتلوه ، وفيهم
رجلان يقال لهما الأشهبان من فرسانهم ، فقتلوهما ، ونزل أبو لطيفة بن الخطيم وبه
رمقٌ فقطعوا أنفه ، وعمدوا إلى ملحفَةٍ حمراء فصَبَنُوهَا بدمِ أبي لطيفة ، وبعثوا بها
مع بشيرٍ إلى نساءهم .

(١) قال ذلك يكيد للضباب تصباً لبني جعفر ؛ لأن ولادته كانت فيهم (٢) الزاجر : من
يصطنع الزجر ، وهو العياقة والتسكين (٣) الزين : الدفع ، ومنه حرب زبون ؛ أي يدفع
بعضها بعضاً كثرة .

وفي بني جعفر وَجْزَةٌ بنت الخطيم أختُ أبي لطيفة ؛ فلما جاء البشيرُ بقتلِ
أبي لطيفة صرخت بناتُ وَجْزَةٍ على خالهنَّ ، فقالت أمهنَّ : اسكننَّ ، فوالله لئن كان
ظننى ببني عمرو (وهم الضُّباب) ليبيننَّ الليلةَ في بني جعفر نوحُ كثير .

وانتهت الضُّباب إلى النِّعم ، ثم عادوا فوجدوا أبا لطيفة ، وبه رمقٌ وإذا القومُ
قتلى ، فقالوا له : مَنْ أصابك ؟ قال : أصابني خَيْشَنَةٌ وهو أحدُ الرِّدِّينِ على الجملِ
الأسود ، فاتَّبعتم الضُّباب ، فلحقتمهم على الثنية فاقْتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من
الفریقین من هؤلاء وهؤلاء ، وقصدَ هُرَيْمُ بن الخطيم - أخو أبي لطيفة - قَصْدَ
خَيْشَنَةَ قاتل أخيه فقتله وقطع أنفه ، وبث به مع بشيرٍ إلى أبي لطيفة .

فلما أتاه البشيرُ قال : وصلتكم يا بني عمرو رَجِمْ ! الآن ذهب غللى ، لستُ أبالي
مَنْ مِنِّي .

وانهزمت بنو جعفر ، وطردتهم الضُّباب بميداً خمسة أميالٍ أو نحو ذلك ، وحجزَ
بينهم الليلُ ، ورجعت الضُّباب فاحتملت قتلاًها ، وهابت بنو جعفر أن تنقلَ قتلاها
حتى يموتوا النساء يحملن القتلى ؛ فشت السُّفراءُ بينهم ، ففَضَّلَ لبى جعفر على الضُّباب
خمسَةً بعد البَوَاء .

وقال الأجلح^(١) الضُّبابي ، وكان فارساً شديداً ، فاتَّبع القوم وهو يقول :

لا تَسْفِه حَزْراً ولا حلياً إن لم تجده ساجحاً يَمْيُوباً^(٢)

(١) نسب هذا الشعر في اللسان : للخطيم الضُّبابي (لسان مادة جون) ، وقال في حاشية اللسان :
في الصافي : مولا لأجلح بن قاسط الضُّبابي (٢) بصف فارساً يقول : لا تسفه شيئاً إن لم تجده
معه الحصال ، والحزر من اللبن : الذي أخذ شيئاً من الحموضة ، والساجح : الشديد الصمو ،
والبمروب : الكثير الجرى .

ذَامِئَةً^(١) يَلْتَهُمُ الْجُبُوبُ^(٢) يترك صَوَانُ^(٣) الصَّوَى دَكُوبًا
 بِرَلَقَاتٍ^(٤) قُفَّتْ تَقْمِيًا يترك في آثَارِهِ لُهُوبًا^(٥)
 يبادرُ الأَثَارَ أَنْ تَوُوبًا^(٦) وحاجبَ الجَوْنَةِ^(٧) أَنْ يَمِيَا
 كَالذَّبِّ يَتَلَوُ طَمَعًا قَرِيْبًا^(٨) على هَرَامِيَتَ تَرى المعجِيَا
 أَنْ تَدْعُوَ الشَّيْخَ فَلَنْ يُجِيْبَا

فقاتل يومئذ فأبلى ، وكان ممن قتل الكَرُوسُ ومِعْتَرَّ ضربه ضربةً بالسيف
 أَشْرَعَتْ فِي شِقْعِهِ ، فنادى مِعْتَرَّ: يَا بَنِي جَعْفَرٍ! إِنْ شَدَدْتُمُونِي بِثَوْبٍ مَلَا بَاسَ عَلَيَّ ،
 فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْأَشْرَ بنُ عِمَارَةَ الصَّبَابِي :

عَشِيَّةً يَدْعُو مِعْتَرَّ يَا لَ جَعْفَرٍ أَخُوكُمْ أَخُوكُمْ أَجْدَلُ الشَّقِّ مَائِلُهُ
 وَلَحِقَ الْأَجْلَحُ بنُ قَاسِطِ ابْنِي مُحِيْضَةَ بنِ بَحِيرٍ ، وَهَمَا يَسْرِيَانِ بَابِيهِمَا مِنْ آخِرِ
 اللَّيْلِ ، فَقَالَ لَهَا : أَجْزِرَانِي الشَّيْخَ ، فَقَالَا : لَقَدْ اسْتَمْرَضْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ جَزْرًا كَثِيرًا
 وَمَا لِهَذَا رَبَّنَا . وَقَدْ كَانَ الْأَجْلَحُ لَمْ يَلْبَسْ دِرْعَهُ تَرَكَ جُرْبَانَهَا^(٩) لَمْ يَشُدَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
 الْمَجَلَّةِ ، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ : شُدِّ عَلَيْكَ الْجُرْبَانُ ، فَقَالَ : إِنْ أَلَدَى يُبْصِرُ هَذَا الْمَوْضِعَ لِبَصِيرَةٍ

(١) اللبنة : النشاط والحركة ، ويلتهم : يتلغ (٢) الجيوب : الأرض النليظة ، وقيل الأرض
 النليظة من الصخر لا من الطين ، وقيل هي الأرض عامة ، وقيل وجه الأرض
 (٣) الصوان : الصم من الحجارة ، والصوى : الأعلام ، والركوب : المذلل ، ورواية النفاض :
 يترك صوان الحصى ركوباً (٤) يعني حوافره ، والتقميع : أَنْ يَكُونَ الْخَافِرُ مَقْمِيًا كَالْتَقَبِ
 لاسْتِدَارَتِهِ (٥) اللهب : جمع لهب ، ورواية النفاض : ألُوبًا (٦) الأوب : الرجوع
 يقول : يبادر آثار الذين يطلبهم ليدركهم قبل أن يرجعوا إلى قومهم ، ويبادر ذلك قبل مغيب الشمس
 (٧) الجونة : الشمس (٨) شبه القرس في عدوه بذئب طامع في شيء يصيده عن قرب
 قد تناهى طمعه (٩) جربان السيف : حده ونمده .

فلما حَمَلَ على ابني مُحِيضَةَ نظر حاجِبُ بنِ مُحِيضَةَ إلى موضعِ الجُرْبَانِ لم يشده فطعنهُ
في لَبَتِهِ فقتله ، وأخذوا فرسه فركباه وَنَجَّوْا بآبِهِمَا .

فلما قَدِمَ الحِجَاجُ المدينة بعد قتلِ ابنِ الزبير ، واجتمع الناسُ على عبد الملك وجهه
إليهم عثمانُ بن عبد الله بن سُرَاقَةَ القُرَشِيَّ أحدَ بني عَدِيَّ بن كعب ؛ فلما قدم عليهم
جمع الفريقين ، ثم نادى : مَنْ جاءَ بِمُحْرَمَةٍ حطَبَ فله بَعِير . فجيءَ بِمَحْطَبٍ كثير ،
فَنَضَدَ بِمُضَةٍ إلى بعضِ حولهم ، ثم أَشْمَلَ فيه النار ؛ فلما لَحِقَتِ القَوْمُ النارُ ، وظنُّوا
أنه الموتُ نادى : مَنْ أَطْفَأَهَا فَلَهُ بَعِير ، فأطفأها الناسُ ، فأخرجهم ، وقد كادوا
يحترقون ، ثم دعا بالصَّخْرِيَّ لِيَحْطِمَ أَذْرُعَهُمْ فَضَجُّوا إِلَيْهِ ، فقال : أَتَمُودُونَ لِأَمْرِ
الجاهليةِ أَبَدًا ؛ فقالوا : لا نَمُودُ بعدَ اليوم . فَضَمَّنَ الصَّبَّائِيُّونَ الجَمْفَرِيَّينَ ما يطلبون ،
وأخذَ دَرَّاجَ بنَ زُرْعَةَ بنَ قَطَنَ بنِ الأَعْرَفِ الصَّبَّائِيَّ فوجهَ به إلى عبد الملك ، وكان
هو صاحبُ الأفاعيلِ فقتله عبد الملك ، فقال دَرَّاجُ في السجن :

أَلَا يَا غِرَابَ البَيْنِ أَسْمَعْتَ فَارْبَعَ وَطِرُ بِاللَّيْ قَدْ حُمَّ وَيَحْكُ أَوْقَعَ
فطارَ بِتَحْقِيقٍ وَجُدْتُ بِمَبْرُورَةٍ أَنَا هَا رَشَّاشُ المِينِ مِنْ كُلِّ مَدْفَعٍ
فليسَ لِيَا لِيَنَا بِطُخْفَةٍ وَالْحَى بِمُرْتَجَمَاتِ فَا بَكَ شَجْوِكَ أَوْ دَعِ
إِذَا أُمُّ سِرْيَاحٍ^(١) غَدَّتْ فِي ظَمَائِنِ جَوَّالِ^(٢) نَجْدًا فَاضَتْ المِينُ تَدْمَعُ
فَبَلَّغُ بَنِي عَمْرٍو سَلَامًا وَرَحْمَةً بَأْيَاتِ شِدَائِي إِذَا الخَيْلُ تُقْدَعُ
بَأْيَةٍ أَنِي لَمْ أَكُنْ قَدْ عَلِمْتُ أَهْلُ^(٣) عَنْ ضَرْبِ الكَمِيِّ^(٤) الْقَمْعُ
قَدْ كُنْتُ أَعْطِيكُمْ طَرِيقِي وَتَالِدِي وَأَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ كُلِّ مَدْفَعٍ

(١) السرياح : الجراد ، وأم سرياح : امرأة مشتق منه (٢) الجالس : الآتي نجداً ،
ورواية النقائس : عوامد نجد كانت المين تدمع (٣) همل : فرع وجن
(٤) الكمي : الشجاع .

فلا تخشعوا للقوم من خَشْيَةِ الرَّدى
وإني لأُخشى من رجالٍ تركتهمُ
فإن يكُ ظنى بالحجازى صادق
وَيَسْقِيهِمْ كَأْسًا من الموتِ مُرَّةً
ولما دخأتُ السَّجْنَ أيقنتُ أنه
وما السوطُ أبكأنى ولا السجْنُ شفى
لكلِّ امرئٍ يوماً حِمَامٌ ومَصْرَعٌ
وَرَأَى أَنْ يُمَطَّوْا الذى كنتُ أَمْنَعُ
يقاتلهم فرداً ولا يتخضع
كما قد سَقَوُهُ مثلها فتَضَلَّعُ
هو البينُ لا بينُ النوى ثم يجمع
ولكننى من رَهْبَةِ الموتِ أَجْزَعُ

٧- أَيَّام قَيْسٍ وَكِنَانَةَ

- ١- يَوْمُ الْكَدِيدِ
- ٢- بَرْزَةِ
- ٣- حَرْبِ الْفَجَّارِ

١- يَوْمُ الْكَدِيدِ

— ١ —

خرج دُرَيْدٌ^(١) بن الصَّمَّةِ في فوارس بني جُشَمٍ^(٢)، يريد الغارة على بني كِنانة؛ فلما كان بواد لبني كِنانة رُفِعَ له رجل من ناحية الوادي ومعه ظُفِينة^(٣). فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صَبَحَ به أَنْ خَلَّ عن الظُّفِينة وانجُ بنفسك - وهو لا يعرفه - فانتهى إليه الرجل وألحَّ عليه، فلما أبى ألقى زِمَامَ الراحلة وقال للظُّفِينة:

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سِيرَ الْأَمْنِ سِيرَ دَاحٍ^(٤) ذَاتِ جَاشٍ سَاكِنٍ
إِنْ انْتِنَانِي دُونَ قِرْنِي^(٥) شَانِي أَبْلَى بِلَانِي وَاخْبِرِي وَعَايِي
ثم حمل على الفارس فَصَّرَعَهُ، وأخذ فرسه فأعطاه الظُّفِينة.

فبعث دُرَيْدٌ فارساً آخر لينظرَ ما صنع صاحبه؛ فراه صريعاً، فصاح به، فتصامَّ عنه، فظنَّ أنه لم يسمع ففشيهِ، وألقى زِمَامَ الراحلة إلى الظُّفِينة، ثم حمل على الفارس فَصَّرَعَهُ، وهو يقول:

* لبني سليم (بطن في قيس عيلان) على كِنانة، والكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة
المقد الفريد ص ٣٢٤ ج ٣، الأغاني ص ١٢٩ ج ١٤، الأمل ص ٢٧١ ج ٢، صط اللآلئ ص ٩١٠ ج ٢، قصص العرب ص ٢٤٦ ج ٤، بلوغ الأرب ص ١٤٤ ج ١
(١) دريد بن الصمة: سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، كان مظفرًا ميمون النقية، غزا نحو مائة غزوة ما أخفق في واحدة منها، وأدرك الإسلام ولم يسلم (٢) جشم: بطن في هوازن، ودريد كان من حبي فيهم يقال لهم بنو جداعة (٣) الظفينة: المرأة ما دامت في المودج (٤) امرأة رداح: عجزاء تعيلة الأوراك تامة الخلق (٥) القرن: الكفة.

خَلَّ سَبِيلَ الْحَرَّةِ النِّيعَةَ إِنَّكَ لَاقٍ دُونَهَا رَيْعَةً
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ^(١) مُطِيعَةً أَوْ لَا فَخُذَهَا طَمَعَنَةً سَرِيعَةً
فَالطَّمَنُ مَنَى فِي الْوَعَى شَرِيعَةً

ثم حمل عليه فصرعه .

فلما أبطأ على دُرَيْدٍ بَثَّ فَارِسًا آخَرَ ، لِيَنْظُرَ مَا صَنَعْنَا ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَأَاهُمَا
صَرِيمَيْنِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُودُ ظَلَمِينَتَهُ ، وَيَجْرُ رُمْحَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنِ الظَّمِينَةِ .
فَقَالَ لَهَا رَيْعَةً : اقْصِدِي قَصْدَ الْبُيُوتِ ، ثُمَّ أَقْبِلْ عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَتِيمِ^(٢) عَابِسٍ أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَرَدَاهُمَا عَامِلُ رَمَحٍ يَابِسٍ

ثم طعنه فصرعه ، فانكسر رُمُحُهُ .

وَلَا أَبْطَأَ عَنْ دُرَيْدٍ ارْتَابَ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا الظَّمِينَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحَقَ
بِهِمْ ، فَوَجَدَ رَيْعَةً^(٣) بَنَ مَكْدَمٍ لَا رَمَحَ مَعَهُ ، وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيِّ ؛ وَوَجَدَ أَصْحَابَهُ قَدْ
قُتِلُوا ، فَقَالَ لَهُ دُرَيْدٌ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؛ إِنْ مِثْلَكَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنْ الْخَيْلُ نَائِرَةٌ بِأَصْحَابِهَا ،
وَلَا أَرَى مَعَكَ رَمْحًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ ؛ فَدُونَكَ هَذَا الرَّمَحُ ؛ فَابْنِي وَاجِعَ إِلَى
أَصْحَابِي فَتُبْطِّطْهُمْ عَنْكَ .

(١) الرماح الخطية : تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ في بلاد البحرين (٢) الشتم : الأسد
الصائب (٣) ربيعة بن مكدم : أحد فرسان كنانة للمدودين وشجعانهم المشهورين ، وهو
من قبيلة فراس بن هثم بن مالك بن كنانة ، وكان بنو فراس أعجب العرب ، كان الرجل منهم يعدل
بصعرة من غيرهم ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله أن لي بجمعكم وأنتم
مائة ألف ثلاثمائة من بني فارس .

وَأَتَى دُرَيْدُ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ فَارِسَ الظَّمِينَةِ قَدْ سَحَاها ، وَكَتَلَ فُرْسَانَكُمْ ،
وَانْتَزَعَ رُمُحِي ، وَلَا طَمَعَ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَانصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَقَالَ دُرَيْدُ :

مَا إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِيَ الظَّمِينَةِ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلَ
أَرَدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً^(١) ثُمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ
مَهْلًا تَبَدُّوْا أَسْرَةً وَجْهَهُ مِثْلَ الْحَسَامِ جَلَّتْهُ أَيْدِي الصَّيْقَلِ^(٢)
يُزْجِي ظَمِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُحْمَهُ مَتَوَجِّهًا بِمَنَاءِ نَحْوِ الْمَزَلِ
وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ خِيفَةِ رُحْمِهِ مِثْلَ الْبُقَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلِ^(٣)
يَالَيْتَ شَعْرَى مَنْ أَبَوْهُ وَأُمَّهُ ؟ يَا صَاحِبَ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهَلْ
وَقَالَ رَيْمَةُ :

إِنْ كَانَ يَنْفُكُ الْيَقِينُ فَسَائِلِي عَنِ الظَّمِينَةِ يَوْمَ وَادِي الْأَخْرَمِ^(٤)
إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَنَاها نُهْبَةً لَوْلَا مَطْعَانُ رَيْمَةِ بْنِ مُكَدَّمٍ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الْفَوَارِسِ مَيْتَةً خَلَّ الظَّمِينَةَ طَائِعًا لَا تَنْدَمُ
فَصَرَفْتُ رَاحِلَةَ الظَّمِينَةِ نَحْوَهُ عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
وَهَتَكَتُ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ^(٥) فَهَوَى صَرِيمًا لِلْبَيْدِ وَالْفَقْمِ
وَمَنْحَتْ آخِرَ بَعْدِهِ جِيَّاشَةً نَجْلَاءَ فَاغْرَةٍ كَشِدْقِ الْأَضْجَمِ^(٦)
وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بآخر ثالثٍ وَأَبَى الْفِرَّادَ إِلَى الْغَدَاةِ تَكَرُّمِي

(١) النهضة: الفئء الذى هو لك ممرض كالنهمة ، يقال : فلان نهزة المنهل ، أى صيد لكل أحد

(٢) الصيقل : جلاء السيوف (٣) البقاث : طائر أغبر ، والأجدل : الصقر

(٤) الأخرم : جبل فى طرف الدهناء (٥) إهابه : جلده (٦) الضجم : عوج فى
القم ، وشبه الجرح الواسع بالقم الأضجم .

وقام نزاع بين نفر من بني سليم^(١) ، ونفر من بني فراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم ، ثم إنهم ودّوهما ، ثم ضرب الدهر ضربته ، وخرج نبيشة بن حبيب السلي غازياً ، فلقى ظمناً من بني كنانة بالكديد ، ومعهم قومهم من بني فراس بن مالك بن كنانة ، وفيهم عبد الله بن جذل الطمان والحارث ابن مكدم ، وأخوه ربيعة بن مكدم ، فلما رآهم الحارث قال : هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم ، فقال أخوه ربيعة : أنا أذهب حتى أعلم عِلْمَ القوم ، فأتيتكم بخبرهم ، وتوجه نحوهم .

فلما ولي قال بعض الظنن : هرب ربيعة ! فقالت أخته عزة بنت مكدم : أين فتهى نزة الفتى ؟ فمطاف - وقد سمع قول النساء - فقال :

لقد علمن أنني غير فرق^(٢) لأطمئن طمئةً وأعتنق^(٣)
أصبحهم صاحٍ بمحمر الحدق عَضْباً^(٤) حُسَاماً سِنَاناً^(٥) يأتلق

ثم انطلق يعدّو به فرسه ، فحمل عليه بعض القوم ، فاستطرد^(٦) له في طريق الظنن حتى قتله ، وتبعه نبيشة ثم رماء فلحق بالظنن يستدري ، حتى انتهى إلى أمه أم سنان فقال : اجعلي على يدي عصابة وهو يرتجز :

شدى على المصّب أم سيّار فقد رُزيت فارساً كالدينار
يطمن بالرمح أمام الأذبار

(١) سليم : بطن في قيس عيلان ، وم قوم دريد (٢) الفرق : الخائف
(٣) الاعتناق في الحرب : مثل المناق في غيره (٤) العَضْب : السيف (٥) السنان : طرف الرمح (٦) استطرد : تقهر ، وكأنه يخذع .

فَقَالَتْ أُمُّهُ :

إِنَّا بَنُو تَعْلِبَةَ بْنِ مَالِكٍ مَهْرُورٌ أَخْبَارٍ لَنَا كَذَلِكَ
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنَ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرُّزْءُ إِلَّا كَذَلِكَ

وَشَدَّتْ عَلَيْهِ عَصَابَةً ، فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً ، فَقَالَتْ : إِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ مَتَّ ؟ فَفَكَّرَ
رَاجِعًا عَلَى الْقَوْمِ ، يَنْزِفُهُ الدَّمُ ^(١) ، حَتَّى أَتَمَّخَنَ ^(٢) ، فَقَالَ لِلظُّمْنِ : أَوْضِمْنِ ^(٣) رِكَابُكُنَّ
حَتَّى يَنْتَهِيْنَ إِلَى أَدْنَى الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيِّ ، فَإِنِّي لَأَبِي سَوْفَ أَفِيفٌ دُونَكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْعَقْبَةِ ،
فَاعْتَمَدَ عَلَى رِجْلِي فَلَا يَقْدُمُونَ عَلَيْكَ لِكَافِي . ففَعَلْنَ ذَلِكَ ^(٤) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذَوَابَّةٌ ، فاعْتَمَدَ عَلَى رُجْعِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ لَهَا
عَلَى مَنْ فَرَسِهِ حَتَّى يَلْفَنَ مَا مَسَّهَا ، وَمَا يُقَدِّمُ الْقَوْمَ عَلَيْهِ .

وَرَأَاهُ نُبَيْشَةَ بْنُ حَبِيبٍ فَقَالَ : إِنَّهُ لِمَا تِلْهُ الْمَنْقُ ، وَمَا أَظُنُّهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ ،
وَأَمْرُ رَجُلٍ مِنْ خُرَازْمٍ كَانَتْ مَعَهُ أَنْ يَرْمِيَ فَرَسَهُ ، فَرَمَاهَا ، فَفَقَمَصَتْ ^(٥) ، قَالَ
عِنْدَهَا مَيْتًا .

ثُمَّ لَحِقُوا الْحَارِثَ بْنَ مُكْدَمٍ فَقَتَلُوهُ ، وَأَلْقَوْا عَلَى رِيْعَةٍ أَحْجَارًا ، فَرَّ بِهِ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ ، فَفَنَرَتْ نَاقَتَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْجَارِ الَّتِي أَهْلَتْ عَلَى رِيْعَةٍ ،
فَقَالَ بِرَثِيهِ ، وَيَمْتَدِّرُ إِلَّا يَكُونُ عَقَرٌ نَاقَتَهُ عَلَى قَبْرِهِ ، وَحَضَّ عَلَى قَتْلَتِهِ ، وَعَبَّرَ بَيْنَ
فَرٍّ وَأَسْلَمَةٍ مِنْ قَوْمِهِ :

فَنَرَتْ قَلُوصِي ^(٦) مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ ^(٧) بُنِيتَ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ ، وَهُوبٌ

(١) يَنْزِفُهُ الدَّمُ : يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ (٢) أَتَمَّخَنَ : ضَفَفَ مِنَ الْجِرَاحَةِ (٣) أَوْضِمْنِ
رِكَابُكُنَّ : حَثَوْنَهُ عَلَى السَّيْرِ السَّرِيعِ (٤) قَالَ أَبُو مَهْرُورٍ بْنُ الْمَلَاءِ : لَا نَعْلَمُ قَتْلًا وَلَا مَيْتًا
خِصَمِي الْأَطْلَانِ غَيْرِهِ . (٥) يُقَالُ قَمَصَتِ الْفَرَسَ : إِذَا رَفَعَتْ يَدَيْهَا وَطَرَحَتْهَا مَعًا
(٦) الْقُلُوصُ مِنَ الْإِبِلِ : الشَّابَّةُ (٧) الْحَرَّةُ : الْحَجَارَةُ السُّودَاءُ ، وَالْمُرَادُ قَبْرَ رِيْعَةٍ .

لا تَفْرِى يَانَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ سَبَاءُ^(١) خَيْرٌ مِنْ سَمَرِ^(٢) الْحُرُوبِ
لَوْلَا السَّمَارُ وَبُعْدُ خَرَقِ^(٣) مَهْمِهِ لَتَرَكْتَهَا تَخْبُو عَلَى الْمَرْقُوبِ
فَرَّ الْفَوَارِسُ عَنْ رَيْعَةٍ بَعْدَ مَا نَجَّاهُمْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَسْكُوبِ
لَا يَبْعَدَنَّ رَيْعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذُنُوبِ^(٤)
وَقَالَتْ أُخْتُهُ تَرْتِيهِ :

مَا بِالْأُعْيُنِ مِنْهَا الدَّمْعُ مُهْرَاقٍ سَعًا فَلَا عَازِبَ لَا وَلَا رَاقٍ
أَبْكَى عَلَى هَالِكِ أَوْدَى فَأُورَثْنِي بَعْدَ التَّفَرُّقِ حُزْنًا حَرَّةً بَاقٍ
لَوْ كَانَ يُرْجَعُ مَيِّتًا وَجَدْتُ ذِي رَحِمٍ أَبْقَى أَخِي سَالِمًا وَجَدِي وَإِشْفَاقٍ
أَوْ كَانَ يُفْدَى لَكَانَ الْأَهْلُ كُلُّهُمْ وَمَا أَثَرُ مِنْ مَالٍ لَهُ وَاقٍ
لَكِنْ سَهَامُ الْمَنَايَا مِنْ نُصْبِنَ لَهُ لَمْ يُقْنِهِ طِبُّ ذِي طَبِّ وَلَا رَاقٍ
فَاذْهَبْ فَلَا يَبْعَدَنَّكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ لَاقَى الَّذِي كُلُّ حَيٍّ مِثْلُهُ لَاقٍ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوُوفَةٌ وَمَا سَرَّيْتُ مَعَ السَّارَى عَلَى سَاقٍ
أَبْكَى لَدُنْكَ رَيْعَةٍ عَبْرَى مُفْجَعَةٍ مَا إِنْ يَجِيفُ لَهَا مِنْ ذُكْرَةٍ مَاقٍ^(٥)

— ٣ —

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو مَالِكِ بْنِ كَنْانَةَ رَهْطَ رَيْعَةٍ أَنْ أَغَارُوا عَلَى بَنِي جُثَمٍ
رَهْطَ دُرَيْدٍ ، فَفَتَكُوا وَأَسْرَوْا وَغَنَمُوا ، وَأَسْرَوْا دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ ، فَأَخْفَى نَسَبَهُ .

(١) سبَاءٌ حُرٌّ : مُشْتَرِيهَا (٢) سَمَرُ الْحَرْبِ : مَوْقِدُهَا (٣) الْخَرَقُ : الْقِلَافَةُ الْوَاسِعَةُ
تَخْرُقُ فِيهَا الرِّيحُ ، أَيْ يَشْتَدُّ هُبُوبُهَا ، وَالْمَهْمَةُ : الْمَقَارَةُ الْقَفْرَةُ ، وَالسَّفَارُ : السَّفَرُ
(٤) الذُّنُوبُ : الدَّلُوفُ فِيهِ مَاءٌ وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمَّا بَلَغَ شَعْرُهُ بَنُو كَنْانَةَ قَالُوا : وَاقِعٌ لَوْ عَقَرَهَا لَسَقْنَا
إِلَيْهِ أَلْفَ نَاقَةٍ سَوْدَ الْحَدَقِ (٥) هُوَ مَاقُ الْعَيْنِ

وبينا هو عندهم إذ جاء نسوة يتهادين إليه ، فصرخت امرأةٌ منهنّ فقالت :
هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذى أعطى ربيعة رُمحه يوم
الظمينة ، ثم ألفت عليه ثوبها وقالت : يالَ فراس ؛ أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا
يوم الوادى، فسألوه مَنْ هو؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بن الصَّمّة ! فَنّ صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن
مكدم؟ قال : فافمل ؟ قالوا : قَتَلْتَهُ بَنُو سُلَيْم . قال : فن الظمينة التى كانت معه ؟
قالت المرأة : ربيعة بنت جندل ، وأنا هى ؛ خبسه القوم ، وآمروا أنفسهم ، وقالوا :
لا ينبغي أن تكفر نعمة دُرَيْدِ عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا
المخارق الذى أسرَه ، فانبعثت المرأة فى الليل فقالت :

سنجزي دريداً عن ربيعة - نعمةً	وكل فتى يُجْزى بما كان قدماً
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه	وإن كان شراً كان شراً مُدَمِّماً
سنجزيه نَعْمَى لم تكن بصغيرة	بإعطائه الرمح السديدَ القوّما
فقد أدركت كفاءه فينا جزاءه	وأهلٌ بأن يجزى الذى كان أنما
فلا تكفروه حقَّ نِماء فيكم	ولا تركبوا هلك الذى ملأ الفما
فإن كان حيّاً لم يضق بثوابه	ذراعاً غنياً كان أو كان مُعدّما
ففكّوا دريداً من إيسارٍ مخارق	ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرِّ سلّما

فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسته رَبيطة وجّهزته ، ولحق بقومه
ولم يزل كافّاً عن غزو بنى فراس حتى هلك .

٢- يَوْمَ بَرْزَةِ

لَمَّا قَتَلَتْ بَنُو سُلَيْمٍ دَيْمَةَ بْنَ مَكْدَمٍ فَارِسَ كِنَانَةَ (يَوْمَ الْكَدِيدِ) رَجَعُوا وَأَقَامُوا مَا شَاءَ اللَّهُ؛ ثُمَّ إِنَّ مَالِكَ بْنَ خَالِدِ بْنِ صَبْرٍ بْنَ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ - وَكَانَ بَنُو سُلَيْمٍ قَدْ أَمَرُوهُ عَلَيْهِمْ - بَدَّاهُ أَنْ يَنْزُوَ بَنِي كِنَانَةَ ، فَأَغَارَ عَلَى بَنِي فِرَاسٍ بِرُزَّةٍ^(١) وَرَثِيسُ بْنُ فِرَاسٍ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَذَلٍ .

وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ دَعَا عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الْبَرَازِ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ هَنْدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا هَنْدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَخُوكَ أَسْنُ مِنْكَ - يَرِيدُ مَالِبَكَ - فَرَجَعَ وَأَحْضَرَ أَخَاهُ ، فَبَرَزَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَجَمَلَ بِرَبْجٍ وَيَقُولُ :

اقْتَرَبُوا قِرْفَ الْقِمَعِ^(٢) إِنْى إِذَا الْمَوْتُ كَنَعَ^(٣)

لَا أَتَوْقَى بِالْجَزَعِ

وَشَدَّ عَلَى مَالِكٍ قَتْلَهُ . فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَخُوهُ كُرْزُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرٍ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَتَلَهُ أَيْضًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَخُوهُمَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ ، فَتَخَالَفَا طَعْمَتَيْنِ ، فَجَرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، وَتَحَاجَزَا .

* يَوْمَ بَرْزَةِ لَبْنِي فِرَاسٍ (مِنْ كِنَانَةَ) عَلَى بَنِي سُلَيْمٍ ، وَبَرْزَةُ : مَوْضِعٌ . وَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ لَبْنِي سُلَيْمٍ عَلَى بَنِي فِرَاسٍ ، وَأَصْلُ الْقِيَامَةِ : الْمَقَازَةُ لِأَمَاءٍ فِيهَا وَأُخْتُتْ عَلَى مَوْضِعٍ .
الْعَدَدُ الْفَرِيدُ ص ٣٢٦ ج ٣ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ - بَرْزُ .

(١) بَرْزَةُ : ضَبْطُهُ صَاحِبُ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (بِالضَّمِّ) وَقَالَ : لَمْ يَرَاهُ (بِالْفَتْحِ) بِحُطِّ بَعْضِ الْأَدْبَاءِ . وَقَالَ : لَمْ يَوْضِعْ بِهِ وَقْعَةً تَذَكَّرُ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ (٢) الْقِرْفُ فِي الْأَصْلِ : الْوَسْخُ الَّذِي يَنْتِجُ عَنِ اللَّبَنِ ، وَالْقِمَعُ : مَا يَوْضِعُ فِي فَمِ السَّفَاءِ وَالزَّقِ ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنْتُمْ كَذَلِكَ فِي الْوَسْخِ (٣) كَنَعَ : دَنَا .

فقال عبد الله :

تَجَنَّبْتُ هَذَا رَغْبَةً عَنْ قِتَالِهِ إِلَى مَالِكٍ أَعَشَوْ^(١) إِلَى ضَوْءِ مَالِكٍ
فَأَنْفَذْتُهُ بِالرَّمْحِ حِينَ طَعَمْتُهُ مَعَانِقَةً لَيْسَتْ بِطَعْمَةِ بَاتِك^(٢)
وَأَنْتَى لِكُرْزٍ فِي الْغُبَارِ بِطَعْمَةٍ عِلَتْ جِلْدُهُ مِنْهَا بِأَحْمَرِ مَاتِك^(٣)
قَتَلْنَا سُلَيْمًا فَتَهَا وَسَمِينًا فَصَبَرَا سُلَيْمًا قَدْ صَبَرْنَا لِذَلِكَ
فَإِنْ تَكِ نِسْوَانِي بِكَيْنٍ فَقَدْ بَكَتِ كَمَا قَدْ بَكَتِ أُمُّ لِكُرْزٍ وَمَالِكِ
وَقَالَ :

قَتَلْنَا مَالِكًا فَبَكَوا عَلَيْهِ وَهَلْ يُنْفَى مِنَ الْجَزَعِ الْبُكَاءُ
وَبُكَرْزًا قَدْ تَرَكَنَا صَرِيحًا نَسِيلٌ عَلَى تَرَائِبِهِ^(٤) الدَّمَاءُ
فَإِنْ تَجَزَعُ لِذَاكَ بَنُو سُلَيْمٍ قَقْدُ وَأَيُّهُمْ غَلَبَ الْعِزَاءُ
فَصَبَرًا يَسْلِمُ كَمَا صَبَرْنَا وَمَا فِيكُمْ لَوَاحِدُنَا كِفَاءُ
فَلَا تَبْعُدُ رَيْعَةً مِنْ نَدِيمٍ أَخُو الْهَلَاكِ إِنْ ذُمَّ الشَّتَاءُ
وَكَمْ مِنْ فَاةٍ وَرَعِيلٍ خَيْلٍ^(٥) تَدَارَكُهَا وَقَدْ حَسِنَ اللَّقَاءُ

— ٢ —

ثم إن بني الشريد حرّموا على أنفسهم النساء والدّهن حتى يدركوا نأرهم من
بني كنانة ، فأغار^(٦) عمرو بن خالد بن صخر على بني فراس ، فقتل منهم ثغراء ؛
منهم حاصم بن المثلّ ، ونضلة ، والمبارك ، وعمرو بن مالك ، وحصن ، وشريح ، وسبي سبياً
فيهم ابنة مكدم .

(١) أعشو : أهد (٢) السيف الباتك : القاطع (٣) يقال : قوس عاتكة ،
لذا قدمت واحرت (٤) الترائب : عظام الصدر (٥) الرعيل : القطعة من الخيل
(٦) هنا هو يوم القيفاء .

فقال عباس بن مرداس في ذلك يردّ على ابن جندل كلته التي قالها يوم برزة :
ألا أبلغنّ عني ابنَ جندل ورهطه فكيف طلبناكم بكَرْزٍ ومالك
غداة فجَمَعناكم بمحصنٍ وبابنه وبابن الملأى عاصم والمبارك
ثمانية منهم نارناهم به جيماً وما كانوا بَوَاءَ^(١) بمالك
نذيقكم - والموت بيني سرادقاً عليكم - شَبَا حَدَّ السيفِ البَوَاتِكِ
تلوح بأيدينا كما لاح بارق تَلَأْلَأَ في داجٍ من الليلِ حالكِ
صَبَحْنَاكم لَمَوْجِ المَنَاجِيحِ^(٢) بِالضُّحَى نمرُ بنا مرَّ الرياحِ السَّوَاهِكِ^(٣)
إذا خرجت من هَبْوَةٍ^(٤) بعد هَبْوَةٍ سَمَتْ نحو مُلْتَفٍّ من الموتِ شائكِ

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد :

قتلت بمالك عمراً وحِصْنًا وخليت القتّام على الحدود
وكُرْزًا قد أَبَاتُ به شريحاً على إثر الفوارس بالكديد
جزيناكم بما انتهكوا وزدنا عليه ما وجدنا من مزيد

(١) البواء : الكفء (٢) المناجيج جمع سنجوج : الرائع من الخيل، وقد استعملوا
المناجيج في الأبل أيضاً (٣) ربح ساهك : عاصف شديدة المرور (٤) الهبوة :
الغبرة .

٣ "حُرُوبُ الْقَجَارِ"

أَيَّامُ الْقَجَارِ الْأَوَّلِ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ

كَانَ بَدْرُ بْنُ مِشَرِّ الْقَفَارِيِّ^(١) رَجُلًا مَنِيعًا مُسْتَطِيلًا بِمَنْعَتِهِ عَلَى مَنْ وَرَدَ
عُكَاظَ . وَفِي أَحَدِ الْمَوَاسِمِ بُعَاظَ اتَّخَذَ مَجْلَسًا بِهَا ، وَقَعَدَ فِيهِ ، وَجَمَلَ يَتَطَاوَلُ عَلَى
النَّاسِ وَيَقُولُ :

نَحْنُ بَنُو مُدْرَكَةَ بْنِ خِنْذِفٍ^(٢) مَنْ يَطْمَنُّوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرُفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يُفْطَرِفُ^(٣) . كَانَتْهُمْ لُجَّةٌ بِحَرِّ مُسَدِفٍ^(٤)

ثُمَّ مَدَّ رِجْلَهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَهَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنِّي فَلْيَضْرِبْهَا بِالسَّيْفِ !
فَوُتِبَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَصْرٍ^(٥) بِنِ مَعَاوِيَةَ ، فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رُكْبَتِهِ فَأَنْدَرَهَا^(٦) ،

• بَيْنَ كِنَانَةَ وَفَيْسَ ، سَمِيَتْ الْقَجَارُ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَهِيَ الْمَهْجُورَةُ الَّتِي
يَحْرُمُونَهَا فَجَبَرُوا فِيهَا ، وَهِيَ فُجَارَانُ ؛ الْقَجَارُ الْأَوَّلُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَالْقَجَارُ الثَّانِي خَمْسَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ
سَنِينَ ، وَقَدْ حَضَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عُكَاظَ مَعَ أَهْلِيهِ وَكَانَ يَتَاوَلَهُمُ النَّبِيلُ ، وَانْتَهَتْ
سَنَةُ ٥٨٩ م

ابْنُ الْأَثِيرِ ص ٣٥٩ ج ١ ، الْقَدِّيقُ ص ٣٦٨ ج ٣ ، تَارِيخُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لْجُورْجِيِّ
زَيْدَانَ ص ٢٤١ ، الْأَفْكَانِيُّ ص ٧٤ ج ١٩ ، سِرْحَانُ الْعَيْنِ ص ٥٨ ، شَوَاعِرُ الْعَرَبِ ص ٦١

(١) يَنْتَهَى نَسَبُهُ إِلَى عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ (٢) خِنْذِفٌ : زَوْجُ الْيَاسِ بْنِ مِضَرَ ، وَالْيَاسِ
نَسَبُ أَوْلَادِ الْيَاسِ جَمِيعًا (٣) قَالَ فِي اللِّسَانِ : الْفُطْرِفُ وَالْفُطْرَارُ : السِّبْدُ الْفَرِيفُ السَّخِيُّ
الْكَثِيرُ الْخَبِيرُ ، وَأَنْشَدَ :

• وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ نَفْطَرَفَا •

(٤) مُسَدِفٌ : مَظْلَمٌ (٥) اسْمُهُ الْأَحْمَرُ بْنُ مَازِنٍ (٦) أَنْدَرَهَا : قَطَعَهَا .

ثم قال : خُذْهَا إِلَيْكَ أَيُّهَا الْخَنْدَفِ - وَهُوَ مَاسِكُ سَيْفِهِ - ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ
هَوَازِنَ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ هَمْدَانَ ذُو التَّفْطَرُفِ مَحْرَجٌ بِمَجُورٍ زَاخِرٍ لَمْ يُنْزَفِ
نَحْنُ ضَرْبَتَا رُكْبَتَةِ الْخَنْدَفِ إِذْ مَدَّهَا فِي أَشْهُرِ الْمَرْفِ^(١)
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَتَحَاوَرَ الْحَيَّانَ عِنْدَ ذَلِكَ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا السَّمَاءُ ، ثُمَّ
تَرَاجَعُوا وَرَأَوْا أَنَّ الْخَطْبَ يَسِيرُ.

(١) المرف : الموقف بهرفات .

اليوم الثاني

قالوا: إن شباباً من قريش وكنانة كانوا ذوى غرام ، فرأوا امرأة من بنى عامر
وضيئة حسنة^(١) بسوق عكاظ جالسة ، وهي فضل^(٢) عليها برقع لها ، وقد اكتنفها
شباب من العرب وهي تحدثهم .

فجاء الشباب من قريش وكنانة ، وأطافوا بها وسألوها أن تسفر ، فأبت ، فقام
أحدهم فجلس خلفها وحل طرف ردائها ، وشده إلى فوق حُجَزَها^(٣) بشوكة -
وهي لا تعلم - فلما قامت انكشف درعها^(٤) عن ظهرها ؛ فضحكوا وقالوا : منعتنا
النظر إلى وجهك ، وجُذِّت لنا بالنظر إلى ظهرك .

فنادت: يال عامر ! فساروا وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا ، ووقعت
بينهم دماء يسيرة ، فتوسط حرب بن أمية ، واحتمل دماء القوم ، وأرضى بنى عامر
من مثله صاحبهم .

* بين قريش وكنانة وقيس ، وانتهى بصلح توسط فيه حرب بن أمية
(١) الحسانة : المرأة الحسنه (٢) يقال امرأة فضل: في ثوب واحد (٣) الحجة :
مقعد الإزار من السراويل (٤) الدرع : القميص .

اليوم الثالث

كان لرجل من بني جُثَم بن بكر بن هوازن دَيْنٌ على رجل من كِنانة ، فَلَوَّاه به^(١) ،
وطال اقتضاؤه إياه ، فلم يُعطه شيئاً ، فلما أعياه وافاه الجشمى و سوق عُكاظ يقرُد
وجمل ينادى : مَنْ يبيعنى مثْل هذا الرُّبَّاح^(٢) بمالى على فلان بن فلان الكِنانى !
من يمطينى مثْل هذا بمالى على فلان بن فلان الكِنانى ! رافماً صوته بذلك ؛ فلما طال
نِداؤه بذلك ، وتمييزه به كِنانة مرَّ به رجلٌ منهم ؛ ففُضرب القرْد بسيفه فقتله ،
فهتف الجشمى : يا آل هوازن ! وهتف الكِنانى : يا آل كِنانة ! فتجمَّع الحيَّان
حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا وقالوا : أفى رُبَّاح تُريِّقون دماءكم ،
وتقتلون أنفسكم ! وأصلح عبد الله بن جدعان بينهما .

* بين كِنانة وقيس ، وتحاجز الحيَّان ، وأصلح بينهما عبد الله بن جدعان .

(١) لواه : ماطله (٢) الرباح : الفرد .

أيام الفجار الثاني ١- يوم نخلة

كان البراء^(١) بن قيس الكنانى سكيراً فاسقاً ، خَلَمَهُ قَوْمُهُ وَتَبَرَّأُوا مِنْهُ ، فَشَرِبَ فِي بَنِي الدَّيْلِ^(٢) ، فَخَلَمُوهُ ، فَأَتَى مَكَّةَ وَأَتَى قُرَيْشاً ، فَزَلَّ عَلَى حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، فَخَالَفَهُ وَأَحْسَنَ جَوَارِهِ ، وَشَرِبَ بِمَكَّةَ حَتَّى هَمَّ حَرْبُ أَنْ يَخْلَمَهُ ، فَقَالَ لِلْحَرْبِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ يَعْرِفُنِي إِلَّا خَلَعَنِي سِوَاكَ ، وَإِنَّكَ إِنْ خَلَعْتَنِي لَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ أَحَدٌ بَعْدَكَ ، فَدَعْنِي عَلَى حِلْفِكَ وَأَنَا خَارِجٌ عَنْكَ ؛ وَتَرَكَهُ وَخَرَجَ .

وَكَانَ التُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْدَرِ قَدْ بَمَثَ إِلَى سَوْقٍ عَكَازٍ إِذَا ذَاكَ بِلَطِيمَةٍ^(٣) يُجِيزُهَا لَهُ سَيِّدٌ مُضَرٌّ ، فَتُبَاعَ وَيُشْتَرَى لَهُ بِثَمَنِهَا الْأَدَمُ وَالْحَرِيرُ وَالْوِكَاءُ^(٤) ، وَالْبُرُودُ مِنَ الْعَصَبِ^(٥) وَالْوَشْيُ وَالْمَسِيرُ^(٦) وَالْعَدْنَى .

وَكَانَتْ سَوْقُ عَكَازٍ فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَلَا تَزَالُ قَائِمَةً^(٧) يَبَاعُ فِيهَا وَيُشْتَرَى إِلَى حُضُورِ الْحَجِّ .

-
- * لَيْسَ عَلَانٍ عَلَى كِنَانَةِ وَقُرَيْشٍ ، وَنَخْلَةٌ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ فِيهِ نَخْلٌ وَكُرُومٌ .
- (١) كَانَ يَضْرِبُ الْمَثْلَ بِفَتْكِهِ ، يُقَالُ : أَفْتَكُ مِنَ الْبَرَاءِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :
وَالْفَتَى مِنْ تَعَرُّتِهِ الْبَيَالَى فَهُوَ فِيهَا كَالْحَيَّةِ النَّضَّاسِ
كُلُّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرَفِ الْبَيَالَى فَتَكَّةٌ مِثْلُ فَتَكَةِ الْبَرَاءِ
- (٢) بَنُو الدَّيْلِ : حَمِيٌّ مِنْ عَبْدِ قَيْسٍ . (٣) اللَّطِيمَةُ : الْعَبْرُ الَّتِي تَحْمِلُ الطَّيْبَ وَبِزِ التِّجَارِ .
- (٤) الْوِكَاءُ : رِبَاطُ الْقُرْبَةِ وَكُلُّ مَا شَدَّ رَأْسَهُ مِنْ وَعَاءٍ وَنَحْوِهِ . (٥) الْعَصَبُ مِنَ الثِّيَابِ : الْيَمَانِيَّةُ . (٦) الْمَسِيرُ : نَوْعٌ مِنَ الْبُرُودِ فِيهَا خُطُوطٌ تَعْمَلُ مِنَ الْقَزِّ . (٧) كَانَ قِيَامُهَا فِيمَا بَيْنَ النَّخْلَةِ وَالطَّائِفِ ، وَبِهَا نَخْلٌ وَأَمْوَالٌ ثَقِيلٌ

وجَهَرَ النعمان لطيفة له وقال : من يُجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أُجيزها على
 بنى كنانة^(١) . فقال النعمان إنما أريد رجلاً يُجيزها على أهل نجد ، فقال عروة^(٢)
 الرّحال - وهو يومئذ رجل هوازن - أَكْثَبُ خَلِيعٍ يُجيزُها لك ؟ أَيْتَ اللّمن !
 أنا أُجيزُها لك على أهل الشّيعِ والقيصوم^(٣) في أهل نجد وتهامة !
 فقال له البرّاض : أَصْلَى بنى كنانة تُجيزها بأُعرُوة ؟ فقال عروة : وعلى الناس جميعاً !
 فدفعها النعمان إلى عروة ، وخرج بها ، وتبعه البرّاض ، وعُروة يَرى مكانه ولا
 يَحْشَاهُ ، حتّى إذا كان بأَرْضٍ يُقال لها : أَوارة^(٤) نَزَلَ عروة وشرب من الحمر ،
 وغَمَتَهُ قَيْفَةً ، ثم قام فنام .

فجاء البرّاض فدخل عليه ، فنأشده عروة وقال : « كانت منى زَلَّةً ، وكانت
 الفعلة منى ضَلَّةً » ، ولكن البرّاض قتله^(٥) ، وهرب عَصَارِيطُ^(٦) الإبل ، واستاق
 البرّاض اللطيمة إلى خَيْبَرَ .

(١) يريد أهل الحجاز (٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر ، من بنى هاشم بن صمصمة ،
 وأهل بيته ينتسبون إلى جعفر فيقال الجعفريون ، وكان يعرف بمرّوة الرّحال - لرحلته إلى اللّوك ،
 وكان من ذوى العقل والصفاء ، وهو من أرداف اللّوك في الجاهلية (٣) الشّيع والقيصوم :
 نبتان وهو يريد أنه يجيزها على العرب جميعاً (٤) أَوارة : ماء لبنى تميم (٥) وقد ارتجز
 البراض في قتل عروة :

قد كانت الفعلة منى ضلة هلا على غيرة جعلت الزلة
 فسوف أعلو بالحسام القلة
 وقال أيضاً :

وداهية يهال الناس منها هتكت بها بيوت بنى كلاب
 جمت لها يدي بنصل سيف
 شددت لها بنى بكر ضلوعي وأرضعت الموالى بالرضوع
 أفل غفر كالجذع الصريح
 سيف أفل : ذو قلول .

وقال :

نقمت على الرء الكلابي فغره علوت بمجد السيف مفرق رأسه
 وكنت قديماً لا أتر فخاراً فأسمع أهل الوادين خواراً
 (٦) المنساريط : الحدم القاثمون على الإبل

وَتَبِعَهُ رَجُلَانِ مِنْ قَيْسٍ لِيَأْخُذَاهُ ؛ أَحَدُهُمَا مِنْ غَنِيٍّ ، وَالْآخَرُ مِنْ غَطَفَانَ ، وَلَا وَصْلًا إِلَى خَيْبَرَ كَانَ الْبَرَّاضُ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ الرَّجُلَانِ ؟ قَالَا : مِنْ قَيْسٍ ؛ وَاحِدٌ مَنَا مِنْ غَطَفَانَ ، وَالْآخَرُ مِنْ غَنِيٍّ ؛ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : وَمَا شَأْنُ غَطَفَانَ وَغَنِيٍّ بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ ؟ فَقَالَا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ ، قَالَا : أَلَيْكَ عِلْمٌ بِالْبَرَّاضِ بْنِ قَيْسٍ ؟ فَقَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا طَرِيدًا خَلِيمًا فَلَمْ يَزُوه أَحَدٌ مِنْ خَيْبَرَ ، وَلَا أَدْخَلَهُ بَيْتًا . قَالَا : فَأَيْنَ يَكُونُ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ لَكُمْ بِهِ طَاقَةٌ إِنْ دَلَّتُكُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَانْزِلَا وَاعْقِلَا رَا حَلْتِيكُمْ ، ففعلوا .

ثُمَّ قَالَ : فَأَيُّكُمْ أَجْرًا عَلَيْهِ وَأَمْضَى مَقْدَمًا ، وَأَحَدٌ سَيْفًا ؟ فَقَالَ الْغَطَفَانِيُّ : أَنَا ؛ قَالَ الْبَرَّاضُ : فَانْطَلِقْ أَذْكَ عَلَيْهِ ، وَيَحْفَظْ صَاحِبُكَ رَا حَلْتِيكُمْ ، ففعل .
وانطلق البراض يمشي بين يدي الغطفاني حتى انتهى إلى خربة في جانب خيبر ، خارجة عن البيوت .

فقال البرّاض : هو في هذه الخربة وإليها يا وى ، فأُنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ أَهْوَ فِيهَا أَمْ لَا ؛ فَوَقَفَ لَهُ وَدَخَلَ الْبَرَّاضُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هُوَ نَائِمٌ فِي الْبَيْتِ خَلْفَ الْجِدَارِ عَنْ يَمِينِكَ إِذَا دَخَلْتَ ؛ فَهَلْ عِنْدَكَ سَيْفٌ فِيهِ صَرَامَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : هَاتِ سَيْفَكَ أَنْظُرْ إِلَيْهِ أَصَارِمٌ هُوَ ؟ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَهَزَّهَ الْبَرَّاضُ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَوَضَعَ السَّيْفَ خَلْفَ الْبَابِ .

وَأَقْبَلَ عَلَى الْغَنَوِيِّ فَقَالَ لَهُ ^(١) : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : لَمْ أَرِ أَجِبِينَ مِنْ صَاحِبِكَ ؛ تَرَكْتُهُ قَائِمًا فِي الْبَابِ الَّذِي فِيهِ الرَّجُلُ ، وَالرَّجُلُ نَائِمٌ ، لَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ . فَقَالَ الْغَنَوِيُّ : يَا لَهْفَاهُ ! لَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْظُرُ رَا حَلْتِنَا ؟ فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُمَا عَلَى إِنْ ذَهَبْتَا . وَانْطَلَقَ الْغَنَوِيُّ وَالْبَرَّاضُ خَلْفَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاوَزَ الْغَنَوِيُّ بَابَ الْخَرْبَةِ أَخَذَ الْبَرَّاضُ السَّيْفَ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ ؛ ثُمَّ ضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَخَذَ سِلَاحِيَهُمَا وَرَا حَلْتِيَهُمَا وَانْطَلَقَ .

(١) أَيْ لِلْبَرَّاضِ .

ولقي البراء بشراً بن أبي خازم فقال له : هذه القلائص^(١) لك على أن تأتي حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاما والوليد ابني المغيرة فتخبرهم أن البراء قتل عروة ، فأني أخاف إن يسبق الخبرُ إلى قيس^(٢) أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنتَ ذلك القليل . قال : إنَّ هوازن لا ترضى أن تقتلَ بسيدها رجلاً خليفاً مثلي .

وكانت العرب إذا قدمت عُكاظ دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان^(٣) حتى يفرغوا من أسواقهم وحجَّهم ، ثم يردها عليهم إذا ظعنوا - وكان سيِّداً حكيماً ثرياً من المال - فجاء القومُ وأخبروه خبرَ البراء وقتله عروة ، وأخبروا حرب بن أمية وهشاما والوليد ابني المغيرة .

وجاء حربٌ إلى عبد الله بن جُدعان فقال له : احتبس قبلك سلاحَ هوازن فقال له ابن جُدعان : أأباعدُ تأمرني يا حرب ! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربتُ به ، ولا رمح إلا طعنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً ؛ ولكن لكم مائة دِرْع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستمينون بها .

ثم صاح ابنُ جُدعان في الناس : مَنْ كان له قَبْلِي سِلَاحٌ ، فليأتِ وليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جُدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد إلى أبي براء زعيم هوازن : إنه قد حدث في قومنا بمكة حدثُ أتنا خبره ، وقد خفنا تفاقمَ الأمر ، فلا تنكروا خروجنا ولا يردعنكم تحملنا . وساروا على كل صعب وذلول راجعين إلى مكة .

(١) القلائص : جمع قلويس ، وهي الشابة من الإبل . (٢) قيس : قوم عروة وهو ينتمي إلى عامر فهوازن قيس عيلان . (٣) كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب أعظمها ، وربما كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم طعامه .

فلما كان آخر النهار أتى عامر بن مالك مُلأَعِبَ الأَسِنَّةَ الخَبِرُ ، فقال : غَدَرَت قريش ، وخذعني حرب بن أمية ، والله لا تنزل كنانة عكاظ أبداً ، ثم ركبوا في إثرهم حتى أدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجن عليهم الليل ؛ فكفوا .

ونادى أحد بني عامر^(١) : يامعشر قريش ؛ ميعاد ما يفتنا هذه الليلة . من العام المقبل بمـِـكانظ .

(١) اسمه الأدرم بن شعيب .

يَوْمَ شَمْطَةِ

تَجَمَّعَتْ قُرَيْشٌ وَكِنَانَةٌ بِأَمْرِهَا وَالْأَحَابِيشُ^(١) وَمَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خَزِيمَةَ ؛ وَسَلَحَ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ مِائَةَ كَمِيٍّ^(٢) بِأَدَاةٍ كَامِلَةٍ ، سِوَى مَنْ سَلَحَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَجَمَعَ سَلِيمٌ وَهُوَ زَيْنُ^(٣) جُرُوعَهَا وَأَخْلَفَهَا غَيْرَ كَلَابٍ وَبَنَى كَعْبٌ^(٤) ؛ فَامْتَمَا لَمْ يَشْهَدَا يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْفَجَارِ غَيْرِ يَوْمِ نَخْلَةٍ .

فاجتمعوا بِشَمْطَةِ مِنْ عِكَازٍ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي تَوَاعَدُوا فِيهَا عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ ؛ وَعَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ سَيْدُهَا ، وَكَذَلِكَ عَلَى قَبَائِلِ هَوَازِنَ وَسَلِيمَ ؛ غَيْرَ أَنَّ أَمْرَ كِنَانَةٍ كُلِّهَا إِلَى حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ . وَعَلَى إِحْدَى مَجَنَّبَتَيْهَا^(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ وَعَلَى الْآخَرَى هِشَامُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَأَمْرُ هَوَازِنَ وَسَلِيمَ كُلِّهَا إِلَى مَسْمُودِ بْنِ مَعْتَبِ الثَّقَفِيِّ . وَتَنَاهَضَ النَّاسُ ، وَزَحَفَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ؛ فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لِكِنَانَةٍ عَلَى هَوَازِنَ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ تَدَاعَتْ هَوَازِنَ ، وَصَابِرَتْ ، وَانْقَشَعَتْ كِنَانَةٌ ، وَاسْتَحَرَّ^(٦) الْقَتْلُ فِي قُرَيْشٍ ، وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو مُسَاحِقٍ بُلْعَاءَ بْنَ قَيْسٍ

● لَقِيَ عَلَى كِنَانَةٍ وَقُرَيْشٍ ، وَشَمْطَةٍ : مَوْضِعَ قَرِيبٍ مِنْ عِكَازٍ

(١) الْأَحَابِيشُ : يَسْمُونَ أَحَابِيشَ قُرَيْشٍ ، وَسَمَوْا كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَحَالَفُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَبَدٌ عَلَى غَيْرِهِمْ ، مَسْجَالِيلُ وَمَا وَضَعَ نَهَارٌ ، وَمَارَسَا حَبَشَى (جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ) (٢) الْكَمِيُّ : الشَّجَاعُ (٣) كَانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ مَلَاعِبُ الْأَسْنَةِ أَبُو بَرَاءٍ ، وَعَلَى بَنِي نَصْرٍ وَسَعْدٌ وَتَقِيفٌ سَبِيحُ بْنُ رَيْعٍ . وَعَلَى بَنِي جَعْفَرِ الصَّمَةِ (وَالِدُ الدَّرِيدِ) وَعَلَى غُظْفَانَ عَوْفُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ . وَعَلَى بَنِي سَلِيمٍ عَبَّاسُ بْنُ زَغَلٍ . وَعَلَى فَهْمٍ وَعَدْوَانُ كَلَامُ بْنُ مَمْرٍ ، وَجَعِيمُهُمْ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ (٤) كَعْبٌ وَكَلَابٌ : حَيَّانُ فِي بَنِي عَامِرٍ (٥) الْمَجَنَّبَةُ الْيَمْنَى : مِمَى مَيْمَنَةُ السَّكْرِ ، وَالْمَجَنَّبَةُ الْيَسْرَى : هِيَ الْمَيْسِرَةُ ، وَهِيَ الْمَجَنَّبَتَانِ بِكُسْرَاءِ التَّوْنِ ، وَقِيلَ : هِيَ السَّكْبَةُ الَّتِي تَأْخُذُ إِحْدَى نَاحِيَتَيْ الطَّرِيقِ ، قَالَ فِي اللِّسَانِ : وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ (٦) اسْتَحَرَّ : اشْتَدَّ .

قال لقومه : الحقوا برّخم^(١) ؛ ففعلوا وانهزم الناس ، وفي ذلك يقول خِداش^(٢)
ابن زهير :

ألا أبلغ إن عرضت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليداً
أولئك إن يكن في الناس خيرٌ فإنّ لديهمُ حسباً وجُوداً
مُ خيرُ الماشر من قريش وأوزاها إذا قدحت زُوداً
بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود المجد إن له عموداً
جلبنا الخيلَ ساهمةً إليهم عوَّابس يدْرِغن النقع قُوداً^(٣)
فيمتناً فنقد السيما^(٤) وباتوا وقلنا صبحوا الأُنس^(٥) الجديداً
فجأوا عارضاً برّداً وجثنا كما أضرمت في الغاب الوقوداً^(٦)
ونادوا بالمعرو لا تفرّوا ققلنا لا فرار ولا صدوداً^(٧)
فعاركنّا الكُمة^(٨) وطاركونا عراك النمر عاركت الأسودا
فولوا نضرب الهامات منهم بما انتهكوا المحارم والحدودا

(١) رخم : موضع قريب من مكة (٢) هو خدّاش بن زهير بن عمرو ، من عامر بن
صمصة (٣) قود : جمع أقود ، وهي الخيل السلسلة القياد . والنقع : الفبار الساطع . والخيل
الساهمة : التي تتغير ألوانها مما بها من الشده ، ومنه قول عنترة :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما يسق فوارسها نقيم الخنظل

(٤) السيام : العلامات (٥) الأُنس : الحى القيمون (٦) العارض : السحاب ، والبرد : المطر ،
كأنهم أمطروا سهاماً (٧) لاصدودا : لا يصدم أحد (٨) الكُمة : جمع كى وهو الشجاع .

٣ - يَوْمُ الْعَبْلَاءِ

عادت هَوَازَن وكنانة إلى الحرب ، والتقوا على قرن الحَوْل في اليوم الثالث من أيام عُسْكَاط ، واقتتلوا وكانت الهزيمةُ على كِنانة^(١) ، فقال خِدَاش بن زهير :
ألم يبلُفك بالْعَبْلَاءِ أَنَا ضَرْبنا خِنْدِفا حَتَّى اسْتَقَادُوا
نَبْتِي بِالنَّازِلِ عَزَّ قَيْسٍ وَوَدَّوْا لَوْ تَسِيحُ بَناءُ الْبِلادِ
وَقَالَ أَيْضاً :

ألم يبلُفك ما قَالَتْ قَرْيَشٌ وَحَى بَنِي كِنانة إِذْ أُثِيرُوا
دِهْنَامُ بَارَعْنِ مَكْفَهَرٌ فَظَلَّ لَنَا بِمَقْوَنِهِمْ زَفِيرٌ^(٢)
تُؤَمُّ مَارِنِ الْخَطَى فِيهِمْ يَجِيءُ عَلَى أَسْنَتِنَا الْخُرُوبُ

* لقيس على كنانة وقريش ، والعبلاء: علم على صخرة يضاء إلى جنب عكافا
(١) وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام) ، قتله مرة بن معبد الثقفي
وفي ذلك يقول رجل من ثقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا ثياب الطير لحماً بين أحجار
(٢) الأرمعن : الأنف العظيم من الجبل ، وشبه به الجيش ، يقال : جيش أرمعن ، أي له فضول
كرعان الجبل ، والمكفهر: السحاب الغليظ المسود الراكب بفضه بضا ، شبه به الجيش ، والقوة:
الساحة والمحلة .

٤ - يَوْمُ عُكَاظٍ

التقت كِنانة وقيسُ على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عُكَاظٍ ، وقد جمع بعضهم لبعض ، واحتشد الرؤساء بحالهم^(١) ؛ وحمل عبدُ الله بن جُدعان يومئذ ألفَ رجل من بني كِنانة على ألفِ بَعير ، وخشيت قريش أن يجرى عليها ما جرى يوم العَبلاء ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان^(٢) بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا ، أو نظقرا !

واقتل الناسُ يومئذ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان حتى همت بنو بكر بن عبدمناة وسائر بطون كِنانة بالهَرَب ، وكانت بنو غزوم تَلِي كِنانة لحفاظتها شديداً ، وكان أشدهم يومئذ بنو المغيرة ؛ فإنهم صبروا وأبْلَوْا بلاءَ حسناً ؛ فلما رأت ذلك بنو عبدمناة بن كِنانة تذاَمروا^(٣) فرجموا ، وحملت قريش وكِنانة على قيس من كل وَجْه حتى انهزمت .

* الكِنانة وقريش على هوازن .

(١) لما خرجت قريش للموعد ، كان على كل بطن رئيس ، فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخوته أبو طالب وحزرة والعباس ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم ، وعلى بني أسد خويلد ابن أسد ، وعلى بني غزوم هشام بن المغيرة (والد أبو جهل) ، وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان ، وعلى بني جمع معمر بن خبيب ، وعلى بني سهم العاص بن وائل ، وعلى بني عدى زيد بن عمرو ، وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو) ، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة) ، وعلى بني بكر بن عبدمناة بلعاء بن قيس ، وعلى بني أسد بصر بن أبي خازم ، وعلى بني فراس بن غنم عمير بن قيس . (٢) في ابن الأثير : أبو العاص .

(٣) تذاَمروا : تلاوموا على ترك الفرصة . وقد تكون بمعنى تخاضوا على القتال .

ولما رأى أبو السيد النصرى^(١) ما تصنعُ كِنانةُ من القتل نادى : ياممشر بنى كِنانة ؛ أسرفتم في القتل . فقال ابن جُدمان : إنا ممشرٌ يُسْرِف . ولما رأى سبيع بن ربيع هزيمةَ قبائل قيس عَقَلَ نفسه واضطجع وقال : ياممشر بنى نصر ؛ قاتلوا عني أو ذَرُّوا ؛ فمطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان^(٢) ، وانهزم باقي قبائل قيس ، وقاتل هؤلاء ولكنهم لم يفتنوا شيئاً .

وكان مسعود بن معتب الثقفى قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناة خِباء ، وقال لها : مَنْ دَخَلَهُ من قريش فهو آمن ، فجعلت توصل في خبائها ليتسع ؛ فقال لها : لا يتجاوزنى خباؤك ، فإني لا أمضى إلا مَنْ أحاط به الخِباء . فأحفظها ، فقالت : أما والله إني لأظنُّ أنك ستَوُدُّ أن لو زدت في توسِّعته .

فلما انهزمت قيس دخلوا خِباءها مستجيرين بها ؛ فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ، وقال لها : يا عمة ؛ من تمسَّك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك ، فاستدارت قيسٌ بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحدٌ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، فقبل لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المشل ، فتغضب قيس^(٣) .



وفي هذا اليوم قال ضرار بن الخطاب الفهري :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يُبَيِّنِ الأمرَ كالتحايير
غداة عكاظ إذ استكملت هوازن في كفها الحاضر

(١) من قيس ، وهو عم مالك بن عوف (٢) قبائل في قيس (٣) كان مسعود بن معتب قد أخرج معه يومئذ بنو : عروة ولوحة ونورة والأسود ، فكانوا يدورون وم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم إلى خِباء أمهم ليبيروم فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يضلوا .

وجاءت سليم تهزُّ القنا على كل سألوبة^(١) ضامر
 وجئنا إليهم على المضمرات بأرعن ذى لَجَبٍ زَاخِر^(٢)
 فلما التقينا أَذَقْنَاهُمْ طِعَانًا بِسُمِّ الْقَنَّا^(٣) العائِر
 ففرت سليم ولم يصبروا وطارت شَمَاعًا^(٤) بنو عامر
 وفرت ثقيف إلى لَآئِهَا^(٥) بمنقلب الخائب الخاسر
 وقاتلت العنُس^(٦) شطر النها رثم تولت مع العاصر

(١) السَّلْبَةُ : الفرس الجسيمة ، والضاير : الفرس الدقيق الحاجبين (٢) الأرعن :
 لجيش ، واللجب : الصباح (٣) السهم العائر : الذى لا يدري من أين يأتي
 (٤) شَمَاعًا : متفرقين (٥) اللات : صنم (٦) العنُس : قبيلة .

٥ - يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ

ثُمَّ جَمَعَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ ، وَالتَقُوا عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ بِالْحُرَيْرَةِ ، وَالرُّؤَسَاءُ بِمَحَلِّهِمْ
إِلَّا بَلْعَاءَ بْنِ قَيْسٍ فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَصَارَ أَخُوهُ جُثَامَةُ بْنُ قَيْسٍ مَسْكَنَهُ عَلَى عَشِيرَتِهِ ،
وَاقْتَتَلُوا ؛ فَانْهَزَمَتْ كَنْانَةُ .

ثُمَّ كَانَ الرَّجُلُ بِمَدِّ ذَلِكَ يَلْقَى الرَّجُلَ ، وَالرَّجُلَانِ يَلْقِيَانِ الرَّجُلَيْنِ ؛ فَيَقْتُلُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا .

ثُمَّ تَدَاعَوْا إِلَى الصَّلَاحِ عَلَى أَنْ يَمْدُوا الْقَتْلَى ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ فَضَّلَ لَهُ قَتْلَى أَخَذَ
دِيْنَهُمْ مِنَ الْفَرِيقِ الْآخَرِ ، فَتَعَادَا الْقَتْلَى فَوَجَدُوا قَرِيشًا وَبَنِي كَنْانَةَ قَدْ أَفْضَلُوا عَلَى
قَيْسٍ عَشْرِينَ رَجُلًا .

فَرَهْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ابْنَةِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَرَهْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ الْمُبْدِيِّ ابْنَةِ النَّضْرِ ،
وَرَهْنُ سَفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ ابْنَةِ الْحَارِثِ . وَلَمَّا رَأَتْ قَيْسُ رَهَائِنَ قَرِيشَ بِأَيْدِيهِمْ رَغَبُوا
فِي الْمَغْوِ فَأَطْلَقُوهُمْ ، وَانْصَرَفَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَوَضَعُوا الْحَرْبَ .

وَفِي تِلْكَ الْوَقْعَةِ قَالَ خِدَاشُ بْنُ زَهِيرٍ :

لَقَدْ بَلَّوْكُمْ	فَأَبْلَوْكُمْ بِبَلَاءِهِمْ	يَوْمَ الْحُرَيْرَةِ ضَرْبًا غَيْرَ تَسْكَذِيبِ
إِنْ تَوَعَّدُونِي فَإِنِّي لَأَبْنُ عَمِّكُمْ	وَقَدْ أَصَابَكُمْ مِنْهُ بِشَوَابُوبٍ	
وَإِنَّ رِقَاءً قَدْ أَوْدَى أَبَا كَنْفٍ	وَإِنِّي إِيَّاسُ وَعَمْرَا وَابْنُ أَيُّوبَ	
وَإِنْ عُمَانٌ قَدْ أَوْدَى ثَمَانِيَةً	مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى خُبْرٍ وَتَجْرِبِ	

(*) لَقَيْسٌ عَلَى كَنْانَةَ وَقَرِيشَ ، وَالْحُرَيْرَةُ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْأَبْوَاءِ وَمَكَّةَ قَرِيبَ نَخْلَةٍ .

وقالت أميمة بنت أمية بن عبد شمس تزق أخاها أبا سفيان بن أمية ومن قتل.

من قومها :

أَبَى لَيْلَكَ لَا يَذْهَبُ^(١) وَنَيْطَ الْطَرْفِ بِالْكُوكَبِ^(٢)
وَنَجْمٌ دُونَهُ النُّسْرَانِ بَيْنَ الدُّلُو وَالْمَقَرَّبِ^(٣)
وَهَذَا الصُّبْحُ لَا يَأْتِي وَلَا يَدْنُو وَلَا يَقْرُبُ
يَمْقَرُّ عَشِيرَةً مِّنَّا كَرَامِ الْخَيْمِ وَالنَّصَبِ^(٤)
أَحَالُ^(٥) عَلَيْهِمْ دَهْرٌ حَدِيدُ النَّابِ وَالْمُحَلَبِ
فَحَلَّ بِهِ وَقَدْ أَمِنُوا وَلَمْ يُقْصَرَ وَلَمْ يُشْطَبِ^(٦)
وَمَا عَنَّهُ إِذَا مَا حَلَّ مِ مِنْ مَنَجَى وَلَا مَعْرَبِ
أَلَا يَا بَيْنَ قَابِكِيهِمْ بِدَمْعٍ مِنْكَ مُسْتَنْزَبِ^(٧)
فَإِنْ أَبْكَى فَهُمْ عَزَى وَهُمْ رَكْنِي وَهُمْ مَنَكِبِ^(٨)
وَهُمْ أَصْلَى وَهُمْ فَرَعَى وَهُمْ نَسَبَى إِذَا أُنْسَبِ
وَهُمْ مَجْدَى وَهُمْ شَرَفَى وَهُمْ حِصْنَى إِذَا أُرْهَبِ
وَهُمْ رُمْحَى وَهُمْ تَرْمَى وَهُمْ سَيْفَى إِذَا أُغْضَبِ
فَكَمْ مِنْ قَاتِلٍ مِنْهُمْ إِذَا مَا قَالَ لَمْ يَكْذَبِ

(١) تريد أن ليلا قد طال لفرط حزنها على القتلى (٢) الدلو والعرب: من مناطق البروج والنسران هما: النجم الطائر والنجم الواقع وهما اسمان لنجمين ، وهي تزعم أن النجم لا يبرح مكانه كناية عن طول الليل (٣) التقدير: أبكى لغز ، والخيم : الطباع (٤) أحال عليهم : اتابهم (٥) أقصره : كفه . وشطبه : قطعه ؛ تقول أصابهم الدهر بضرباته حين كانوا يأمنون منها فلم يدهمها عنهم دافع (٦) استنزب الدمع : سال (٧) تريد أنهم فغري وسندى .

وكم من ناطقٍ فيهم^(١) خطيب مصقع مغرب^(٢)
وكم من فارس فيهم^(٣) كميء مقلّم محرب^(٤)
وكم من مدزو فيهم^(٥) أرب حول قلب^(٦)
وكم من جخفل فيهم^(٧) عظيم النار والوكب^(٨)
وكم من خضرم فيهم^(٩) نجيب ماجد منجب^(١٠)



وقالت فاطمة^(١١) بنت الأحجم ترثي الجراح^(١٢) زوجها :

يا عين بكى عند كل صباح^(١) جودي بأربعة^(٢) على الجراح
قد كنت لي جبلا ألوذ بظله فتركتني أضحي بأجرد ضاح^(٣)
قد كنت ذات حمية ما عشت لي أمشي البراز وكنت أنت جناحي^(٤)
فاليوم أخضع للذليل وأتقى منه وأدفع ظالي بالراح^(٥)

(١) العرب : التصيح (٢) الكمي : الشجاع ، والمعلم : الفارس الذي يجعل لنفسه علامة الشجاعة في الحرب . والمحرب : الكثير الحروب (٣) المدره : السيد المتولى أمر قومه ، والأرب : الماهر الحاذق ، والحول : الشديد الاحتياال (٤) الجحفل : الجيش الكبير ، والوكب : الجماعة (٥) الخضرم : السيد الجواد (٦) أمها خالدة بنت هاشم بن عبدمناف نبئت في أواخر القرن السادس للمسيح (٧) حكى أن فاطمة الزهراء كانت تتمثل بهذه الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٨) اختصت الصباح لأنه كان وقت نكاته بأعدائه (٩) لملها تريد الموقنين والبعاطين (١٠) قال في التبريزي عند شرح هذا البيت : الأجرد : الأملس والضحاحي : البارز للشمس ، أي انكشفت بعد أن كنت في ستر (١١) يقال : فلان حمى الأنف ، أي لا يحتمل الضيم ، والبراز : القضاء ، وهي تريد أن حياتك كانت تشد أوزري (١٢) تريد أنه لا ناصر لها ، ولا سلاح عندها تدفع به عن نفسها من يظلمها ، وتسكتني يره من يظلمها بدفعه بالراح .

وَأَغْضُ مِنْ بَصْرَى وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسَى وَرِمَاحَى ^(١)
 وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجْنًا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنِ دَعْوَتِ صَبَاحَى ^(٢)
 أُمِسْتَ رِكَابَكَ يَا بَنَى لَيْلَى بَدَنًا مَسْنِفِينَ بَيْنَ مَخَائِصِ وَلِقَاحِ ^(٣)
 وَلَقَدْ تَظَلَّ الطَّيْرُ تَخَطَّفُ جُنَحًا مِنْهَا لُحُومُ غَوَارِبِ وَصِفَاحِ ^(٤)
 وَمَطْوَحِ قَفِيرِ دَعْوَتُ نَعَامِهِ قَبْلَ الصَّبَاحِ بِضَمَرٍ أَطْلَاحِ ^(٥)
 وَخَطِيبِ قَوْمٍ قَدَمُوهُ أَمَامَهُمْ تَقَى بِهِ مُتَخَمِّطِ ^(٦) نِيَّاحِ ^(٧)
 جَاوَزَتْ خُطْبَتَهُ فَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمَّا نَطَقَتْ مَمْلَحٌ بِمِلَاحِ ^(٨)



(١) بَانَ : بعد؛ تقول : احتمل الظام وأحتمل الصيم لعلى بَانَ قَدَاتِمَدَتْ أَسْنَةُ الرِّمَاحِ الَّتِي كَانَ يَدَافِعُ بِهَا الْفَرَسَانِ عَنِ . (٢) قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ : أَيْ أَقُولُ : وَأَسْوَأُ صَبَاحًا ! ، وَنَصَبَ شَجْنًا لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ؛ لِأَنَّ الشَّجْنَ يَحْمِلُهَا عَلَى الدَّعَاءِ ، هَذَا إِذَا جَمَلَتِ الشَّجْنُ الْحَزْنَ وَالْحَاجَةَ . وَإِنْ جَمَلَتْهُ الْحَبِيبُ نَصَبَتْهُ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ . (٣) الرِّكَابُ : الْإِبِلُ لَا مَفْرَدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا ، وَلَيْلَى أُمُّهُ ، وَالْبَنَى : جَمْعُ بَادِنٍ وَهُوَ عَظِيمُ الْبَدَنِ ، وَالْقَاحُ : الْإِبِلُ بِأَعْيَانِهَا ، الْوَاحِدَةُ لِقَوْحٍ ، وَهِيَ الْحُلُوبُ ، تَمْدَحُهُ بِسَمَةِ تَرَوْتُهُ (٤) الْجُنَحُ : جَمْعُ جَانِحٍ ، أَيْ مَائِلٍ ، وَمِنْهَا تَعُودُ إِلَى الرِّكَابِ ، وَالْفَوَارِبُ : جَمْعُ غَارِبٍ وَهُوَ الْكَاهِلُ وَسَنَامُ الْبَعِيرِ وَالصَّفَاحُ : جَمْعُ صَفْحٍ وَهُوَ الْجَنْبُ ، تَرِيدُ : أَنَّهُ يُضْحِي لَضِيْفِهِ وَلِلْمُحْتَاجِينَ ضَعَايَا ، وَلَكَثَرَتْهَا يَنَالُ مِنْهَا الطَّيُورُ (٥) الْمَطْوَحُ : التَّمَازَةُ الْوَاسِعَةُ يَتِيهِ بِهَا السَّالِكُ فِيهَا ، وَالْأَطْلَاحُ : جَمْعُ طَلْحٍ ، وَهُوَ الْمَهْزُولُ كَالضَامِرِ ، تَقُولُ لِأَنَّهُ يَسْلُكُ فِي الصَّحَارَى الْفَقْرَةَ وَيَسِيرُ فِيهَا غَدْوَةً قَبْلَ النَّعَامِ ، لِرِبَاطَةِ جَأَشِهِ ، وَيَرْكَبُ خَيْلًا خَفِيفَةً قَلِيلَةَ اللَّحْمِ ، أَهْزَلَهَا بِكَثْرَةِ رُكُوبِهَا (٦) التَّخَمِّطُ : التَّكْبِيرُ (٧) النِّيَّاحُ : مَنْ يَتَضَرَّعُ لِمَا لَا يَنْبَغِي (٨) الْمَلَّاحُ : جَمْعُ مَلِجٍ ، تَمْدَحُهُ بِالْبَلَاغَةِ وَاللَّسَنِ ، تَقُولُ فِي الْبَيْتَيْنِ : رُبَّمَا أَتَاكَ خَطِيبٌ مَدْرَهُ اخْتَارَهُ قَوْمُهُ ، وَاتَّقَيْنِ بِفَصَاحَتِهِ ، وَهُوَ يَعْظُمُ نَفْسَهُ ، وَيَتَضَرَّعُ لِأُمُورٍ يَبِستُ مِنْ شَأْنِهِ ، فَأَلَحَّتْهُ بِجَوَابِكَ لَهُ ، فَكَانَ أَمَامَكَ كَأَنَّهُ تَقَى لَمْ يَطْمَحْ لَهُ ، فَلَحَّتْهُ بِمِلَاحٍ ، أَيْ عَمِلَ كَلَامَكَ فِيهِ فَبَيْنَ تَقَصُّهِ .

وقالت ترثي إخوتها :

إخوتي لا تبعّدوا أبداً وبلى والله قد يبعّدوا^(١)
لو تملّتهم عشيرتهم^(٢) لاقتناء المزمّ أو ولّدوا
هان من بعض الرزية أو هان من بعض الذى أجد^(٣)
كل ما حى وإن أمروا وارّدوا الحوض الذى ورّدوا^(٤)

(١) لا تبعّدوا : أى لا تهلكوا ، وهى فى هذا البيت تتحسر وتتوجع (٢) تملّتهم : تملّتهم بهم (٣) هان : جواب لو ، والرزية : المصيبة ، ونمى البيتين : لو تملّتهم بهم عشيرتهم زمناً طويلاً حتى حازت المزم ، أو خلفوا أولاداً لحف بعض المصيبة ، أو بعض ما أجده من الحزن (٤) ما : زائدة وأمروا : عمروا ، والضمير فيه يرجع إلى كل ، والمعنى كل الأحياء وإن عمروا طويلاً لا بد أن يردوا الحوض الذى ورده إخوتي .

٨ - أَيَّام قَيْسٍ وَتَمِيمٍ

- ١ - يَوْمَ رَحْرَحَانَ
- ٢ - ٬ شَعْبُ جَبَلَةٍ
- ٣ - ٬ ذِي نَجَبٍ
- ٤ - ٬ الصَّرَائِمِ
- ٥ - ٬ الرِّغَامِ
- ٦ - ٬ جَزَعِ ظِلَالٍ
- ٧ - ٬ المَرَوِّتِ

١ - يوم رحرحان

لما قتل الحارثُ بن ظالم المرمي خالد بن جعفر الكلبي غدرًا عند النعمان^(١) تشاءم قومه به ، ولاموه ، فكره أن يكون لهم عليه منة ، فهرب ونبت به البلاد . ثم لحق بتميم واستجار بهم فأجازوه ، وأبوا أن يسلموه أو يخرجوه من عندهم ، وعلم بهذا بنو عامر^(٢) ، فخرجوا إليه ، وفيهم كثير من وجوههم يزعمهم الأخوص ابن جعفر الكلبي أخو خالد بن جعفر ؛ ولما صاروا بأدنى مياه بني دارم^(٣) رأوا امرأة منهم تجني الكمأة^(٤) ، وسماها جل لها ، فأخذها رجل منهم وسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب^(٥) بن زُرارة ، وما وعده من نصره ومنمته .

فلما كان الليل نام ، وقامت المرأة إلى جملها فركبتته ، وسارت حتى صبحت بني دارم ، وقصدت سيدهم حاجب^(٦) بن زُرارة بن عُدُس ، فأخبرته الخبر ، وقالت : أخذني أُمس قومٌ لا يريدون غيرك ولا أعرفهم . قال : أخبريني ، أي قوم هم ؟ قالت : قوم يُقبلون بوجوه الظباء ، ويُذُبُّون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر ، فصفيهم لي .

* لعامر على تميم ، ورحرحان : اسم جبل قريب من عكاظ ، خلف عرفات
ابن الأثير ص ٣٤١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٠ ج ٣ ، القلائص ص ٢١٤ ج ١ ، الأغاني
ص ٣٠ ج ١٠ ، معجم البلدان (رحرحان) .

(١) ارجع إلى يوم بطن عاقل صفحة ٢٤٢ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : قوم خالد
ابن جعفر الكلبي (٣) دارم : حمى من تميم (٤) الكمأة : نبات (٥) هو حاجب
ابن زُرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم (٦) رواية ابن الأثير أن هذا الحديث كان مع
زُرارة ، وأسنده إلى حاجب صاحب الأغاني .

قالت : رأيت رجلاً قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بحرقّة، صغيرَ العينين ، وعن أمره يصندرون . قال : ذاك الأحوص ، وهو سيّد القوم .

قالت : ورأيت رجلاً قليلَ النطق، إذا تكلم اجتمع القومُ كما تجتمع الإبل لفحلها؛ أحسنُ الناس وجهاً ، ومعه ابنان له يلزامانه . قال : ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل .

قالت : ورأيت رجلاً جسيماً كأنّ لحيته مُعَصْفَرَةٌ ؛ قال : ذاك عوف بن الأحوص .

قالت : ورأيت رجلاً هُلِقَماً^(١) جسيماً ، قال : ذاك ربيعةُ بن عبد الله .

قالت : ورأيت رجلاً أخنَسَ^(٢) قصيراً ، قال : هذا ربيعة بن قرط .

قالت : ورأيت رجلاً أقرنَ الحاجبين ، كثيرَ شَعْرِ السَّيْلَةِ^(٣) ، يسيلُ لُما به على لحيته إذا تكلم . قال : ذاك حنْدُج بن البكاء .

قالت : ورأيت رجلاً صغيرَ العينين ضيقَ الجبهة ، يقود فرساً له، معه جفیر^(٤) له لا يكاد يفارقُ يده ، قال : ذاك ربيعة بن كعب .

قالت : ورأيت رجلاً معه ابنان أصنهبان ، إذا أقبلا رماهما الناسُ بأبصارهم ، وإذا أدبرا كانا كذلك . قال : ذاك الصَّمَق بن عمرو بن خويلد ، وابناه يزيد وزرعة .

قالت : ورأيت رجلاً لا يقول كلمة إلّا وهى أحدٌ من شَفَرَةٍ^(٥) ، قال : ذاك عبد الله بن جَعْدَةَ بن كعب . ثم أمرها حاجب فدخلت بيتها .

ودعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره بخبرِ القوم ، وقال : يابنَ ظالم ؛ هؤلاء

(١) الهلقام : الضخم الطويل (٢) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة (٣) السيلة : ما على الشارب من الشعر (٤) الجفیر : الجمجمة من الجلد (٥) الشفرة : السكين العظيم أو جانب النصل .

بَنُو عامرٍ قد أتوك، فما أنت صانع ؟ قال الحارث : ذاك إليك ؛ فإن شئت أقتُ
فقاتلتُ القومَ وإن شئتَ تنَحَّيتُ، قال حاجب : تنع عني غير مَلوم ! فغضب الحارث
من ذلك وقال :

لعمري لقد جاورتُ في حَيٍّ وائِلٍ ومن وائِلٍ جاورتُ في حَيٍّ تغلب
فأصبحتُ في حَيٍّ الأراقمِ^(١) لم يَقُلْ لي القومُ يا حار بن ظالم اذهب
وقد كان ظني إذ عدتُ إليكم بنى عُدُسٍ^(٢) ظني بأصحاب يَتْرِب
غداةَ أناهم تُبْعُ في جنوده فلم يُسلموا الرَّأَيْنَ من حَيٍّ يَحْصِبُ
فإن تك في عليا هوازن شوكة تُخاف ففيكم حدّ نابٍ وغلب
وإن يُسلم المراءى الرارَى جاره فأعجب بها من حاجب ثم أعجب
فغضب حاجب وقال :

لعمري أليك الخير يا حار إني لأُمنعُ جاراً من كليب بن وائِل
وقد علم الحَيُّ العدى أنسا على ذاك كناً في الخطوب الأوائِل
وأنا إذا ما خاف جارٌ ظلاماً نبسنا له ثوبى وفاء ونائل
وأن تيماً لم تحارب قبيلة من الناس إلا أوليتُ بالكواهل
ولو حاربنا عامر يابن ظالم لمضت علينا عامرٌ بالأنائل
ولأستيقنتُ عليا هوازن أننا سنوطئها في دارها بالقبائل
ولكنني لا أبثُ الحرب ظالماً ولو هجتها لم ألف شحمة آكل

(١) الأراقم : حَيٍّ من تغلب (٢) عدس : جد حاجب .

فتنحى الحارث^(١) عن بنى تميم، ولحق بمروض اليمامة .

ثم أرسل حاجب إلى الرعاء يأمرهم بإحضار الإبل ففعلوا ، وأمرهم فحملوا
الأهل والأثقال وساروا نحو بلاد بنى بغيض، ولبت هو مع بعض القوم ينتظر بنى عامر .
وأصبح بنو عامر - وقد علموا حال المرأة وخبرها وهربها - فسقط في أيديهم ،
 واجتمعوا يُديرون الرأي . قال بعضهم : كأني بالمرأة أتت قومها ، فأخبرتهم الخبر ،
 فغذروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم إلى بلاد بنى بغيض ، وباتوا مُعِدِّين لكم في السلاح .
 فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم ؛ فإنهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا ،
 وننصرف . وركبوا يطلبون ظُمن^(٢) بنى تميم .

فلما أبطأ بنو عامر عن حاجب قال لقومه : إنَّ القوم قد توجهوا إلى ظُمنكم
وأموالكم ، فسيروا إليهم ؛ فساروا مجدين حتى التقوا برِخْرَحان ؛ فاقتتلوا قتالا
شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك
ابن جعفر بن كلاب .

فوفد لقيط بن زرارة في فدائه^(٣) فقال لهما : لكما عندي مائتا بغير .
 فقالا : يا أبا نهشل ؛ أنت سيّد الناس ، وأخوك معبد سيّد مصر ، فلا تُقبَلُ فيه إلا
دية ملك . فأبى أن يرّيدهم ، وقال لهم : إن أبانا أوصانا ألا نزيد أحداً في ديتِه على
مائتي بغير .

فقال معبد للقيط : لا تدعني بالقيط ، فوالله لن تركتني لا ترائي بعدها أبداً .

(١) كذا في الأغاني ، ورواية النقائس : أن الحارث قابل مع بنى تميم ، ولكن لم يكن له بلا .
 يذكر (٢) الظن : جمع ظبنة ، وهو الهودج ، به المرأة أم لا ، والمراد هنا الإبل .
(٣) في فداء . معبد أقوال كثيرة للرواة ، والتثبت هنا رواية العقد الفريد .

فقال لقيط: صَبْرًا أبا القمقاع؛ فأين وصاة أئينا: لا تَوَأْكلوا العرب أنفسكم،
ولا تريدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتدؤَب^(١) بكم ذؤبان العرب.
ورحل لقيط^(٢) عن القوم؛ ومنع بنو عامر معبدًا عن الماء وضارَّوه حتى مات
هزالًا^(٣).

(١) ذؤَب: خبث وصار كالذئب (٢) وقد عبر لقيط بتهاونه في افنداء أخيه. قال نزيح
ابن الأحوص:

لقيط وأنت امرؤ ماجد ولاكن حلك لا يهتدى
ألم أمت وساغ الشرا ب واحتل بيتك في شهيد
شهيد: اسم موضع.

رعمت برجلك فوق الفرا ش تهدي القصائد في معد
وأسلمته عسد جد القتال وتبخل بالمال ألا تفندي

(٣) وفي بعض الروايات: إن معبدًا أبى أن يطعم شيئًا أو يشرب حتى مات هزالًا، وفي بعضها
إن بني عامر بعثوه إلى رجل بالطائف كان يمدب الأسرى، فقطعه إربا إربا حتى قتله.

٢ - يوم شعب جبلة

- ١ -

لما نشبت المداوة بين عبس وذبيان ابني غطفان في حرب داحس^(١) والغبراء ، خرج بنو عبس من ديارهم ، وعلى رأسهم الربيع بن زياد العبسي وأخوه عامر ، وقيس ابن زهير بن جذيمة ؛ وفيما هم سائرون قال لهم الربيع : أما والله لأرمين العرب بحجرها ، أقصدوا بني عامر^(٢) .

وساروا حتى نزلوا مضيقة من وادي بني عامر ، ونزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب - وكان المقد من بني عامر إلى كعب^(٣) بن ربيعة - فقال ربيعة بن شكل : يا بني عبس ؛ شأنكم جليل ، وذخلكم^(٤) الذي يطلب منكم عظيم ، وأنا والله أعلم أن هذه الحرب أعزّ حرب ، ما تاربتها العرب قط ، ولا بدّ من بني كلاب ، فامهلوني حتى أستطلع طلع^(٥) قوى .

* لعامر (من قيس) وحلفائهم من عبس ، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرها . وجبلة : جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرق الجبل إلا من قبله . ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدّها ، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة

معجم البلدان ص ٥٠ ج ٣ ، التفائض ص ١١٥ ج ٢ ، الأغاني ص ٣٣ ج ١٠ ، المقد الفريد ص ٣٠٧ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٥٥ ج ١ ، شواعر العرب ص ٤٨

(١) ارجع إلى صفحة ٢٤٦ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : من قيس عيلان وفيهم بطون كثيرة : منهم كعب وكناب وعمر والحريش وجمدة وقد شهدوا جميعاً جبلة إلا هلال بن عامر وعامر ابن ربيعة (٣) بطن في بني عامر (٤) الذحل : الثأر (٥) أطلعتة طلع أمرى : أثبتته سرى .

وخرج في قوم من بني كعب حتى جازوا^(١) بني كلاب ، فلقبهم عوف^(٢) بن الأحوص ، فحدثوه في أمر بني عبس ، فقال : يا قوم ؛ أطيعوني في هذا الطرف من غطفان ، فاقطعوهم واغنمواهم لا تفلح غطفان بدمه أبداً ، والله لا تزيدون على أن تسمنوهم وتمنؤهم ؛ ثم يصيروا لقومكم أعداء .

فأبوا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على أبيه الأحوص بن جعفر ، فذكروا له من أمر عبس ، فقال الأحوص لربيعة بن شكل : أظلمتكم ظلك ، وأطمعتهم طعماك ؟ قال : نعم ، قال : قد والله أجزت القوم !

ثم جاء الربيع بن زياد وقيس بن زهير إلى الأحوص - وكان رجلاً شيخاً - فتقدم إليه قيس وأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام المائد بك ، قتلتم^(٣) أبي فسا أخذت له عقلاً^(٤) ، ولا قتلت به أحداً ، وقد أتيتك لتجبرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جازم مما أجبر منه نفسي .

ولما سمع عوف بذلك - وكان غائباً - أتى الأحوص - وعنده بنو جعفر - فقال : يا معشر بني جعفر ؛ أطيعوني اليوم واغصوني أبداً ، وإن كنت والله فيكم ممصياً ؛ إن عبساً والله لو لقوا بي ذيان لولواكم أطراف الأسنة فابدها بهم فاقتلوهم ، واجعلوهم مثل البرفوث دماغه في دمه ، فأبوا عليه وحالفوهم ، وأنزلوهم بمجوحة دارهم .

— ٢ —

وكان لقيط بن زرارة سيده بني تميم قد عزم على غزو بني عامر للأخذ بثأر أخيه

(١) يقال : جاز الموضع ، أي سار فيه (٢) عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب ابن عامر (٣) قتله خالد بن جعفر العاصري في يوم النفراوات (٤) العقل : الدية .

مَعْبَد^(١) ، وبينما هو يتجهزُ إذ أتاه الخبرُ بحلفِ بني عبس وعامر .

وكان لقيطٌ وجيهاً عند الملوك ، فذهب إلى النعمان بن المنذر يستنجده ، وأطمعته في الفئام فأجابه ؛ ثم ذهب إلى الجون الكلبي ملك هجر ، فقال له : هل لك في قومٍ قد ملثوا الأرضَ نعماً وشاء ، فترسل معي ابنيك ، فما أصبنا من مال وسبى فلهما ، وما أصبنا من دمٍ فلي ؟ فأجابه الجون إلى ذلك ، وجعل له موعداً رأس الحول .

ثم أرسل إلى كلٍّ من كان بينه وبين عبس دُخُل ، يسأله الحول والتظاهر على غزو عبس وعامر ؛ فاجتمع إليه بنو ذبيان لعداوتهم لبني عبس بسبب حرب داحس والغبراء ، وبنو أسد لحلفٍ كان بينهم وبين بني ذبيان .

ولما كان على رأس الحول من يوم رَحَرَ حَانَ انهلَّت الجيوش على لقيط : أرسل الجون جيشاً وعليه ابناء عمرو ومعاوية ، وأرسل النعمان جيشاً وعليه أخوه لأُمِّه حَسَّان بن وبرة الكلبي ، وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حِصْن بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل الراز في جمع من بني كندة .

— ٣ —

وسار بنو تميم في رؤوسائهم : حاجب بن زرارة ، ولقيط بن زرارة ، وعمرو بن عمرو ، والحارث بن شهاب ؛ ومعهم أخلافهم ، وتبعهم غُثَاء^(٢) من الناس يُريدون الفنيمة ، وتمَّ لهم جمعٌ لم يكن في الجاهلية أكثر منه ؛ فلم تشكَّ العرب في هلاك بني عامر .

(١) قتل بنو عامر يوم رحرحان (٢) الغثاء : ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد وورق الشجر البالي ، يريد أَرْدَال الناس وسقطهم .

ولما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص - وهو يومئذ شيخ كبير ،
 قد وقع حاجباه على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبر أمر الناس ، وكان مجرباً
 حازماً ميمون النقية^(١) ؛ فأخبروه الخبر ، فقال لهم الأحوص : قد كبرتُ فاستطيع
 أن أجيء بالحرزم ، وقد ذهب الرأي مني ؛ ولكن إذا سمعتُ عرفت ، فأجمعوا آراءكم ،
 ثم يبتوا ليلتكم هذه ، ثم اغدوا على ، فاعرضوا على آراءكم .

ف فعلوا ، فلما أصبحوا غدوا عليه ، فوضعت له عبادة بفنائنه فجلس عليها ، ورفع
 حاجبيه عن عينيه بمصابة ، ثم قال : هاتوا ما عندكم ، فقال قيس بن زهير العبسي :
 بات في كنانتي اليوم مائة رأي ، فقال له الأحوص : يكفيننا منها رأي واحد حازم
 صليب مصيب ؛ هات فأنثر كيناتك . فجعل يعرض كل رأي رأى حتى أنفذ^(٢) .
 فقال له الأحوص : ما أرى أنه بات في كيناتك الليلة رأي واحد .

وعرض الناس آراءهم حتى أنفذوا . فقال : ما أسمع شيئاً ، وقد صرتم إلى ؛
 اجمعوا أثقالكم وضمفاءكم . ففعلوا ، ثم قال : حملوا ظمئكم ؛ خملوها . ثم قال :
 انطلقوا حتى تملوا في اليمين ؛ فإن أذركم أحدٌ كررتم عليه ، وإن أعجزتموهم
 مضيتُم . فسار الناس حتى أتوا وادي نجر^(٣) ضحوة .

ثم رُئي الناس يرجع بعضهم على بعض ، فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا
 عمرو بن عبد الله بن جمدة ، قدم في فتیان من بني عامر يمدون بمن أجاز بهم ، فقال
 الأحوص : قد موني ، فقدّموه حتى وقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي تصنعون ؟
 فقال عمرو : أردت أن تفضحننا ونخرجنا هارين من بلادنا ، ونحن أعز العرب ،

(١) ميمون النقية : محمود المختبر (٣) يريد حتى انتهى ، ويقال : أنفذ القوم ؛ إذا قد
 زادم أو ما لهم (٤) نجر : موضع في ديار بني تميم .

وأكثرُ عدداً وجلداً وأحدُ شوكة ! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً .

قال : فكيف أفضل وقد جاءنا مالا طاقةً لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نرجع إلى شِمْبِ جبلة ، فنحِرِّزُ النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ، ونكون في وسطه ففيه نَمَلٌ^(١) ، فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ، ولا مُقام لهم ، وإن صمدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنْتَ في حِرْز ، وكانوا في غير حِرْز ، وكنتَ على قتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ! فأين كان هذا حين استشرتُ الناس ؟ قال : إنما جاءني الآن ، فقال الأحرص للناس : ارجعوا ، فرجموا^(٢) .

ودخلوا شِمْبِ جبلة ، وحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل ، وحلَّتُوا^(٣) الإبل عن الماء ، واقتسموا الشَّعْبَ بالقِدَاح والقرع بين القبائل في شظاياها^(٤) ؛ ثم عمى عليهم الخبر ، فجعلوا لا يدرون ما قُرب القوم من بُعْدِهِمْ .

— ٤ —

وأقبلت تميم وأسد وذبيان وليفهم نحو جبلة ، فلقوا في طريقهم كُرب بن صفوان

(١) التمل : الحصب والماء (٢) وفي ذلك يقول النابغة الجعدي ، وهو أحد شعراء بني عامر :

ونحن حبسنا الحى عبأ وعامراً	لحسان وابن الجون إذ قبل أنبلا
وقد صمدت وادى نجار نأؤم	كإصماد لمر لا يرومون منزلاً
عطفناهم عطف الضروس فصادفوا	من الهضبة الحمراء جزأ ومظلاً

الضروس : الناقة المضوض

(٣) حلَّتُوا الإبل : منموها (٤) الشظايا : القطع من رؤوس الجبال .

السعدى - وكان شريفاً - فقالوا له : ما منكم أن تسير معنا في غزاتنا ؟ قال : أنا مشغول في طلب إبل لي ، فقالوا : لا ، بل تريد أن تُنذر بني عامر ، ولا تتركك حتى تعطيتنا عهداً وموثقاً ألا تفعل ؛ فحلف لهم .

ثم خرج عنهم وهو مُغضب ، ومضى مُسرعاً على فرس له عُري^(١) ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر نزل تحت شجرة حيث يرونه ، فأرسلوا إليه يدْعونه ، فقال : لست فاعلاً ؛ ولكن إذا رحلت فأتوا منزلي فإنَّ الخبرَ فيه .

فلما جاءوا منزله ، إذا تراب في صُرّة وشوك قد كسر رهوسه ، وفرّق جهته ، وإذا حنظلة موضوعة ، وإذا وطب مملق فيه لبن ؛ فقال الأحوص : هذا رجل قد أخذت عليه الموائيق ألا يتكلم ، وهو يخبركم أن القوم مثلُ التراب كثرة ، وأن شوكتهم قليلة ، وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب ، فاصطبوه^(٢) ، فإذا فيه لبن قارس^(٣) . فقال : القوم منكم على قدر حِلاب اللبن إلى أن يحزُر^(٤)

(١) فرس عري : لا سرج عليه (٢) اصطبوه : أراقوه (٣) قارس : حامض (٤) هذه رواية الأغاني ، وفي ابن الأثير : لقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان - وكان شريفاً - فقال : ما منكم أن تسير معنا في غزاتنا ؟ فقال : أنا مشغول في طلب إبل لي ، فقال : لا ، بل تريد أن تنذر بنا القوم ، ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم ، فحلف له ، ثم سار عنه وهو مغضب ، فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون . ولم يتكلم ، فأخذها معاوية بن قشير ، فألقى بها بن الأحوص ابن جعفر ، وأخبره أن رجلاً ألقاها وم يسقون ، فقال الأحوص لقيس بن زهير : ما ترى في هذا الأمر ؟ قال : هنا من صنع الله لنا ، هنا رجل قد أخذ عليه عهد على ألا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم قد غزوكم عدد التراب ، وأن شوكتهم شديدة ؛ وأما الحنظلة فهي رؤساء القوم ، وأما الخرتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار =

ثم دعا الأحوص قيسَ بن زهير العبسي ، فقال له : ما ترى ؟ فإنك تزعم أنه لم يمرض لك أمران إلا وجدت في أحدهما الفرج ؟ فقال قيس : فإذا قد رجتم إلى رأيي فأدخلوا نَعَمَكُم شِعْبَ جَبَلَة ، ثم أَظْمِئُوهَا هذه الأيام ولا تُورِدُوهَا الماء ، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً فيه طيش وسيقتحم الجبل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وأنحسوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مَذَاغِيرَ عِطَاشًا ، فتشغلهم ، وتفرّق جَمْعَهُمْ ؛ وأخرجوا أنتم في آثارها ، واشفؤا نفوسكم .

فقال الأحوص : نَعَمْ ما رأيت ؛ وأخذوا برأيه .

وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيطاً ، فقال له : أأُنذَرْتَ القوم ؟ فأعاد الحلف له أنه لم يكلم أحداً منهم ؛ فخلّى سبيله ، فقالت له ابنته دختنوس : وكان لقيط يصحبها في غزواته ، ويرجع إلى رأيها : رُدَّنِي إلى أهلي ، ولا تُمرِّضْنِي لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة ، فاستحمتها ، وساء كلامها ، وردّها .

وفياهم سائرون قابلهم غلامٌ أعسر^(١) ؛ فتشاءمت بنو أسدٍ ، وقال بعضهم لبعض : ارجعوا عنهم ، فرجعوا ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفرٌ يسير .

— ٥ —

ولما وصل بنو تميم وأخلافهم إلى شعبِ جَبَلَة حيث بنو عامر وعَبَس قال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تصعدوا إليهم ؛ فقال شاس بن أبي ليلى : لا تدخلوا

فهي عشر ليال يأتيكم القوم إليها . قد أنذرتكم فكونوا أحراراً ، واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام (ابن الأثير ص ٣٥٦ ج ١) .
(١) الأعسر : الذي يعمل يده الشمال خاصة .

على بنى عامر ؛ فإنني أعلمُ الناسَ بهم ، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني ؛ فما رأيتُ قوماً قطَّ أَفْلَقَ بِمَنْزِلٍ من بنى عامر ، ووالله ما وَجَدْتُ لهم مثلاً إلا الشُّجَاعُ^(١) فإنه لا يقرُّ في جُحْرِهِ قَلْعاً ، وسيخرجون إليكم ، والله لن نَغْتَمُ هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم .

قال لقيط : لندخلنَّ عليهم ، فأتوهم وقد أخذوا حِذْرَهُمْ ؛ وجعل الأحوص ابنه شُرَيْحاً على تعبئة الناس .

وأقبل لَقيط وأصحابه مدلين^(٢) ، فاستندوا^(٣) إلى الجبل حتى ذرَّت الشمس ، ثم أخذوا في الصمود . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتوك ، فقال : دَعُوهُمْ ؛ حتى إذا أنصفوا^(٤) الجبل وانتشروا فيه قال الأحوص : حلوا عُقْلَ الإبل ثم اتبعوا آثارها ، وليتبع كل رجل منكم بغيره حجرين أو ثلاثة .

ففعلوا ، ثم صاحوا بها فخرجت تحطُّمُ كلِّ شيء مرَّت به وخَبَطت تيمًا ومن معها وانحطوا منهزمين في الجبل حتى السهل ، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحدِ همةٍ إلا أن يذهبَ على وجهه ، وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، وانهزموا شرَّ هزيمة^(٥) .

(١) الشجاع : الحية الذكر (٢) مدلين : مجترئين (٣) استندوا : سعدوا في الجبل

(٤) أنصفوا الجبل : وصلوا إلى نصفه (٥) وفي ذلك يقول أحد بني أسد :

زعمت أن العير لا تقاقل بلى إذا ما ققع الرحائل

واختلف الهندى والدوابل وقالت الأبطال من يتارل

بلى وفيها حسب وناقل

وجعل لقيط لا يمرُّ به أحدٌ من الجيش إلا قال : أنت والله قتلتنا ! فجعل يقول :

يا قوم قد أحرقتُموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم تقدموا وقدموني للقوم
فقال له شاس بن أبي ليلي :

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم إذ كنتُ لا تعمى أموري في القوم
ثم ركب لقيط فرسه ، وزجَّ بنفسه للمِرَّاث ، قطعته شريح ، وارثٌ وبه طعنات ؛
وبقي يوماً ثم مات ^(١) .

وأما حاجبُ بن زُرارة فقد ولَّى منهزماً ، فتبعه زَهْدَمٌ وقيس ابنا حزن
العبيسان ، وجعلوا يطردانه ، ويقولان له : استأْسر - وقد قدرا عليه - فقال :
من أنما ؟ فقالا : نحن الزُهْدَمَان ^(٢) ، فقال : لا أستأْسر اليوم لموليين .

وبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرُّقبة العامري . فقال لحاجب : استأْسر ،
قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرُّقبة . فقال : افعلْ لعمري ، ما أدركني حتى
كدتُ أن أكون عبداً ، وألقى إليه رُمُحَه ، واعتنقه زَهْدَمٌ فألقاه عن فرسه . فصاح

(١) قيل إن لقيطاً ارتث وحمل وهو مجروح ، وبقي يوماً ومات ، فلما أحس بالموت ألتد قائلاً :

يأليت شعري اليوم دخنوس إذا أناها الخبر الرموس
تحلق القرون أو تيمس لا بل تيمس لإنها عروس

دخنوس : بنته

الخبر الرموس : التي يستر عنها ويكتم . والقرون : الدواب .

(٢) الزهدمان : زهدم وقيس ابنا حزن ، وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يمجزي بالكرامه

حاجب : يَا غَوَاةُ ! وَجَمْعُ زَهْدٍ يُرَاوِغُ قَائِمُ السِّيفِ ، فَزَلْ مَالِكَ وَاقْتُلْ زَهْدَهُمَا
مِنْ حَاجِبٍ .

فَنَشَى زَهْدَهُ وَأَخُوهُ حَتَّى أَتَى قَيْسَ بْنَ زَهْرٍ فَقَالَا : أَخَذَ مَالِكٌ أَسِيرَنَا مِنْ أَيْدِينَا .
قَالَ : وَمَنْ أَسِيرُكُمْ ؟ قَالَا : حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ .

فَخَرَجَ قَيْسٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ أَخَذَ أَسِيرَنَا . قَالُوا :
مَنْ صَاحِبُنَا ؟ قَالَ : مَالِكُ ذُو الرِّقِيَّةِ أَخَذَ حَاجِبًا مِنَ الزَّهْدَمِينَ .

فَجَاءَهُمْ مَالِكٌ فَقَالَ : لَمْ أَخْذَهُ مِنْهُمَا ؛ وَلَكِنَّهُ اسْتَأْسَرَ لِي وَتَرَكَهُمَا ؛ فَلَمْ يَبْرَحُوا
حَتَّى حَكَّمُوا حَاجِبًا فِي ذَلِكَ - وَهُوَ فِي بَيْتِ ذِي الرِّقِيَّةِ - فَقَالُوا : مَنْ أَسْرَكَ يَا حَاجِبُ ؟
فَقَالَ : أَمَّا مَنْ رَدَّنِي عَنْ قَصْدِي وَمَنْعَنِي أَنْ أَتَجَوَّ وَرَأَى مِنِّي عَوْرَةً فَتَرَكَهَا
فَالزَّهْدَمَانُ^(١) ، وَأَمَّا الَّذِي اسْتَأْسَرْتُ لَهُ فَالْكُفَّ ؛ فَحَكَّمُونِي فِي نَفْسِي .

فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : قَدْ جَعَلْنَا إِلَيْكَ الْحُكْمَ فِي نَفْسِكَ ، فَقَالَ : أَمَّا مَالِكٌ فَلَهُ أَنْفُ نَاقَةٍ ،
وَلِلزَّهْدَمَانِ مِائَةٌ .

— ٧ —

قَالَ الرَّاوِي : وَزَعِمَ عَلَمَاؤُنَا أَنَّهُ لَمَّا أَهْزَمَ النَّاسُ خَرَجَتْ بَنُو عَامِرٍ وَحُلَفَاؤُهُمْ فِي
آثَارِهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَسْلُبُونَ ، فَلَحِقَ قَيْسُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ^(٢) عَمْرُو بْنُ^(٣) عَمْرُو
الْتَمِيمِيِّ فَأَسْرَهُ ، فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بْنُ الْأَبْرَصِ فِي سَرْعَانِ^(٤) الْخَيْلِ ، فَرَأَاهُ عَمْرُو مُقْبِلًا ،
فَقَالَ لِقَيْسٍ : إِنْ أَدْرَكَنِي الْحَارِثُ قَتَلَنِي ، وَقَاتَكَ مَا تَلْتَمِسُ عِنْدِي ؛ فَهَلْ أَنْتَ مُحْسِنٌ
إِلَيَّ وَإِلَى نَفْسِكَ ؟ تَجَزَّ نَاصِيَتِي فَتَجْعَلْهَا فِي كِنَانَتِكَ ، وَلَكَ الْمَهْدُ لَا فَيْنَ لَكَ ! فَفَعَلَ ،

(١) الزَّهْدَمَانُ : زَهْدٌ وَقَيْسٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (٢) قَيْسُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ

(٣) هُوَ عَمْرُو بْنُ عَمْرُو بْنِ عَدَسٍ مِنْ تَيْمٍ ، وَهُوَ زَوْجُ دَخْنُوسَ بِنْتِ لَقِيْطٍ (٤) سَرْعَانُ الْخَيْلِ : أَوَائِلُهَا .

وأدركما الحارث وهو يتأدى قيساً ويقول : اقتل ، اقتل ! ولكن قيساً أطلق عمرأ ،
ولحق عمرؤ بقومه (١) .

ونزل حسان بن عامر بن الجون وصاح : يا آل كندة ! فحمل عليه شريح
ابن الأحوص ، فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة ، فضر به شريح في رأسه
فانكسر السيف ، فخرج يمدو بنصف السيف .

(١) روى صاحب الأغاني أنه لما كان الشهر الحرام خرج قيس بن المنتقى إلى عمرو بن عمرو
يستغيثه ، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه أمنة وقال
لها : اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة - وقد كان الحارث قتل أباه زيدا يوم
جيلة - فجاءت بالقبة فرأت الحارث أحياء وأجلهما ، فظنته قيساً ، فضربت القبة وهي تقول :
هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به على .

فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يا بنة أخي ، على من ضربت القبة ؟ فتمتعت نعمت الحارث ، فقال :
ضربتها والله على رجل قتل أباك ، وأمر بقتل عمك ، فجزعت بما قال عمها ، فقال الحارث :

أما تدرين يا بنة آل زيد أمين بما أجن اليوم صدرى
أمين : يا أمينة

فكم من فارس لم ترزئيه فتي القتيان في عيس وقصر
رأيت مكانه فصددت عنه فأعيا أمره وشدت أزرى
أصرت به لتخمش حنتاه فضيع أمره قيس وأمرى

الحنة : الزوجة

ثم إن عمرأ قال : يا حار ما الذي جاء بك ؟ فوالله مالك عندي نعمة ، ولقد كنت سيء الرأي في ،
وقتلتي أخي ، وأمرت بقتل . فقال : بل كففت عنك ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك . قال : مالك
عندي من يد ، ثم تقدم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب .

ولما جاء قيس عمرأ أعطاه عمرو إبلا كثيرة ، فخرج قيس بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به
الحارث بن الأبرص ، فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس ، فأخذ ما كان معه ، فلما
أتى قيس بني أبيه من بني المنتقى اجتمعوا إليه ، وأرادوا الخروج ، فقال : مهلا ! لا تغفلوا اخوتكم
فإنه يوشك أن يرجع ، وأن يثول إلى الحق ، فإنه رجل حسود . فلما رأى الحارث أن قيساً قد
كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وشدّ طفيل بن مالك، فأسر حسان بن الجون، وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون، فأسرَه وجزّ ناصيته وأعتقه على الثَّواب^(١) .

وانصرف سنان بن أبي حارثة المرمي في بني ذبيان على حاميته، ومعه مالك بن حمار الفزاري، فلحق بهم معاوية بن الصموت الكلبي ومعه خرملة العكلى وقرّ من الناس؛ ولما رأهم سنان قال لمالك: يا مالك؛ كركر^(٢) وأخيمنا، ولك خولة ابنتي أزوجكها؛ فكرّ مالك فقتل معاوية، ثم قتل حرملة واثنين من قيس. ومضى بعد ذلك مالك وهو يقول:

ولقد صدّدتُ عن الغنيمة حرملًا وبنيته لددا^(٣) وخيلي تطرد
أقبلته صرّ الأغرّ وصارمًا ذكرًا فخرّ على اليدين الأبعد
وابن الصموت تركت حين لقيته في صدر مارنة^(٤) يقوم ويقعد
وابنا رييمة في الفبار كلاهما وابنا غنى عامر والأسود
حتى تنفس بعد نكظ^(٥) مُجْجِرًا أذهبتُ عنه والفرائص تُرعدُ

(١) حدث بعد هذا أن قيس بن زهير العبسي ألقى معاوية فقتله، فأتى عوف بن الأحوص بن عباس فقال: قتلتم طليق فأحيوه أو ائتوني بملك مثله، فتخوفت بنو عباس شره - وكان مهيباً - فقالوا: أمهلنا، وانطلقوا حتى آتوا أبا براء وعامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دونكم سلمى بن مالك فإنه نديعه وصديقه، وكان في سلمى حياة فقال: سأكلم لكم طفيل بن مالك أخاه ليسلم إليكم حسان بن جون، وانطلقوا إليه، فقال طفيل لسلمى: قد آتوني بك، ما أعرفني بما جئتم له: أتيتوني تريدون مني حسان بن الجون - وكان قد أسره - وتسلمونه لي عوف. خذوه، فأعطاهم إياه، فأتوه، فجزّ ناصيته وأعتقه، ولذلك سمى عوف الجزاز.

(٢) اللد: الحصومة (٣) يقال: رمح مارن؛ صلب لين (٤) النكظ: الجهد، والمجهر: الضطر اللبأ، والمضيق عليه.

يعدو بزى سابع ذو ميمة نهذ المراكل ذو تليل أقود^(١)

— ٨ —

وفي ذلك اليوم قالت دختنوس ترى أباه لقيط بن زرارة ، وقد ضربه بنو عبس
بعد موته :

ألا يالها الويلات ويلة من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قصى^(٢)
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة ولا تحفل الصم الجنادل من نوى^(٣)
فلو أنكم كنتم غداة لقيتم لقيطاً ضربتم بالأسنة والقنا^(٤)
غدرتم ولكن كنتم مثل خضب أضاءت لها القناس من جانب الشرا^(٥)
فاناره فيكم ولكن ناره شريح أردته الأسنة أم هوى^(٦)

(١) البز : السلاح ، يريد يعدو بن سابع - فرس - يعد يديه في الجرى ، والميمة : أول الجرى
وألفطه ، ونهد : مرتفع ، والمركل من الفرس : حيث تصيب برجلك ، والتليل : الفتى ، وأقود
سلس القيادة (٢) الضمير في لها يعدو إلى بني عبس ، تقول : لتحل بيني عبس الويلات ،
وتريد بمن بكى : نفسها (٣) تحفل : تضم ، والصم الجنادل : الصخور العظيمة ، ونوى :
مات ، تريد : أن الصخور التي تقطى جسده في قبره ، لا تكاد تضمه لعلو شأنه (٤) جواب
الفرط محذوف تقديره : لو قاتلم لقيطاً بالأسنة والرماح لرأيت بأسه وفرتم من وجهه (٥) الخضب :
كأنه جمع خاضب ، وهي النعامة ، وفي اللسان أن جمه خواضب ، والقناس : جمع قانس وهو الصياد ،
وأضاءت له : أوقدت ناراً . والفرى : مكان . تقول : غلبتموه بالفدر ولكنكم قد فررتم قبل
ذلك من وجهه كالنعام متى أحس بالصيادين ، وم قد أوقدوا له ناراً ليقتنصوه (٦) أرداه :
أهلكه ، والثأر هنا : المطلوب بدم القتل ، وشريح بن الأحوس العامري : قاتل لقيط ، وهوى :
سقط ومات ؛ تقول : ليس لكم القدر يا بني عبس ، فإنما قاتله والمطلوب بدمه هو شريح بن
الأحوس العامري ، سواء قتل لقيط بالأسنة في ساحة الحرب ، أو حمل وبه طعنات فمات بعد
ذلك .

فإن تمقب الأيام من فارس تكن عليكم حريقاً لا يُرام إذا سَمَا^(١)
لُنَجْزِيَكُم بِالْقَتْلِ قِتْلًا مُضَعَفًا وما في دماء الخمس يامال من بَوَا^(٢)
ولو قَتَلْتَنَّا غَالِبٌ كَانَ قَتْلُهَا علينا من العار المجدع للملا^(٣)
لقد صبرتُ للموت كمْبٌ وحافظت كلابٌ وما أَنْتُمْ هناك لمن رَأَى^(٤)
وقالت أيضاً :

لعمري لقد لاقى من الشق دارم عناء وقد رابت حميداً ضرابها^(٥)
فاجينوا بالشعب إذ صبرت لهم ربيعة يدعى كمْبها وكلاتها^(٦)
عصوا بسيف الهند واعتقلت لهم برا كاء موت لا يطير غرابها^(٧)
وقالت في لقيط أيضاً :

بكر النمي بخير خندف كملها وشبابها^(٨)

(٧) هول : إذا دارت الأيام فأمكننا من شريع وقومه فستزوتا نسر نار حرب لا تطفأ إذا ما علا ضرامها وانتشر سعيها (٢) تريد بالحس ، أشرف بن تميم الذين قتلوا ، ومال : ترخم مالك . البوا : السواء والكفاء ، تقول : سوف تقتل منكم أضعاف ما قتلتم ، ولا نجد منكم يمالك أحدا يساوي بالقدر والشأن الخمسة الذين قتلوا منا فنقتلهم بهم (٣) بنو غالب بطن من بني عامر وهم أنزلهم ، والمجدع للملا : القاطع له ، المانع من الوصول إليه ، تقول : يسرنا أن القتل لم يقتلهم أحد من بني عامر ، ولو كان ذلك لحل بنا عار لا يعمى (٤) تخاطب بني غالب فتقول : لانا رأينا بني كعب وبني كلاب يملون في الحرب البلاء الحسن ، ولكننا لما طلبناكم لم نجدكم هناك (٥) تريد بالشق مدخل جبلة ، ودارم : حى من تميم وهو قوم دخنوس ، وحميد قوم من بني عامر (٦) تقول : لم يغفل بنو دارم لما تألب عليهم بنو ربيعة ، وربيعة أبو كعب وكلات . وتريد بالشعب شعب جبلة (٧) عصوا : دافعوا عن أنفسهم بسيف مهندة قاطعة وبراكاء : الثبات في الحرب والجد ، وقال للرجل إذا وقع في خطب : لا يطير غرابه ، وهى تريد أن سعدم المعتاد في الحروب اعتقل لهم ، أى امتنع عنهم في هذه الوقعة . (٨) بكر : آتى باكراً . وخندف : أم مدركة بن إلياس ، ولإليها تنسب قبائل مضر ، ومنها تميم قوم الشاعرة .

وبخيرها نسباً إذا عُدَّتْ إلى أنسابها (١)
 وأضرَّها لعدوِّها وأفكَّها لرقابها (٢)
 وفريقها ونجيبها في الطبقاتِ ونائبها (٣)
 ورئيسها عند اللو ك وزين يوم خطابها
 فرع عمود للمشيرة رافعاً لنصابها (٤)
 فيقولها ويحوطها ويذبُّ عن أحسابها (٥)
 ويطا مواطئ للعدوِّ وكان لا يمشي بها (٦)
 فعل المدلِّ من الأسو د لحينها وتبائبها (٧)
 كالكوكب الدرِّيِّ في الظلِّماء لا يخفى بها (٨)
 عبث الأغرَّ به وكلَّ منية لكتائبها (٩)
 فرَّت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها (١٠)
 وهوازن أصحابهم كالقار في أذانبها (١١)
 لم يحفظوا حسباً ولم يأووا لفيء عقابها (١٢)

(١) رواية ابن الأثير : وآتمها نسباً إذا رجعت إلى أنسابها (٢) أى أنه يحمر رقاب قومه من الأسر (٣) الفريق : السيد ، وأصله الغالب في المقاتلة . والطبقات : الشدائد ، والسنون المجدية ، وناب القوم : سيدهم (٤) الفرع : الابن . والعمود : السند (٥) ذب عن الأمر : دافع عنه (٦) تريد أنه يتعقب آثار العدو في مسالك لم يتعود أن يجري فيها (٧) المدل : الواقع من نفسه . والحين : الهلاك ، والنياب : الفساد (٨) الدرِّي : الشبيه بالدرة (٩) الأغر : السيد ، تسكنى به عن قاتل لقيط وهو شريح بن الأحموس ، وكتائبها : إبانها ووقتها ، كما قال تعالى : « لكل أجل كتاب » (١٠) بنو أسد : من حلفاء تميم يوم شعب جيلة ، وهى بهذا تهجوم (١١) وهوازن من حلفاء تميم أيضاً شبهتهم بالقار لجبنهم (١٢) تريد بالمقاب لقيطاً ، والمعنى : أنهم بفرارهم فقدوا شرفهم ، ولم يجتمعوا بليقطة على العدو ، بل تركوه يقاتل وحده .

وقالت تهجو النمان بن قهوس التميمي ، وكان حاملا- في يوم شعب جبلة- لواء
 بنى تميم ، وهو من أشرافهم ، ففرّ هارباً .

فرّ ابنُ قهوس الشُّجَا عُ بَكَفَهُ رُمَحٌ يَتَلُّ^(١)
 يَمْدُو به خَاظِي البَضِيعِ كَأَنَّهُ يَمْنَعُ أَزْلَ^(٢)
 إِنْكَ مِنْ نَيْمٍ فَدَعَّ غَطْفَانُ إِنْ سَارُوا وَحَلُّوا^(٣)
 لَا مِنْكَ عَدُوٌّ وَلَا آبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوا^(٤)
 فَخَرُ الْبَنِيُّ بِحَدَجِ رَبَّتَيْهَا مَ إِذَا النَّاسُ اسْتَقْلُوا^(٥)
 وَلَقَدْ رَأَيْتَ أَبَاكَ وَسَطَ الْقَوْمِ يَبْزُو أَوْ يَجِلُّ^(٦)
 مُتَقَلِّدًا رِبْقَ الْفَرَا رَكَانَهُ فِي الْجِيدِ غَلُّ^(٧)

(١) الخيل : الشديد (٢) الخاطي : المكتنز ، والبضيع : ما انحاز من لحم الفخذ الواحد
 بضعة ، والسمع : ولد الضبع ، تقول : نحابه فرس مكتنز اللحم يشبه السمع ، والأزل : السريع
 (٣) نيم : فرع من تميم ، تقول : إنك من قوم جبناء ، فلا تسر مع غطفان أصحاب الشدة
 (٤) تقول : لو حل الذل بنطفان فإنهم يستفنون عنك وعن آبائك (٥) البني : المرأة
 الفاجرة ، والحدج من مراكب النساء ، واستقل الناس : ذهبوا ، ضربت هذا مثلا ، وأرادت
 بالبني بنى التميمي ، وعنت بربة الحدج- وهي السيدة- غطفان (٦) يبرزو : كناية عن الجبن ،
 ويجل : يجمع الجلة وهي البربر (٧) الربق : المقود ، تريد : أن أباه لا يصلح إلا لرعاية
 الفقم حين يضع حبالها في عنقه كأنها أغلال تفلها .

٣ - يوم ذي نجب

لما كان المأمُ التابع من يوم جَبَلَة خرج ناسٌ من بني عامر بن صعصعة إلى حسان ابن كبشة الكندي ^(١)؛ منهم عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِبُ الأَسنة ، وطفيل بن مالك بن جعفر ، وعمرو بن الأحوص بن جعفر ، ويزيد بن الصَّيْق ، وقُدَامَة بن سلمة ابن قُشير ، وعامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ؛ واستنجدوه على بني حَنْظَلَة ^(٢) ابن مالك ، وقالوا : هل لك في إِبِلٍ عَكَرَ ^(٣) ، ونساء كالبقر ، وتسير مُبَرِّدًا ^(٤) ، وترجع سالما غانما من قوم قد أَوْقَعْنَا بهم حديثًا ، وقتلنا قُرُسانهم ورؤسَاءهم ! فأقبل معهم بصنائعهم ومن كان معه ، ومرَّ على بني عامر ؛ فسارمعه من خفٍّ منهم . وبلغ الخبر بني حَنْظَلَة فقال عمرو بن عمرو بن عُدُس ^(٥) : يا بني مالك ؛ إنه لا طاقةَ لكم بهذا الملك ومن معه ؛ فخِفُوا من مكانكم هذا - وكانوا يومئذ في أعلى الوادي مما يلي بحرى القوم وكانت بنو يربوع في أسفله - ودَعُوا بني يربوع فأتهم حتى مُصْرِمٌ زَ ^(٦) ، فإن ظهرَ الملكُ عليهم سألتم ؛ فبَقِيَّةُ السَّلَمِ خيرٌ من بَقِيَّةِ الحرب ، وإن بُهِرْت يربوع عليهم كنتم مع إخوانكم . ففعلوا .

* لَبِي تميم على بني عامر (ن قيس) . وذو نجب ذكره ياقوت فقال : موضع كانت فيه وقعة لَبِي تميم على بني عامر بن صعصعة . وكان هذا اليوم بعد مرور عام على يوم جَبَلَة .
النقائض ص ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ (طبع أوربة) ، ابن الأثير ص ٣٦٣ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٨

(١) حسان بن كبشة ملك من ملوك البين (٢) بنو حنظلة : حى في تميم
(٣) السكر : ما فوق خمسة من الإبل (٤) يقال : أبرد : دخل في آخر النهار
(٥) عدس في بني تميم بضم الدال ، وفي - اثر الرب بفتحها (٦) نكد الرجل فهو منكود : إذا كثر سؤاله وقل خيره ، ورجل نكد : أى عسر .

وأقبلَ حسانٌ ومَنْ مِمَّنْ من الجيش في وجه الصبح ، والتقوا بيني يربوع ،
فقتلوا ، فضرب حُشيش^(١) بن نمران الرياحي حسان بن كبشة الملك على رأسه
فقتله ، وانهزم أصحابه .

وأمر ثعلبة بن الحارث اليربوعي يزيد بن الصمق ، فأبصره في يده ثعلبة بن
الحارث بن عمرو ، فضربه على رأسه فأمته ، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قُرْزُل^(٢) ،
وضرب زنباع بن الحارث أحد بني رياح عبيدة بن مالك على هامته فسات في يده ؛
فقال في ذلك سُحَيْم بن وَثِيل الرياحي :

ونحنُ ضربنا هامة ابن خُوَيْلِد^(٣) يزيد وضربنا عبيدة بالدم
بذي نَجَبٍ إذ نحن دون حريمنا على كل جِيَّاش الأجارى^(٤) مِرْجَم^(٥)



وقتل خالد بن مالك النهشلي - رئيس بني عامر - غمرو بن الأحوص ، وقد كان
بعضُ أصحابه قال له : يا خالد ؛ اقتلُ بأبيك^(٦) ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن
كبشة ، فقال أوس بن حُجْر :

كان بنو الأبرص^(٧) أقرانكم فأدرَكوا الأحدثَ والأقدمَا
إذ قال عمرو لبني مالك لا تُمِجلوا المِرة أن تُحْكَمَا

(١) في رواية : جشيش بالميم (٢) اسم فرسه ، وقال ابن الأعرابي : هو اسم فرس عامر
ابن الطفيل . وقال أبو عبيدة : كانت فرس الطفيل ، وكذلك قال الجوهري
(٣) ابن خويلد : يزيد بن الصمق (٤) الأجارى : ضروب من البري
(٥) مرجم : شديد (٦) كان عمرو بن الأحوص قتل أبا خالد يوم جينة
(٧) بنو الأبرص : بنو يربوع بن حنظلة .

والله لولا قُرْزُلُ^(١) إِذْ نَجَا لَكَانَ مَثْوَى خَدِّكَ الْآخِرَ مَا^(٢)
نَجَاكَ جَبَاشُ^(٣) هَزِيمٌ كَمَا^(٤) أَخْمَيْتَ وَسَطَ الْوَيَرِ الْمَيْسَمَا

(١) فرس طفيف بنى مالك بن جعفر وقد فر به من بنى يربوع كما سبق (٢) الآخرم :
الجبيل : وهو منقطع أنفه وهو يريد : ثوى خدك في الأرض . وآخرما الكتفين أيضاً : رءوسهما
من قبل المضدين مما على الواصلة ، وقيل : هما طرفا أسفل الكتفين اللذان اكتنفا كعبرة
الكنف ، قال كعبرة بين الآخرمين ، والمعنى : لقتلت فسقط رأسك من آخرم كتفك
(٣) الجباش : الشديد الجرى السريع لأنه مشتق من القدر إذا جاشت بالغل والفرم كذلك ،
يقول : يجيش ويهزم يعنى يصوت صوتاً كغلي الرجل (٤) كما أجميت : يعنى به السرعة .
يقول هذا الفرس يلهب في عدوه كما يلهب الميسم وهي الحديدية تحمى بالنار حتى تصير كالجرة ثم
توضع على جلد البعير علامة ، والأسمى يقول معناه : لأنه سريع الجرى ، فسرعة هذا الفرس
كسرعة ممر هذا الميسم في جلد البعير ووبره .

٤ - يوم الصرايم

أغلرت بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى الصريحُ بنى بربوع ، فركبوا في طلب بنى عبس ، فأدركوهم بذات الجرف^(١) ، فقتلوا شريحاً وجابرأ ابني وهب ، وأسروا فروة وزنباعا ابني الحكم بن مروان بن زنباع ، وأمر أسيد بن حنّاءة الحكم ابن مروان بن زنباع العبسي . وقتل عصمة بن حذرة الرياحي سبعين رجلاً من بنى عبس - وقد كان العفّاق بن الفلاق بن قيس خرج في طلب إبل له ، فرأى بنى عبس ، فأخذه شريح وجابرأ ابنا وهب فقتلاه ، فنذر عصمة ألا يطعم خمراً ، ولا يأكل لحماً ، ولا يقرب امرأة ، ولا يفسل رأسه ، حتى يقتل به سبعين رجلاً من بنى عبس ، فقال لما قتلهم :

اللهُ قد أمكنني من عبسٍ ساغ شرابي وشفتي نفسي
وكنتُ لا أقرب طهرَ عُرْمي ولا أشدُّ بالوخافِ^(٢) رأسي
ولم أكن أشربُ صفو الكأسِ

وقال سحيم بن وثيل :

واني ابنُ زنباع وفروة عَقْدُنا وفيهم دماءُ الحيِّ لما تُصرَّم

* بين عبس وربوع ، ويسمى يوم بنى جذيمة وذات الجرف أيضاً ، والصرايم : اسم موضع كما في معجم البلدان

القائض ص ٢٤٨ ، ٣٣٦ (طبع أوربة)

(١) الجرف : موضع في نواحي اليمامة . (٢) الوخف : ضربك الخطي في الطشت بوخف ليختلط . وتقول : أما عندك وخيف أغسل به رأسي ، والوخيف والوخيفة : ما أوفخت به ، وقال : أناه بلبن مثل وخاف الرأس .

وفي هذا اليوم قال الحطيثة ، وقد كان في الجيش فهرب :

ما أدري إذا لاقيتُ عمرًا أَكَلْتَنِي^(١) آلُ عُمَيْرٍ وَأُمُّ صَحَّاحٍ
لقد بلغوا الشَّفاءَ فَأَخِيرُونَا بَقَتْلِي مِنْ تُقَتَّلْنَا رِيَّاحُ
حَوْتِنَا مِنْهُمْ لِمَا التَّقِينَا رِمَاحُ فِي مِرَاكِزِهَا رِمَاحُ
وَجُرْدُ فِي الْأَعْنَةِ مُلْجَمَاتُ خِفَافِ الطَّرْفِ كُلَّمَا السَّلَاحُ
إِذَا ثَارَ الْفَبَارُ خَرَجْنَ مِنْهُ كَمَا خَرَجَتْ مِنَ الْفَدَارِ^(٢) السَّرَاحُ
وَمَا بَادُوا كِبَاءُ وَهُمْ^(٣) عَلَيْنَا بِفَضْلِ دِمَائِهِمْ حَتَّى أَرَا حَوَا

وفي هذا اليوم قال : شُمَيْثُ بْنُ زُبَيْعٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ الرِّيَّاحِيُّ :

سَائِلُ بَنَا عَبَسَا إِذَا مَا لَقِينَهَا عَلَى أَى حَيٍّ بِالصَّرَامِ ذُلَّتِ
قَتَلْنَا بِهَا صَبْرًا شَرِيحًا^(٤) وَجَابِرًا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهَا الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ
جَزِينَا بِمَا أَمَتْ أُسَيْدَةَ حَقِيقَةً خُوَيْلَةَ إِذْ آذَنَهَا فَاسْتَقَلَّتِ
فَأَبْلَغَ أَبَا مُحَرَّرَانَ أَنْ رَمَّاحَنَا قَضَتْ وَطَرَأَ مِنْ غَالِبٍ وَتَمَلَّتِ^(٥)
فِدَى لِرِيَّاحٍ إِذْ تَدَارَكَ رَكْضُهَا رَبِيعَةٌ إِذْ كَانَتْ بِهَا النَّمْلُ زَلَّتِ
فَطَرْنَا بِحِجَالٍ لِلصَّرِيخِ وَلَا تَرَى لَنَا نَعْمًا مِنْ حَيْثُ يُفْرَعُ شُلَّتِ^(٦)
وَمَا كَانَ دَهْرِي إِنْ فَخَرْتُ بِدَوْلَةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا حَاجَةَ النَّفْسِ سُلَّتِ

(١) كلب الرجل : عضه الكلب الكلب ، فأصابه مثل ذلك ، ورجل كلب من رجال كلبين ، وكليب من قوم كلبى (٢) الفدر : الحجارة والشجر وكل ما وارك ، والسراح : جمع سرحان وهو الذئب ، قال الأزهري : وأما السراح في جمع السرحان ، فغير محفوظ عندي (٣) البأو : الكبر (٤) شريح وجابر : ابنا وهب ، وهما من بني عوذ بن غالب (٥) تفلت : يريد من الظلوه وهو الزيادة ، وأبو حران : عروة بن الورد العبسي (٦) شلت : يريد لا يهيمون بطرد إبلهم إذا فزعوا ولكنهم يقيمون ثقة منهم بأنفسهم والثلل والطرود سواء .

هـ - يوم الرغام

أغار عَتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ فِي بَنِي ثَمَلَةَ^(١) بَنِي يَرْبُوعَ عَلَى طَوَائِفٍ مِنْ بَنِي كَلَابٍ^(٢)؛ فَطَرَدُوا^(٣) إِبِلَهُمْ، وَكَانَ أَنَسُ بْنُ عَبَّاسٍ الْأَصَمُّ أَخُو بَنِي رِغْلٍ^(٤) مُجَاوِرًا فِي بَنِي كَلَابٍ، وَكَانَ يَبْنِي بَنِي ثَمَلَةَ بَنِي يَرْبُوعَ، وَيَبْنِي بَنِي رِغْلٍ عَهْدًا لَا يُسْفِكُ دَمًا، وَلَا يُؤْكَلُ مَالٌ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْكَلَابِيُّونَ الدَّعْوَى يَأْتِي آلَ ثَمَلَةَ، يَأْتِي آلَ عُيَيْدٍ، يَأْتِي آلَ جَمْفَرٍ! عَرَفُوهُمْ، فَقَالُوا لِأَنَسِ بْنِ عَبَّاسٍ: قَدْ عَرَفْتَ مَا يَبْنِي رِغْلٌ وَيَبْنِي بَنِي ثَمَلَةَ بَنِي يَرْبُوعَ، فَأَذَرِكْهُمْ فَاحْبِسْهُمْ عَيْنًا حَتَّى نَلْحَقَ.

فَخَرَجَ أَنَسُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ قَالَ عَتَيْبَةُ لِأَخِيهِ حَنْظَلَةَ ابْنِ الْحَارِثِ: أَغْنِ^(٥) عَنَّا هَذَا الْفَارَسَ؛ فَاسْتَقْبَلَهُ حَنْظَلَةُ فَقَالَ لَهُ أَنَسُ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ وَعَقِيدُكُمْ^(٦)، وَكَنتُ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؛ فَأَغْرَيْتُمُ عَلَى إِلِيلِي فَيَا أَغْرَيْتُمْ عَلَيْهِ، فَعَيَّ مَعَكُمْ.

فَرَجَعَ حَنْظَلَةُ إِلَى أَخِيهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالُوا: حَيَّاكَ اللَّهُ! هَلُمَّ فَوَالِ^(٧) إِبِلِكَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهَا، وَيَبْنُو أَخِي وَأَهْلُ بَيْتِي مَعِي، وَقَدْ أَمَرْتُهُمْ بِالرُّكُوبِ فِي أَثَرِي، وَهُمْ أَعْرِفُ بِهَا مَنِي.

* لَبَنِي يَرْبُوعَ (مِنْ تَمِيمٍ) عَلَى كَلَابٍ (مِنْ قَيْسٍ) . وَالرَّغَامُ : اسْمُ رَمْلَةٍ بَيْنَهُمَا مِنْ نَوَاحِي الْبَيَامَةِ .
التَّقَائُصُ ص ٤١ طبع أوربة

(١) بَنُو ثَمَلَةَ بَنِي يَرْبُوعَ : حَيٌّ فِي تَمِيمٍ (٢) بَنُو كَلَابٍ : حَيٌّ فِي طَامِرٍ (٣) يَقَالُ : طَرَدَ الْإِبِلَ : إِذَا ضَمَّهَا مِنْ نَوَاحِيهَا (٤) رِغْلٌ : بَطْنٌ فِي سَلِيمٍ ، وَسَلِيمٌ فَرْعٌ مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ (٥) يَقَالُ : أَغْنَى عَنْ شَيْءٍ أَيْ أَصْرَفَهُ وَكَفَّهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » ، وَفِي حَدِيثِ عُثْمَانَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بَعَثَ إِلَيْهِ بِصَحِيفَةٍ فَقَالَ لِلرَّسُولِ : أَغْنَى عَنْهَا ، أَصْرَفَهَا وَكَفَّهَا (٦) الْعَقِيدُ : الْمَاعِدُ (٧) اعْزَلَهَا .

ثم جاء فوارس بنى كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث ، فقال أنس : إنا هم
 بنى وبنو أخى - وإنا كان يرئهم ^(١) لتلحق جماعة فوارس بنى كلاب - فلحقوا
 فحمل الحوثر بن قيس ^(٢) على حنظلة فقتله ، وحمل لأم بن سلمة على الحوثر هو وابن
 مزنة فأسراه ، ودفعا إلى عتيبة فقتله صبرا ^(٣) ، وهزم الكلابيون .

ومضى بنو ثعلبة بالابل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، فلم تقر أنسا نفسه حتى
 اتبهم رجاء أن يصيب منهم غرة وهم يسرون في سخواء ^(٤) .

ثم تخلف عتيبة في قضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فاشعر إلا بأنس
 قد مر في آثارهم فتغفله عتيبة حتى وثب عليه فأسره وأتى به أصحابه ، فقال له
 بنو عبيد : قد عرفت أن لأم بن سلمة وابن مزنة قد أسرا الحوثر ؛ فدفعا إليك
 فضربت عنقه ، فأعتهما منه أنس بن عباس ؛ فهو خير منه ، فأبى عتيبة أن يفعل
 ذلك ، حتى اقتدى أنس نفسه بما أتى بهير ، فقال العباس بن مرداس ^(٥) يعبر عتيبة
 أخذه أنسا وبينهم ما بينهم من الميثاق :

كثر الضجاج ^(٦) وما مئيت بغادر كعتيبة بن الحارث بن شهاب
 جللت حنظلة ^(٧) الخانة والحنأ ودنيت آخر هذه الأخقاب
 وأجرت أنسا فاحاولتم بإسار جاركم بنى الميقاب ^(٨)
 فحوا ^(٩) بأطراف الأنوف وأمهلوا عنكم قوادم صرمة الأعراب

(١) يرئهم : يبطئهم (٢) الحوثر بن قيس : من بنى كلاب (٣) يقال للرجل يقدم
 فيضرب عنقه : قتل صبرا (٤) السخواء : الأرض السهلة الواسعة (٥) العباس بن
 مرداس : من بنى سليم قوم أنس ، شاعر جاهل وأدرك الإسلام ثم أسلم ، وهو أحد أغربة العرب
 وقد جملة ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء (٦) الضجاج : الصياح
 (٧) حنظلة : قوم عتيبة إذ هو من يربوع بن حنظلة (٨) الميقاب : التى تلد الحمى ، والوقب
 الأحقى (٩) الفخ : أن ينام الرجل وينفخ في نومه ، وفخ النائم يفخ (بكسر الفاء)

قَالَ عَتِيبَةُ :

غَدَرْتُ غَدْرَةً وَغَدَرْتُ أُخْرَى فَلَيْسَ إِلَى تَوَافِينَا سَبِيلُ
كَأَنَّكُمْ غَدَاةُ بَنِي كَلَابٍ تَفَاقَدُكُمْ ^(١) عَلَى لَكُمْ دَلِيلُ
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ ^(٢) لِمَا أَبِي عَتِيبَةَ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمْ أَنْسًا ، يَمْنُ عَلَيْهِ بِدَفْعِ
بَنِي عُبَيْدِ الْحَوِثَرَةِ إِلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ :

وَنَحْنُ نَأْرَأُنَا قَبْلَهَا بِابْنِ أُمِّهِ غَدَاةُ الْكَلَابِيِّينَ وَالْخَلِيلُ تَشْمَهُدُ
لِحُتْنَانَا بِهِ صَبْرًا إِلَيْكَ تَقْوُدُهُ وَأَنْتَ ضَعِيفُ الصَّوْتِ قَلْبُكَ يُرْعَدُ
فِيَادِ ذَلِيلٍ لَا يُفَارِغُ رَأْسَهُ وَقُنَانَا لَكَ اقْتُلْهُ وَقَدْ كُنْتَ تَبْلُدُ

(١) يُقَالُ تَفَاقَدَ الْقَوْمُ ؛ أَيِ قَدَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا (٢) مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ : مِنْ ثَعْلَبَةِ بْنِ مَرْبُوعٍ
أَحَدِ الشُّعْرَاءِ الْخَضَرَمِيِّينَ ، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي حُرُوبِ الرَّدَةِ .

٦ - يوم جِزَع ظلال

أغارَت بنو فزارة ، ورئيسهم عِيْنَةُ بنُ حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر ، ومعه مالك ابن حِمار الشَّمْخِيّ متساندين ؛ هذا من بني عدي بن فزارة ، وذلك من بني شَمَخ بن فزارة^(١) ، على التَّيْم وعدي وثور أطلَح من بني عبد مناة^(٢) ، فَلَثُوا أيديهم غنائم وإبلا ونساء ، وأخذ يومئذ شريك بن مالك بن حُذَيْفَة أربعين امرأة من التَّيْم وعُكَل فأطلقهن وردهن ، وأخذ خارِجة بن حصن نفراً من التَّيْم فأطلقهم بغير فِداء .
فأدعت بعد ذلك بنو يربوع أن عَتِيْبَةَ بن الحارث بن شهاب وبني يربوع أددوهم بحَقِيل^(٣) فاستنقذوهم^(٤)

ثم إنه ضَرَب الدهر من ضَرَبَانِه^(٥) ، فبلغ بني فزارة أن النعمان بن جساس التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم - وهم سادة التَّيْم - وابن الخيط ، وهو سيد بني عدي تيم^(٦) انطلقوا إلى بني سعد بن زيد مناة^(٧) وضَبَّة^(٨) يستمدُّونهم ،

• فزارة (من قيس) على تيم . وجزع ظلال: موضع

معجم البلدان ص ٣٠٨ ج ٣ ، النفاذ ص ٣٠٢ ، ١٠٦٧ (طبع أوربة)

(١) فزارة : حى في ذبيان ، وذبيان فرع من قيس عيلان (٢) يسمى بعض النساين هذه الأحياء بالرباب (٣) حَقِيل : واد في ديار بني عكل (٤) في ذلك يقول جرير وهو يضر على التيم :

تداركنا عينة وابن شَمَخ وقد مرا بهن على حَقِيل

فردوا الردقات بنات تيم ليربوع فوارس غير مِبل

(٥) ضرب الدهر من ضربانه وضربه : مر من مروه وذهب بعضه (٦) عدي تيم :

حى في تيم (٧) بنو سعد : حى في تيم (٨) ضَبَّة : تنسب إلى ضبة بن أد بن طابخة ابن الياس .

وَيَسْأَلُونَهُمُ النَّصْرَ ، فَرَكِبَتْ بَنُو فِزَارَةَ وَرَأْسُهُمْ أَيْضاً عَيْنَةَ بَنِي حِصْنٍ ، فَأَغَارُوا عَلَى التَّيْمِ ، فَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلُوهُ أَحَدًا ، وَأَخَذُوا مِائَةَ امْرَأَةٍ مِنَ التَّيْمِ ، فَقَسَمَهُنَّ عَيْنَةُ بَيْنَ بَنِي بَدْرِ (١) ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا فَقَتَلُوهُمْ .

فَلَمَّا نَزَلُوا اشْتَرَتْ بَنُو فِزَارَةَ الْخُحُورَ لِيَشْرَبُوا ، فَقَالَ عَيْنَةُ : ابْعَثُوا بَنَاتِ تَيْمٍ فَلْيَنْقُضَنَّ زِقَاقَكُمْ . فَاَنْطَلَقَ نِسَاءُ تَيْمٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُنَّ مِنْ رَجَالِهِنَّ يَنْقُلُونَ زِقَاقَ الْخُحْرِ إِلَيْهِمْ ، تَمَّ أَمْرُهُنَّ فَجَعَلْنَ يَمْزُحْنَ فَيَشْرَبُونَ وَلَا يَسْقُونَ تَيْمًا مَحْقُورَةً لَهُمْ ، فَاتَى كَذَلِكَ زَمَانٌ .

ثُمَّ إِنَّ عَيْنَةَ سَأَلَ قَوْمَهُ أَنْ يَرُدُّوا بَنِي تَيْمٍ فَفَعَلُوا ، فَرَدُّوا السَّبْيَ إِلَى تَيْمٍ ، وَأَطْلَقُوا الرِّجَالَ بِغَيْرِ فِدَاءٍ (٢) .

ثُمَّ إِنَّ بَنِي مَرْءَةٍ (٣) أَغَارُوا عَلَى التَّيْمِ وَرَبِيسُ بَنِي مَرْءَةٍ يَوْمَئِذٍ سَنَانُ بْنُ سَنَانٍ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ ، فَقَتَلُوا التَّيْمَ وَعَدِيًّا وَعُكْلًا ، وَأَخَذُوا سَبْيًا كَثِيرًا ، فَلَمْ يُعْتَقُوا مِنْهُمْ شَيْئًا وَاسْتَخْدَمُوهُمْ .

(١) بدر : قوم عينة (٢) فذلك قول جرير :

خدمن بني غيظ بن مرة بعدما خدمن النداي من شروب بني بدر

إذا ما اشتروا خمرًا قلم زقاقهم إليهم ولا يسقون تيمًا من الخمر

(٣) مرة : حي في ذبيان

٧- يوم المَرَوْت

كان من حديث هذا اليوم أن قَعْنَبَ بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع التقي هو وُبَجِير^(١) بن عبد الله العامري بمكاظ ، والناس متواقفون ، فقال بُجِير : يا قَعْنَب ما فعلت البيضا فرسك ؟ قال : هي عندي . قال : فكيف شُكرك لها ؟ قال : وما عَسَيْتُ أن أشكرها به ؟ قال : وكيف لا تشكرها وقد نجتك مني ! قال قَعْنَب : ومتى كان ذلك ؟ قال : حيث أقول :

لو أمكنتني من بَشَامَةٍ^(٢) مُهَرَّتِي لَلَّاقِي كما لاقَت فوارسُ قَعْنَبِ
تَمَطَّتْ^(٣) به البيضا بعد اختلاسه على دَهْشٍ وِخْلَتْنِي لم أَكْذَبِ

فأنكر ذلك قَعْنَب ، وتلاعنا وتداعيا أن يقتل الصادقُ منهما الكاذب ، ونذر قَعْنَبُ أن لا يراه بعد هذا الموقف إلا قتلَه أو ماتَ دونه .

فضربَ الدهرُ من ضَرْبَانِهِ ، ثم إن بُجِيرًا أغار على بني العنبر يوم إزِمَ الكَلْبَةُ^(٤) وهم خلوف ؛ فأصاب منهم ناسًا ، وانفَلَتَ منهم مُنْقَلِتُونَ ، وأتى الصريخُ بني حنظلة ، وبني عمرو بن تميم وبني العنبر فركبوا في أثرِ بُجِير ، وقد سارِ بِمَنْ أخذ من بني العنبر فكان أول مَنْ لحقَ بنو عمرو بن تميم ، فقال بُجِيرُ لأصحابه من بني عامر : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا عارضةً رماحها على كواهل خيلها . قال : أولئك بنو عمرو

* تميم على عامر (من قيس) والمروت : موضع في ديار بني تميم
ابن الأثير ص ٣٨٦ ج ١ ، النفاث ص ٧٠ (طبع أوربة) ، بلوغ الأرب ص ١٠٨ ، معجم البلدان (المروت)

(١) في النفاث : بجير بفتح الباء وكسر الحاء ، وهذا الضبط عن اللسان - مادة نكد
(٢) بَشَامَةٌ : اسم رجل (٣) تَمَطَّتْ به : سارت سيراً ممدوداً (٤) موضع بين البصرة والحجاز .

ابن تميم، وليست بشيء . فلحقوا ببجير وهو بالمرآت، فاقتتلوا شيئاً من قتال؛ ثم لحق بنو مالك بن حنظلة، فقال بجير لأصحابه : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً ناصبَةً الرماح . قال : أولئك بنو مالك بن حنظلة، وليست بشيء . فلحقوا وقاتلوا شيئاً من قتال، ثم لحقت خيل شَمَاطِيط^(١)، فقال بجير : ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً شَمَاطِيط ليس معها رماح وكأنا عليها الصبيان . قال : أولئك بنو يربوع ، ما حُهم عند آذان الخيل ، إياكم والموت الزؤام ! فاصبروا ، وما قوتلتم منذ اليوم إلا الساعة .

فكان أول من لحق من بني يربوع نُعَيْم^(٢) بن عتاب ، فطعن الثَّام بن قُرط أخا بني قشير فصرعه وأسرّه ، ثم لحق قَعْنَب بن عَصَمَة بجير فطعنه فأراده عن فرسه ، فوثب عليه كَدَّام بن بجيلة^(٣) المازني ، فأبصره قَعْنَب بن عتاب ، وهو في يد كَدَّام فحمل عليه ، فأراد كَدَّام منعه ، فقال قَعْنَب : مَازٍ^(٤) رأسك والسيف ! فخلّى عنه كَدَّام ، فضربه قَعْنَب بن عتاب فأطار رأسه ، وانهزم بنو عامر . واستنفذت بنو يربوع أموال بني المنبر وسيبهم من بني عامر وعادوا .

(١) متفرقة أرسلالا (٢) كان يسمى الواقعة لبلته (٣) في النقائش : بن نخيلة بالنون والحاء (٤) أي يمازني رأسك والسيف . قال في اللسان : ولم يكن اسماً مازناً وإنما كان اسمه كداماً ، وإنما سماه مازناً لأنه من بني مازن ، وقد فعل العرب مثل هذا في بعض المواضع .

٩- أيام ضبّة وغيرهم

- ١- يوم النّسار
- ٢- = الشقيقة
- ٣- = بزاخة
- ٤- = دارة مأسل
- ٥- = النقيعة

١- يَوْمُ النَّسَارِ

أُجْدَبَتْ أَرْضُ مُضَرَ وَأُخْصِبَتْ بِلَادُ بَنِي سَعْدِ^(١) وَالرَّيَّابِ^(٢) وَجَادَهَا الْغَيْثُ ؛ فلما وقع ذلك الْغَيْثُ أَقْبَلَتْ عَامِرُ بْنُ صَعْمَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ إِلَى بَنِي سَعْدِ ، وَكَانُوا يَوَاصِلُونَهُمْ بِالنَّسَبِ ؛ فَسَأَلُوهُمْ أَنْ يُرْعَوْهُمْ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ ، ففعلوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرَّيَّابِ وهَوَازِنَ وَمَنْ مَعَهَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ مَا اجْتَمَعَ مِثْلَ عِدَّتِنَا قَطًّا إِلَّا كَانَتْ بَيْنَهُمْ أَحْدَاثٌ ؛ فَلْيَضْمَنْ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ مَا كَانَ فِيهِمْ ، وَلْيَضْمَنْ رَجُلٌ مِنْ سَعْدِ وَالرَّيَّابِ مَا كَانَ فِيهِمْ ؛ فَكَانَ الضَّامِنُ لِمَا كَانَ فِي سَعْدِ وَالرَّيَّابِ الْأَهَمَّ^(٣) ، وَكَانَ الضَّامِنُ عَلَى هَوَازِنَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ عَامِرِ ابْنِ صَعْمَةَ ؛ فَرَعَوْا ذَلِكَ الْغَيْثَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

نَمَّ إِنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ يَقَالُ لَهُ الْخَنْتَفُ أَغَارَ عَلَى خَيْلٍ لِمَالِكِ ذِي الرُّقَيْيَةِ بْنِ سُلَيْمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ^(٤) ، فَاسْتَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ بْنِ خَزِيمَةَ يَقَالُ لَهُ خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانَ غَيْبَهَا قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةِ التَّيْمِيِّ^(٥) .

* لضبة وتيم على بني عامر . والنسار: جبال صغار ، وقال بعضهم : هو ماء لبني عامر ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٦ ج ٣ ، النقائض ص ٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤ (طبع أوربة) ، شرح الفضليات صفحة ٣٦٤

(١) بنو سعد أحياء في تميم (٢) الرباب: أحياء ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس ؛ سموا كذلك لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا (القاموس) (٣) الأهم : اسمه ستان بن سبي بن خالد ، وهو من بني سعد بن زيد بن مناة بن عمرو بن تميم ، وقف خلاف بينه وبين قيس بن هاشم المقرئ يوم الكلاب الثاني ، فرفع قس قوسه فضرب فم الأهم بها ، فهتم أسنانه ، فسمى بالأهم من يومئذ (٤) من بني قشير ، وقشير : بطن في بني عامر ، ومالك هذا هو الذي أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جيلة (٥) من ضبة .

فلما فقد مالك ذو الرقيبة خيله أقبل هو وقرّة بن هبيرة إلى الأهم فقالا :
ضمانك . قال : وما ذاك ؟ قال : عدي على خيلنا فذهب بها . فقال : هل تدرون
من أخذها ؟ قال : لا . قال : فاطلبوا واسألوا وطلب ونسأل ، فإن يكن أصابها
رجل من سعد والرباب فأنا لها ضامن حتى أردّها .

وطلبوا وسألوا فذكر لهم رجل أنها رثيت عند عوف بن عطية التيمي ، فسألوه
فأنكر أن يكون رأها أو علم منها علماً ، وسأل الأهم فوجدّها قد كانت عنده ،
فاحتبس إبل عوف حتى أرضى ذا الرقيبة من خيله ، وأخذ منه شروهاً^(١)
فانطلق عوف إلى الحننف فأخبره الخبر ، فردّ عليه عِدّة ما أخذ منه ، ورغب الحننف
في الخيل فأمسكها ، فقال عوف بن عطية في ذلك :

ياقرّ يابن هبيرة بن قشير ياسيد السلمات إنك تظلم
ياقرّ إبن تشمر فإني شاعر أو إن تُكاري مني فنيرك أكرم
هل أغرم من لماري من عامر ولم ألا يعيم ولم أنكلم
أو أغرم من لذي الرقيبة خيله إن كان دلهم على الأهم

ثم أظهر الحننف الخيل ؛ فيبدا هو يوردها غديراً يسقيها إذاقيه رجل من
بني قشير فنازعه فيها ؛ فضرب القشير الحننف على ساعده وضربه الحننف قتلته
ووقع الشر ؛ وجاءت بنو عامر^(٢) إلى بني سعد فقالوا : نحن إخوانكم وفي جوادكم ،
وقد فعل بنا ما ترون ، فخذوا لنا بحقنا . فكلّموا بني ضبة ، فقالوا : إنما أقبل
رجلان فأراد كل واحد منهما صاحبه ، فمات صاحبه وخطئ عن صاحبه ، فنحن
نعطيهما الديّة .

(١) شروى الشيء : مثله (٢) قوم القشيرى المقتول .

فَأَبَى الْمَإْرِيُونَ أَنْ يَقْبَلُوا الدِّيَّةَ ، وَقَالُوا : نَقْتُلُ بِصَاحِبِنَا ، فَأَبَتْ بَنُو ضُبَّةَ ،
وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ ، وَغَضِبَتْ بَنُو سَعْدٍ فَاجْتَمَعُوا مَعَ بَنِي عَامِرٍ ، وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَلْتَقُوا بِالنَّسَارِ ،
وَاسْتَمَدَّوْا بَنِي أَسَدٍ فَأَمَدُّوهُمْ ؛ فَالْتَقُوا بِالنَّسَارِ فَاقْتَتَلُوا ، فَغَضِبَتْ عَامِرٌ وَاسْتَحَرَّ بِهِمُ
الشَّرُّ ، وَانْفَضَّتْ بَنُو سَعْدٍ فَوَاءَلَتْ ^(١) لَمْ يُصَبِّ مِنْهُمْ كَبِيرٌ . أَمَّا بَنُو عَامِرٍ فَهَزَمُوا
وَقَتَلُوا وَسُبُّوا ؛ فَقَتَلَ شَرِيحُ بْنُ مَالِكٍ الْقُشَيْرِيُّ رَأْسُ بَنِي عَامِرٍ ، وَصَارَتْ سَلْمَى
بِنْتُ الْحَلْقِ لِمَرْوَةَ بْنِ خَالِدِ بْنِ نَضْلَةَ ، وَصَارَتْ الْعَنْقَاءُ بِنْتُ هَامٍ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بِنِ
كَلَابِ بْنِ زَيْدِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ ، وَصَارَتْ أُمُّ خَازِمِ بِنْتُ كَلَابِ لِأَرْطَاءَ بْنِ مُنْقِدِ
الْأَسَدِيِّ ، وَرَمْلَةُ بِنْتُ صُبَيْحٍ لِلْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الْأَسَدِيِّ ، وَهَنْدُ بِنْتُ وَقَّاصٍ لِقَيْسِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَقْمِيِّ ، وَأَمَامَةُ بِنْتُ الْمَدَّاءِ لِأَسَامَةَ بْنِ نَعْرِ الْوَالِبِيِّ ، فَقَالَتْ سَلْمَى
بِنْتُ الْحَلْقِ تَعْمِرَ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ بِفَرَّتِهِ وَالطَّفِيلِ :

لَحَى الْإِلَهُ أَبَا لَيْلَى بِفَرَّتِهِ يَوْمَ النَّسَارِ وَقُنْبَ الْمَيْرِ جَوَابَا ^(٢)
كَيْفَ الْفَخَارُ وَقَدْ كَانَتْ بِمَعْرَكٍ يَوْمَ النَّسَارِ بَنُو ذُبْيَانَ أَرْبَابَا
لَمْ تَنْمُوا الْقَوْمَ إِذْ شَلُّوا سَوَامَكُمْ وَلَا النِّسَاءَ وَكَانَ الْقَوْمُ أَحْزَابَا

فَبِعَثَتْ بَنُو كَلَابِ إِلَى الْقَوْمِ فَشَاطَرُوهُمْ سَبِيْهِمْ ، فَقَالَتْ الْفَارَعَةُ بِنْتُ مَمَاوِيَةَ مِنْ
بَنِي قُشَيْرٍ تَعْمِرَ كَلَابًا بِمَشَاطِرَتِهِمْ الْأَحَالِيفِ سَبَايَاهُمْ يَوْمَئِذٍ :

مَنَا فَوَارِسُ قَاتَلُوا عَنْ سَبِيْهِمْ يَوْمَ النَّسَارِ وَلَيْسَ أَمْنَا أَشْطَرُ
وَلَبِئْسَ مَا نَصَرَ الْمَشِيرَةَ ذُو لَحَى ^(٣) وَحَفِيفُ نَافِجَةٍ بَلِيلٍ مُسْهِرٍ ^(٤)

(١) هربت، وفي النفاض: فانهضت بنو تميم (٢) جواب: لقب مالك بن كعب؛ لأنه كان محبوب
الآبار يحفرها ويخذها لنفسه (٣) ذو لحى: أي ذو الحبة بن عامر بن عوف بن أبي بكر بن
كلاب، وشجرت الريح إذا جاءت بهوة (٤) مسهر بن هبديس بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب .

زَعَمَتْ بَزُوحٌ^(١) بَنِي كِلَابٍ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النِّسَاءَ وَأَنْ كَمَبًا أَدْبَرُوا
 كَذَبَتْ بَزُوحٌ بَنِي كِلَابٍ لِّأُمِّهَا نَعَشَى الضَّرَاءَ^(٢) وَبَوْلَهَا يَتَقَطَّرُ
 حَاشَى بَنِي الْمُجَنُونِ إِنْ أَبَاهُمْ^(٣) صَاتَ إِذَا سَطَعَ الْفَبَارُ الْأَكْدَرُ
 لَوْلَا يَبُوتُ بَنِي الْحَرِيشِ تَقَسَّمَتْ سَبَى الْقَبَائِلِ مَا زُنُّ وَالْعَنْبَرُ

(١) البزوخ : التي تسخل ظهرها وتخرج بطنها (٢) الضراء : ما سترك وواراك
 (٣) صات : له صوت في الناس وذكر ، والصيت : الشديد الصوت ، وفي رواية : لولا بنو نبت ،
 ويلة بنت الحريش ، وبنوها بنو خويلد بن ثعلبة ، وبنو المجنون : من بني أبي بكر .

٢- يَوْمُ الشَّقِيَّةِ

قال سِطَامُ بْنُ قَيْسٍ سَيِّدُ بَنِي شَيْبَانَ ^(١) لَأُمِّهِ لَيْلَى بِنْتُ الْأَحْوَصِ : إِنْ قَدْ أَخْدَمْتُكَ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أُمَّةٌ ، وَلَسْتُ مِنْهَا حَتَّى أَخْدَمَكَ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ ^(٢) ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : يَا بَنِي لَا تَفْعَلْ ؛ فَإِنْ بَنِي ضَبَّةَ حَيٌّ لَا يَسْلَمُ وَلَا يَنْفَمُ مِنْهُمْ مَنْ غَزَاهُمْ :

ولكنه خرج لنزّوهم ، ومعه رجلٌ يَزْجُرُ الطيرَ من بني أسد بن خزيمة يُسَمَّى تَقِيداً .

فلما دنا من تَقَا ^(٣) يقال له تَقَا الْحَسَنُ فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةَ صَعِدَهُ لَيْرُ بَا ^(٤) ، فإِذَا هُوَ بَنَمٌ قَدْ مَلَأَ الْأَرْضَ فِيهِ أَلْفُ بَعِيرٍ لِمَالِكِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ الضَّبِّيِّ قَدْ فَقَا عَيْنَ خَلْطِهَا - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا بَلَفَتْ إِبِلُ أَحَدِهِمْ أَلْفُ بَعِيرٍ ، تُفَقُّ عَيْنَ أَحَدِهَا لِيُرَدَّ عَنْهَا الْحَسَدُ - وَإِبِلُ مَنْ تَبِعَهُ وَجَمِيعُهَا إِبِلُ مُرْتَبِعَةٍ ، وَمَالِكُ بْنُ الْمُتَنَفِّقِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ جَوَادٌ .

فلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّقَا تَخَوَّفَ أَنْ يَرَوْهُ فَيَنْذِرُوا ^(٥) بِهِ ، فَاضْطَجَعَ بَطْنُهُ لظَهْرِهِ ،

* لضبة على شيبان . والشقيقة : كل جد بين حبلين رمل ، وقيل الشقيقة : فرجة في الرمال تلبث العشب ، وهو يسمى أيضاً نقا الحسن ، والحسن اسم رمل يعنيه

النقائض ص ١٩٠ ، ٢٣٣ طبع أوربة ، المقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ معجم البلدان . (مادة حسن) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٥٢ ج ٣

(١) شيبان : بطن في بكر (٢) ضبة : حى في مضر (٣) النقا : القطعة من الرمل المحدودة (٤) يقال : ربّاه وربّاه لهم ؛ صار ربيّة لهم ، أى طليعة (٥) ينزرون : يملون .

وانحدر حتى أسهل بمستوى من الأرض ، وقال: يا بني شيبان؛ لم أراك اليوم في الغيرة وكثرة النعم .

فلما نظر نقيد الأسدى إلى لحيّة بسطام مُعفّرة بالتراب حين أسهل تطير له ، وقال :

والذى يُخلف به ؛ لئن صدق طائرُك لتعفرنك بنو ضبة اليوم بالتراب ، فاطننى وانصرف .

فقال له بسطام : أأرجع وقد بلغت غايى وأشرفتُ على الغنيمة ! فقال الأسدى: إني لستُ لك بصاحب ، وأنا منصرف عنك وتاركك ، ثم أخذته رعدة تهيباً لفراقه ، وقال له : ارجع يا أبا الصهباء ؛ فإني آنخوف عليك القتل ، فمصاه ، وركب نقيد الطريق وفارقه .

وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الإبل وطردوها ، وفيها فحلّ لمالك يقال له أبو شاغر - وكان أعمى - ونجا مالك بن المنتفق على فرسه إلى قومه من ضبة ، واستصرخهم قائلاً : يا صباها (١) ! فأجابوه ، ثم عاد ومعه فوارس منهم أدركوا القوم وهم يطردون النعم ، فجعل فحله أبو شاغر يشدّ من النعم ليرجع ، وتبعه الإبل ، فكلما تبعته ناقةً عقرها بسطام . فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال : ماذا السفه يا بسطام ! لا تغفرها لأباك ! فإما لنا وإما لك .

ثم إن رجلاً من بني ثعلبة يقال له أرطاة بن ربيعة لحق بنى ضبة ومعه قوسه وأسهمه وقال : يا بنى ضبة ؛ أبى أنتم وأمى ! مرونى بأمركم وما تريدون أن أصنع ،

(١) يا صباها : كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للفارة ؛ لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الفارة يوم الصباح ؛ فكان القائل : يا صباها ! يقول : قد غشنا العدو (لسان العرب - مادة صبح) .

فقالوا : عليك براوية^(١) القوم فإنما هي أنفُسهم ، وقد اشتد الحر - وكانوا قد جَمَعُوا ما كان معهم من ماء على جل لهم - فأهوى أُرطاة للجمل الذى عليه الماء بَسْمهم ، فوضعه فى سالفته^(٢) فقطع نخاع الجمل ، فتَجَمَّب^(٣) الجمل على جِرَّانه^(٤) ، وانقَدَّت الزادتان اللتان عليه .

فلما رأى أصحاب بسطام من شيان أن الماء قد هُرِيق سَقِط فى أيديهم ، واستأسروا ثم ألقوا السلاح .

وكان عاصم بن خليفة الصَّبَّاحى أحد بنى ضبة رجلاً طُرُفة^(٥) ، وكان يصنع حديدة له قبل الغزو ، فيُقال له : ما تصنعُ بها يا عاصم ؟ فيقول : أَقْتُلُ بها بسطاماً ، فيهزءون منه . فلما جاء الصريخ بنى ضبة أَسْرَجَ أبو عاصم فرسه ، ثم جعل يشدُّ أزرار الدرع عليه ، فبادره ابنه عاصم وركب فرسَ أبيه فناداه أبوه مراراً ، فجعل لا يلتفت إليه ولا يجيبه ، وسار حتى لحق الفرسان ، ثم سأل رجلاً من فرسان بنى ضبة : أيهم الرئيس ؟ بأبى أنت ؟ فقال : حاميتُهم صاحب الفرس الأدهم - وكان بسطام يحمى قومه فى أخريات الناس على فرس يقال له الزعفران - فعارضه عاصم حتى حاذاه ، ثم حمل عليه فطعنه بالرمح فى صَباخ أذنه ، وأنفذ الطعنة إلى الجانب الآخر ، وهو مُعْتَجِر بِمُلاءة صفراء ، ثم نزل إليه عاصم لِيَسْلُبَهُ ، فقال له بسطام : إنك قد أحرزت سَلْبِي فعليك غيرى . ثم وقع رأسه على الألاء^(٦) من شجر الرمل فات .

فلما رأت ذلك بنو شيان خلَّوْا سبيل النعم ، وولَّوْا الأدبار ، فن قَتِيل وأسير .



(١) الراوية : الزادة فيها الماء ، والبعر والبغل والحمار يستقى عليه (٢) السالفة : ما تقدم من العتق (٣) تجمب : انقلب (٤) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره (٥) طرفة : أحمق (٦) الألاء : شجر مر .

وكان عبدُ الله بن عَمَّة الضَّبِّي مُنْقَطِعًا إِلَى بنى شَيْبَانَ بِمَوَدَّتِهِ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا أَخْوَالَهُ
وكان يَفْزُو مَعَهُمُ الْمَغازِي ، فَلَمَّا مَاتَ بِسَطَام خَافَ أَن يُقْتَلَ ، فَقَالَ يَرِثِيهِ :
لَأُمُّ الْأَرْضِ وَبَيْلٌ ، مَا أَجَنَّتْ ؟ بِحَيْثُ أَضَرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ (١)
يُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ (٢)
أَجِدْكَ لِنِ تَرْيَهُ وَلِنِ نَرَاهُ تَحْبُّ بِهِ عُدَايَرُهُ دُمُولُ (٣)
حَقِيقَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَعَارِضُهَا مُرَبَّةٌ دَهُولُ (٤)
إِلَى مِيعَادِ أَرْضٍ مُكْفَهَرٍ تَضَمَّرُ فِي جَوَانِيهِ الْخِيُولُ (٥)
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالْعَصَابَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ (٦)
أَفَاتَتْهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرِو وَلَا يُوْفَى بِسَطَامٍ قَتِيلُ (٧)

(١) ما : استفهامية ، وأجنت : سترت ، أضر : دنا ، والحسن : جبل رمل . والمعنى : ويل
للأرض كيف سترت رجلا عظيما بمكان قرب فيه الطريق من الجبل المسمى الحسن
(٢) أبَا الصَّهْبَاءِ : كنية بسطام ، والأصيل : العشية ، وهو وقت الأضياف (٣) أجدك :
أجد منك ، وتحب : تمنى الحب ، والمذافرة : الفليضة ، والدمول : السريسة ، والتنى الأول
رؤيته في السلم ، والثاني لرؤيته في الحرب (٤) الحقية : ما يجعل وراء الرجل ، والبدن :
الدرع ، والمرية : السمينة ، والدعول : من الدولان ، وهو نوع من السير . والمعنى : وراء رجل
هذه أناقة درع وسرج ، تعارضها ناقة ممينة (٥) الأرعن : الجيش الكفيف لأنه أنف
في الجبل ، والمكفر : الكربة النظر ، وتضمر : تلف القوت القليل بعد السن ، والمعنى تسمير
الناقة به إلى ميعاد جيش كئيف (٦) المرباع : ربع الفئسة ، وكان الرئيس يأخذه حقا له عند
الغزو ، والصفايا : جمع صفية ، وهى أشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما ينفق ، والنشيطه :
ما أسابه الجيش في طريقه من قبل أن يصل إلى مقصده ، والفضول : ما فضل ولم ينقسم ، والمعنى أن
المفقود كانت له إمارة تسوغ له مالا تسوغ لغيره (٧) أفات : تمتد إلى مفعولين ، واحدهما
محذوف ، كأنه قال : أفاتت الناس بنو زيد بن عمرو بسطاماً ، أى الانتفاع به ، وكأنتهم ضيموا
دمه ولا يوفى بدمه دم قتيل .

وخرَّ على الألاءِ لم يُوسدْ كأنَّ جبينه سيفٌ صَقِيلٌ^(١)
فإن تَجَزَّعَ عليه بنو آية فقد فُجِّمُوا وفاتهمُ جليلٌ
يُعطَّمُ إذا الأشوال^(٢) راحت إلى الحجراتِ ليس لها فصِيلٌ



وقالت شَمْعَمَةُ بنت الأَخْضَرِ بن هُبيرة :

ويومَ شقيقةِ الحُسَيْنِ^(٣) لَأَتَّ بنو شِيانَ آجالاً قِصاراً
شكَّنَّا بالأَسِنَّةِ وهى زورٌ^(٤) صِمَاحِي كَبَشِهِمْ حتى اسْتَدَارَا
وأُوجِرْنَا^(٥) أَسْمَرَ ذَا كُؤُوبٍ يُشَبُّ طُولُهُ مَسَدًا^(٦) مُفَارَا
فخرٌ على الألاءِ لم يُوسدْ وقد كان الدماه له رِخارَا

وقال مُحَرِّزُ بن المَكْتَمِ الضُّبِّي ، يفخر بفعال بنى ضبة :

أُطْلِقْتُ من شِيْبَانٍ سَبْعِينَ عَازِنًا فآبُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ ليس يَشْكُرُ
إذا كُنْتَ في أَفْئَاءِ شِيانٍ مُنْعِمًا فَجَزَّ اللَّحَى إِنْ النُّوَاصِي تَكْفُرُ
فَمَلَّ نِيْمًا أَنْ تُغَيَّرَ عَلَيْكُمْ بِجَيْشٍ وَعَلَى أَنْ أُغَيَّرَ فَأَقْدِرُ
فلا شُكْرُكُمْ أَبْنَى إِذَا كُنْتَ مُنْعِمًا ولا وُدُّكُمْ في آخِرِ الدَّهْرِ أَضْمِرُ

(١) الألاء : شجرة ، وشبه ببينه لصفاته وانحسار الشعر عنه بسيف مصقول ، أى لم يكن أغم ،
والفم عندم مذموم (٢) الأشوال : الشول من النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها ، وآى
عليها سبعة أشهر من يوم تاجها أو ثمانية فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن : أى بقية مقدار
ذلك ما كانت تحلب حدثان تاجها ، واحدها شائلة والأشوال جمع الجمع (٣) الحسنان : تقوان
من رمل بنى سعد ، وهذه رواية اللسان ، ورواية النقائض : ويوم شقائق الحسين (٤) رواية
النقائض : * شككنا بالرماح وهن زور * وهي زور : يعنى الخيل ، وزور : جمع
أزور من الزور ، وهو الليل (٥) أوجره الرمح : طعنه به فى فيه (٦) مسدا مفاراً :
حبلاً شديد القتل .

وقالت أم بسطام :

لبيك ابن ذى الجدين بكر بن وائل
إذا ما غدا فيهم غدوا وكانهم
فله عيناً من رأى مثله ففى
عزيز الكرى لا يهد جناحه
وحال أنقال وعائد مجير^(١)
سبيك عان لم يجد من يفكه
وتبيك أسرى طالما قد فككتهم
مفرج حومات الخطوب ومدرك
لبيك بان منها زينها وجمالها
نجوم سماء بينهن ملالها
إذا الخيل يوم الرقع هب نزالها
وليت إذا الفتيان زلت نعالها
تحمل إليه كل ذاك رحالها
وسبيك فرسان الوغى ورجالها
وأرملة ضاعت وضاع عيالها
حروب إذا صالت وعز سبالها

(١) الجبر : الضطر اللبأ .

٣- يوم بزاخة

أغار مُحَرِّقُ الفِلساني ، وأخوه في إِيَادٍ^(١) وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضَبَّةَ بنِ أَدِّ بِزَاخَةَ ، فاستاقوا النِّعَمَ ، فَأَتَى الصَّرِيحُ بَنِي ضَبَّةَ فَرَكَبُوا فَأَادَرَكُوهُ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً ؛ ثُمَّ إِنَّ زَيْدَ الْفَوَارِسِ حَمَلَ عَلَى مُحَرِّقٍ فَأَعْتَقَهُ وَأَسْرَهُ ، وَأَمَرُوا أَخَاهُ^(٢) حُبَيْشَ بْنَ دَلْفِ السَّيْدِيِّ ، فَقَتَلَهُمَا بَنُو ضَبَّةَ ، وَهَزِمَ الْقَوْمُ ، وَأَصِيبَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ الْقَائِفِ أَخُو بَنِي ثَعْلَبَةَ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مَمْلُوكَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ :

نِعْمَ الْفَوَارِسُ يَوْمَ جَبِيشٍ مُحَرِّقٍ لِحَقُوا وَهُمْ يَدْعُونَ بِآلِ ضِرَارِ
زَيْدُ الْفَوَارِسِ كَرَّ وَابْنًا مُنْذِرٍ وَالْخَيْلُ أَوْجَفَهَا^(٣) بَنُو جَبَّارِ
حَتَّى سَمَوْا لِمُحَرِّقٍ بِرِمَاحِهِمْ بِالْعَطَنِ بَيْنَ كِتَابِ وَغُبَارِ



يَوْمِي بِفُرَّةٍ كَامِلَةٍ وَبَنَحْرِهِ خَطَرَ النَّفُوسِ وَأَتَى حِينَ خِطَارِ
لَمَّا رَأَوْا يَوْمًا شَدِيدًا بِأُسِهِ كَرَةَ الْحَيَاةَ وَشُقَّةَ الْأَسْفَارِ
وَكَأَنَّ زَيْدًا زَيْدَ آلِ ضِرَارِ لَيْثٌ بِكَفَيْهِ النِّيَّةَ ضَارِ

• لُصْبَةُ عَلَى إِيَادٍ ، وَبَزَاخَةُ : مَاءٌ

الْقَائِفُ ص ١٩٥ طَبْعُ أَوْرَبَةِ

(١) إِيَادٍ : شُعْبُ عَدْنَانٍ ، أَبُو مِمْلُوحٍ بْنِ مَعْدٍ بْنِ عَدْنَانَ ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ قِبَائِلٌ مَشْهُورَةٌ

(٢) كَانَ يُقَالُ لِأَخِي مُحَرِّقٍ فَارِسٍ مُرْدُودٍ (٣) أَوْجَفَ دَابَّاهُ : إِذَا حَشَاهُ .

وَكَاثُ أَنْارِ الْفَرِيبِ عَلَيْهِمْ وَمَكْرَهُ يَوْمًا مُطَافُ دُؤَارِ
جَمَلُوا لِمَا فِي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقَمَّةَ صَرَغَى تَفَوَّزُ فِي قَنَا أَكْسَارِ
وَلَعَمْرُ حَدِّكَ مَا الرِّقَادُ بِطَائِشِ رَعِشَ بَدِيهَتِهِ وَلَا عَوَّارِ^(١)
لَوْلَا فَوَارِسُهُنَّ قِظْنُ عَوَاطِلَ فِي غَيْرِ مَا نَسَبِ وَلَا إِصْهَارِ

(١) العوار : الضعيف الجبان السريع القراو .

٤- يَوْمَ دَارَةِ مَاسِلَ

غزا عُتْبَةُ بْنُ شُتَيْرٍ بْنُ خَالِدِ الْكِلَابِيِّ بَنِي ضُبَّةَ ، فاستاقَ نَعَمَهُمْ ، وقتلَ حصنَ ابنِ ضرارِ الضُّبِيِّ زَيْدًا^(١) الفوارسَ - وكان يومئذ حدثاً لم يُذكر .

فجمع أبوه ضرارُ قومه ، وخرج ثائراً على بني عَمْرُو بْنِ كِلَابٍ ، فأفلت منه عتبة ابن شُتَيْرٍ ، وأسرَ أباه شُتَيْرَ^(٢) بن خالد - وكان شيخاً كبيراً - فأتى به قومه وقال : يا شُتَيْرُ ؛ اخترْ واحدةً من ثلاث ، قال : اعرضها عليّ ، قال : إما أن تردَّ ابني حصيناً قال : فإني لا أنشرُ الموتى ، قال : وإما أن تدفع لي ابنتك عُتْبَةَ أقتله به ، قال : لا ترَضَى بذلك بنو عامر أن يدفعوا فارسهم شاباً مقبلاً بشيخ أعور ، هامة^(٣) اليوم أو غد . قال : وإما أن أقتلك ، قال : أما هذه فنعم . فأمر ضرارُ ابنه أذهم أن يقتله ، فلما قدَّمه ليضرب عنقه ، نادى شُتَيْرُ : يا آل عامر ؛ صَبْرًا^(٤) بصبيٍّ ! كأنه أَرَفَ أن يُقتل بصبي .

فقال في ذلك شملة :

وخيَرنا شُتَيْرًا مِنْ ثَلَاثٍ وما كان الثلاث له خِيَارًا
جعلت السيف بين اللَّيْتِ مِنْهُ^(٥) وبين قُصَاصٍ لَمَّتِهِ عِذَارًا^(٦)

* لُصْبَةُ عَلَى بَنِي عَامِرٍ ، ودَارَةُ مَاسِلَ : ماء لقيط

العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، معجم البلدان (مادة دَارَةُ مَاسِلَ) .

(١) زيد القوارس : شاعر جاهلي ، وكان فارساً رئيساً على قومه ، شهد يوم القريتين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيد القوارس كان فارسهم ، ولنا قيل : زيد القوارس

(٢) في اللسان: شتير بن خالد : رجل من أعلام العرب كان شريفاً قال :

أوالب لا فانه شتير بن خالد عن الجهل لا يفرركم بأنام

(٣) يقال : فلان هامة اليوم أو غد ؛ إذا أشرف على الموت (٤) أي أقتل صبراً بصبي

(٥) الليت بالكسر : صفح المنق (٦) وفي ذلك يقول مرو بن لجأ :

لا تهج ضبة يا جريز فإنهم قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل
قتلوا شعباً ببن غول وابنه وابني هشيم يوم دارة ماسل

٥- يَوْمُ النَّقِيعَةِ

كَانَ الْمُثَلَّمُ بْنُ الشَّخْرَةِ الْمَائِذِيُّ الضَّبِّيُّ ^(١) مجاوراً لبني عبس، فتقامر ^(٢) هو وعمارَة ابن زياد المبسي بالقِداح ^(٣)، فقمره ^(٤) عمارَة، حتى حصل عليه عشرة بكار ^(٥)، فقال له المثلَّم: هلمَّ أزايدك في المقارعة حتى تزيدَ عليَّ، أو أخطأ بعضَ ما عليَّ! فقال له عمارَة: ما أنا بفاعلٍ؛ ما أريدُ أن أزيدَ عليك، وقد عجزتَ، وما أريدُ أن أخطأ عنك شيئاً قد ركبتهُ عليك.

فقال له المثلَّم: خلَّ غني حتى آتَى قومي فأبثَ إليك بالذي لك عليَّ؛ فأبى عمارَة إلا أن يرثهِنَّ. فرهنه ابنه شِرْحاف، وخرج حتى أتى قومه، فأخذ البكارَ فأبى بها عمارَة، وافتكَّ ابنه.

فلما انطلقَ بابنه قال له في الطريق: يا أبتاه؛ مَنْ مِمَّضَال؟ قال: ذلك رجلٌ من بني عمِّك ذهب فلم يوجد إلى الساعة، ولم يحسس له أثر. قال شِرْحاف: فأبى قد عرفتُ قاتله. قال أبوه: وَمَنْ هو؟ قال: هو عمارَة بن زياد المبسي،

* لضبة على عبس، والنقعة: أرض تنبت الشجر، بين بلاط سليط وبين ضبة. وبسي هنا اليوم أيضاً يوم أعيار.

النفائس من ١٩٣ طبع أوربة، ابن الأثير من ٣٩٤ ج

(١) من ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مدركة (٢) تقامر: تراهن

(٣) القداح: جمع فدح وهو ما كان يلعب به الميسر (٤) قره: خلبه

(٥) البكار: جمع بكرة، وهي الفتية من الإبل.

سمعتُه يحدث القوم يوماً - وقد أخذ فيه الشراب - أنه قتله ثم لم يكن له
ناشد .

ولبثوا بعد ذلك حيناً ، وشبَّ شرحاف ؛ ثم إن عُمارَةَ بن زياد جمع جمعاً
عظيماً من بني عبس ، فأغار بهم على بني ضَبَّة ، فأطردوا إبلهم ، وركبت عليهم
بنو ضَبَّة ، فأدركوهم في الرَّمْعَى ؛ فلما نظر شرحاف إلى عُمارَةَ قال : يا عمارَةَ ؛
أتعرفني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا شرحاف بن المثلَم ، أدَّ إلى ابنِ عمي مِمضَلاً
لا مثله يوم قَتَلْتَه .

قال عُمارَةُ : يا شرحاف ؛ اذكر اللَّبْنَ^(١) ، قال شرحاف : الدَّمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ
اللَّبَنِ ، ثم حمل عليه فقتله ، وهزم جيشه واستنقذ الإبل .

ففي ذلك يقول المثلَم بن المشخَرَة :

إِن تُنْكِرُونِي فَأَنَا الْمُثَلَّمُ فارسُ صدقٍ يوم تَنْصَاح الدَّمِ
بِشِكَّتِي^(٢) وفرس مُصَمَّمٌ^(٣) طَعْنَا كَأَفْوَاهِ الزَّادِ^(٤) الْمُصَمَّمِ

وقال شرحاف :

أَلَا أَبْلَغُ سَرَاةَ بَنِي بَنِيضٍ^(٥) بما لَاقَتْ سَرَاةُ بَنِي زِيَادٍ^(٦)
وما لَاقَتْ جَذِيمَةَ إِذْ تُحَايِي وما لَاقَى الْفَوَارِسُ مِنْ بِيحَادٍ^(٧)

(١) اللبن : إبل لها لبن ، وهو يريد الدية ، وفي حديث أمية بن خلف لما رآهم يوم بدر
يقتلون قال : أما لكم حاجة في اللبن ، أي تأسرون فتأخذون فداءهم إبلهم . (٢) الشكة :
السلاح . (٣) المصمم : القرس الشديد الصلب ، والذكر والأنثى فيه سواء .
(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي الراوية ، ولا تكون إلا من جلد . (٥) بنيض بن ريث
ابن فطكان . (٦) بنو زياد : الريح بن زياد العبسي وإخوته ، ويسمون الكملة .
(٧) جذيمة وبجاد : بطنان في عبس .

تَرْكُنَا بِالنَّقِيعَةِ آلَ عَبَسَ شَعَاعًا يُفْتَكُونَ بِكُلِّ وَادٍ
وَمَا إِن فَاتَنَّا إِلَّا تَرِيدُ يَوْمُ الْقَفْرِ فِي زِينَةِ الْبِلَادِ
فَسَلَّ عَنَّا عُمَارَةُ آلِ عَبَسَ وَسَلَّ وَرَدَّا وَمَا كُلُّ بَدَادٍ (١)
تَرْكَنَهُمْ بَوَادِي الْبَطْنِ رَهْنَا لِسَيِّدَانِ الْقَرَارَةِ وَالْجِلَادِ (٢)

(١) بِنَادٍ : أَي مُتَبَدِّدِينَ (٢) السَّيِّدَانِ : جَمْعُ سَيِّدٍ وَهُوَ الذَّنْبُ . وَالْقَرَارَةُ : الْمَطْنُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْجِلَادُ : جَمْعُ جِلْدٍ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْمَتْنُ .

١. أيام متفرقة

- ١- يوم جديس
- ٢- ذات الأشل
- ٣- صوءر

١. بيوم جديس

كانت منازلُ طَسَم في موضع اليمامة ، وكان يملكهم عمليق ، وكانت معهم جديس ، ولكن عمليقاً في أول مملكته قد تَمَادَى في الظُّلم والغشَم^(١) والسيرة بغير الحق .

وكانت امرأة من جديس يقال لها هزيلة ، ولها زوج يقال له ماشق ، فطلقها وأراد أخذَ وَلَدِهَا منها ، فخاصمته إلى عمليق ، فقالت : « يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ إِنِّي حَمَلْتُهُ تَسْعًا ، وَوَضَعْتُهُ دَفْعًا ، وَأَرْضَعْتُهُ شَفْعًا ؛ حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أَوْصَالُهُ وَدَنَا فِصَالَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي كَرهًا ، وَيَتْرَكْنِي مِنْ بَعْدِهِ وَرَّهَا^(٢) » .

فقال لزوجها: مَا حُجَّتُكَ ؟ قال : « حُجَّتِي أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنِّي قَدْ أُعْطِيتُهَا الْمَهْرَ كَامِلًا ، لَمْ أُصِبْ مِنْهَا طَائِلًا ، إِلَّا وَلِيدًا خَامِلًا ، فافْعَلْ مَا كُنْتَ فَاعِلًا » . فَأَمَرَ بِالْغُلَامِ أَنْ يُنَزَعَ مِنْهَا جَمِيعًا ، وَيَجْعَلَ فِي غِلْمَانِهِ . فَقَالَتْ هَزِيلَةُ :

أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا فَأُنْفَذَ حُكْمًا فِي هَزِيلَةَ ظَالِمًا

لِعَمْرَى لَقَدْ حُكِّمْتُ لَا مَتَوَرِّعًا وَلَا كُنْتُ فِيهَا يُبْرِمُ الْحَكْمَ عَالِمًا

نَدِمْتُ وَلَمْ أُنْدَمْ وَأَنْتَ لِعَمْرَى وَأَصْبَحَ بَمَلِي فِي الْحُكُومَةِ نَادِمًا

فلما سمع عمليق قولها أمر ألاَّ تَزَوَّجَ بِكَرٍ مِنْ جَدِيسٍ وَهَدَى إِلَى زَوْجِهَا حَتَّى يَرَاهَا هُوَ قَبْلَ زَوْجِهَا ، فَلَقُوا مِنْ ذَلِكَ بَلَاءَ وَجْهًا وَذُلًّا ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلْ هَذَا حَتَّى

* لجديس على طسم ، وطسم وجيس ؛ من العرب البائدة

قصص العرب ص ٢٣٤ ج ٤ ، ابن الأثير ص ٢٠٣ ج ١ ، خزائن الأدب ص ٢٣٥ ح ٢ ،

مذهب الأغاني ص ١ ج ١

(١) الغشَم الظلم (٢) وره - كفرج : حق .

زُوجَت الشَّمْسُوسَ ، فلما أرادوا سَحْلَهَا إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ومعهما القِيَانُ
بَتَفْنَيْنَ :

أَبْدَى بِعَمَلِيقَ وَقَوَى فَارَكَبِي وَبَادِرِي الصَّبْحَ لِأَمْرِ مُعْجَبٍ
فَسَوْفَ نَلْقَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي وَمَا لِمَكْرِ عِنْدَهُ مِنْ مَهْرَبٍ
فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهَا ، فَخَرَجَتْ إِلَى قَوْمِهَا شَاقَّةً دِرْعَهَا وَهِيَ فِي أَقْبَحِ
مَنْظَرٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسٍ أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ
يَرْضَى بِهِذَا يَا قَوَى حَرًّا أَهْدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ الْمَهْرِ
لَا خُذَّةُ الْمَوْتِ كَذَا لِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ ذَا يَمْرِئِهِ
وَقَالَتْ تَحَرَّضْ أَهْلَهَا فِيمَا أَتَى إِلَيْهَا :

أَيَجْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتَيَاتِكُمْ عَشِيَّةُ زُفْتٍ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَعْلِ
وَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نُقَرُّ بِذَا الْفَعْلِ
فَوُتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وَدَبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ
وإِلَّا فَخَلُّوا بَطْنَهَا ، وَتَحَمَّلُوا إِلَى بَلَدٍ قَفِيرٍ وَمُوتُوا مِنَ الْمَزَلِ
فَلَلْبَيْنُ خَيْرٌ مِنْ تَمَادٍ عَلَى أَذَى وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى الدُّلِ
وإنْ أَنْتُمْ لَمْ تَقْضُوا بِمَدِّ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً لَا تَعَابِ مِنَ الْكُحْلِ
وَدُونَكُمْ طِيبُ الْعُرُوسِ فَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِأَثْوَابِ الْعُرُوسِ وَلِلنَّسْلِ
فَبُعْدًا وَسُخْفًا لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعًا وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الْقَحْلِ

فلما سمع أخوها الأسود - وكان سيِّدًا مُطَاعًا - قال لقومه : يامعشر جديس ۞

(١) قد كان يقال لها الشَّمْسُوسُ أَيْضًا .

إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا هجرنا وإذهاننا^(١) ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف ؛ فأطيعوني فيما أمركم به ، فإنه عزُّ الدهر ، وذهاب ذلِّ العمر ، واقبلوا رأيي . وقد أحمى جديسًا ما سمعوا من قولها ، فقالوا : نُطيعك ، ولكنَّ القوم أكثر وأحمى وأقوى . قال : فإني أصنعُ للملك طعاما ، ثم أدعوهم له جميعا ، فإذا جاءوا يرفلون في الحلل تُرنا إلى سيوفنا ، فأحمدناهم بها . قالوا : نفعل .

وصنعَ طعامًا كثيرًا ، وخرج به إلى ظهر بلادهم ، ودعا عمليقا ، وسأله أن يتغذى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك ، وخرج إليه مع أهله يرفلون في الحلى والحلل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ، ومدَّوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ؛ فشده الأسود على عمليق فقتله ، وكلُّ رجلٍ منهم على جليسه حتى أماتوهم ؛ فلما فرغوا من الأشراف ، شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحداً ، وقال الأسود في ذلك :

ذوقِ بَيْفِيكَ يا طسم مجلَّةً فقد أتيتَ لعمري أعجبَ العجَبِ
إنا أتينا فلم ننفكْ نقتلهم والبقى هيجَ منا سورةَ الغضبِ
ولن يمودَ علينا بفيهم أبداً ولن يكونوا كذي أنفٍ ولا ذنبِ
وإن دعيتَ لنا قرُبي مؤكدة كنا الأقاربَ في الأرحام والنسبِ

(١) الإذهان : لإظهار خلاف ما يضمره النفس .

٢- يَوْمَ ذَاتِ الْأُتْلُ

غزا صخر بن عمرو بن الشريد السلمي بني أمد بن خزيمه ، واكتسح إبلهم ، فأتى الصَّرِيخَ^(١) بني أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأتْل^(٢) فاقتتلوا قتالا شديداً ، وطمعن ربيعة بن نور الأسدي صَخْرًا في جنبه وفات القومُ بالفنيمة ، وجَوَى^(٣) صخر من الطَّامِنَةِ ، فكان مريضاً قريباً من الحول ، حتى ماته أهلُه .

وفي أحدِ الأيام سمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته : كيف بَمُلك ؟ قالت : لا حيُّ فيرجى ، ولا ميتٌ فينسى ؛ لقد لقينا منه الأمرَ^(٤) . ثم سمعها تسأل أمه كيف صخر ؟ فقول : أرجو له المافية ، فقال في ذلك :

أرى أمَّ صخر لا تملَّ عيادتي وملتَ سُلَيْمى مضجى ومكاني
وما كنت أخشى أن أكونَ جَنَازَةً^(٥) عليكِ ومنَ يَفْتَرُ بالحدَثانِ ؟
أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعه وقد حِيلَ بين العيرِ والنَّزوانِ^(٦)

* لأسد على سليم ، وذات الأتْل : موضع في بلاد نعيم الله بن ثعلبة
العقد الفريد ص ٣٢٢ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٠ ج ١٣ ، خزانة الأدب للبغدادي ص ٢٩٢
(١) الصرِيخ : السنينب (٢) ذات الأتْل : موضع في بلاد نعيم الله بن ثعلبة وقد سماها الشاعر بقوله :

فإن ترجع الأيام بيني وبينكم بنى الأتْل مثل صيفي وصربي
أشدُّ بأعناق النوى بعد هذه صرائر إن جاذبتها لم تطع

(٣) الجوى مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقبل هو داء يأخذ في الصدر - جوى (كفرج) (٤) الأمران : الشر والأمر العظيم ؛ كما في اللسان (مادة مر) (٥) إذا أنقل المريض على قومه يقال : هو جنازه عليهم ، جاء هذا المعنى في لسان العرب مادة (جنز) وأورد هذا البيت شاهداً على ذلك المعنى (٦) العير : الحمار الوحشي والأهل . والنزوان : الثوب .

لمرى لقد نهتُ من كان نائماً وأسمتُ من كانت له أذنان
وللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها محلَّةٌ يَمُوتُ برأس سنان^(١)
وأى امرئٍ ساوى بأمرٍ حليَّة^(٢) فلا عاش إلا فى شقاء وهوان

فلما طال عليه البلاء - وقد نتأت قطعة مثل السكبد فى جنبه فى موضع الطعنة -
قالوا له : لو قطعناها لرجوت أن تبرأ ، فقال : شأنكم ، فأشفق عليه بعضهم ؛ فهو
قأبى . وقالو : الموت أهون على مما أنا فيه ، فأخموها له شفرة ، ثم قطعوها من نفسه ،
ثم جاءت أخته الخنساء فقالت : كيف صبره ، فقال صخر فى ذلك :

أجارتنا إن الخطرب تنوب على الناس كل المخطئين تصيب
فإن تسألينى هل صبرتُ فإننى صبورٌ على ريب الزمان صليب
كأنى وقد أدنو أدنوا إلى شفارهم من الصرداى الصفحَيْنِ^(٣) ركوب
أجارتنا لست الفداة بظاعنٍ ولكنى مقيم ما أقام عسيب^(٤)
ثم لم يلبث أن مات ، ، ودفن بعسيب .
فقال الخنساء تربية :

أهينى جوداً ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرىء الجليل ألا تبكيان الفتى السيِّداً
طويل النجاد رفيع العمأ د ساد عشيرته أمرداً
إنا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يداً
فقال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مُصمداً
يكلفه القوم ما طالمهم وإن كان أصغرهم مولداً
ترى الحمد يهوى إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يُجمداً

(١) اليسوب: السيد والرئيس . قال فى اللسان : المعنى أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان ،
يعنى : أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت . (٢) الحليَّة : الزوجة . (٣) الصفحة من
الرجل : جنبه . والركوب : كثر الركوب . (٤) عسيب : اسم جبل بباله نجد .

٣- بيوم صوءر

أُجْدَبَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَصَابَتْ بَنِي حَنْظَلَةَ ^(١) سَنَةٌ ، فَبَلَنَهُمْ خِصْبُ بِلَادِ كَلْبٍ ^(٢) بَن وَبَرَّةَ ، فَانْتَجَمَ بَنُو حَنْظَلَةَ ، فَزَلُّوا صَوَّءَر ، وَكَانَتْ بَنُو يَرْبُوعٍ قُدَّامَ النَّاسِ ، فَزَلُّوا أَقْصَى الْوَادِي ، وَتَسَرَّعَ غَالِبٌ ^(٣) بَن صَمْعَةَ فِيهِمْ وَحْدَهُ ، دُونَ بَنِي مَالِكِ بَن حَنْظَلَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَ بَنِي يَرْبُوعٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ غَالِبٍ ، فَلَمَّا زَلُّوا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ لُخْبِسَ مِنْهَا نَاقَةٌ كَوْمَاءً ^(٤) فَفَنَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا .

فَقَالَ أَنَسٌ: لَيْسَ فِينَا مِنْ بَنِي مَالِكٍ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَقَدْ نَحَرُ وَلَمْ نَفْجُرْ ؛ فَقَالُوا لِسُحَيْمِ بْنِ وَرَيْثِلٍ ^(٥) الرِّيَاحِي: انْحَرْ ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ حَبَسَ مِنْهَا نَاقَةً فَفَنَحَرَهَا مِنْ الْفَدْرِ فَأَطْعَمَهَا .

* لبني حنظلة على بني رباح (كلاهما من تميم) . وصوءر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام ، وهو من الأيام التي آثرنا ذكرها في هذا الجزء ، وإن كانت تتصل من حيث الزمن بالإسلام .
تخرانة الأدب ص ٢٤٣ ج ١ و ص ٥٢ ج ٣ ، الأغاني ص ٥٩ ج ١٩ ، الفائق ص ٢١٤ ،
١٠٧٠ طبع أوربة ، ذيل الأمالي ص ٥٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٠ ج ٣ ، قصص العرب ص ١١٦ ج ٣ ، معجم البلدان ص ٣٩٥ ج ٥ .

(١) م بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة (من تميم) (٢) كلب بن وبرة: قبيلة في قضاة، وقضاة من حمير في رأي بعض النساين (٣) غالب بن صمصة أبو الفرزدق الشاعر ، من بني مالك بن حنظلة ، وأبوه صمصة محبي الموءودات ، وخبره فيها مشهور ، وقد وفد غالب على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومهر حق لحق على بن أبي طالب بالبصرة ، ومات في إمارة يزيد وملك معاوية (٤) الكوماء : الناقة الضخمة السنام (٥) رباح : قبيلة في يربوع ، وسحيم ابن وثيل : شاعر معروف في الجاهلية والإسلام ، وعده ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، وقال عنه : شاعر خنذيد شريف مشهور الذكر في الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع في قومه .

قِيلَ لِنَالِبٍ : إِنَّمَا نَحْرُ^(١) سَحِيمٍ مَوَاءَمَةٌ^(٢) ؛ فَضَحَكَ غَالِبٌ ، وَقَالَ : كَلَّا ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ كَرِيمٌ ، وَسَوْفَ أَنْظُرَ .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا نَاقَتَيْنِ فَنَحَرَهُمَا فَأَطْعَمَهُمَا ، فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ سَحِيمٍ نَحَرَ نَاقَتَيْنِ فَأَطْعَمَهُمَا ، فَقَالَ غَالِبٌ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يُوَأْمَنِي .

فَلَمَّا وَرَدَتْ إِبِلُ غَالِبٍ حَبَسَ مِنْهَا عَشْرًا فَمَقَلَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ فَجَمَلَ يَنْحَرَهَا فَانْفَلَتَتْ نَاقَةٌ مِنْهَا ، فَاِنْشَامَتْ^(٣) فِي بَنِي يَرْبُوعٍ ، فَرَكَبَ غَالِبٌ فَرَسَهُ ، فَأَدْرَكَهَا عِنْدَ بَيْتِ الْخُرْمَاءِ^(٤) ، وَكَانَتْ امْرَأَةُ الْهَذَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عُتَيْبَةَ ، فَمَعَرَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ^(٥) فِي سَبِيلِهَا ، فَقَالَتْ الْخُرْمَاءُ : مَا لَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ؟ فَقَالَ : دُونَكَ فَاجْتَرَيْهَا ، فَإِنِّي لَا أَشْتُمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ أَجْزِيهَا ، فَسَأَلَتْ مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا غَالِبُ بْنُ صَمْعَمَةَ . فَقَالَتْ : وَسَوْءَ تَاهٍ !

وَرَجَعَ غَالِبٌ فَصَبَّ قُدُورَهُ ، وَغَاطَ ذَلِكَ بَنِي يَرْبُوعٍ ، فَأَتَوْا سَيِّدَهُمُ الْهَذَلِيَّ ، فَتَجَمَّعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا تَرَى ؟ قَدْ فَضَخْنَا هَذَا ، وَصَنَعَ مَا تَرَى ، فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ الْهَذَلِيُّ : أَرَى أَنَّ تَأْتُوهُ فَتَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَنْحَرُوا كَمَا نَحَرُ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ صُنْعِهِ . قَالُوا : لَا ، بَلْ إِذَا فَرِغَ مِنْ قُدُورِهِ عَدَوْنَا فَكَفَأْنَاهَا بِمَا فِيهَا فَفَضَخْنَاهُ ؛ وَإِنِ بَنِي مَالِكٍ حُلَمَاءُ رُجِّعُ فَنَاتِيهِمْ ، فَنَقِرْ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ فَيَمْفَرُونَ لَنَا . قَالُوا ذَلِكَ بِمَسْمَعٍ مِنَ الْخُرْمَاءِ ؛ فَتَقَنَّنَتْ بِمَلْحَفَتِهَا ، وَخَرَجَتْ مِنْ كَيْسَرِ بَيْتِهَا ،

(١) رَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي رِيَّاحٍ نَحَرَتْ إِنْ زَوَّجَتْ ابْنَهَا بِمَجْرَدٍ أَنَّ تَنْحَرُ جَزُورِينَ فَرُوجِنَهُ نَحَرَتْ جَزُورِينَ لَسْنَهَا ، فَوَافَقَ ذَلِكَ نَحْرَ غَالِبٍ فَظَنَّ أَنَّهُ مَوَاءَمَةٌ فَلَمَّحَ الْأَمْرَ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعْمَشُ :

فَكُنَّا بَغِيرَ قَبْلِ قَبْ عَجْرَدٍ وَقَبْلَ جَزُورِي أُمِّهِ يَوْمَ صَوْدَرِ

(٢) مَوَاءَمَةٌ : مَبَاهَاةٌ (٣) انْشَامَتْ : دَخَلَتْ (٤) هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ هُوَيْلٍ بْنِ الْقَطَّاعِ

(٥) كَتَبَ وَجَارَ ، وَالسَّبْلَةُ : مَوْضِعُ النَّحْرِ ، وَذَلِكَ الْمَسْكَنُ لَا يَخْلُو مِنْ شَعْرَاتِ هُنَاكَ .

فَأَتَتْ غَالِبًا ، فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ سِيرَ بِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ ! ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِمَا يَرِيدُونَ بِهِ .
 قَالَ : وَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَسْمَاءُ بِنْتُ عَوْفٍ ، وَإِنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَكْفُتُوا قُدُورَكَ
 بِمَا فِيهَا ، فَيَقْنَمُوكَ خِزْيَةً . فَقَالَ : هَلْ شَمَرَ بِكَ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ : فَارْجِعِي
 بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي !

فَحَمَلَ ابْنَهُ وَابْنَ أَخِيهِ لَهُ عَلَى فَرَسَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : خُذَا أَعْدَاءَ^(١) الْوَادِي ، فَانْظُرَا
 أَوَّلَ صَرَمٍ^(٢) تَرَيَانِهِ مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، فَعَلِيَّ بِهِ ، وَأَحْشُرَا مَنْ تَقِيْمَانِ مِنْهُمْ ، فَلَقِيَ
 أَحَدَهُمَا صَرَمًا مِنْ بَنِي فُقَيْمٍ ، وَلَقِيَ الْآخَرَ صَرَمًا مِنْ بَنِي سُبَيْعٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي طُهْمِيَّةَ ،
 فَحَشَرَاهُمْ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ ، حَتَّى تَزَلُّوا حَوْلَ غَالِبٍ ، وَاسْتَيْقِظَ الْهَذَلِيُّ
 فَقَامَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، فَإِذَا أُمِّيَاتُ وَرَجَالٌ لَمْ يَكُنْ عَهْدُهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَقَالَ : إِنِّي
 لَا تَعْرِفُ وَجُوهَهَا لَمْ أَرَهَا أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأُمِّيَّةٌ وَرَجَالًا ؛ فَبِعْتُ إِلَى بَنِي يَرْبُوعَ ، فَقَالَ :
 أَرُونِي مَا أَرَى ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : جَاءَ كُمْ قَوْمٌ يَنْمُونُ قُدُورَهُمْ ؛ أَلَيْسَ هَذَا فُلَانٌ ؟
 وَهَذَا فُلَانٌ ! أَفَتَرَوْنَ أَنْ تَقْتُلُوا هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِ جُرْمٍ ! قَالُوا : فَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : أَرَى
 أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، وَتَنْحَرُوا كَمَا يَنْحَرُ ، وَتَصْنَعُوا مِثْلَ مَا يَصْنَعُ .

فَقَعْدُوا فَأَكَلُوا مِنْ طَعَامِهِ ، ثُمَّ قَالُوا لِسُحَيْمٍ : اعْقِرْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَقُومُ
 لِنَحَارِي بَنِي مَالِكٍ ، إِنَّمَا أَقُومُ لِنَوَى كَاهِمٍ ، قَالُوا : إِنَّا نَرُفِدُكَ^(٣) . قَالَ : فَعَلَى بَنِي مَالِكٍ
 نُمُونُونَ بِالرَّفْدِ ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ أَمْوَالًا .

ثُمَّ وَرَدَتْ إِبِلُ سُحَيْمٍ ، فَقَعَرُ مِنْهَا خَمْسَ عَشْرَةَ أَوْ عَشْرِينَ فَضَحَكَ غَالِبٌ ؛ وَكَانَتْ
 إِبِلُ غَالِبٍ تَرْدُ الْخَمْسَ^(٤) ، فَجَاءَ غِلْمَتُهُ قَدْ جَبَّوْا^(٥) فِي حَيَارِضِهِمْ أَنْصَافَهَا ، فَقَالَ لَهُمْ :

(١) أَيْ نَاحِيَّتِهِ أَيْ أَنْتَ عَنْ يَمِينٍ وَأَنْتَ عَنْ شِمَالٍ هَاهُنَا وَهَاهُنَا (٢) الصَّرَمُ : الْجَمَاعَةُ

(٣) أَرْفَدَهُ : أَغَانَهُ (٤) الْخَمْسُ : مِنْ أَطْلَاءِ الْإِبِلِ ، وَهِيَ أَنْ تَرعى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَتَرُدَّ الرَّابِعَ

(٥) قَالَ فِي اللِّسَانِ : الْجَبَا ؛ أَنْ يَتَقَدَّمَ السَّاقِ لِلْإِبِلِ قَبْلَ وَرُودِهَا يَوْمَ فِيَجِي لَهَا الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ

ثُمَّ يَوْرِدُهَا فِي الْفَدِّ .

قَدْ كُفُّمُ^(١) الْآنَ ، فَقَدْ أَرَوَيْتُمْ . قَالُوا لَهُ : وَكَيْفَ أَرَوَيْنَا ؟ وَإِنَّمَا جَبَيْنَا فِي أَنْصَافِ
الْحِيَاضِ وَكُنَّا نَعْلُوها ثُمَّ لَا نَضِيطُهَا حَتَّى نَأْخُذَ عَلَيْهَا قَبْلاً^(٢) سَقِيًّا عَلَى رُءُوسِهَا فَتَنْسِقِيهَا !
فَقَالَ : بَلَى قَدْ أَرَوَيْتُمْ فَحَسْبُكُمْ .

فَلَمَّا حَانَ وِرْدُهَا لِبَسِ حُلَّتَهُ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَانْطَلَقَ مَعَهُ الْفَرَزْدَقُ .

قَالَ الْفَرَزْدَقُ : فَعَلَوْنَا صَوْمَرًا ، وَجَاءَتِ الْإِبِلُ فَأَمْسَلَتْ حَتَّى إِذَا أُدْبِرَتْ فَلَمْ يَبْقَ
مِنْهَا شَيْءٌ انْتَضَى سَيْفَهُ فَأَهْوَى لِمَرْقُوبِي آخِرِهَا ، فَفَعَّرَنَ لَمَّا رَأَيْنَ الدَّمَ ، وَوَجَدَنَ
رِيحَهُ ؛ فَذَعِرْنَ فَأَقْبَلْنَ حَتَّى أَطْفَنَ بِالْحِيَاضِ نَوَافِيرَ عِطَاشًا ، وَأَقْبَلَ فِي أَثَرِهَا ؛ فَلَمَّا
لَحِقَهَا جَمَلٌ يَقُولُ : عَقْرَاءُ عَقْرَاءُ ، وَيَقُولُ لِلْفَرَزْدَقِ : رَدَّهَا يَا هُمَيْمُ^(٣) ، فَجَمَلَ الْفَرَزْدَقُ
يَقُولُ : إِيَّاهُ عَقْرَاءُ ! إِيَّاهُ عَقْرَاءُ !

فَجَمَلَ يَحْمِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحِيَاضِ ، فَكَلَّمَا وَرَدَ بَعِيرُهُ عَقْرَهُ ، حَتَّى اضْطَرَّهَا إِلَى
بَيْتِ أُمِّ سُحَيْمٍ - لَيْلَى بِنْتُ شَدَّادٍ - فَمَقَرَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَمِنْ وَرَائِهِ ، حَتَّى قُطِعَتْ
أُطُنَابُهُ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ فَسَبَّتْهُ وَدَعَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : يَا غَالِبُ ؛ إِنَّ عَقْرَكَ
لَنْ يُذْهِبَ لَوْ مَكَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْتَمُ ابْنَةَ الْعَمِّ ، وَلَكِنْ كُلُّوْا مِنْ هَذَا شَحْمًا وَلَحْمًا .
وَجَمَلَ يَمْقَرُّهَا وَيَرْتَجِزُ :

خَذَلْنِي قَوِيَّ وَحَانَ وِرْدِي أَسْوَقُهَا بِنْدَى حُسَامٍ فَرْدٍ
هَلْ أَنْتَ يَا سُحَيْمٌ غَيْرَ عَبْدٍ أَسْوَدَ كَالْفِلْدِ^(٤) مِنَ الْمُدِّ

(١) حَسْبُكُمْ (٢) القبل : أَنْ تَقْرِبَ الْإِبِلُ السَّاءَ وَهُوَ يَصُبُّ فِيهِ فَيَصْبِيهَا شَيْءٌ مِنْهُ ،
وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

بَلَرَيْتُ مَا أَرَوَيْتَهَا لَا بِالْعَجَلِ وَبِالْجَا أَرَوَيْتَهَا لَا بِالْقَبْلِ

(٣) : تَصْغِيرُ هَامٍ ، وَهُوَ اسْمُ الْفَرَزْدَقِ (٤) القلذ في الأصل : الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبِدِ ، وَغَدِ
الْبَعِيرِ فَأَغْدَ فَهُوَ مَغْدٌ ، أَيْ بِهِ غَدَةٌ ، وَالْأَتَى مَغْدٌ أَيْضًا يَنْبِرُ هَامٌ .

وقال :

آل رِياح إنّه الفِصّاحُ وإنّها الخِصاصُ واللقاحُ
قد شاع في أسواقها^(١) الجراحُ فلا تَضجِي واصبري رِياحُ
قال سُحيم^(٢) : فلم أزل أطمع أن يكفّ حتى مرّ بفحلّ منها ثمنه أربعة آلاف
درهم فمقرّه ؛ فلما عقره علمت أنه لن يستبق شيئاً .
فذهب سُحيم يكفّه عنه فأهوى إليه السيفُ فأصاب ركبته ، فقطع إحدى
رجليه .

فمقر أربعةائة بعير ، فطلبه عثمان^(٣) رضى الله عنه ليماقبه ، فركب إلى أبيه
صمصمة فرحب به ، وقال : حاجتك ! قال : جئتُ أُتخِيفُ على ما عقرتُ ، فقد
رحضتُ^(٤) عنك الذّم والعار ، فأخلف لي . قال : نعم وكرامة ! أخلف ما عقرتُ ،
وأشترطُ بحليكَ ألا تَمقرَ بعيراً ولا بهيمةً ولا نمدّ بها ولا تتلّ بها . قال غالب :
لا أعطيك هذا الشرط أبداً . قال : فلا ، إلّا على هذا الشرط .

فلحق بالبصرة فأتى منزل الحنات بن زيد فالتزمه وتبّله ، وقال : أقم تخرج
أعطية الحى ، وفيهم ثمانون على ألفين ، فنقاسمك من أعطيتهم ، ففعل ، فأخذ
ما أعطاه ، فارتحل بحمل وِرق^(٥) ، فأتى الموسم براحلة دراهم ؛ فلما قضى نسكه
زار البيت في أول الناس ، ثم ركب بين خُرْجِيّه بعيراً نجيباً لا يُجارى ، ثم نادى

(١) أسوق : جمع ساق (٢) غلام غالب كان أبصر الناس بالابل وأرعاها

(٣) وفي خزانة الأدب : إنه لما انتفض الحجابة ، ودخل الناس الكوفة قلت بنو رِياح لسُحيم :
جررت علينا عار الأبد ، هلا نحرّت مثل ما نحر غالب ، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ؛
فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونحر نحو ثلاثمائة ناقة ، وكان في خلافة علي بن أبي طالب ، فنع
الناس من أكلها وقال : إنها مما أهل لغير الله به ، ولم يكن الغرض منه إلا الفخرة والمباهاة ،
فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها العقبان والرخم (٤) رحضت : غسلت
(٥) الورق : الدراهم المضروبة .

بالطلحاء يأبها الناس ؛ أنا غالبُ بن صعصعة ، فن أخذ شيئاً فهو له ، ثم فتح
الخرجين ، ثم حثاً أمامه ، وعن يمينه وعن شماله ووراءه ، حتى إذا فرغ الخرجين من
الورق أحال السوط في بطن البعير ثم نجأ .

ف قيل لثمان : عبتَ على غالب في المقر وأخفته وطلبتَه لتماقبه ، فها هو ذلك
قد أنهب ماله ، فبعث في طلبه ، فهرب ، فأعجزهم .

فقال في ذلك ذو الخرق الطهورى :

أبغ رباحاً على نأبها	ورمط الحجل شفاة الكلب
فلا تبعثوا منكم فارطاً	قصير الرشاء صغير الغرب ^(١)
يمارض بالدلو فيض الفرات	تصك أواذيه ^(٢) بالخشب
فا كان ذنب بنى مالك	بان سب منهم غلام فسب
عراقب كوم طوال الدرى	تخر بوائكهما ^(٣) للركب
بأبيض يهز في كفه	يقط ^(٤) العظام ويبرى العصب
يسامى قروم ^(٥) بنى دارم	يسامى لهم غالباً قد غلب
فأبقى سحيم ^(٦) على ماله	وهاب السؤل وخاف الهرب ^(٧)

(١) الغرب : الدلو ، والفارط : المتقدم السابق إلى الماء ، يتقدم الواردة فيهم لهم الأرسان
والدلاء وعلاء الحياض ويستقى لهم ، فرطت القوم أفرطهم فرطاً : سبقتهم إلى الماء ، فأنا فارط والقوم

فراط (٢) الأواذى : جمع الأذى : الموج (٣) بوائك الإيل : سماتها

(٤) القط : القطع عامة ، وقيل : قطع الشيء الصلب (٥) القرم : الفعل الذى يترك من

الركوب والعمل ويودع للفلة وجمه قروم ، والقرم من الرجال : السيد العظيم على المثل بذك

(٦) هو سحيم بن وثيل الرياحى (٧) فى رواية : الحرب .

المشام
عفا الله عنه

مُلْحَق
فِي أَنْسَابِ الْعَرَبِ

أَنسابُ الْعَرَبِ

العَرَبُ الْعَرَبِيَّةُ

ويقال فيهم العرب العاربة - وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . والمشهورُ منهم شُعْبَان : الشَّعْبُ الْأَوَّلُ : جُرْهُم ^(١) ، والشَّعْبُ الثَّانِي يَمْرُب ^(٢) .

ويعرب هو أَصْلُ عرب اليمن - ومنه تناسلوا - وَوُلْدُهُ يَشْجُبُ ، وولد يشجب سبأ - ومنه تفرعت جميع قبائلهم .

ومرجع المشهور فيه إلى حين عظيمين : حَمِير ^(٣) وَكَهْلَان ^(٤) :

حَمِير

هو حَمِير بن سَبَأ ، وله عشرة أولاد من عَقِبِهِ ، ولكن النسب يرجع إلى اثنين

* رجعت في تحرر هذه الأنساب إلى المعارف لابن قتيبة ، والقصد القريد لابن عبد ربه ، ولسب قحطان وعدنان للمبرد ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، ونهاية الأرب للنوري ، وقد أثبتنا هذه الأنساب هنا تسهيلاً لقارىء هذا الكتاب حتى يستطيع متابعة تفرع القبائل ، وإن كنا قد أضربنا في كل مناسبة إلى فروع هذه القبائل لإشارات مختصرة في حواشي الكتاب

(١) وهناك جرم المذكورة في العرب البائدة ، وقد كانت منازلهم باليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فلأقاموا به حتى كان نزول إسماعيل على أبيه بمكة (٢) يقال إن العرب سموا عرباً ، مشتقاً من عرب (٣) ويقال إن اسمه الرننج ، وكانت بلادهم مشارف الشام ، فظفار وما حولها (٤) كانت كهلان في أول أمرها قد تداولت الملك مع بني حمر ، ثم انفرد بنو حمر بالملك وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت حكمهم ، ثم تقاصر ملك حمر .

منهم : الحميسع ومالك ، ومن مالك كان قضاة^(١) ، وإلى قضاة ينسب جل قبائل
رحمير .

والشهور من قضاة سبعة أحياء : بلي^(٢) ، « ومن بطونهم بنو ناب » ،
وجهمنة^(٣) ، وكلب^(٤) ، وعذرة^(٥) ، وبهراء^(٦) ، ونهد^(٧) ، وجرم (ومنهم
بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف) .

كهلان

هو كهلان بن سبأ ، وحيث من أعظم أحياء اليمن ، وأكثرهم قبائل ، والشهور
منهم إحدى عشرة قبيلة :

١ — الأزد ، وهم ثلاثة أقسام : أزد شنوءة^(٨) وأزد السراة^(٩) ، وأزد
همان^(١٠) .

(١) ذهب بعض النساين إلى أن قضاة من قبائل عدنان ، وحق السهيل فقال : الصحيح أن
أم قضاة مات عنها زوجها مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير وهي حامل ، فزوجها
معد بن عدنان ، فولدت له قضاة على فراشه ، فبناه ، فنسب إليه . قال بعض رجالهم :
قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير المنكر

(٢) والنسب إلى بلي بلوى (٣) والنسب إلى جهينة جهني (٤) م بنو كلب بن وبرة
ومنهم حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) إلى عذرة هذه ينسب المشق
والثيم ومنهم عروة بن حزام صاحب غراء ، وجيل صاحب بئنة (٦) كانت منازلهم من
ينبع إلى عقبة أيلة ، ومنهم القناد بن الأسود صاحب رسول الله (٧) كانت منازلهم باليمن ،
واليهم كتب رسول الله كتابه المشهور (٨) م بنو نصر بن الأزد ، وشنوءة لقب
لنصر غلب على بني (٩) السراة : موضع بأطراف اليمن تزل به فرقة منهم ففرقوا به
(١٠) همان : مدينة بالبحرين ، تزلها قوم منهم ففرقوا بها .

وبطونهم كثيرة : منهم غَسَّان^(١) والأوس والخزرج^(٢) .

وفي الأوس والخزرج بطون كثيرة ، فمن بطون الأوس : بنو النُبَيْت ،
وبنو عمرو^(٣) بن عوف وبنو السَّمِيعَة وبنو عبد الأشهل وبنو ظَفَر وبنو جَعَجَجَتِي .
ومن بطون الخزرج : بنو النجار وبنو بَيَاضَة وبنو ساعدة^(٤) وبنو سَالم ، وبنو عوف^(٥)
ابن الخزرج .

٢ — طي^(٦) : ومن بطونهم بنو تيم^(٧) بن ثعلبة ، وبنو نَبَّهَان
ابن عمر ، وئَمَل^(٨) بن عمرو ، وجَرَم بن عمر ، وجَدِيلَة ، وِوَلَان وهِنَاء^(٩) ،
وَسُدُوس^(١٠) ، وَبُحْتَر^(١١) ، وَزَيْد ، وَسِنَيْس ، وَغَزِيَّة ، وَلَام^(١٢) ، والفوث .

(١) غسان : ماء نزلوا عليه فمروا منه ، فسموا به ، ولغسان كان ملك العرب بالشام
بعد سليح لما أن انتهى إسلام آخر ملوكهم جيلة بن الأيهم ، ثم آرتاده ولحوقه ييلاد
الكفر (٢) الأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقيبا بن عامر ماء السماء
ابن حارثة الفطريف ؛ ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وكانت منازلهم
يترب ومنهم كان أنصار النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أهل قباء (٤) قوم سعد
ابن عباد (٥) رهط عبد الله بن أبي بن سلول (٦) كانت منازل طي في اليمن ،
ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسبل المرم فنزلوا بنجد والحجاز ، ثم غلبوا
بني أسد على جبلى أجأ وسلمى من نجد ونزلوها ، ثم عرفا بعد ذلك بـجبلى طي^٧
(٧) فيهم يقول امرؤ القيس :

أفر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصايح الظلام

(٨) منهم عمرو بن عبد المسيح ؛ كان أرى العرب ؛ ولإيه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

(٩) منهم إياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر (١٠) بضم السين

(١١) ومنهم أبو عباد البحتري الشاعر (١٢) منهم أوس بن حارثة سيد طي .

٣ — مَذْحَج^(١) ؛ ومن بطونهم خَوْلَان ، وَجَنْب^(٢) (وم بنو منبّه والحارث
والفليّ وسَيْحَان وَشَمْرَان وَهِفَّان) وَسَعْد^(٣) العشيرة (وم أَوْذ^(٤)) وَجُفَيْ^(٥)
وَزُبَيْد^(٦)) وَالْمَخَج^(٧) وَعَنْس^(٨) وبنو الحارث^(٩) ، وَصَدَّاء .
٤ — مُرَاد^(١٠) .

٥ — هَمْدَان^(١١) .

٦ — كَنْدَة ، ومن بطونهم بنو مُعَاوِيَة^(١٢) وَالرَّائِش^(١٣) وَالسَّكُون وَالسَّكَّاسِك
وَبْنُو حُجْر^(١٤) وبنو الجون .
٧ — جَذَام^(١٥) .

(١) سموا بمذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج (٢) قيل : سموا جنباً لأنهم
جانبوا أخام صداء وحالفوا سعد العشيرة ، وحالفت صداء بنى الحارث بن كعب ، ومنهم معاوية
الحجير الجنبى صاحب لواء مذحج فى حرب ابى وائل ، ولهم بقول المهلهل :
أنكحها فقدها الأرقام فى جنب وكان الجباء من آدم
(٣) سى بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثائة رجل ؛ فكان إذا سئل
عنهم يقول : هؤلاء عشيرتى — دفعاً للعين عنهم — فليل لهم سعد العشيرة (٤) منهم الأفوه
الأوذى الشاعر (٥) إليهم ينسب الإمام البخارى (٦) منهم عمرو بن معديكرب
(٧) منهم الأشتر النخعى والى على بن أبى طالب على مصر (٨) منهم همار بن ياسر
الصحابى ، والأسود العنسى التميمي (٩) منهم عبد يغوث الشاعر قتل يوم الكلاب الثدى
(١٠) يقال : اسمه يحاير قتمر فسمى مراداً (١١) وكان شيعة على بن أبى طالب ،
وفيه يقول يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألقا لبيد الله حق عبادته . ومنهم مالك بن حريم الذى يقول :
وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا فى ذيك همدان ظالم
مضى تجمع القلب الذكى وصارماً وأتقاً حياً تحتنبك المظالم
(١٢) ويسمون معاوية الأكرمين ، وفيهم يقول الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمام

(١٣) رهمط شريح القاضى (١٤) هم ملوك كندة ، وفيهم امرؤ القيس الشاعر

(١٥) هم فى كهلان على المشهور ، وبعضهم يردم إلى معد ، وبعضهم ينسبهم إلى مدين .

٨ - أُنَمَّار^(١) ، وولد له بِجِيلَة^(٢) وَخَتَمَ^(٣) .

٩ - لَخَمَ^(٤) .

١٠ - عاملة .

١١ - الأشعريُّون^(٥) .

أ العرب المستعربة "العَدَنَانِيَّة" (بـ)

ويقال لهم العرب المتعربة^(٦) ، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - والوجودون من العرب من ولد إسماعيل ، وكلمهم من بني عدنان بن أدد ؛ والباقون قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب ، ولذلك عرف هؤلاء العرب بالعدنانية .

ولد لعدنان : عَكَ ومَعَدَّة ، والنسب فيه يتحدّر من معد ، وولد لمعد ثمانية منهم قنص^(٧) ، ونزار^(٨) ، والنسب في ولده إلى نزار .

(١) بعضهم ينسب أُنَمَّار إلى عدنان ويقول : إن نزار بن معد بن عدنان ولد له مضر وريعة وليّاد وأُنَمَّار ، وولد لأُنَمَّار بِجِيلَة وخَتَم ، فصاروا إلى اليمين (٢) منهم جرير بن عبد الله البجلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم يقول الشاعر :
لو لا جرير هلكت بِجِيلَة نعم الفتي وثبتت القبيصة
(٣) منهم حران الذي يقول :

أقسنت لا أموت إلا حراً وإن وجدت الموت طعماً مرا
أخاف أن أخدع أو أغرا

(٤) منهم ملوك الحيرة اللخميون رهط النعمان بن المنذر (٥) الأشعريون : رهط أبي موسى الأشعري (٦) سمووا بذلك لأن لسان إسماعيل - عليه السلام - كان العبرانية أو السريانية فلما تزلت جرحهم (وهم من القحطانيين) عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم ، وتعلم هو وبنوه العربية منه . (٧) في المعارف لابن قتيبة : يزعم قوم أن آل المنذر ملك الحيرة منهم (٨) وفي المعارف ذكر منهم قضاة وأنها صارت إلى حمير ، والصحيح ما ذكرناه أنها في حمير نسباً ووطناً ، وذكر أيضاً ليّاداً منهم .

وولد نزار أربعة : إياد وأثمار وربيعة ومضر ، وإلى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار وهو الصريح من ولد إسماعيل - عليه السلام -

وأما إياد فليست لهم قبائل مشهورة ، وينسبون إلى القبيل الأكبر^(١) .
وأما أثمار فولد له خثعم وبجيلة ، ثم صاروا إلى اليمن .

رَبِيعَة

هو ربيعة^(٢) بن نزار بن معد بن عدنان ، والمشهور من أولاده ضبيعة وأسد .
وضبيعة قبيلة لم تكن بطونها ، ومنها بنو أحس^(٣) وبنو الحارث وبنو دوفن^(٤)

وأسد قبيلة تعددت بطونها وأفخاذها ، ومنها بنو عنزة وعميرة وجديلة .
ومن جديلة عبد القيس ، وبنو النمر بن قاسط ، ووائل بن قاسط .
فمن عبد القيس : صباح^(٥) بن لسكيز ، وبنو غنم بن وديعة ، وعجل بن عمرو^(٦)
ومحارب بن عمرو^(٧) ، وجديمة بن عوف^(٨) .

(١) يذكر قوم أن تقيماً منهم ، والأرجح أنه من قيس عيلان كما سيأتي . ومنهم قس بن ساعدة
وكعب بن مائة ؛ وقد جعله ابن قتيبة ابناً لمعد كما سبق . (٢) ويعرف بربيعة الفرس ؛
لأن أبيه نزاراً أوصى له من ماله بالخيول (٣) إلى بني أحس ينسب المسيب بن علس الشاعر
(٤) منهم المتلس الشاعر والحارث بن عبد الله الأضجم ، وكان سيد ضبيعة في الجاهلية
(٥) منهم كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبي عليه الصلاة والسلام (٦) منهم
صمصمة بن صوحان وزيد بن صوحان من أصحاب علي بن أبي طالب (٧) منهم عبد الله بن عامر ،
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) رهط الجارود العبدي .

وعصر^(١) بن عوف ، وشن بن أفضى ، وتعلبة بن أنمار ، ونكرة^(٢) بن لكيز
والدليل^(٣) بن عمرو .

وأما النمر بن قاسط فن ولدته تيم^(٤) الله ، وأوس^(٥) مناة ، وعبد مناة ،
وقاسط ، ومنبه .

وأما وائل فقد ولد له بكر وتفلب ، وعنهما تفرعت بطون كثيرة .



فن بكر : يشكر بن بكر ، وعجل بن لجيم بن صعب ، وخيفة بن لجيم بن صعب
وقيس وعائذ (تيم الله) ، وذهل وشيبان [بنو تعلبة بن عكابة بن صعب]

فينشكر : من بطونهم بنو غبر بن غنم ، وبنو كنانة بن يشكر ، وحرب^(٦) بن
يشكر ، وذبيان^(٧) بن كنانة بن يشكر .

وعجل بن^(٨) لجيم : من بطونهم بنو حاطب بن جذيمة ، وسيار بن الأسعد ،
وكعب بن الأسعد ، وبنو داف بن جشم ، وعبد المزى بن داف ، وضبيعة بن عجل
وسعد بن عجل

(١) هم رهط الأشج ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إن فيك لحصلتين يجبهما
الله : الحلم والأناة (٢) منهم المثقب العبدى والمزق العبدى الشاعران (٣) منهم سحيم بن
عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعيد بن أبي وقاص (٤) منهم
الضحيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بني شيان ، وسمى الضحيان لأنه كان يجلس لهم وقت
الضحى فيقضى بينهم (٥) منهم صهيب بن سنان بن مالك ، صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم . كان أصابه سبام في الروم ، ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبيد الله بن جعدان فأعتقه
(٦) رهط ابن السكواء (٧) رهط سويد بن أبي كاهل (٨) منهم حنظلة بن تعلبة بن سيار ،
وكان سيدهم يوم ذي قار ، ومنهم الأغلب وأبو النجم الراجزان ، والمديل بن القرخ الشاعر .

وحنيفة^(١) بن الحليم : ومن بطونهم الدول بن حنيفة ، وعبد الله بن الدول ،
وسحيم بن مرة بن الدول ، وعدى بن حنيفة ، وعامر بن حنيفة .

وقيس بن ثعلبة : من بطونهم ، تيم وسعد (وهما الحرقتان) وبنو جحدر^(٢)
(ربيعة بن ضبيعة) ومنهم السامعة وعُبَاد بن ضبيعة ، وسعد بن ضبيعة وسعد
ابن مالك .

وتيم الله بن ثعلبة^(٣) : من بطونهم عامر ، والحارث بن تيم الله وعائش بن مالك ،
وبنو زِمَان بن تيم الله ، وبنو هلال بن تيم الله وبنو حَنَم .

وذهل بن ثعلبة : من بطونهم سدوس ومازن بن شيبان وبنو رقاش^(٤) وبنو عامر
ابن ذهل وبنو عمرو بن شيبان بن ذهل .

وشيبان بن ثعلبة^(٥) : من بطونهم بنو محم ، وبنو الحارث وربيعة ، وبنو مرة ،
وبنو الورثة ، وبنو هند ، وبنو الشقيقة ، وبنو أسعد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث
ابن ذهل .



(١) منهم هوزة بن علي ، ومدوح الأعشى ، وشحر بن عمرو قاتل النذر بن ماء السماء يوم
عين إباض . ومنهم مسيلة الكذاب ، ونجدة الحروري (٢) منهم الأعشى ييمون بن قيس
وربيعة الجحدري فارس بكر يوم تجلان اللم ، والحارث بن عباد فارس النعامة ، وكان على جماعة
بكر يوم قضة وطرفة الشاعر (٣) يطلق عليهم اللهازم ، وكانوا حلفاء بني عجل
(٤) رهط الحصين بن النذر والقمقاع بن شور ودغفل النسابة (٥) منهم بسطام بن
قيس فارس بن شيبان في الجاهلية ، وقد ربح الدهليين واللاهزم اثني عشر مرباعاً ، وهاني بن
قيصة الذي أجاز عيال النعمان بن النذر وماله عن كسرى وبسبه كانت وقعة ذي قار ، وعوف
ابن محم وفيه يقال : لا خير بوادي عوف ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، ومام بن مرة ،
والضحاك بن قيس ، والمثنى بن حارثة ، والحوفزان .

تغلب : وأما تغلب فن بطونها الأراقم^(١) [وهم جشم^(٢) ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث] وعكَبَ ، وبنو عدى بن أسامة ، وبنو فدوكس^(٣) وبنو عتاب ابن سعد بن زهير^(٤) .

قَيْس عَيْلَان

من مضر بن نزار محمد حيان عظيمان : خننف^(٥) وقيس^(٦) عيلان .
وولد قيس عمراً وسعداً وخَصَفَة^(٧) .

١- عمرو بن قيس عيلان

ولد له فهم^(٨) وعدوان^(٩) .



٢- سعد بن قيس عيلان

ولد له أعصر وغطفان .

-
- (١) سمو الأراقم ؛ لأن عيونهم كميون الأراقم (٢) منهم كليب سيّد ريمة كلها وأخوه المهلهل ، وهو الذي هاج الحرب بين بكر وتغلب (٣) رهط الأخطل الشاعر النصراني (٤) منهم عمرو بن كلثوم الشاعر ، أحد أصحاب الملقات (٥) خننف هي امرأة إلياس بن مضر ، وقد نسب ولد إلياس إليها وهي والدتهم (٦) في نسب قحطان وعدنان للمبرد أن قيساً مر الناس بن مضر ، وأن عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس ، فنسب إليه قيس ، وذكر ابن قتيبة أن اسمه قمة (٧) زاد ابن قتيبة هكرمة وأعصر (٨) منهم تأبط شراً المذاهب (٩) منهم طامر بن الطرب حاكم العرب .

ومن أعصر : غنى وباهلة والطفاوة .

فغنى : من بطونها عبيد وزبان ، وصريم وضئينة ، وبنو عتريف ، ومعظم النسب إلى الأب الأكبر .

وباهلة^(١) : من بطونها بنو قتيبة (ومنهم بنو سهم وبنو أسمع) ووائل بن معن وفرّاص بن معن ، وأبو عُليم بن معن ، وبنو أود بن معن ، وبنو جآوة بن معن ، وهلال بن معن .

والطفاوة : منهم بنو جسر وبنو سنان .

ومن غطفان : عيس بن بغيض ، وذبيان بن بغيض ، وأنمار^(٢) بن بغيض ، وعبد الله بن غطفان ، وأشجع^(٣) بن ريث .

فعبس^(٤) : من بطونهم بنو جذيمة ، وبنو جرّوة ، وبنو هريم وبنو مجاهد .

وذبيان^(٥) : من بطونهم ثعلبة وفزارة (ومنهم شَمخ وعدى وبنو غراب ومازن) ومرة (ومنهم غَيْط ومهم ومالك وبنو صرمة) .



(١) م بنو مالك بن أعصر؛ نسبوا للأُمهم باهلة؛ منهم قتيبة بن مسلم والأصمى وحبي بنت قرط؛ أم الأخنف بن قيس (٢) عددم قليل ، ومنهم فاطمة بنت الحارث أم الربيع بن زياد؛ وإخوته الكيلة (٣) منهم بنو دهمان ، وكانوا ممن أعان على عثمان يوم الدار ، ومنهم فروة بن نوفل (٤) هي إحدى جرات العرب ؛ منهم زهير بن جذيمة ، وكان سيد عبس ، وابنه قيس بن زهير فارس داحس والبراء ، وعنترة التوارس ، والحطيئة ، وعروة بن الورد ، وزباد بن الربيع وإخوته الكيلة ، وحذيفة بن اليمان (٥) منهم الحارث بن ظالم وزباد النابغة الشاعر ، وهاشم بن حرملة ، وحذيفة بن بدر ، والشمخ الشاعر وأخوه مزرد ابنا ضرار ، وستان بن أبي حارثة وابنه هرم ، وطامر بن ضبارة والحسين بن مام ومسلم بن عقبة صاحب جيش الحرة .

٣- خَصَفَةُ بْنُ قَيْسِ عَيْلَانَ

وَلَدَ خَصَفَةَ عَارِبًا وَعَكْرَمَةَ .

فَمِنْ مَحَارِبِ بَنُو جَسْرٍ^(١) وَبَنُو طَرِيفٍ (وَمِنْهُمْ بَنُو الْخُفَرِ) .

وَمِنْ عَكْرَمَةَ سَلِيمٌ وَهَوَازَنٌ .

سَلِيمٌ^(٢) : مِنْ بَطُونِهِمْ بَنُو حَرَامِ بْنِ سَمَّالٍ ، وَبَنُو عَمِيرَةَ بْنِ خَفَافٍ ، وَبَنُو عَمْبِيَةَ
ابْنِ خَفَافٍ ، وَبَنُو يَرْبُوعِ بْنِ سَمَّالٍ ، وَرِغْلٌ وَمَطْرُودٌ وَقُنْفُذٌ (بَنُو نُسْبَةَ بْنِ مَالِكٍ)
وَبَنُو بَهْزِ بْنِ أَسْرَى الْقَيْسِ ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ بُهْشَهْ (وَمِنْهُمْ بَنُو دِفَاعَةَ وَبَنُو ذِكْوَانَ
ابْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَبِحِجْلَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ) وَبَنُو الشَّرِيدِ .

هَوَازَنٌ : مِنْ عَقْبِهِ ثَقِيفٌ وَبَكْرٌ .

ثَقِيفٌ^(٣) : مِنْ بَطُونِهِمْ بَنُو مُعْتَبٍ ، وَبَنُو غَيْرَةَ ، وَبَنُو عُقْدَةَ ، وَبَنُو حَبِيبِ
ابْنِ الْحَارِثِ ، وَبَنُو الْيَسَارِ بْنِ مَالِكٍ .

وَبَكْرُ بْنُ هَوَازَنٍ : مِنْ بَطُونِهِمْ سَعْدٌ^(٤) بْنُ بَكْرٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ بَكْرٍ .

وَمِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ : جِشْمٌ (وَمِنْهُمْ^(٥) غَزِيَّةٌ) ، وَنَصْرٌ^(٦) ، وَصَمْعَمَةُ .

(١) حُلَقَاءُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَمْعَمَةَ (٢) مِنْهُمْ الْمُبَاسُ بْنُ مَرْدَاسِ الشَّاعِرِ ، وَصَخْرٌ وَمَعَاوِيَةُ
ابْنَا عَمْرٍو ، وَالْحَنَسَاءُ أَخْتُهُمَا ، وَخَفَافُ بْنُ عَمِيرٍ ، وَبِشَّةُ بْنُ حَبِيبٍ قَاتِلُ رَيْمَةَ بْنِ مَكْدَمٍ ، وَعَتْبَةُ
ابْنُ غَزْوَانَ مُؤَسِّسُ الْبَصْرَةِ (٣) مِنْهُمْ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودِ الصَّحَابِيِّ عَظِيمِ الْقُرَيْشِيِّ ، وَالْحَارِثُ
ابْنُ كَلْدَةَ طَلِيبِ الْعَرَبِ ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْفَقِيهِ ، وَالْحِجَابِيُّ بْنُ يَوْسَفَ
(٤) هُمُ أَطْلَاقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَمِيَتْ هَوَازَنُ فُجَاءَتْهُ أَخْتُهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ،
فَأَعْتَقَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥) مِنْهُمْ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ فَارِسُ الْعَرَبِ (٦) مِنْهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ
وَكَانَ عَلَى هَوَازَنٍ يَوْمَ حَنْيْنٍ .

ومن صمصمة : مرة (ويمرفون ببني ^(١) سلول) وعامر .



ومن عامر بن صمصمة : نمير وربيعه ، وهلال وسواء :

فتمير : من بطونهم قريع بن الحارث ، وعبد الله ^(٢) بن الحارث ، وجَمُونَة ابن الحارث ، وبنو قَطَن ^(٣) بن ربيعة ، وبدر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن نمير .

وربيعة : من ولده كلاب وكعب بن ربيعة وعامر بن ربيعة ^(٤) .

فمن كلاب بن ربيعة ^(٥) : الوحيد بن كعب ، وبنو أبي بكر بن كلاب (ومنهم بنو هِصَّان) وجعفر بن كلاب ، وكعب بن كلاب ، وربيعه بن كلاب ، والضَّبَاب ^(٦) ووَيْر بن الأَضْبَط ، وعبد الله بن كلاب ، ونُقَاطَة بن عبد الله ، ورؤاس بن كلاب ، وعمرو بن كلاب ، وجميعهم ينسبون إلى الأب الأكبر .

ومن كعب بن ربيعة ^(٧) : عقيل (ومنهم خفاجة والأخيل) ، وقُشَيْر (ومنهم عطيف وعطفان وبنو ضمرة) والحريش وجَمْدَة ، وعبد الله بن كعب (ومنهم بنو المجالان) وحبيب .

(١) سلول أهمهم ، ومنهم المجير وعبد الله بن همام الشاعران (٢) كان فيهم العدد والصفوف
(٣) رهط عبيد الراعي الشاعر (٤) من ولده عمرو بن عامر فارس الضخياء ، وخدش
ابن زهير الشاعر ، وخرقاء صاحبة ذي الرمة (٥) منهم عامر ملاعب الأستة ، ولعيد بن ربيعة
الشاعر ، ووَكيع بن الجراح الفقيه ، ويزيد بن الصق ، وزفر بن الحارث ، والطفيل فارس قرزل
(٦) هم حسل وحسيل وضب (٧) منهم ابن مقبل الشاعر ، ومالك ذو الرقية وليلى الأخيلية
وتوبة بن الحمير صاحب ليلي الأخيلية والمجنون الشاعر ، والناطقة الجمدى الشاعر .

خندف

في خندف فرعان كبيران : طابخة ومدركة .

طابخة

من قبائل بني طابخة : بنو أد بن طابخة ، وهم بنو عمرو بن أد ، وضبة بن أد ،
وعبد مناة بن أد ، وبنو مر بن أد .

فبيد مناة بن أد : من بطونهم (تيم ، وعدى ، وعكل ، وثور أطحل)^(١) .

وضبة^(٢) بن أد : من بطونهم (نصر ، ومازن ، والسيل ، وذهل ، وعائدة ،
وتيم اللات ، وزبان ، وعوف ، وشييم) .

وعمر بن مناة هم مزينة^(٣) .



تيم

تيم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس . ولد عمرا وزيد مناة والحارث^(٤) .
فعمرو بن تيم^(٥) : من بطونهم العنبر ، وأسيّد ، والهجين ، والقليب ، وكعب ،

(١) في رأى بعضهم هم الرباب ، سموا كذلك لأنهم تعالّوا فوضوا أيديهم في جفنة فيها رب

(٢) منهم زيد الفوارس ، وسعد بن ضبة قاتل بسطام (٣) منهم العمان بن مقرن ومنهم

خطل بن سنان ، ومنهم زهير بن أبي سلمى ، ومن بن أوس ، وإلياس بن معاوية

(٤) يلقب أبا شقرة (٥) منهم أكرم بن صيفي حكيم العرب ، وأبو هالة زوج خديجة قبل

التي صلى الله عليه وسلم وأوس بن حجر الشاعر ، وحنظلة بن الربيع الصحابي

ومالك والحارث الحبيط^(١) .

وزيد مناة : منهم مالك وسعد .

فمالك بن زيد مناة : من بطونهم ربيعة^(٢) الجوع ، والبراجم (وهم همرو وقيس وكلفة والظلم وغالب) ويروى^(٣) بن حنظلة (ومن يروى الأحمال^(٤) ، وبنو غدانة ، وكليب بن يروى وحرام بن يروى ورياح بن يروى والعنبر بن يروى) وبنو دارم ابن مالك (ومن دارم عبد الله بن دارم^(٥) ، ونهشل ومجاشع ومناف وأبان وفقيم وجري) وبنو المدوية^(٦) (وهم زيد والصدى ويروى) وبنو طهية^(٧) (وربيعة^(٨) ابن مالك .

وسعد بن زيد مناة : من بطونهم عوافة بن سعد ، وعمر بن سعد ، وعبشمس ابن سعد وهيرة بن سعد وكعب بن سعد (ومنهم مقاس وعبيد وصرم وعُمَيْر^(٩) ورُبَيْع ، وبنو منقر^(١٠) ، وبنو مرة^(١١) بن عبيد ، وعوف وعامر^(١٢) وعبد عمرو^(١٣)) وعوف بن سعد (ومنهم بهذلة^(١٤) وقريع^(١٥) وآل عطارد وآل صفوان) والأجارب (وهم حرام وربيعة وعبد المزي ومالك وجشم والحارث الأعرج) .

(١) يقال لولده الحبطات ، رهط عباد بن الحصين ، وكان يمدل بألف فارس (٢) رهما علقمة بن عبيدة الفحل وعلقمة الحصى (٣) منهم الأحوص الشاعر وسجاح التنبئة ووكيع بن أبي الأسود (فائل قتيبة بن مسلم) وعتاب بن ورقاء أحد أجواد الإسلام ومالك ومنتب ابن نويرة وهخبة ابن الحارث وجري بن الخطمي الشاعر (٤) هم ثعلبة وعمر والحارث أبو سليط وحير وأمه السقاء كانت الرداة فيهم (٥) رهط حاجب بن زرارة (٦) نسبة إلى أمهم من بني عدى (٧) هم بنو عوف ومالك ، وأمه طيبة بنت عبد شمس (٨) رهط الحنظ بن سبف صاحب جيش الربة وقائل حبش بن دلجة القبي . (٩) رهط السليك (١٠) منهم قيس بن عاصم (١١) منهم الأخنف بن قيس (١٢) رهط زيد بن جلبة وكان شريفاً ، كان الأخنف يقول: كنا نخرق النعال في طلب المروءة من بيت زيد (١٣) رهط سلامة بن جندل الشاعر (١٤) منهم الزبرقان بن بدر (١٥) رهط الخبل وبني أنث الناقة الذين مدحهم الحبيطة .

مُدْرِكَة

من مدركة هذيل وخزاعة .

فهذيل^(١) : من بطونهم لحيان بن هذيل ، وسعد بن هذيل ، وخزاعة بن سعد
ابن هذيل ، وتميم بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وحريث بن سعد بن هذيل ، وجهامة
ابن سعد ، وغنم بن سعد ، وكاهل بن سعد بن هذيل ، وصاهلة بن كاهل ، وكعب
ابن كاهل .



ومن خزاعة : أسد ، والهون ، وكنانة .

فأسد^(٢) : من بطونهم دودان^(٣) بن أسد ، وكاهل بن^(٤) أسد ، وعمرو بن
أسد ، وحلمة بن أسد^(٥) ، ومنهم أيضاً بنو الصيدا^(٦) ، وبنو نصر بن قمين ،
وبنو الزينة ، وبنو غاضرة ، وبنو نعامه .

(١) منهم عبد الله بن مسعود الصحابي ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر ، وثابت بن عبد شمس الشاعر
(٢) منهم الصامت بن الأقم قاتل ربيعة بن مالك أبا لييد الشاعر ، ودواب بن ربيعة قاتل عتيبة
ابن الحارث البربوعي ، وبصر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص الشاعران ، وعمرو بن شأس
أبو عرار ، والسكريت بن زيد الشاعر ، والحساس بن هند الذي ينسب إليه عبد بن الحساس ،
وزينب بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، وأيمن بن خزيم والأقيصر الشاعران
(٣) فيهم يقول امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد المصا ما غركم بالأسد الباسل .

(٤) منهم هلباء بن الحارث الذي يقول فيه امرؤ القيس :

وأفقتن هلباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

(٥) أفتاهم امرؤ القيس بأبيه (٦) وفيهم يقول الشاعر :

يا بني الصياد ردوا فرسي لأنما يفعل هذا بالتليل

والهون : من بطونهم القارة^(١) (ومنهم عضد والديش) .



وكنانة : من بطونهم ملكان^(٢) ، وعبد مناة^(٣) (ومنهم قفار^(٤) ، والدليل^(٥) وبنو ليث^(٦) ، وبنو الحارث^(٧) ، وبنو مدلج^(٨) ، وبنو ضمرة^(٩) ، وبنو عريج ، وبنو جذيمة^(١٠) ، وعمرو بن كنانة ، ومالك^(١١) بن كنانة (ومنهم بنو فراس^(١٢) ابن غنم ، وبنو ققيم^(١٣)) والنضر .



ومن النضر (وهو قريش^(١٤)) : الصلت^(١٥) ومالك .



(١) هم أرى العرب (٢) قال ابن تينة في المعارف : لهم بقية ، وليس فيهم شرف بلرع
(٣) اسمه علي وربما قالوا مسعود (المعارف) (٤) رهاط. أبي ذر النفاري ، وفي الحديث
قفار غفر الله لها (٥) رهاط. أبي الأسود الدؤلي (٦) منهم عبيد بن حمير وعداثة
ابن شداد (٧) ويقال فيهم بلحارث (٨) هم قافة العرب ، ومنهم سراقبة بن جشم
الدليجي (٩) رهاط. عمرو بن أمية الضمري الصحابي (١٠) منهم خالد بن الوليد
بالتبصاء فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) منهم ربيعة بن مكرم
(١٢) وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وددت والله لو أن لي بمائة ألف منكم
ثلاثمائة من بني فارس بن غنم (١٣) هم نساء المشهور (١٤) قيل في تسميته بذلك
أنه كان في سفينة يبحر فارس فخرجت عليه دابة عظيمة يقال لها قريش ، فخافها أهل السفينة
على أنفسهم فأخرج سهماً من كنانته فأثبنتها ، ثم قربت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها
معه إلى مكة فسمي باسمها (صبح الأعشى ١ : ٣٥٢) (١٥) صاروا إلى اليمن ، وقيل
إليه أبو خزاعة .

ومن مالك : بنو الحارث^(١) بن مالك (ومنهم بنو الجراح^(٢)) وفهر بن مالك .



ومن فهر^(٣) : محارب^(٤) بن فهر وغالب بن فهر .



ومن غالب : تيم (ويطلق عليهم بنو الأدرم^(٥)) ولؤى^(٦) .



ومن لؤى : عامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وسعد بن لؤى ، وخزيمة بن لؤى
والحارث بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، وكعب بن لؤى .



(١) في صبح الأعمى : هم بنو الحارث بن فهر وهم من الطيبين . ويقال إن الخلع منهم ،
ويقال كانوا من عدوان فألقهم مهر بن الخطاب بالحارث ، وسموا خلعاً لأنهم اختلجوا من عدوان .
(٢) منهم أبو عبيدة بن الجراح الصحابي المشهور وسهيل بن صفوان (٣) منه تفرقت قبائل
قريش قبيل لهم بنو فهر (٤) منهم ضرار بن الخطاب شاعر قريش في الجاهلية ، والضحاك
ابن قيس القتي قتل مروان يوم مرج راهط وبنو الحارث بن مالك وبنو محارب بن فهر يطلق عليهم
قريش الظواهر ؛ لأنهم تزولوا حول مكة وليست لهم ، وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم
قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطناء مكة (٥) هم من أعراب قريش ، ولم يكن بمكة منهم
أحد ، وفيهم يقول الشاعر :

لأن بني الأدرم ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد
ولا نوافهم قريش في السدد

(٦) إلى لؤى يتخى مدد قريش وشرفها .

فعامر بن لؤى^(١) : من بطونهم مميص^(٢) ، وحسل (ومنهم سهل وسهيل
والسكران بنو عمرو ، وبنو مالك^(٣) بن حسل) .
وسامة بن لؤى : من بطونهم بنو ناجية^(٤) .
وسعد بن لؤى : من بطونهم بنو بُثانة (وهم عمار ، وعمارى ، وغزوم^(٥)) .
وخزيمة بن لؤى : من بطونهم عائذة^(٦) .



وكعب بن لؤى : من بطونهم مميص (ومنهم سهم^(٧) ، وُجَّح^(٨) ،
وعدي^(٩) ، ومرة .



(١) منهم سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى (من المؤلفة قلوبهم) ، وعبد الله بن
أبي سرح ، ونوفل بن مساحق وعبد الله بن محرمة (٢) منهم ابن قيس الرقيات ، وابن
المرقة الذي رى سعد بن معاذ يوم الخندق فأصابه كعبه فقال : خذها وأنا ابن المركة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : هرق الله وجهك في النار (٣) رهط سودة بنت زمعة
زوج الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) رهط عباد بن منصور فاضى البصرة
(٥) ينسبون إلى أمهم بثانة ، ومنهم أبو الطفيل الصحابي (٦) اندمجوا في شيبان ومقاس
العائذى الشاعر منهم (٧) منهم الحارث صاحب حكومة قریش ، وعمرو بن العاصى ، وقيس
ابن عدى ، وحبيش بن حنافة (٨) منهم صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم ، وأمية بن
خلف قتل يوم بدر وأبو عزة الجمحى وعثمان بن مظعون وأبو مخذومة مؤذن الرسول عليه الصلاة
والسلام (٩) منهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد وزيد بن عمرو بن ثعلبة ، وعبد الله بن
مطيع ، وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حنافة ، وكان قاضياً لعمرو بن العاص ، فقتله الخارجى
بطنه عمراً ، وفيه قال : أردت عمراً وأراد الله خارجة .

ومن مرة : تيم بن^(١) مرة ، وبنو مخزوم^(٢) بن يقظة بن مرة ، وكلاب بن مرة



ومن كلاب بن مرة : بنو زهرة^(٣) بن كلاب ، وبنو قصي بن كلاب .



ومن قصي^(٤) بن كلاب : عبد العزى (ومنهم بنو أسد^(٥)) ، وعبد الدار^(٦) ،
(ومنهم آل أبي طلحة بن عثمان) وعبد مناف .



ومن عبد مناف : المطلب^(٧) ، ونوفل^(٨) ، وعبد شمس ، وهاشم ،

(١) منهم أبو بكر الصديق ، وعبد الله بن جدعان ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبيد الله بن معمر
(٢) منهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن عبد الله ، وعمر بن
عبد الله بن أبي ربيعة (الشاعر) ، وإسماعيل بن هشام بن المغيرة ، وسعيد بن المسيب (الفقيه)
(٣) منهم عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وآمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة
والسلام (٤) كان قصي عطيافاً في قريش ، وهو الذي جمعهم بعد التفرق ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أبوكم قصي حين يدعى مجماً به جمع الله القبائل من فھر

وارتفع مغانيج الكعبة من خراطة بعد أن كانوا انتزعوها من بني إسماعيل (٥) منهم ورقة
ابن نوفل ، ويزيد بن زمة ، والزيير بن العوام ، والعامر بن هشام . وخويلد بن أسد أبو خديجة
بنت خويلد وحزام بن خويلد (٦) كانت يديم مغانيج الكعبة دون سائر بني قصي . ومنهم
عثمان بن طلحة صاحب الحجابة ، وشيبة بن عثمان بن طلحة ، والحارث بن علقمة ، والنضر بن الحارث
قتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأتيل (٧) منهم عبيدة بن الحارث المقتول يوم بدر والإمام
الشافعي (٨) منهم نافع بن طريب الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ، وجبير بن مطعم
والحارث بن عامر صاحب الرقادة ، ومسلم بن قرطة ؛ قتل يوم الجبل .

ومن عبد شمس : حبيب^(١) بن عبد شمس ، وريعة^(٢) بن عبد شمس ،
وعبد^(٣) الغزي بن عبد شمس ، وأمّية بن عبد شمس الأكبر ، وأمّية بن عبد شمس
الأصغر .

ومن أمّية الأكبر : العاص وأبو العاص والميص وأبو الميص (ويسمون
الأعياص^(٤)) ، وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو أبو عمرو (ويسمون
المنابس^(٥)) .

ومن أمّية الأصغر : المبلات^(٦) .



ومن هاشم بن عبد مناف : نضلة ، وأسد وصيفي ، وأبو صيفي^(٧) ، وعبد المطلب



وولد لعبد المطلب اثنا عشر ولداً منهم : أبو طالب ، والزبير ، وعبد الكعبة ،
والمعاس وضرار ، وحجّل ، وأبو لهب ، وقُثم ، والفيزان^(٨) ، وعبد الله
(أبو النبي ﷺ) .



(١) منهم عامر بن كرز (٢) هو أبو عتبة وشيبة ابني ربيعة (٣) رجع أبو العاص
ابن الربيع ، وزوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) من الأعياص عثمان بن عفان ،
وعتاب بن أسيد عامل النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وآل سعيد من العاصي (٥) ومن
المنابس آل سفيان بن حرب : معاوية وولده وإخوته (٦) منهم التريا بنت عبد الله التي كان
يشب بها عمر بن أبي ربيعة (٧) نضلة وأسد وصيفي وأبو صيفي لم يشتهروا
(٨) لقبه الحارث .

فهرس'الاعلام

(١)

الأحيمر بن عبدالله : ١٩٣، ١٩٧، ٢٠١
 الأخيل بن عبادة : ٢٣٩
 أرطاة بن ربيعة : ٣٨٣
 أرطاة بن منقذ الأسدى : ٣٨٠
 أسيع بن عمرو بن لأم : ٦٠
 الأسليح بن القصاص : ٢٢٧
 أسماء المرية : ٢٨٣
 أسود بن بيجر المجلى : ٣٣
 الأسود بن شقيق الضبابى : ٣٠٤
 الأسود بن المنقر : ١١
 أسيد بن جذيمة : ٢٣٧
 أسيد بن حناة السليطى : ١٨٢، ١٩٢،
 ١٩٧، ٣٦٨
 الأشتر بن حمارة الضبابى : ٣٠٧
 أعشى قيس : ٣٤، ٣٨، ٩٩، ٢١٣
 الأعيمر بن يزيد المازنى : ١٢٤
 الأغلب المجلى : ٢١٤
 الأقرع بن حابس : ٢٠٦
 أكتل بن حيان المجلى : ٢١٧
 أكتهم بن صيفى : ١٢٤
 أمامة بنت المداء : ٣٨٠

أبجر بن جابر المجلى : ١٧٢، ١٨٤
 ابن الرعاء الضبابى : ٥٢
 أبو دؤاد الرؤاسى : ١٣٥
 أبو سروة السنبسى : ٦٠
 أبو سفيان بن أمية : ٣٣٤
 أبو السيد النصرى : ٣٣٥
 أبو عامر الراهب : ٧٨
 أبو عمرو بن الملاء : ٣٦
 أبو الفول الطموى : ٢٢٥
 أبو قيس بن الأسلت : ٦٥
 أبو كلبة التيمى : ٣٧
 أبو لطيفة بن الخطيم بن الأعراف : ٣٠٥
 أبيير بن عصمة التيمى : ١٢٤
 أئين بن عمرو السعدى : ١٢٤
 أبي بن زيد : ١٦
 الأجاج الضبابى : ٣٠٦
 الأحوص بن جعفر الكلابى : ٣٤٤، ٣٥٠
 أحيحة بن الجلاح الأوسى : ٦٣، ٦٩،
 ٢٤٦

أمرؤ القيس بن أبان : ١٦٠

أمرؤ القيس بن حجر : ٤٩ ، ١١٥

أميمة بنت أمية بن عبد شمس : ٣٣٨

أنس بن عباس الأصم : ٣٧٠

أنس بن مرة : ٢٨٢

أنوشروان (ملك الفرس) : ٢٠

أنيف بن جبلة الضبي : ١٨٢

الأنهم بن سنان : ١٢٨ ، ٣٧٨

أوس بن حارثة الطائي : ١٣٧

أوس بن حجر : ٢٠٧ ، ٢٣٦

أوس بن خالد : ٦٠

أوس بن قلام الحارثي : ٦

إياس بن عبلة : ٢٢٦

إياس بن قبيصة : ١١ ، ٢٥ ، ٢٦

أيوب بن محرف : ٦

(ب)

بذان (عامل كسرى) : ٢٧٢

بجير (ابن أخي الحارث بن عباد) : ٣٩

بجير بن عبد الله : ٢٠١ ، ٣٧٥

بدر بن حشر الففاري : ٣٢٢

البراض بن قيس : ٣٢٦

برقة بنت شيدان : ٢٢٣

بسطام بن قيس الشيباني : ١٩١ ، ١٩٧

٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٣٨٢

البسوس بنت منقذ : ١٤٤

بشر بن أبي خازم : ١٣٨ ، ٣٢٩

بشر بن حزن : ٢٢٠

بشر بن العوراء : ١٧٢

بشر بن مسمود : ٢١٧

بكر بن يزيد : ٣٢

بكير (أصم بن الحارث بن عباد) : ٣٩

بلماء بن قيس : ٣٣١ ، ٣٣٧

(ت)

تماضر بنت الشريد : ٢٣٦

(ث)

ثابت بن المنذر بن حرام : ٦٦

ثعلبة بن الحارث : ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٦

ثعلبة بن يربوع : ٣٧٠

(ج)

جابر بن وهب : ٣٣٦

جبلة بن باعث البشكري : ٢٩

جثامة الدهلي : ١٧٦

جزء بن سمدة : ١٩٣ ، ١٩٧

جساس بن مرة : ١٤٣

جشم بن ذهل : ١١١

الجمد بن النماح : ٢١٥

جمفر بن عبلة : ٨٥

الجليح بن شديد الجمفري : ٣٠٤

جليلة بنت مرة : ١٤٣

جندب بن حصن الكلبي ١٣٨
الجون السكبي : ٣٥١

(ح)

حاتم الطائي : ٦٠ ، ١٣٧
حاجب بن حمصة : ٣٠٨
حاجب بن زارة : ٩٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥١
الحارث بن الأبرص : ٣٥٨
الحارث بن بدر ٢٥٩
الحارث بن بيبة المجاشعي : ٥٤ ، ٢١٥
الحارث بن جبلة : ٢٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٠
١٢٢

الحارث بن ربيعة : ٢٩
الحارث بن شريك (الخوفزان) : ٣٢
١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢١٣
الحارث بن الشريد : ٢٣٦
الحارث بن عباد : ١٥٤
الحارث بن عمرو (القصور) : ٤٦ ،
١١٢

الحارث بن قراد : ١٨٢
الحارث بن كلدة : ٣٣٧
الحارث بن مكدم : ٣١٥
الحارث بن همام : ١٦٢
الحارث بن ولة : ٢٥ ، ٢٩
حاطب بن قيس الأوسي : ٧٢
حييب بن عتيبة : ٤٧

حييش بن داف : ١٠٩
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٠٨
حجر بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢
حجر بن عمرو الكندي : ٤٢
حذيفة بن بدر : ٤٩
حرب بن أمية : ٢١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩
٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
حر بن الحارث العبسي : ٢٥٩
حرقصة بن جابر : ١٨٤
حرملة المكي : ٣٦٠
حريث بن سلمة : ٢٢١
حزيمة بن طارق : ١٨٢
حسان بن ثابت : ٦٨
حسان بن عامر بن الجون : ٣٥٩
حسان بن كبشة الكندي : ٣٦٥
حسان بن وبرة السكبي : ٣٥١
حسيل بن عمرو الكلبي : ١٣٤
حشيش بن نمران الرياحي : ٣٦٦
حصن بن حذيفة : ٢٩٤ ، ٣٥١
حصن بن ضرار الضبي : ٣٩٠
حصينة بن شراحيل : ٢٠٨
الحصين بن أسيد بن زهير : ٢٣٢
الحصين بن زهير : ٢٣٢
الحصين بن يزيد الحارثي : ١٣٢
حضير بن سمالك : ٧٢ ، ٧٥

الحطيئة (الشاعر) : ١٣٧ ، ٣٧٨

حليمة بنت الحارث النسائي : ٥٤

الحكم بن الطفيل : ٢٧٨

الحمراء بنت ضمرة بن جابر : ١٠٧

حمران بن عبد عمرو : ١٦٧ ، ١٧٨

حمل بن بدر : ٢٤٩

حماد بن زيد بن أيوب : ٧

الحنتف الضبي : ٢٧٨

حنديج بن البكاء : ٢٣٩ ، ٣٤٥

حنظلة بن بشر : ١٨٧

حنظلة بن ثعلبة : ٢٩ ، ٣١

حنظلة بن الطفيل : ١٨٧

حنظلة بن عمار : ٣٠٢

حنظلة بن المأمون : ١٧٣

حنابزين : ٢٧

الحوثرية بن قيس : ٣٧١

(خ)

خارجة بن سنان : ٢٧٠

خارجة بن حصن : ٣٧٣

خالد بن جعفر : ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٣٤٤

خالد بن مالك النهشلي : ٣٦٦

خالد بن يزيد الهراقي : ٢٧

خداش بن زهير : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧

خريم بن سنان : ٢٦٩

خفاف بن حزن : ٤٢٠

خفاف بن عمير : ٢٨٤

خفاف بن ندبة : ٧٨

الخنساء بنت عمرو (الشاعرة) : ٢٨٥

٢٩٠

خيرى بن عبادة : ٤

(د)

دختنوس بنت لقيط : ٣٦١

دراج بن زرعة بن قطن : ٣٠٨

درهم بن زيد : ٦٥

دريد بن حرملة : ٢٨٥ ، ٢٨٩

دريد بن الصمة : ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣١٧

(ذ)

ذؤاب بن أسماء : ٢٩٨

(ر)

الربيع بن زياد : ٢٤٧ ، ٢٤٩

ربيعة بن شكل : ٣٤٩

الربيع بن ضبع الفزاري : ١٢٢

ربيعة بن طريف : ١٧٦

ربيعة بن الطفيل : ١٧٦

ربيعة بن عبد الله : ٣٤٥

ربيعة بن غزالة : ٣٠

ربيعة بن كعب : ٣٠٠ ، ٣٤٥

وبيعة بن مكدم : ٣١٩ ، ٣١٣

رشيد بن رميض : ٢١٨

رملة بنت صديق : ٣٨٠

رياح بن الأسك : ٢٣٠

ريان بن الأسلع : ٢٦٣

(ز)

الزبرقان بن بدر : ١٢٤

زرارة بن عدس : ١٠٠

زرعة بن الصمق : ٣٤٥

زنباع بن الحارث : ٣٦٦

زنباع بن الحكم : ٣٦٨

زهير بن أبي سلمي : ٢٧١

زهير بن جذيمة : ٢٣٠

زهدم بن حزن العبسي : ٣٥٧ ، ٢٩٤

زياد بن نير الأسدي : ٢٨٠

زياد بن الهبولة : ٤٢

زيد بن أيوب : ٧

زيد الخليل : ٦٠

زيد بن عدى : ١٨

زيد بن عمرو : ٢٢٦

زيد الفوارس : ٣٩٠

(س)

ساعدة بن مر : ٢٩٨

سبيع بن الخطيم : ٣٧٣

سبيع بن ربيع : ٣٣٥

سبيع بن عمرو : ٢٦١

سبيعة بنت عبد شمس : ٣٣٥

سحيم بن وثيل : ٣٦٨ ، ٤٠١

سدوس بن شيان : ٤٣ ، ١١١

بسري بن عبد الله الهاشمي : ٨٧

سعد بن ضبا الأسدي : ٣٠٠

سعد بن فلحس الشيباني : ١٨٨

سعد بن مالك : ١٥٤

سعد بن مرة : ١٤٥

سمدي زوج (أوس بن حارثة) : ١٣٨

سفيان بن أمية : ٣٣٤

سفيان بن عوف : ٣٣٧

سلامة بن جندل السمدي : ١٨١

سلامة بن طلب : ١٧٥

سلمة بن الحارث : ٤٦ ، ٩٩ ، ١١٢

سلمة بن خالد : ١١١

سلمى بنت عمرو : ٧٠

سلمى الملقى : ٣٨٠

سمير بن يزيد : ٦٣

السموئل بن عاديا : ١٢١

سنان بن سُمَيَّ : ١٧٥

سنان بن أبي حارثة : ٢٥٦ ، ٣٦٠

سنان بن سنان بن أبي حارثة : ٣٧٤

سودة بن يزيد : ١٨٧

سوار بن حيان : ١٨٠

سويد بن الحوفزان : ١٨٨

سويد بن ربيعة الدارمي : ١٠٢

سويد بن صامت الأوسي : ٦٦

(ش)

شاس بن زهير بن حذيفة : ٢٣١

شأس بن عبده : ٥٥

شنير بن خالد الكلابي : ٣٩٠

شداد بن معاوية : ٢٦٣

شراحيل النيداني : ٢٠٨

شراحف بن المنعم : ٣٩٢

شرحبيل بن أخضر بن الجون : ٣٥١

شرحبيل بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢

شريح بن الأحوص : ٣٥٩

شريح بن الحارث اليربوعي : ٩٦

شريح بن وهب : ٣٦٨

شريك بن عمرو : ٣١

شريك بن مالك : ٣٧٣

شريك بن الهيثم : ٣٠٥

شمر بن عمرو الحنفي : ٥٢

شملة بنت الأخضر : ٣٨٦

شميث بن زنباع الرياحي : ٣٦٩

شهاب بن عبد قيس اليربوعي : ٩٥

شيدان بن خصفة : ٢٢٠

(ص)

صخر بن أعلى الهندي : ١٣٤

صخر بن عمرو : ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩

صرد بن حمزة : ١٩٣

صرح بن ربيع : ١٧٨

الصمق بن عمرو : ٣٤٥

صليح بن غنم : ٤٣

الصمة الجشمي : ٢١٥

الصمبل بن الأعور الكلابي : ١٣٣

(ض)

ضرار بن الخطاب : ٣٣٠

ضرار الضبي : ٣٩٠

ضرار بن عمرو : ١٠٩

ضرار بن الفقعاع : ١٧٢

ضمرة بنت لبب الحماسي : ١٢٧

ضمضم (أبو الحصين الري) : ٢٥٩

(ط)

طارق بن ديسم : ٩٦

طريف بن عيم العنبري : ٢٠٨

طريف بن عمرو : ١٠٨

طريف بن مالك : ١٠٨

طفيل الغنوي : ٣٠١

طفيل بن مالك : ٣٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦

٣٨٠

طلحة بن سنان : ٢٦٨

طليسة بن زباد المجلي : ١٧٣

(ع)

عاصم بن خبابة الصباحي : ٣٨٤

عاصم بن عمرو : ٦٩

عاصم بن المعلى : ٣٢٠

عامر بن جوين : ١٢١

عامر بن الطفيل : ١٣٢ ، ١٩٩ ، ٢٧٨

٣٠٢ ، ٢٨٢

عامر بن كعب : ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٦٥

عامر بن مالك : ١١٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥

٣٦٥

عباس الأعمى : ٢٨٥

عباس بن مرداس : ٢٨٥ ، ٣٢١

٣٧١

عبد عمرو بن سنان : ١٨٧

عبد الله بن أبي : ٧٤

عبد الله بن جدعان : ١٠٩ ، ٢٤٨

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

عبد الله بن جندل الطمان : ٣١٥ ، ٣١٩

عبد الله بن جمعة : ٢٢٤

عبد الله بن الحارث بن عمرو : ١١٢

١٨٧

عبد الله بن الزبير : ٣٠٨

عبد الله بن الصمة : ٢٩٣

عبد الله بن الطفيل : ٢٨٢

عبد الله بن عامر : ٢٢٠

عبد الله بن عنمة الضبي : ١٨٧ ، ٣٨٥

عبد الله بن غطفان : ٣٩٨

عبد الله بن مالك : ٢٢١

عبد الملك بن مروان : ٣٠٨

عبد يفيوث بن سلامة الحارثي : ١٢٦

عبيد بن الأبرص : ١١٣

عتبة بن جعفر : ٣٠٠

عتبة بن شخير : ٣٩٠

عتاب بن هرمي بن رباح : ٩٤

عتوة بن أرقم : ١٨٧

عنبية بن الحارث : ١٧٨ ، ١٩٢

١٩٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣

عذجل بن المأموم : ١٧٢

عثمان بن عبد الله بن سرة القرشي :

٣٠٨

عثمان بن عفان : ٢٢٠ ، ٤٠٦

عذيل بن الفرخ : ٣٧

عدى بن حاتم : ٦١

عدى بن زيد : ١٧

عدى بن مربنا : ١٤

عروة بن جعفر : ٣٠١

عروة بن خالد : ٣٨٠

عروة الرحال : ٢٤٣ ، ٣٢٧

عروة بن الورد : ٢٨٧

عمرو بن عبد الله بن جمدة : ٣٥٢
 عمرو بن عمرو : ٣٥٨ ، ٣٦٥
 عمرو بن قيس : ١٧٢ ، ٢١٢ ، ٢٨٩
 عمرو بن مالك : ١٦٧ ، ٣٢٠
 عمرو المزدلف بن أبي ربيعة : ١٢٤
 عمر بن ملقط الطائي : ١٠٥
 عمرو بن العمان البياضي : ٧٢
 عمرو بن هند : ١٠٠ ، ١٣٧
 عمران بن مرة : ٢٠٦
 عميرة بن طاري : ١٨٤
 عنبرة بن شداد : ٢٥٨ ، ٢٦٧
 العنقاء بنت همام : ٣٨٠
 عوف بن الأحوص : ٢٦٨ ، ٣٠١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠
 عوف بن بدر : ٢٥٩
 عوف بن جيل : ٤٩
 عوف بن عتاب : ٩٤
 عوف بن عطية : ٣٧٣ ، ٣٧٨
 عوف بن عمرو : ١١١
 عوف بن القمقاع : ١٧٣
 عوف بن محم : ٤٢ ، ١١١
 العوام الشيباني : ١٩٤
 عيينة بن حصن : ٧٢ ، ٣٧٣
 (غ)
 غالب بن صمصمة : ٤٠١

عصمة بن أبيير التيمي : ١٢٩
 عصمة بن حذرة : ٣٦٨
 عصيم بن مالك الجشمي : ٤٦
 عصيمة بن عاصم : ٢٢٣
 المقاق بن الفلاق : ٣٦٨
 علباء بن الحارث : ١١٥
 عليبة بن جعفر : ٨٧
 علقمة الفحل : ٥٥ ، ١٠٥
 علي بن جندب : ٨٧
 عمارة بن زياد العبسي : ٢٦٠ ، ٣٩١
 عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل : ٤٢
 عمرو بن الأحوص : ٣٦٦
 عمرو بن امرئ القيس الخزرجي : ٦٤
 عمرو بن بشر : ٢٩
 عمرو بن جبلة : ٣١
 عمرو بن جندب : ١٩٩
 عمرو بن الجون : ٣٥١
 عمرو بن جوين : ٩٦
 عمرو بن الحارث بن ذهل : ١٤٦
 عمرو بن حوط : ٩٦
 عمرو بن خالد : ٣١٩
 عمرو بن سنان : ١٢٨
 عمرو بن سواد : ٢١١
 عمرو بن شعاث الطائي : ١٠١
 عمرو بن صبيح الهندي : ١٣٣

(ف)

الفارعة بنت معاوية : ٣٨٠
فاطمة بنت الأحجم : ٣٣٩
فدكي بن أعبد : ١٧٦ ، ٢١٠
فراس بن حابس : ٢٠٦
فروة بن الحكم : ٣٦٦
فروة بن مسعود : ٥٣

(ق)

قابوس بن المنذر : ٩٥
قباذ بن فيروز : ٤٦
قبيصة بن نعيم : ١١٧
قتادة بن مسلمة : ٢٦٦
قدامة بن سلمة : ٣٦٥
قرة بن قيس بن عاصم : ١٧٦
قرة بن هبيرة : ٣٧٨
قرواش بن عمرو : ٢٦٣ ، ٢٦٨
قعنب بن الحارث : ٣٧٥
قعنب بن سمير : ١٩٣
قعنب بن عصمة : ١٩٣
قيس بن جحدر : ١٠٢
قيس بن حزن العبسي : ٣٥٧
قيس بن الخطيم : ٦٧ ، ٧٩
قيس بن زهير بن جذيمة : ٢٤٥ ،
٣٤٩ ، ٢٤٦
قيس بن عاصم النقرى : ١٢٤ ، ١٧٥

قيس بن عبد الله الفقمسي : ٣٨٠

قيس بن قبيصة : ٣٣

قيس بن مسعود : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٨ ،
٢٩٩ ، ٥٣

قيس بن مقلد : ١٧٨

قيس بن المنتفق : ٣٥٨

(ك)

كدام بن بجيلة : ٣٧٦
كرب بن صفوان : ٣٥٣
كردم الفزاري : ٢٩٤
كرز بن خالد : ٣١٩
كسرى أبو شران : ٢ ، ١٢٤ ، ١٩١
كعب بن أسد القرظي : ٧٤
كعب النملبي : ٦٣
كعب بن عمرو المازني : ٦٩
كعب الفوارس بن معاوية : ١٣٤
الكاحبة اليربوعي : ١٨٢
كليب بن عبد الأشهل : ٧٨
كليب بن وائل : ١١١ ، ١٤٢

(ل)

لأم بن سلمة : ٣٧١
لبيد بن ربيعة : ٣٠٢
لبيد بن عمرو الفسائي : ٥٤
لقيط الأيادي : ٣٩
لقيط بن زرارة : ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥١

ليلى بنت الأحوص : ٣٨٢

(م)

الأمور الحارثي : ١٢٥

مالك بن بدر : ٢٦٠

مالك بن جعفر : ٣٤٥

مالك بن حطان : ١٩٨ ، ٢٠١

مالك بن حمار الفزاري : ٢٨٦ ، ٣٦٠

٣٧٣

مالك بن خالد : ٣١٩

مالك بن الربيع : ٣٠٥

مالك بن زهير : ٢٥٤

مالك بن سلمة (ذو الرقية) : ٣٧٨

مالك بن العجلان : ٦٢

مالك بن قحافة : ٣٠٠

مالك بن قيس : ١٧٣

مالك بن كعب : ٣٨٠ ، ٣٠٠

مالك بن المنتفق : ٣٨٢

مالك بن المنذر بن ماء السماء : ١٠٢

مالك بن نويرة : ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٣٧٢

ماتم بن نويرة : ٩٦٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٣

المثلج بن قرط : ٣٧٦

المثلج بن المشخرة : ٣٩١

محرز بن مكعب الضبي : ٢١٨ ، ٣٨٦

محرقت الفساني : ٣٨٨

محمد بن هشام : ٩٠

مرثد بن الحارث : ٣٣

مرثد بن ذى جدى : ١٢٠

مرة بن ذهل بن شدان : ١٤٣

مرة بن عمرو : ٢٨

مرة بن عوف الجشمي : ٢٩٨

مرية بنت جابر : ١٤٣

مزيد بن مهم : ٣٠٥

مسعدة السلمي : ٢٢٠

مسمود بن معتب النقي : ٣١٦ ، ٣٣٥

مسهر بن ذى جدى الجيرى : ١٢٠

معاوية بن الجون : ٣١٥ ، ٣٦٠

معاوية بن شكل : ٢٦٨

معاوية بن الصموت : ٣٦٠

معاوية بن عمرو السلمي : ٢٨٣

معبد بن زراة : ٣٤٧

معدان بن عصمة : ١٩٣

معدى كرب بن الحارث : ٤٦ ، ١١٢

مفروق بن عمرو : ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٢

مقاس بن عمرو : ٢١٧

مكسر بن حفظة : ٢٥

المليد بن مسمود : ٢٠٢

مليح بن عبد الله : ١٩٨ ، ٢٠١

المنذر بن ماء السماء : ٤٦ ، ٥١ ، ٩٤

١٢٠ ، ١٠٢ ، ٩٩

المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ٥٤

المهلل بن وائل : ١٤٩

(ن)

النابتة الديباني : ٢٨٠

ناشب بن بشامة : ١٧٠

نافع بن حجر : ١١٥

نبيشة بن حبيب : ٣١٥ ، ٢٨٥

نذبة بن حذيفة : ٢٤٥

النضر بن مضارب : ٨٧

النعمان بن جساس التيمي : ١٠٢ ،

١٢٤ ، ٣٧٣

النعمان بن زرعة : ٢٦

النعمان بن فموس التيمي : ٣٦٤

النعمان بن المنذر : ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٧ ،

٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥١

نعمة بنت ثعلبة المدوية : ٨

نعيم بن عتاب : ٣٧٦

نعيم بن القمقاع : ١٧٣

نهل بن مرة : ٢٨٢

نوفل بن ربيعة : ١١٤

(هـ)

هاشم بن حرملة : ٢٨٣

الهامرز : ٢٧

هاني بن قبيصة : ١٩٢

هاني بن مسمود : ٩٣ ، ٢٠٩

الهنداق بن ربيعة : ٤٠٢

هذيل بن الأخنس : ١٧١

هريم بن الخطيم : ٣٠٦

هزار بن مرة : ٢٨٢

هشام بن عبد الملك : ٩٠

هشام بن المغيرة : ٣٢٩ ، ٣٣١

همام بن بشامة : ١٧١

همام بن مرة : ١٤٤

هند بنت جرول : ١٠٧

هند بن خالد : ٣١٩ ، ٣٢١

هند بنت ظالم : ٤٢

هند بنت النعمان : ٢٧

هند بنت وقاص : ٣٨٠

هند بنت يزيد بن معاوية : ١٢١

هوزة بن علي الحنفي : ٢

(و)

وبرة السكابي : ١٠٩

وحزة بنت الخطيم : ٣٠٦

وديمة بن أوس : ١٩٣

الورد المديني : ٢٥٠

ورقاء بن زهير : ٢٣٨

وكيع بن القصاص : ٢٢٦

الوليد بن المغيرة : ٣٢٩

الوليد بن يزيد : ٩٢

(ى)

يزيد بن حارثة : ٣١

يزيد بن حمار السكونى : ٣٣

يزيد بن حفظة : ٣١

يزيد بن شرحبيل : ٩٩

يزيد بن الصمق : ٣٦٥

يزيد بن عبد المدان : ١٢٥

يزيد بن عمرو : ١١٠

يزيد بن مسهر : ٣٢

يزيد بن معاوية : ١٢١

يزيد بن المحرم : ١٢٥

يزيد بن هوبر : ١٢٥

يزيد بن اليكسوم : ١٢٥

يوسف بن عمر النفقى : ٩٢



الامم والقبايل

(١)

بنو آ كل المرار ١٢٠

أبو بكر بن كلاب : ٣٠٠

الأجارب : ١٧٥

الأحايين : ٣٣١

الأزد : ١٢٠ ، ٦٢

أسد : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٣٨ ، ٢٦٢ ،

٣٠٠ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٩٩

أشجع : ٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٣

أكلب : ١٣٢

الأوس : ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣

إياد : ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٨٨

(ب)

بنو بدر بن فزارة : ٢٤٦ ، ٣٧٤

البراجم : ٩٥ ، ١٠٦

بكر بن عبد مناة : ٣٣٤

بكر بن كلاب : ٢٦٨

بكر بن وائل : ٦ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٤٦ ،

٩٩ ، ١١٢ ، ١٤٥ ، ١٧٥ ، ١٧٨

١٨٥ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٠

بنو البكاء : ١٣٤

بيضة : ٩٥ ، ١٠٦

(ت)

تغلب : ٢٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٩٩ ، ١١٢

١٤٥

تيم : ٢ ، ٢٧ ، ٥٥ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ،

١٧٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٢

٢١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥٠ ، ٤٠١

بنو تيم اللات : ١٧٤

بنو تيم الله : ٢٠٦ ، ٢٢٦

(ث)

الثعالب : ١٩٧

بنو ثعل : ١٢١

بنو ثعلبة : ١٩٧

(ج)

بنو جحجي : ٦٣ ، ٦٩

جديس : ٣٩٦

جديلة : ٦٠

بنو جشم : ١٤٤ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ،

٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٥

بنو جمدة : ١٣٣

بنو جعفر بن ثعلبة : ١٩٩

بنو جعفر بن كلاب : ٢٦٨ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٥٠

جهينة : ٧٣ ، ٢٨٤

(ح)

بنو الحارث بن الخزرج : ٦٤ ، ٧٢

بنو الحارث بن كعب : ٨٥ ، ٨٩ ،

١٢٩ ، ١٣٢ ، ٣٠٢

بنو حازنة بن لأم : ٢٢٦

حير : ١٢٠

بنو حنظلة : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٧٢

٢١٥ ، ٢٦٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠١

(خ)

خنعم : ١٣٢

الخزرج : ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٣

(د)

الدؤل : ٣٢٦

بنو دارم : ١٠٦ ، ١١٢ ، ٣٤٤

(ذ)

ذبيان : ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٥١

بنو ذهل بن ثعلبة : ١٧٥ ، ١٧٨

(ر)

الرباب : ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٦

بنو ربيع بن الحارث : ١٧٨

ربيعة : ٤٢ ، ١١١

بنو ربيعة بن ذهل : ٢٩

بنو رعل : ٣٧٠

بنو رواحة : ٢٢

الروم : ١٢٢

بنو رياح بن يربوع : ١٨٥ ، ٢٢١

(ز)

زبيد : ١٣٢ ، ١٩١

بنو زياد بن الربيع : ٢٥٠

بنو زيد (بغان في الأوس) : ٦٣

(س)

سمد بن بكر : ٣٣٥

سمد بن زيد : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢٥ ،

٢٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨

سمد العشيرة : ١٣٢

سليم : ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ،

٣٣١ ، ٣٩٩

بنو سليط بن يربوع : ١٧٨ ، ٢٠١

بنو سنان : ٢٧

منقبس : ٦٠

(ش)

شهران : ١٣٢

بنو شهاب : ٢٠٠

شيبان : ٢٣ ، ٤٣ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،

٣٨٢ ، ٢٦٦

(ص)

صدا : ١٣٢

الصنائع : ١١٢

(ض)

ضبة : ١٠٩ ، ٢٦٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٣ ،

٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ،

(ط)

طسم : ٣٩٦

بنو الطماح : ٢٣١

طلي : ٢٢ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١١٦ ، ١٣٧ ،

(ع)

بنو عائذة : ٢٠٩

بنو عاصم بن عبيد : ٢٠١

بنو عامر بن صمصمة : ١٠٩ ، ١٣٢ ،

١٩٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥ ،

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ،

٣٧٦ ، ٣٦٥

عبس : ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٣ ، ٢٨١ ،

٢٩٣

عبد القيس : ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٣٤٩ ،

٣٩١ ، ٣٩٨

بنو عبيد : ١٩١

بنو عتية : ١٩١

بنو عجل : ٣١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ،

عدوان : ٣٣٥

بنو عدى (رهط حاتم الطائي) : ١٠٢

بنو عدى بن جندب : ١٧٤

بنو عدى بن كعب : ٣٠٨

بنو عقيل بن كعب : ٨٥ ، ٨٩ ،

بنو عمرو بن تميم : ١٧١ ، ٣٧٥ ،

بنو عمرو بن جندب : ١٩٨

بنو عمرو بن حنظلة : ٢٠٦

بنو عمرو بن عوف : ٦٣

بنو القنبر : ١٧٠ ، ٢٢١ ، ٣٦٥ ،

بنو غزاة بن أسد : ١٧٥

(غ)

غسان : ٥٤

غطفان : ٤٦ ، ١١٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ،

٣٥٠ ، ٢٩٣ ، ٢٨١

غنى : ٢٣١ ، ٢٤٢

غوٲ : ٦٠

(ف)

بنو فراس بن غم : ٣١٥ ، ٣١٩

الفرس : ٣٣ ، ١٩١

فزارة : ٢٥٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣ ،

٣٧٣

فهم : ٣٣٥

(ق)

قريش : ١٠٩ ، ٢٣٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠

٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣١

بنو قريظة : ٦٥ ، ٧٣

قشير : ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٢

بنو القصاص : ٢٢٦

قضاة : ٢٧ ، ١١١ ، ١٢٥

آل قلام : ٧

قيس بن ثعلبة : ٩٩ ، ١٧٠

قيس عيلان : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٢١ ،

٢٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ،

٣٠٧

(ك)

بنو كاهل : ١١٥

بنو كعب : ٢٣٨ ، ٣٣١ ، ٣٥٠

بنو كلاب : ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٣٣١ ،

٣٦٨ ، ٣٤٩

كلب : ١١٦

بنو كلفة : ١٠٦

كنانة : ١١٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،

٣٣٧ ، ٣٣٤

كندة : ٤٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٩

(ل)

لحم : ٥٥

اللهازم : ١٧٠ ، ٢٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٤

(م)

بنو مازن : ٢٢١

بنو مازن بن فزارة : ٢٥٣

بنو مالك بن حنظلة : ١٧٢ ، ٢١٦ ،

٣٧٦ ، ٤٠١

بنو مالك بن زيد : ١٩٧

بنو مالك بن كنانة : ٣١٧

بنو مجاشع : ٩٤

مخزوم : ٣٣٤

مدحج : ١١١ ، ١٢٥ ، ١٣٢

مراد : ١٣٢

بنو مرة : ١٤٤ ، ٢٠٩

بنو مرة بن عوف : ٢٧٨ ، ٢٨٣

بنو نمير بن عامر : ١٣٣

نهد : ١٣٢

نهل : ١٠٨ ، ٣١٧ ، ٢٢٠

بنو نوفل بن عبد مناف : ١٠٥

(ه)

هلام بن عامر : ١٣٣

هوازن : ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

(ي)

يربوع : ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦

٢٢١ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣

٤٠١

يشكر : ٣٢ ، ١٥٤

يحد : ٦٢

بنو مريتا : ٩١

مزينة : ٧٥

مضر : ١١١

مد : ١١١ ، ١٤٢

مقاعس : ١٧٥

بنو منقر : ١٧٩

(ن)

ناهس : ١٣٢

بنو النبيت : ٧٤

بنو النجار : ٦٤ ، ٦٩

نزار : ٤٦ ، ١١٢

بنو نصر : ٢٩٣ ، ٣٢٢

بنو النصير : ٦٥ ، ٧٣

النمر بن قاسط : ٤٦ ، ١١٢ ، ١٥٤

الأمّاكن

(ت)

تبالة : ١٢٠
ترامة : ١١٣ ، ٦٢
تيمياء : ١٢١

(ث)

ثقتل : ١٧٥

(ج)

جيلة : ٣٤٩
جلود : ١٧٨
جنع ظلال : ٣٧٣
جفاف : ١٩٢
ذات الجفر : ٣٦٨
جفر الهباءة : ٢٦٣

(ح)

الحديقة : ١٩١
الحريرة : ٣٣٧
الحزن : ١٩١
حوزة : ٢٨٩ ، ٢٨٣
الحيرة : ٤٦ ، ٢٥

(١)

الأبلة : ٢٥
ذات الأنبل : ٣٩٩
أجا : ٦١
إرم الكلبة : ٣٧٥
الأفاقة : ١٩١
أنقرة : ١٢٣
أوازة : ٣٢٧ ، ١٠٠ ، ٩٩
إياد : ١٩١

(ب)

البحرين : ٤٢
بردان : ٤٢
برزة : ٣١٩
بزاحة : ٣٨٨
البصرة : ٢٢٠
بطن الجريب : ١٤٦
بطن عاقل : ٢٣٢
بمات : ٧٣

(خ)

خزار : ١١١
الخصافة : ٣٠٤
خصى : ١٩١
خورنق : ٣٣

(د)

الدمناء : ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٧١
دومة الجندل : ٤٣

(ذ)

الذئائب : ١٤٦

(ر)

الرحابة : ٦٩
رحرحان : ٣٤٤
الرقم : ٢٧٨
روضة التمدد : ١٩١

(ز)

زبالة : ٢٠٦
زرود : ١٨٢

(س)

سحبيل : ٧٥
السلان : ١٠٩
سلى : ٦١

(ش)

الشبكة : ٣٠٤

شبيث : ١٤٥

شمطة : ٣٣١

الشیطان : ٢١٧

(ص)

الصراثم : ٣٦٨
الصمان : ١٣٨ ، ١٧١
صومر : ٤٠١

(ط)

طخفة : ٩٤
طلح : ١٨٥
ذو طلوح : ١٨٤

(ع)

عاقل : ٢١٥
عسب : ١٢٣ ، ٤٠٠
عكاظ : ١٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ،
٢٣٥ ، ٢٨٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣١

عين اباغ : ٥١
عين التمر : ٣٣ ، ٢١٥

(غ)

غبيط المدرة : ١٩٧
غول : ٣٠٤

(ف)

فروق : ٢٦٧
فلج : ١٩٧
فيف، الريح : ١٣٢

(ق)

ذوقار : ٣٣

قدة : ١٢٥

قشاوة : ٢٠١

القصيدات : ١٥٦

(ك)

الكديد : ٣١٢

الكلاب : ١٢٤ ، ٩٩ ، ٤٦

الكوفة : ٢٢٦ ، ٢٢٢

(ل)

لعلع : ٢١٧

اللدى : ٢٩٣

(م)

دارة مأسل : ٣٩٠

مبايض : ٢٠٨

المدنية : ٦٢

مرج حليلة : ٥٤

المشقر : ٢

مليحة : ١٩١

منمعج : ٢٣٠

(ن)

النباج : ١٧٥

النتاة : ٢٨١

ذونجب : ٣٦٥

نحلة : ٣٢٦

النسار : ٣٧٨

نسمة : ١٨٥

ذات النسوع : ١٩٤

الذفراوات : ٢٣٥

نقا الحسن : ٣٨٢

النهى : ٥٥

(هـ)

هراميت : ٣٠٤

هجر : ٤٣

(و)

واردات : ١٥٥

الوقى : ٢٢٠

الوقيط : ١٧٠

(ى)

اليحاميم : ٦٠

اليمربة : ٢٦١

اليمامة : ١٠٠

اليمين : ١٢٠ ، ٦٢

الينسوعة : ١٨٦